المكتبة المالكية

فقهاء المالكية

وآثارهم في مجتمع السودان الغربي

في عهدي مالي وصنغي

(٦٢٨ - ١٠٠٠هـ / ١٢٣٠ - ١٥٩١م)

تأليف

الأستاذة / سحر عنتر محمد أحمد مرجان

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1432هـ-2011

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25938411-25922620 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

مرجان ، سحر عنتر محمد احمد
فقهاء المالكية واثرهم فى مجتمع السودان الغربى فى عهدى مالى وصنغى
(628-1000 هـ/ 1230-1591 م) / تاليف : سحر عنتر محمد احمد مرجان
ط-1 القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2010
362 ص ، 24 سم
تدمك : 8-512-341-977-978
1- الفقهاء المالكية
ا- العنوان

ديوى: 922,582

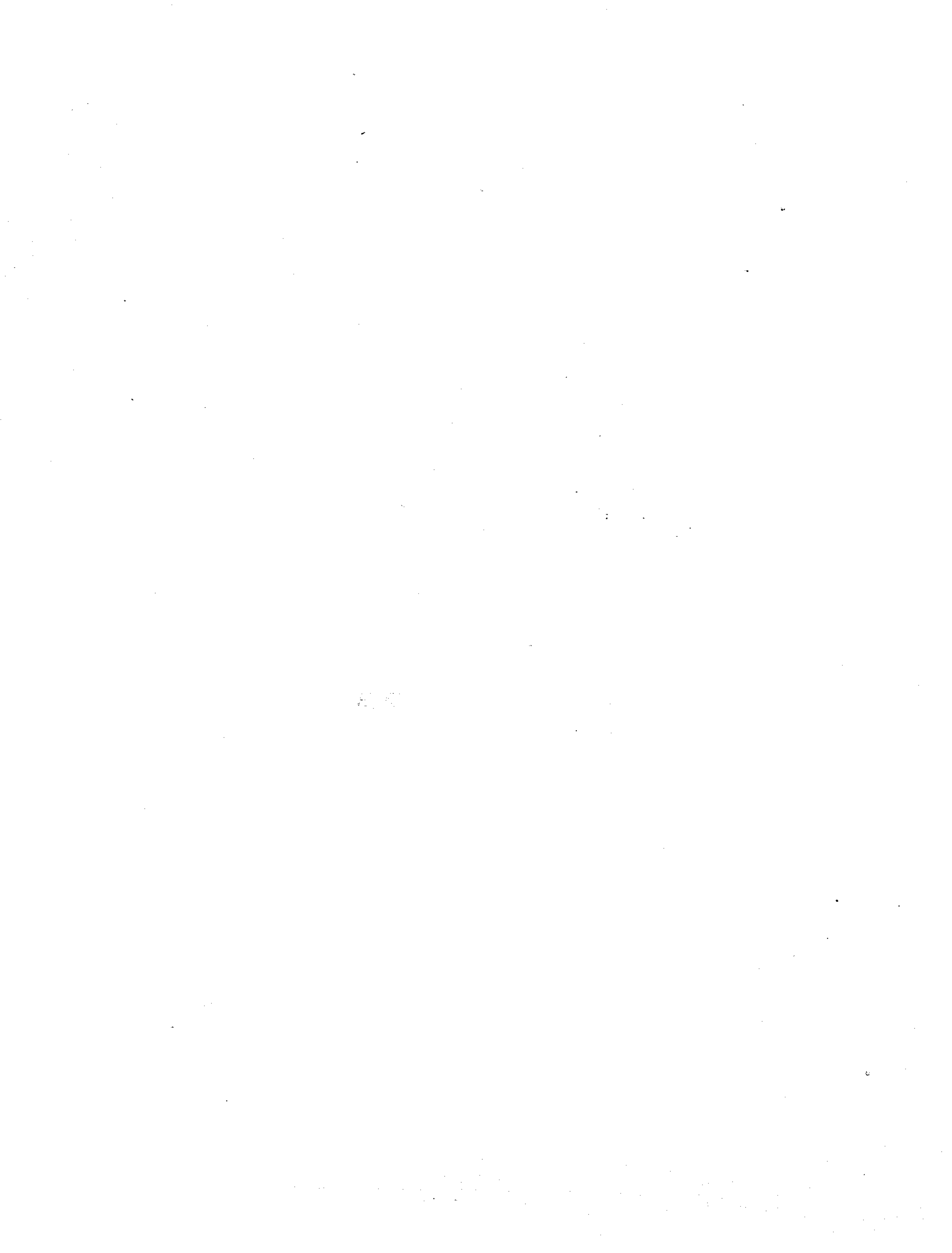
رقم الايداع: 23982

شكر وتقدير

للأستاذ الدكتور حسين سيد عبد الله مراد

على تعاونة ونصائحة الغالية،التى اثرت فكر الباحثة ،وافادتها، وموافقة التشجيعية، التى ساهمت فى صبر الباحثة من اجل تقديم البحث بالشكل الائق، فأفادها بخبراتة العلمية والعملية، وأثرا فكرها بأفكاره، والتى ترجو من الله أن تكون قد وفقت فى العمل بهذه النصائح الغالية، المفيدة.

ولا يسعني إلا أن أقر بالفضل لأهلى،وأن أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / حسين سيد عبد الله مراد ،فقد لمست فيه شموخ العلماء ، وصبر الفقهاء على توصيل المعلومة ،فعلى يديه درست ومن علمه الغزير نهلت ، ولكم كان يوجهني بصدر رحب ، فله مني الشكر الجزيل ، وجزاه الله عني خير الجزاء .



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم علي رسولك محمد خير الأنام والذي بعثته رحمة وهدي للعالمين .

تأتي هذه الدراسة لإبراز دور فقهاء المالكية السياسي والحضاري في دولتي مالي وصُنغي (٦٢٨-١٠٠٠هـ/ ١٢٣٠-١٥٩١م) حيث كان لهؤلاء الفقهاء دور مهم في بلاد السودان الغربي ، وقد بدأ هذا الدور في زمن دولة مالي واستمر في دولة صُنغي ، لا سيما في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية . فقد كان لهؤلاء الفقهاء جهود عظيمة في مجال نشر الإسلام والثقافة والعلوم الدينية واللغة العربية ، كما كان لهم و على مدي أربعة قرون في دولتي مالي و صُنغي الإسلاميتين أثر كبير في التطور الحضاري والاجتماعي الذي طرأ على هذه البلاد ، إلي جانب جهودهم في المجال السياسي إذ شاركوا في إدارة البلاد من خلال تولي الخطط الدينية.

أسباب اختيار الموضوع :

يرجع اختيار موضوع الدراسة إلي عدة أسباب أولها قيام فقهاء المالكية بدور مهم في حضارة بلاد السودان الغربي في العصر الإسلامي وقد استمر هذا الدور لهؤلاء الفقهاء في تلك البلاد حتى بعد سقوط دولة صُنغي علي يد السعديين في ٢٠ رجب ١٠٠٠هـ/ ١٣ مايو ١٥٩١م ، ومن أجل إبراز هذا الدور لفقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي ، كانت أهمية هذه الدراسة . وثاني هذه الأسباب هو أن المذهب المالكي يُعد من المحاور الرئيسية التي قام عليها مجتمع بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصُنغي ، وكان لهذا المذهب من خلال فقهائه دور في مناحي الحياة كافة في هذا المجتمع .فكان على الباحثة إبراز هذا الدور . أما السبب الثالث والأخير هو أن فقهاء المالكية قد حظوا بدراسات في بلاد المغرب والأندلس ، لكن لم يتطرق

الباحثون إليهم بدراسة متكاملة تبرز دورهم في مناحي الحياة كافة في بلاد السودان الغربي .

ولأهمية هذا الموضوع أفردت الباحثة هذه الدراسة لتكون مكملة للدراسات التي قدمت عن دولتي مالي وُصنغي في التاريخ الإسلامي .

الفترة الزمنية للدراسة :

بدأت الدراسة بقيام دولة مالي الإسلامية عام(٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)حيث شهد المذهب المالكي في عهد هذه الدولة الانتشار والذيوع ، وأصبح المذهب الرسمي لهذه الدولة . وامتدت الفترة الزمنية للدراسة إلي فترة سيطرة ُصنغي الإسلامية علي السودان الغربي حتى سقوط هذه الدولة عام (١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م) وذلك لان المذهب المالكي تحققت له السيادة خلال عهد هذه الدولة .

وقد قسمت الباحثة الدراسة إلي تمهيد و خمسة فصول وخاتمة .

في التمهيد والذي عرض لبدايات ظهور المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي . عرضت الباحثة للمذاهب والفرق الإسلامية التي كان لأصحابها جهود في نشر الإسلام ، وكيف انتهي الأمر في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بانتصار المذهب المالكي حتى أصبح المذهب الوحيد لأهل هذه البلاد .

ثم جاء الفصل الأول بعنوان : مراحل انتشار المذهب المالكي في السودان الغربي ، وقد بدأت الباحثة بعرض مرحلة ذيوع وانتشار المذهب المالكي في دولة مالي، ثم تطرقت إلي عرض مرحلة سيادة هذا المذهب في دولة ُصنغي .

أما الفصل الثاني والذي كان عنوانه: عوامل انتشار المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي فقد تناول العوامل الداخلية ، والتي تمثلت أولاً في تغلب المذهب

المالكي على غيره من المذاهب والنحل الإسلامية الأخرى و ثانياً ملاءمة هذا المذهب لطبيعة أهل السودان الغربي ، وثالث هذه العوامل الداخلية ما يتمثل في دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي .ثم عرضت الدراسة العوامل الخارجية وتحديداً منها ما يرجع إلي سيرة الإمام مالك إمام دار الهجرة ، والتأثير المغربي ، ورحلات الحج ، والرحلات العلمية .

وفي الفصل الثالث وعنوانه : فقهاء المالكية والحياة السياسية في بلاد السودان الغربي تناولت الدراسة علاقة هؤلاء الفقهاء بالسلطة والتي تأرجحت بين علاقة صداقة تارة ، وعلاقة عداء تارة أخرى ، وذلك من خلال عرض علاقة فقهاء المالكية والعرش في دولة مالي ، ثم علاقة فقهاء المالكية والعرش في دولة صُنغي . وتناول هذا الفصل أيضاً الدور الذي قام به فقهاء المالكية في إدارة الدولة من خلال الخطط الدينية التي تولوها مثل خطة الكتابة ، وخطة القضاء والفتيا ووظيفتي الإمامة والخطابة .

وجاء الفصل الرابع وعنوانه : فقهاء المالكية والحياة الاجتماعية في بلاد السودان الغربي ، وفيه تناولت الباحثة الجذور الإثنية لفقهاء المالكية ، ومكانة هؤلاء الفقهاء الاجتماعية بين طبقات المجتمع ، ثم دور فقهاء المالكية تجاه العادات والتقاليد ذات الأصول الوثنية ، وأخيراً فقهاء المالكية والاحتفالات الدينية .

وفي الفصل الخامس والأخير والذي كان عنوانه : فقهاء المالكية والحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي عرض هذا الفصل للتكوين العلمي والثقافي ، ثم الدور التعليمي لهؤلاء الفقهاء وإنتاجهم العلمي والثقافي ، وأخيراً الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء مالكية بلاد السودان الغربي وفقهاء مالكية المغرب ومصر والحجاز .

وجاءت خاتمة الدراسة التي عرضت لأهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد اعتمدت الباحثة في إعداد هذه الدراسة علي العديد من المصادر الأصلية والتي تتصل بموضوع الرسالة منها المخطوطات ، والمصادر المطبوعة ، والتي تمثلت في مصادر تاريخية ، ومصادر جغرافية ، ورحلات ، ومصادر تراجم وطبقات ، ومصادر فقه ونوازل، بالإضافة إلي المراجع الحديثة العربية والمعربة ، وأيضا المراجع الأجنبية .

أولاً الوثائق والمخطوطات:

اعتمدت الباحثة علي عدد من المخطوطات والوثائق لعلاَمة صُنغي أحمد بابا التنبكتى المتوفى عام(١٠٣٦هـ/١٦٢٧م): منها "إجازة منه للإمام أبى الفضل بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحى" وهي وثيقة بالخزانة العامة بالرباط ، مجموع رقم ٣٦٩٣.(وهي إجازة من أحمد بابا بن أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، كتبها للشيخ عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم (الحاحي)، بتاريخ ١٣ ذي القعدة عام ١٠٠٨/ ١٦٠٠) .وتبرز هذه الإجازة حرص فقهاء المالكية علي نشر العلم ، كما تبين المقررات والكتب المعتمدة في الدراسة .

كما اعتمدت علي "إجازة للخطيب أبى زيد الوقاد التلمسانى" وهي وثيقة بالخزانة العامة بالرباط ، مجموع ٣٦٩٣. وهي إجازة من أحمد بابا إلي القاضي ابن الوقاد عبد الرحمن بن محمد التلمساني نزيل تارودانت بالمغرب الأقصى بتاريخ يوم الاثنين ١٣ ربيع الآخر عام ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م وهي مطولة وعامة. ولأحمد بابا إجازة أخرى للمجاز ابن الوقاد، وهي خاصة بكتاب الشفا للقاضي عياض.

كما أفادت الباحثة أيضا من مخطوطة أحمد بابا بعنوان "أسئلة إلى علماء مصر " وهي مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس ، مع مجموعة رقم . ARABe:٥٣٨٢. وكان قد أرسلها أحمد بابا إلي علماء مصر في بعض الأمور التي أشكلت عليه ، وكان قد كتبها عام (١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) ، و بلغت واحدا وعشرين سؤالاً تدور حول أمور

متعددة . وتبين هذه المخطوطة عمق الصلات التي ربطت فقهاء مالكية مصر بفقهاء مالكية صُنغي .

وأفادت الباحثة أيضا من مخطوطة " أسئلة في المشكلات " وهي مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط مع مجموعة رقم ٤٧٠ من الورقة ١١٨ ظ إلى الورقة رقم ١٤٠ و .(وكان قد أرسلها أحمد بابا بعد أن كتبها قبل عام (١٠١٠هـ/ ١٦٠١م) إلي مفتي المالكية في مصر سالم السنهوري المتوفى عام ١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م) وتحتوي علي ستة وثلاثين إشكالاً فقهياً .كما أفادت الباحثة في أن مؤلفها هو من أبرز الشخصيات العلمية التي عاشت في فترة الدراسة .

وهناك مخطوطة لمؤلف مجهول بعنوان "رسالة إلي نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسي تتحدث عن الأسكيا محمد الكبير وصلاته مع علماء زمانه" وهي مخطوطة في مكتبة مماحيدرا ،بمدينة تنبكت (مالي) غير مصنفة.وقد أفادت الباحثة من هذه المخطوطة في مدي حب واحترام أسكيا الحاج محمد الكبير للعلم والعلماء .

أما مخطوطة" نسب سيدي يحيي" لمؤلف مجهول أيضا وتوجد في مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بمدينة تنبكت (مالي) رقم ٢٤٠ .فقد أفادت هذه المخطوطة الباحثة في التعرف علي نسب سيدي يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن التغلبى التادلسى الشريف المتوفى عام(٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م) . وأفادت في دراسة الجذور الإثنية لفقهاء مالكية تنبكت وفي التعرف علي الصلات العلمية التي ربطت فقهاء المالكية بغيرهم من فقهاء العالم الإسلامي .

كما اطلعت الباحثة علي وثيقة النهر والي (محمد قطب الدين بن محمد المتوفى عام(٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) وهي عبارة عن إجازة صادرة منه إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوى التكرورى ، وهي وثيقة في مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، رقم ٢٠٦٥، ورقة ١٣ ـ ب).وقد منحت هذه الإجازة العلمية من الفقيه

محمد قطب الدين النهروالي مفتي مكة المكرمة إلي تلميذه الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري الجنوي ، وقد تلقاها الأخير أثناء تأديته لفريضة الحج عام(٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م) .وقد استفادت منها الباحثة لأنها أوضحت المقررات الدراسية التي كان يتلقاها أبناء السودان الغربي علي أيدي أساتذتهم بالمشرق ، كما أظهرت الصلة بين فقهاء بلاد السودان الغربي وفقهاء مكة المكرمة .

كما استفادت الباحثة من عدد من المخطوطات منها مخطوطة أحمد بن أحمد بن عمر أقيت المتوفى عام(٩٩١هـ/ ١٥٨٤م) " مناخ الأحباب من منح الوهاب" ضمن مجموعة بالخزانة العامة بالرباط ، رقم ٥/ ١٨٩٠. ومخطوطة أحمد بابير الأرواني :" جواهر الحسان في أخبار ملوك السودان" وهي مخطوطة في معهد البحوث والعلوم الإنسانية بنيامى النيجر، تحت رقم ١٠٦ ، ص ١٣ ب . وكذلك مخطوطة سيدي مختار أحمد بكر الكنتي بعنوان " الإسلام في إمبراطورية سنغاي" مما حيدرا ، دار الإحياء ، مدينة تنبكت (مالي) رقم ١٨٠٩. ومخطوطة محمد محمد المفتى (مرحبا): "فتح الحنان المنان بأخبار السودان " بمعهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي بالنيجر ، رقم ١٠٨ .

وكذلك مخطوطة الوسيانى (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام المتوفى عام ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) "سير أبى الربيع الوسيانى" ،وهي مخطوطة بالهيئة المصرية العامة للكتاب دار الكتب المصرية تحت رقم ٩١١٣ح ميكروفيلم رقم ٨٤٥٢.

ثانيا المصادر المنشورة :

أفادت الباحثة من عدد ليس بالقليل من المصادرة المنشورة وقد تنوعت هذه المصادر فكان فمنها .

أولاً : المصادر التاريخية :

(أ) عبد الرحمن بن خلدون (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن خلدون المتوفى عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)

ويعد كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم "، من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة في دراستها ، فقد أفادت في التعرف علي بدايات المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي ، وجهود حكام دولة مالي في ذيوعه انتشاره .

(ب) محمود كعت التنبكتي المتوفي عام (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م):

"تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور " طبع هوداس و دولافوس ، باريس ، ١٩٦٤م، وهو الأهم بين المصادر التاريخية التي استعانت بها الباحثة حيث أفاد الدراسة في فصول عديدة منها ، وكان قد بدأ في تأليف هذا الكتاب عندما بلغ الخمسين من عمره، وهذا الكتاب يعتبر من أهم المصادر التاريخية حيث عاصر المؤلف عدداً من حكام دولة صُنغى الإسلامية ، وقد قام بالحج مع الأسكيا محمد الكبير عام (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) وكان في صحبتهم عدد كبير من فقهاء المالكية ، ويحتوى تاريخ الفتاش على عرض لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لدولة صُنغى الإسلامية ، وكذلك يلقى الضوء على بعض الأحداث لدولة مالي الإسلامية ، فوصف مالي وقوتها واتساعها . وأفادني هذا الكتاب كذلك في الحديث عن كثير من فقهاء المالكية الذين أثروا الحياة العلمية والثقافية والدينية زمن دولة صُنغى وإلي ما بعد الغزو المراكشي مما يدل على أن أحد أحفاد الفقيه محمود كعت قد أكمل ما بدأه جده.

(ج)عبد الرحمن السعدي (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي المتوفي عام ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٥م) :

ويعتبر كتابه" تاريخ السودان" من أهم المصادر التي تحدثت عن دولة ُصنغى ، وعن سني على ، ومدينة تنبكت والطوارق ، وذكر لنا عدداً ليس بقليل من الفقهاء ومدي علاقاتهم بالسلطة الحاكمة . وقدم لنا مادة غزيرة أفادت في دراسة الفصل الخامس من الرسالة والذي عرض لفقهاء المالكية وأثرهم في الحياة العلمية والثقافية.

ثانيا : كتب التراجم والطبقات :

(أ) أحمد بابا (أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م)

وقد افادت الباحثة من العديد من مؤلفاته منها كتابه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" والذي يُعد من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة وكتاب "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج" وكذلك كتابه " تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء" وقد تمت الاستفادة من كتابات أحمد بابا الذي ترجم لعدد ليس بقليل من فقهاء مالي و ُصنغي مع اهتمامه الأكبر بذكر أقاربه ومعلميه من الفقهاء والعلماء.

(ب) البرتلي (محمد بن أبي بكر الصديق البرتليالمتوفي عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م):

وكتابه" فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور" من المصادر المهمة لتاريخ دولة ُصنغي، فقد أمد الباحثة بمعلومات كثيرة عن فقهاء دولة ُصنغي ، وعن بعض فقهاء المدن الصحراوية وما حولها . وقد أفاد هذا الأمر في تتبع الصلات الثقافية بين بلاد السودان الغربي، وبلاد المغرب ، ومصر ، والحجاز .

ثالثاً: كتب فقه ونوازل :

(أ) المغيلي (محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفى عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) :

يعد كتاب" أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي من أهم الكتب التي ساعدت الباحثة في معرفة الحياة الاجتماعية والثقافية و مدي أهمية الفقيه ومدي تأثير أرائه الفقهية على الحاكم والرعية وقيام الفقيه بدور إرشادي مهم للسلطة الحاكمة ، حيث استعان به الأسكيا محمد في معرفة بعض المشاكل التي واجهته في حكم دولته .وقد أمدنا هذا الكتاب ببعض الممارسات الوثنية وجهود فقهاء المالكية في القضاء عليها .

(ب) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي المتوفى عام ٩١١هـ / ١٥٠٣م):

وكتابه "الحاوي للفتاوى، وهو من أهم المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها الباحثة في معرفة الحياة الاجتماعية والدينية من خلال الأسئلة الواردة من التكرور ، فقد أمد الباحثة بالكثير من صور الحياة في مملكة صُنغي ومدي حرص أهالي تلك البلاد في معرفة رأى الدين في شتي أمور الحياة هناك.

(ج) الونشيريسي (أحمد بن يحيي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي المتوفي عام (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) :

وكتابه "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب " ويمتاز كتابه هذا بكثرة ما احتوي عليه من نوازل فقهية ، وكان المفتون في المعيار هم فقهاء المالكية في الغرب الإسلامي من تلاميذ الإمام مالك إلي شيوخ الونشريسي وأقرانه المعاصرين له ، حيث أمدنا الونشريسي بنازلة ترجع إلى أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كان قد أفتي فيها الفقيه أبو الحسن القابسي

(٣٢٤_٤٠٣هـ/ ٩٣٥_١٠١٢م) بفتوى تبين إسهام تجار المالكية في التجارة الصحراوية ومن أسهم في نشر الإسلام والمذهب المالكي.

(د) ولأحمد بابا التنبكتي كتاب "معراج الصعود" وهو أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق" وهو من أهم الكتب التي أفادت الباحثة.

رابعاً: المصادر الجغرافية والرحلات:

كما أفادت الباحثة من المصادر الجغرافية و كتب الرحلات التي ضمت الكثير من المعلومات المختلفة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية عن دولتي مالي و صُنغي. واعتمدت الباحثة علي مصدرين من كتب الجغرافيا أفادا في كتابة الفصل التمهيدي من الرسالة والذي رصد لبدايات المذهب المالكي في السودان الغربي وهما:

(أ) البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري المتوفى عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).

وكتابه "المسالك والممالك" من أهم المصادر التي أماطت اللثام عن بلاد السودان الغربي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وقد أتاح لنا هذا المصدر معرفة مدينة التكرور، وكيف أسلم أهلها، وكذلك كيف أسلمت مدينة سلي وإمارة مالي، وكذلك معرفة النظام السائد في وراثة العرش في دولة غانة، بالإضافة إلي معرفة وفرة الماء في الصحراء متمثلا في العيون والآبار التي حفرت مما أدي إلي سهولة الاتصال بين شمال الصحراء وجنوبها .ولدقة معلومات البكري وغزارتها نقل عنه البعض ومنهم صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار، وهو لمؤلف مجهول من جيل القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد.

(ب)ـ الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي المتوفي عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) :

وكتابه" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " وردت فيه معلومات ذات قيمة عظيمة عن بلاد السودان الغربي ، فقد تحدث عن مدينة سلي ، والتكرور وحاكمها . وقام بوصف دولة غانة وصفا كبيرا ، كما تحدث عن دولة مالي ، وقد أفادت الباحثة من هذا المصدر إفادة كبيرة .

أما أهم كتب الرحلات التي رصدت تطور المذهب المالكي في دولة مالي فهو " رحلة ابن بطوطة" **(هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المتوفى عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)**

ويعد كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار) من أهم المصادر التي اعتمد ت عليها الباحثة لأن ابن بطوطة كان شاهد عيان على كثير من الأحداث أثناء رحلته إلي دولة مالي الإسلامية عام ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م ، فقد نقل لنا صوراً حية لحياة مجتمع دولة مالي ومذهبه المالكي . وقد ذكر ابن بطوطة أسماء كثير من فقهاء المالكية الذين قابلهم في بلاد السودان الغربي دون ذكر تفاصيل كافية عنهم ، بل اكتفي بذكر أسماء بعضهم فقط.

(ب) ليو الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان المتوفى عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م)

وقد أفادت الباحثة من كتابه" وصف أفريقيا " وهو من أهم كتب الرحلات التي اعتمدت علي مشاهداته الشخصية ، وقد سجل الوزان الكثير من المعلومات المهمة في دولة صُنغي في عهد أسكيا أبو بكر ، كما سجل لنا الكثير عن المراكز الحضارية خاصة مدينة تنبكت ، كما أمدنا ببعض المعلومات عن الحياة الاجتماعية في مجتمع بلاد السودان الغربي .

خامساً : كتب الموسوعات :

(أ) العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري المتوفى عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):

ويعتبر كتابه" مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة وخاصة الجزء الرابع الذي عرض فيه لدولة مالي ، ويعتبر من أفضل النصوص التاريخية التي وردت عن دولة مالي رغم أنه لم يذهب إلى بلاد السودان الغربي ، لكن جاء وصفه عن أقاليمها وقبائلها ومدنها غنياً وفريداً ، كما تحدث عن فقهاء المالكية بها اعتماداً علي روايات شفوية تلقاها عن أفراد أقاموا في دولة مالي .

(ب) القلقشندى (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى المتوفى عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

ويعتبر كتابه "صبح الأعشى في صناعة الانشا " ، الجزء الخامس ، موسوعة كبري في مختلف فروع المعرفة التي يحتاج إليها أي باحث في شتى العلوم ، حيث قدم وصفا لجميع الدول التي لها علاقة بمصر ، ومنها دولتا مالي وصُنغي مجال البحث ، ورغم اعتماده علي مؤلفات المهلبي وابن سعيد وأبى الفداء وابن خلدون والحميري ، فقد جاءت المعلومات التي سجلها وخاصة في الجزء الخامس من موسوعته والمتعلقة بدولة مالي ذات أهمية كبري أفادت البحث .

سادساً : المراجع العربية والمعربة :

كما اعتمدت الباحثة علي العديد من الدراسات الحديثة خاصة كتابات أ.د/ إبراهيم علي طرخان و أ.د حسن أحمد محمود ، والدكتور أحمد الشكري ،

والدراسات التي قام بإعدادها أ.د/ حسين مراد ، د/ كرم الصاوي باز ، ود/ سوزي أباظة ، بالإضافة إلي الدراسات القيمة التي تناولتها في موسوعة" تاريخ إفريقيا العام " وخاصة تلك التي وردت في الجزأين الثالث والجزء الرابع منها.

كما اعتمدت هذه الدراسة علي كتابات جون هونوك (JOHN HUNWICK) ، وهي

Les Rapports Intellectuals Entre Le Maroc Et L Afrique Sub–Saharienne A Travers Les Ages,

ودراسات نحيا ليفسون (Nehemia Levtzion) وهي :

Islam in West African Religion Society and Politics to١٨٠٠ حيث تعرض للنهضة الثقافية في عهد منسا موسي وخاصة في مدينة تنبكت ، كما تحدث عن سني علي وعن عدم فهمه الصحيح للإسلام ، لأنه يجمع بين الإسلام والتقاليد ذات الأصول الوثنية ، كما تحدث عن دولة الأساكي وخاصة أسكيا داود الذي زوج ابنتيه من عالمين تاجرين. وكتاب إلياس سعد

Social history of Timbuktu,the role of musolim schlars (Elias n. Saad) and notables الذي استفادت منه الباحثة حيث تحدث فيه عن مصادر الثروة و عن مدينة تنبكت كمركز تجارى وثقافي ، كما تحدث عن الجانب الاجتماعي و عن عائلة أقيت ، وعن مكانتها الاجتماعية في هذه المدينة ، وكذلك أدم باكوناري

_ Les Relations Politiques Et Culturelles Entre Le (Adam Ba konare) Maroco Et Le Mali A Traverse Les Ages.

كما أفادت الدراسة من العديد من المقالات التي نُشرت في الدوريات العربية والأجنبية والتي جاءت في قائمة المصادر والمراجع.



التمهيد
بدايات ظهور المذهب المالكي في السودان الغربي

١ـ انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي

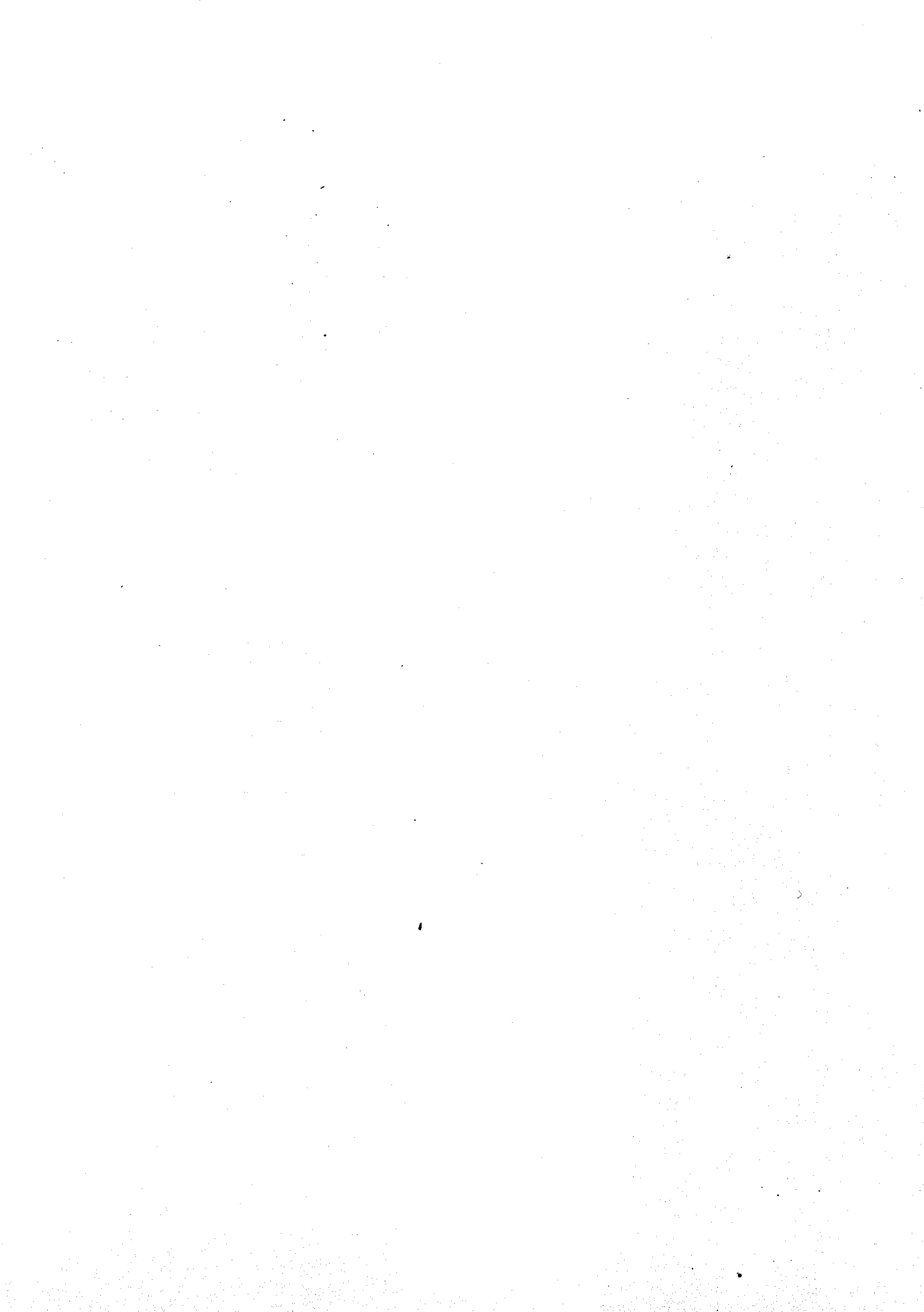
٢ـ انتشار التجارة وانتشار المذاهب والنحل الإسلامية في بلاد السودان الغربي والتجار.

٣ـ المذهب المالكي في صُنغى.

٤ـ المذهب المالكي في إمارة التكرور.

٥ـ المذهب المالكي في مالي.

٦ـ المذهب المالكي في غانة .



ظهرت أهمية المذاهب الفقهية في الشرق الإسلامي في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي لاسيما عندما امتدت الفتوحات الإسلامية لتشمل دولاً عديدة وأجناساً متباينة ، لها تقاليد و أعراف جديدة مما استدعى أحكاما غير تلك التي كانت سائدة من قبل[١].

كما قام أهل الورع من العلماء العارفين بالقرآن الكريم والسنة النبوية باللجوء إلى معرفة الأحكام عن طريق الاجتهاد في فهم هذين المصدرين الأساسيين للشريعة القرآن الكريم والسنة النبوية. وتعددت الفتاوى في المسألة الواحدة[٢] ، وكان ذلك أمراً جديداً ، لأنهم لم يعتمدوا على الرأي والقياس إذ أن كبار الصحابة اعتمدوا في أحكامهم أساساً على القرآن الكريم والسنة النبوية ، إذ لم يجدوا سواهما بديلاً ، وسار على ذلك من احتذى حذوهم ، فانقسموا إلى مدرستين[٣]: المدرسة الأولى تعتمد على النص الشرعي ، وتمثل المدرسة الأولى الحجاز مهد السنة وموطن حملتها من الصحابة ، والمدرسة الثانية تعتمد على النص الشرعي مع الأخذ بالرأي والقياس ، ويمثل المدرسة الثانية العراق و هو موطن حضارة قديمة جنح أهله إلى الرأي والقياس[٤] وبين مذهب أهل الحجاز ومذهب أهل العراق ظهرت مذاهب تجمع بين المدرستين العراقية والحجازية وهكذا انتشرت المذاهب الفقهية فظهر مذهب

---

(١) ابن قيم الجوزية " شمس الدين أبو عبد الله بن أبى بكر المتوفى عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م " : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣م ، جـ١ ، ص٢١.

(٢) محمد الخضري : تاريخ التشريع الإسلامي ، مطبعه الاستقامة ، القاهرة ١٩٣٩ م، ص١٥٢.

(٣) ابن خلدون "عبد الرحمن بن خلدون المتوفى عام (٨٠٨هـ/ ١٤٠٣م) "، المقدمة ، تحقيق حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ،القاهرة ، طـ١ ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م ، ص٥٣٩.

(٤) ابن قيم الجوزية : مصدر سابق ، جـ١، ص ١١١، محمد الخضري : مرجع سابق ، ص ١٥٣.

الإمام أبو حنيفة[١] في العراق ومذهب الإمام الشافعي[٢] في مصر ومذهب الأوزاعي[٣] بالشام غير أنه لم يضاهِ المذاهب التي انتشرت في العالم الإسلامي كالمذهب المالكي[٤]

---

(١) أبو حنيفة :هو " النعمان بن ثابت التيمي " مولاهم الكوفي ، وهو أحد الائمة الأربعة ، ولد في عام(٨٠ هـ/ ٦٩٩م)، وعمل بالتجارة ، وتتلمذ على يد عدد كبير من التابعين ولزم أستاذه حماد بن أبى سليمان في رحلاته الحجازية لأداء فريضة الحج ، وبعد موت أستاذه (١٢٠هـ/ ٧٣٧م) ، توسط حلقة الدراسة في المسجد، وإلية كانت الرحلة العلمية وإطار منهجه الفقهي القرآن والسنة وأقوال الرسول والقياس وتوسع فيه ، والاستحسان والإجماع والعرف ، ومن أخص تلاميذه : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى نسبا ويكنى بأبي يوسف ، وتلميذه الثاني محمد بن الحسن الشيانى المتوفى(١٨٩ هـ/ ٨٠٤م) أنظر الرازي :"أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم بن إدريس ، الجرح والتعديل ، ط١ ، مطبعه دار المعارف العثمانية بحيدر أباد ، الدكن ، الهند ، ١٩٥٢م ، دار إحياء التراث بيروت ، ص٤٥٠.

(٢) الشافعي : " هو محمد بن إدريس أبو عبد الله القرشي ، ثم المط لبى الشافعي "ولد بغزة ونشأ يتيما في حجر أمه التي انتقلت به إلى مكة ، ثم درس الفقه ، فساد أهل زمانه وأخذ العلم عن شيوخ مكة ،كمسلم بن خالد الزنجي ، وسعفان بن عتيبة وكان من تلاميذ الإمام مالك ، ورحل إلي العراق(١٨٤هـ/ ٨٠٠م)، ثم انتقل إلي مصر فأقام بها حتى توفي عام(٢٤٠ هـ/ ٨٥٤م) ، ومنهج الإمام الشافعي في الفقه وسط بين الحديث والقياس ، أنظر السيوطي "جلال الدين عبد الرحمن " طبقات الحفاظ ، تحقيق على محمد عمر ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ،١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ص١٥٢.

(٣) الأوزاعي : " هو أبو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمر الاوزاعي " عالم أهل الشام ، ولد سنة(٨٨هـ/ ٧٠٦م)، وكان يسكن دمشق ثم انتقل إلى بيروت ،وقد حدث عن أستاذه مكحول عالم أهل الشام ، وكان فقيهاً يعتمد علي الحديث وقد توفي عام (١٥٧هـ/ ٧٧٣م) ، أنظر الاصبهانى :"أبو نعيم أحمد بن عبد الله "، حليه الأولياء ، وطبقات الأصفياء ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م ، جـ٦ ، ص١٣٥ ، ١٤٩.

(٤) مالك : " هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى إمام دار الهجرة " ينتمي إلى قبيلة حمير التي ترجع أصولها إلى قحطان ، ولد رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنه(٩٣ هـ/ ٧١١م) ، وتوفى (١٧٩- ٧٩٥م)، أنظر عياض : " أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى المالكي "ت ٥٤٤ هـ/ ١٢٥٠م " ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ، جـ١ ، ص١٠٢،وأنظر كذلك، كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف المصرية ،

والمذهب الحنبلي[1] الذي ساد في بغداد .

ويعد المذهب المالكي الذي ساد في الحجاز نظاماً عاماً للمجتمعات الإسلامية التي انتقل إليها هذا المذهب ، وهى مصر وإفريقية والأندلس والمغرب الأقصى ، ومن تلك البلاد انتقل إلى الدول الإسلامية التي قامت في بلاد السودان الغربي[2] .

طـ٥،بدون تاريخ، جـ٣، ص ٢٧٤، ٢٧٥، حيث كانت المدينة دار حديث وإسناد ، فكان أهل الفتوى بالمدينة من التابعين ، ومنهم سعيد بن المسيب وهو سيد التابعين ، وعروة بن الزبير ، وخارجة بن يزيد الذي كان يقسم المواريث في المدينة ، وسليمان بن يسار وهو عالم المدينة ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان يعتني بالحديث ، ثم أتى بعدهم محمد بن المنكدر الذي وقال فيه الإمام مالك بن أنس "كان سيد القراء "، ومحمد بن شهاب الزهري ، وهو أول من دون العلم ، إلى أن توجت " بمالك "الذي ذاع صيته وفاق أقرانه ، وكثر تلاميذه الذين انتشروا في الأقطار الإسلامية ، وللمزيد أنظر ،ابن خلفون الأندلسى: أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس ،تحقيق محمد زينهم عزب ومن أقوال الإمام مالك التي تدل على حرصه على أخذ العلم " أن هذا العلم دين ،فانظروا عمن تأخذون منه ، ولقد أدركت سبعين ممن يقولون : قال رسول الله ﷺعند هذه الأساطين فما أخذت منهم شيئا ، وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن " أنظر الرازي ، الجرح والتعديل ، جـ١ ، ص١٢.

(١) الحنبلي : "أبو عبد أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى المروزى ثم البغدادي ولد في بغداد (١٦٤هـ/ ٧٨٠م) ، ومذهبه يعتمد على الكتاب والسنة والتشدد في الحديث ، للمزيد أنظر الذهبي :"شمس الدين أبو المحاسن محمد بن على بن الحسن الدمشقي "، تذكرة الحفاظ ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٧هـ ،ص٤٣٠ ، ٤٣١.

(٢) السودان الغربي " مصطلح أطلقه الجغرافيون العرب على المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الاطلسى غربا وبحيرة تشاد شرقا ، ويطلق عليها الآن منطقه غرب إفريقيا ، أنظر :أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني ، إمبراطورية مالي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية ،١٤٢٠هـ ، ١٩٩٠م ، ص٥٧.

ويرجع للمذهب المالكي الفضل في بناء صرح الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الغربي التي انتشر بها لأنه مذهب يهتم بمناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية كافة .

وقد تقلص المذهب المالكي في الحجاز مهد ظهوره ، ولكنه لقي انتشاراً واسعاً في بلاد المغرب والأندلس ثم السودان الغربي ، حيث توطدت أركانه ، وقويت دعائمه ، حتى أصبح هذا المذهب هو المذهب السائد في تلك الربوع . ويرجع هذا الانتشار إلى ما عرف عن إمامه من تمسكه بنصوص وتشريعات الكتاب والسنة ، ومحاربة البدع ، بالإضافة إلى تشبثه التام بآثار الصحابة والتابعين[١] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المذهب المالكي دخل إلى إفريقية خلال الفترة المبكرة من تاريخ هذا المذهب، وأثناء حياة الإمام مالك نفسه ، وذلك على أيدي تلامذته من تلك المنطقة ، ونذكر منهم على بن زياد المتوفى عام (١٨٣هـ/ ٧٩٩م)[٢] الذي يعتقد أنه أول من أدخل المذهب إلى بلاد إفريقية والمغرب، بالإضافة إلى البهلول بن راشد (١٢٨-١٨٣هـ/ ٧٤٠-٧٩٩م)[٣] وعبد الله بن فروخ (١١٠-١٧٦هـ/ ٧٢٨-٧٩٢م)[٤] الذي أخذ عن الإمام مالك نفسه ، وأخذ عنه مالك بعض

---

(١) عمر الجيدى : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعه النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧م ،ص٢٤ ،٢٦.

(٢) أبو العرب تميم القيرواني :طبقات علماء إفريقية وتونس ،تحقيق علي الشامي ونعيم حسن الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٥م ، ص ١١٢.

(٣) البهلول بن راشد : هو" أبو عمرو ، كان ثقة ، مجتهدا ورعا ، سمع من مالك بن أنس ، ومن سفيان الثورى ، والليث بن سعد وغيرهم ، وسمع منة مشايخ إفريقية ، منهم سحنون ، وعون بن يوسف الخزاعي ، ويحيى بن سلام ، المتوفى عام(١٨٣هـ/ ٧٩٩م) ، أنظر أبو العرب تميم : مصدر سابق، ص ١٢٦، ١٣٨.

(٤) هو "أبو عبد الله بن فروخ الفارسي " فقيه القيروان الجامع بين العلم والورع والقيام بالحق ، تفقه في الشرق ، وتفقه على مالك وأبى حنيفة ، وناظر بمجلس أبى حنيفة فغلبه ، وكان اعتماده في الفقه

معارفه . ومن تلامذة الإمام مالك أيضا في إفريقية عبد الله بن عمر بن غانم[(١)](١٢٨-١٩٠هـ/ ٧٤٥-٨٠٥م) وأسد بن الفرات(١٤٢-٢١٣هـ/ ٧٥٩-٨٢٨م) وغيرهم من علماء إفريقية الأوائل[(٢)] .

في حين بدأ انتشار المذهب المالكي إلى المغرب الأقصى في عهد إدريس بن عبد الله(١٧٢-٢١٣هـ/ ٧٨٣-٨٢٨م)[(٣)]، مع أنه لم ينتشر هنالك بشكل كبير إلا ابتداء من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ،على أيدي دارس بن إسماعيل المتوفى عام (٣٥٧هـ/ ٩٦٧م) الذي تعتبره بعض الروايات أول من جاء بمدونة الإمام سحنون إلى تلك البلاد[(٤)] .

أما الأندلس التي كان أهلها على مذهب الإمام الاوزاعى ، فقد انتشر بها المذهب المالكي أيضا بعد أن ارتحلت جموع غفيرة من طلبة الأندلس لتلقى العلم والفقه على يد مالك بن أنس، ومنهم عبد الرحمن المعروف بشبطون المتوفى عام(٢١٢هـ/ ٨٢٧م) الذي أدخل الموطأ إلى تلك البلاد[(٥)]، وكذلك سعيد بن أبى هند الذي أطلق عليه الإمام مالك (حكيم الأندلس)، والفقيه سعيد بن عبدوس

والحديث علي مالك ، ثم رجع للقيروان وانتفع به خلائق ، روي عنه مسلم وغيره ، أنظر محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية،علق عليه عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢م، جـ١ ، ص ٩١.

(١) محمد زينهم محمد : الإمام سحنون ، دار الفرجانى ، القاهرة ١٩٩٢، ص ١١١.

(٢) حسين مراد:المذهب المالكي في السودان الغربي، مجلة الوقائع التاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعه القاهرة، يناير ٢٠٠٦، ص ٥٣.

(٣) ابن عذارى:" أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، مكتبة دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٠م ، جـ٢ ، ص١٠٠، ١٠١.

(٤) عمر الجيدي : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، ١٩٨٧م، ص ٢٤، ٢٦.

(٥) القاضي عياض : مصدر سابق ، ص ١١٧.

المتوفى عام (١٨٠ هـ / ٧٩٦م) الذي تزود من مدرسة المدينة وعمل على نشر المذهب المالكي حتى وفاته ، و أصبح لهذا المذهب الغلبة في الأندلس بفضل هذه الجهود . وفي عهد الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل(١٧٢ـ١٨٠هـ / ٧٨٨ـ ٧٩٦م)[١] تم التمكين للمذهب المالكي في هذه البلاد ، بعد أن حمل الناس على الالتزام بمذهب الإمام مالك . فظهرت المصنفات المالكية سواء في السند أو المتن أو عن مناقب الإمام مالك و تلاميذه[٢] ، بالإضافة إلى ظهور كتب النوازل والفتاوى التي تتضمن أحكاماً مالكية ، حتى أصبح القضاة لايفتون إلا بالمذهب المالكي . ومن هنا هيمن فقهاء المالكية على الثقافة الأندلسية حيث أصبح هذا المذهب يشكل عمقاً ثقافياً وعملاً تشريعياً منظماً[٣] .

وهكذا أعانت المصادر في التحديد الزمني لانتشار المذهب المالكي في إفريقية والمغرب الأقصى والأندلس ولكن هنا يختلف الأمر بالنسبة لبلاد السودان الغربي ، حيث أن المادة المصدرية تعد معدومة لتعيين التحديد الزمني لانتشار المذهب المالكي في تلك البلاد . ويزداد الأمر صعوبة مع رصد بعض المصادر لتحركات دعاة المغاربة الذين اتجهوا إلى السودان الغربي لنشر الإسلام بين السودانيين خاصة أن هؤلاء الدعاة ينتسبون إلى جماعات وفرق إسلامية متعددة شملت السنة والشيعة والخوارج[٤].

---

(١) ابن عذارى: مصدر سابق ، ص ٦٦.

(٢) Jose Lopez Ortiz: la recepcion de la Espana a anurio do historio del dercho esponol lomo Madrid _١٩٣٠,p٨٠.

(٣) السيوطي : تزيين الممالك بمناقب سيدنا الإمام مالك ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ ، ط١،ص٣٦.

(٤) حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي، ص ٥٤.

ولذلك تُحتّم سلامة المنهج قبل تناول الأدوار التي لعبها فقهاء المالكية بالسودان الغربي، الحديث عن كيفية دخول المذهب المالكي إلى تلك البلاد ، أي محاولة التحديد الزمني لانتشار هذا المذهب في تلك البلاد .

- بدايات دخول الإسلام في بلاد السودان الغربي :

يرتبط دخول الإسلام إلى منطقة السودان الغربي بطبيعة العلاقات بين شمال الصحراء وجنوبها والتي كان لها أكبر الأثر في دخول الإسلام من الشمال الافريقي صوب الصحراء الكبرى إلى بلاد السودان الغربي[1] ،حيث لم تكن الصحراء حاجزا بين بلاد المغرب وبلاد السودان . فقد لعبت الصلات التجارية دوراً بارزاً في توسيع شبكة الاتصالات بين المنطقتين ، ومن ثم تسرب الإسلام إلى بلاد السودان .

وترجع هذه الصلات إلى ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ، وعلى الرغم من أن طابع وحجم الاتصالات التجارية قبل الإسلام يمثل إشكالية ، إلا أن وجود اتصالات متنوعة عبر الصحراء الكبرى هو أمر ثابت من خلال سلسلة من النقوش الصخرية التي تظهر بها عربات تجرها الخيول . وتتبع هذه النقوش طريقاً يبدأ من وادي درعة[2] مرورا

---

١)) الحاج مرحبا : "محمد المفتى مرحبا "فتح الحنان بأخبار السودان" ،معهد البحوث والعلوم الإنسانية، نيامي ، النيجر ، رقم ١٠٨، ص ٢٤ب.

Myth and Metrology: The Early Trans-Saharan Gold :Timothy F. Garrard Trade, The Journal of African History, Vol. ٢٣, No. ٤ (١٩٨٢), Cambridge University press,p٤٤٣.

(٢) درعة مدينة قاعدتها تيومتين ، يجرى بها وادي درعه ويوفر جبل درعه للمدينة الحصانة ، والمدينة عامرة بها أسواق جامعة ، ويقدم البكري وصفا للطريق الممتد من وادي درعة إلى الصحراء ثم إلى بلاد السودان .أنظر البكري "أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م" ، المسالك والممالك ، حققه جمال طلبة، دار الكتاب العلمية ، بيروت ،ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م ، جـ٢، ص ٣٥١،٣٥٠.

بأدرار[1] في موريتانيا الحالية لينتهي في الدلتا الداخلية لنهر النيجر . كما نجد طريقا آخر تشير إليه النقوش الصخرية يعبر الصحراء الكبرى من جنوب تونس وخليج سرت ويمر بجبال الأحجار في الجزائر حاليا ، ليصل إلى نهر النيجر نحو مدينة جاو[2] التي تعد أقدم حواضر بلاد السودان الغربي[3] .

وبعد انتهاء الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب استمر التواصل بين شمال الصحراء الكبرى وجنوبها ، إذ تمكن التجار المسلمون من التوغل في مدن المغرب المختلفة إلى المراكز التجارية السودانية ، وساعد هذا التوغل على تنشيط تجارة الصحراء والالتقاء والاختلاط بسكان السودان والتأثير عليهم مما أسهم في انتشار الإسلام بينهم[4].

وكان نتيجة لازدياد النشاط التجاري أن ازداد انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي ، فالتجارة تمت في ظل الإسلام ، فخدمها الإسلام وخدمته ، وأصبح الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير[5] ، وكان التجار إلي جانب مزاولة

---

(١) إدرار مدينة تقع شمال السنغال المتاخمة للصحراء الكبرى في موريتانيا الحالية ، كانت مهداً لقبيلة لمتونه ، وهذه المدينة فقيرة لا يزرع فيها غير الشعير والنخيل .أنظر دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الأول مادة إدرار ،ص ٥٣٤، ٥٣٥.

(٢) مدينة جاو تقع عند بداية الثنية الثانية لنهر النيجر ، مدينه قديمه تتكون من مدينتين ، وما تزال آثارها قائمة حتى الآن ،وقد أصبحت المدينة منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي عاصمة صنغى ، ارتبطت هذه المدينة مع إفريقية عبر طريق يمر بتادمكة ، أنظر البكري : مصدر سابق ،ص٣٧٢ ، أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطوريه مالي ، ص١٠٢ .

(٣)- Hunwick j ,o : Les rapports intellectuals entre le Maroc et L , Afrique sub –saharienne a travers les ages, publications de L ,Institut des etudes Afriaines , Rabat ١٩٩٠,p٨.

(٤) صباح إبراهيم الشيخى : النشاطات العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي ، مجله معهد الدراسات والبحوث العربية ، بغداد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٥٢.

(٥) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ،مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣م، جـ٥،ص ٢٠٤.

البيع والشراء مع الأهالي يقومون بنشر الإسلام متخذين الإسلام أساساً في تعاملاتهم ، وكان سلوكهم وأمانتهم تجذب الأهالي لهذا الدين .[١] واستنادا إلى المصادر المتاحة بدأ الإسلام يتسرب إلى الصحراء منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، ففي هذا القرن بدأت المحاولات الأولى لنشر الإسلام و معرفة الطرق الصحراوية، وكان هذا في الولاية الثانية لعقبة بن نافع الفهري عام (٦٢هـ/ ٦٨١م) والذي توغل إلى مدينه نول[٢] على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى الغرب[٣]، ثم تابع زحفه حتى وصل إلى مدينه تارودانت[٤] ، ثم عمد إلى بناء مسجد في مدينه ماسة[٥] مما يعنى بدء انتشار الدعوة الإسلامية في أقصى جنوب المغرب الأقصى

---

(١) حسن إبراهيم حسن :انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ،مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤، ص٧٣. الرقيق " أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق" : قطعه من تاريخ إفريقيه والمغرب ، تحقيق عبد الله العلى الزيدان ، عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، ط١، ١٩٩٠م ، ص ١٦.

(٢) مدينة نول آخر بلد الإسلام ، وأول العمران من الصحراء ،ومن مدينة نول إلى مدينة درعه ثلاث مراحل أنظر ، البكري : مصدر سابق ، ص٣٤٩، ٢٧٢.

(٣) المالكي "أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي المتوفى عام (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م)": رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، ط١٩٩٤،٢م، جـ١ ، ص٤٠.

(٤) ويقول الإدريسي عن مدينة تارودانت :"من أرض درعه إلى بلاد السوس الأقصى ثلاثة أيام ومدينته هي تارودانت ، وبلاد السوس قرى كثيرة وعمارتها متصلة بعضها ببعض " كما يقول : "وبين مدينة السوس أعنى تارودانت وتيويوين ثمانية أيام في جنات وبساتين وكروم وأشجار ""ومن مدينة السوس إلى مدينة أغمات تسع مراحل في قبائل من البربر المصامدة " ، أنظر الإدريسى " محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الحمودى الحسنى المعروف بالإدريسي ،من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، طبع مدينة ليدن المحروسة بمطبعة بريل ، ١٨٦٣م ، ص ٦٠، ٦٣.

(٥) وترسم أيضا "ماست" وينسب إليها وادي ماسة : المالكي : رياض النفوس ، جـ١ ، ص ٤٠،ويقول الحميري : "ماست نهر عظيم في بلاد السوس الأقصى بالمغرب يصب في البحر المحيط ، جريه من القبلة إلى الجوف كجري نيل مصر ، عليه قرى متصلة وعمارات كثيرة وبساتين وجنات " أنظر الحميري :"محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى عام (٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) "، الروض المعطار في خبر

وبالتالي تسرب الدعوة الإسلامية إلى الصحراء الغربية مما دعا إلى تعليم أهلها أمور الدين الإسلامي علي مذهب أهل السنة.

تابع خلفاء عقبة بن نافع جهوده في نشر الإسلام بين قبائل الملثمين، فقد بلغ موسى ابن نصير وادي درعة و تافيلالت وانشأ مسجدا في مدينة أغمات[١] وينسب إلى حبيب بن أبي عبيدة المتوفى عام (١٢٤هـ/ ٧٤١م)[٢] الذي بعثه عبيد الله بن الحبحاب إلى المغرب غازياً في حدود سنة(١١٦هـ/ ٧٣٤م) فتح السوس الأقصى وأرض السودان " ولم يقابل أحداً إلا ظهر عليه... وسبى أناساً من قبيلة من قبائل البربر يقال لها مسوفة، في طريق بلاد السودان... ورجع سالماً "[٣].

- التجارة وانتشار المذاهب والنِحَل الإسلامية :

ومما يدل على قدم الصلات التجارية بين المنطقتين واستمرار الاتصالات بين شمال الصحراء وجنوبها خلال عصر الولاة بالمغرب تلك الإشارات المصدرية التي ترجع إلى الثلث الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فالبكري المتوفى عام (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) يذكر أن عبد الرحمن بن حبيب الفهري والى إفريقية والمغرب (١٣٠ـ١٣٨هـ/ ٧٤٧ـ٧٥٥م)اهتم بطريق القوافل لأهميته،فأمر بحفر آبار على طريق القوافل الذي يربط بين مدينة تامدلت[٤] جنوب المغرب الأقصى ومدينة

الأقطار تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط١، ١٩٧٥، ص٣٣٠، ٥٢٢.

(١) ويقول البكري عنها : "الطريق من مدينة أغمات إلى السوس على ما ذكره مؤمن بن يومر الهوارى من أغمات وريكة إلى مدينة نفيس، وهى تعرف ببلد النفيس، كثير الأنهار والثمار، ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجمل منظرا، وهى قديمة أولية "، أنظر البكري : مصدر سابق، جـ٢، ص ٣٤٦، المراكشي : مصدر سابق، جـ١، ص٣٧.

(٢) ابن عذارى : مصدر سابق، ص ١٢٤،١٢٣.

(٣) الرقيق : مصدر سابق، ص٧٢، ابن عذارى: مصدر سابق، جـ١، ص٥١.

(٤) الطريق من مدينة تامدلت إلى بئر الجمالين مرحلة، وهذه البئر عمقها أربع قامات من أنباط عبد

أودغست[١]. وكان هذا الحل مشكله ندرة المياه التي كانت تمثل عائقاً أمام حركة القوافل التجارية عبر الصحراء[٢].

كذلك ما أورده المالكي المتوفى عام (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) في ترجمته لسكن بن سعيد الصائغ ، إذ يذكر أنه كان يقوم بعمل السلاسل النحاسية ، ويقوم بطلائها بماء الذهب لتباع في بلاد السودان ، ولم يمدنا المالكي بأية إشارة زمنية في تحديد ميلاد أو وفاة صاحب هذه الترجمة ، والسؤال المطروح هو في أي زمن عاش سكن بن سعيد الذي كان يبيع منتجاته في السودان الغربي ؟ . ولتحديد العلاقة بين شمال وجنوب

الرحمن بن حبيب ، ومنها إلى شعب ضيق ،ثم تسير في جبل يسمى أزور ثلاثة أيام ،وطوله مسيرة عشرة أيام من أول طريق سجلماسة إلى جانب البحر المحيط ، ثم تسير إلى بئر كبيرة تسمى وين هيلون ، ثم تمشى ثلاثة أيام في أرض صحراء ، ثم تسير منها إلى بئر أنبطها عبد الرحمن بن حبيب و احتفرها في حجر أدعج صلب طولها أربع قامات مرحلة ، ثم تسير منا إلى بئر يقال لها ويطونان ، وهى كبيرة لا تنزف ، ماؤها زعاق يسهل شاربوه من الناس والأنعام ، وهى من عمل عبد الرحمن بن حبيب ، وطولها ثلاث قامات ، ثلاث مراحل ثم تمشى منه إلى أربع مراحل إلى موضع يقال له أوكازنت و بها الماء على ذراعين وثلاث ، وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان .أنظر البكري : مصدر سابق ، جـ٢، ص ٣٤٣، ٢٤٢، أحمد إلياس حسين : العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي فيما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين / الثامن والحادي عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم التاريخ ، ١٩٨٢م، ص ٥١، ٥٢.

(١) أودغست مدينة قديمة تقع في جنوب غرب الصحراء الغربية ، وهى وادي عامر بين جبلين ، وتقع جنوب مدينة سجلماسة ، والمسافة بينهما مسيرة خمسة عشر يوما ، وفى غربها مدينة أوليل الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي والمسافة بينهما مسيرة شهر ، وهى مدينة كبيرة آهلة بالسكان الذين تنوعت عناصرهم ، للمزيد أنظر البكري :مصدر سابق ، جـ٢ ،ص ٣٥٥، ياقوت الحموي "شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي ت ٦٢هـ/ ١٢٢٨م"معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، جـ١، ص٢٧٧، ٢٧٨، حسين مراد : دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة ، القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد) ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ،نُشر في العدد ٤٦ ، ٢٠٠٨ ، ص ٤ ،١٧، ٥، ١٨.

(٢) حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٥٥.

الصحراء وللإجابة على هذا السؤال علينا أن نرجع إلى أبى العرب تميم المتوفى عام (٣٣٧ هـ/ ٩٤٤م) وهو الذي ترجم لهذا الصائغ أيضا فيذكر أن سكن بن سعيد الصائغ قد سمع من البهلول بن راشد المتوفى عام(١٨٣هـ/ ٧٩٩م) وبناء على هذا القول فإن هذا الصائغ كان حيا خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي تقريباً ، وإن الصلات بين إفريقية وبلاد السودان تعود إلى تلك الفترة الزمنية المبكرة وهي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري[١] .

وهذا الأمر يدفعنا إلي الاتفاق مع الرأي القائل[٢] إن السُنة في المغرب الإسلامي قد بدءوا النشاط التجاري مع السودان الغربي قبل نشأة دولتي الخوارج الصفرية في سجلماسة عام(١٤٠هـ/ ٧٥٧م) والتي تعرف بدولة بني مدرار[٣] والدولة الاباضية في تاهرت[٤] والتي تعرف بالدولة الرستمية (١٦١

(١) حسين مراد :الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن ٢ـ٦ هـ / ٨ـ١٢م) ضمن أبحاث مؤتمر الإسلام في إفريقيا والذي نظمته جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا وجامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم ، ٢٠٠٦، الكتاب الحادي عشر ، ص ٣٧٧.

(٢) حسين مراد : المرجع سابق ، ص ٣٧٧.

(٣) وقاعدتها سجلماسة . أنظر السيد عبد العزيز : المغرب الكبير ، جـ٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٦٦م ، ص٥٨٣ ، ص٥٨٩ ، الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي ــ الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٣ـ٤ هـ/ ٩ـ١٠م"الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٨م ، ١٠٢، ١٤٦، وللمزيد عن قيام دولة بني مدرار أنظر حسين مراد: دولة بني مدرار في سجلماسة بالمغرب الإقصي (١٤٠ـ٢٩٧هـ/ ٧٥٧ـ٩٠٩م) رسالة ماجستير من جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ١٩٨٦م ، ٦٢، ٦٣ ، ٦٤، ٦٥

(٤)الدولة الرستمية نسبة إلى عبد الرحمن بن رستم ، الذي أعلن نفسه أول إمام أباضي وهو من الخوارج الأباضية الذين نجحوا في إقامة دولة بتاهرت بالمغرب الأوسط ، واستمرت حتى عام (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م)أنظر محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ،الدار البيضاء، المغرب ١٩٧٣م ، ص ٩٣، سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧٩م ، جـ٢، ص ٢٩٥.

ـ٢٩٦هـ/ ٧٧٧ـ٩٠٧م) وهذا يجعلنا لا نتفق مع من ذهب إلى أن التجارة عبر الصحراء كانت حكراً على جماعات الخوارج[1] وقال بعدم السماح للدول السُنية حتى بفرصة التعرف على طرق وأسرار تلك التجارة[2] . ومن هذا يتضح أن التجار السنة ساهموا في التجارة قبل غيرهم وأن هؤلاء التجار والتجار الأباضيين ساهموا في التجارة عبر الصحراء خلال ذلك القرن.

وهكذا بدأت القوافل التجارية تجتاز الصحراء منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي عبر عدة طرق من أهمها :

ـ الأول :من سجلماسة و ينطلق طريق منها إلى والاتة ومنها إلى تنبكت وجني وجاو.

ـ الثاني : من تلمسان و يمر هذا الطريق بغرداية وتوات وينتهي إلى تنبكت .

ـ الثالث : من تاهرت و ورقلة وينطلق طريق آخر منه إلى غاو مباشرة ، وهذا المسلك يتصل شمالا ببضائع الموانى الجزائرية المهمة في الشمال ، مثل جزائر بني مزغنة و بجاية وسكيكدة وغيرها .

ـ الرابع : من واحة الجريد في جنوب تونس ومنها ينطلق من هذا الطريق غالبا ما تمر قوافله بورقلة وسوف أو غدامس .

---

(١) محمد الفاسى وإيفان هربك : مراحل تطور الإسلام و انتشاره في إفريقيا ، موسوعة تاريخ إفريقيا العام اليونسكو،باريس، ١٩٩٤، المجلد الثالث ، ص٩٠. وأنظر حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي ، مرجع سابق ، ص٥٥.

(٢) Dévisse (j.) : Routes du commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Mediterranee , un essai sur le AFRique occidentale en du XIe au XVIe siècle in revue dhistoric économique et bsociale , Parise L.١, ١٩٧٢,P.٤٢/٧٣.-

ـ الخامس : من طرابلس الغرب على الساحل الليبي ومنها ينطلق طريق يمر بغدامس ويمر فرع منه بفزان و ينتهي إلى بورنو وغاو .

ـ السادس : وينطلق من مصر طريق يمر بواحة سيوة و بزويلة و تادمكة و ينتهي إلى جاو تنبكت[1] .

وخلال تلك الفترة لعبت القوى السياسية في المغرب دورا مهماً في تشجيع تجارة القوافل الصحراوية مع بلاد السودان ، فنجد علاقات تجارية مع دولة بني مدرار الخارجية الصفرية التي قامت عام(١٤٠هـ/ ٧٥٧م)وفى هذا العام أيضا تم بناء مدينة سجلماسة[2] التي أصبحت عاصمة لدولتهم وكان لها الفضل بسبب موقعها الجغرافي أن تكون همزة وصل بين بلاد المغرب من جهة ، وبلاد السودان من جهة أخرى ، مما جعلها تتحكم في تجارة القوافل لمدة كبيرة عبر الصحراء الكبرى[3] . وهكذا بدأت مشاركة الخوارج الصفرية في سجلماسة في التجارة عبر هذه الصحراء ، والراجح أن هؤلاء الخوارج لعبوا دورا في نشر الإسلام على أساس مذهبهم الخارجي الصفري .

---

(١) البكري : مصدر سابق ، ص١٨٢.

Smith (A.): The Early States of Centeral Sudan, New York, ١٩٧١, P. ١٧, De La Ronciere: OP .Cit., , t. ١, p. ٩٧-٩٠.

(٢) سجلماسة : إقليم يستمُد اسمه من المدينة الرئيسية التي بنيت سنة(١٤٠هـ/ ٧٥٧م) وهى مدينة سهلية أرضها سبخة ، حولها أرياض كثيرة ، وفيها دور رفيعة ومبان سرية ولها بساتين كثيرة ، تسكنها قبائل بربرية مختلفة ، وأهلها يسمنون الكلاب ويأكلونها ، ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة ، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة، وبين سجلماسة وبين وادي درعة مسيرة خمسة أيام ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٣٢.

(٣) اليعقوبى : "أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ت ٢٨٤هـ/ ٩٨٢م "كتاب البلدان ، تحقيق دى خووى ، ليدن ١٨٩٢م ، ص ٣٦٠، أبن حوقل : "أبو القاسم محمد بن على النصيبى المتوفى عام (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) صورة الأرض ، دار صادر ، بيروت ، طبعة ليدن ١٩٣٨م ، ص ٩٩.

كما ربطت العلاقات التجارية الأباضية في بلاد المغرب مع بلاد السودان بعلاقات متينة، حيث كانت القوافل التجارية الضخمة تنطلق من واحات فزان و وارجلان وغدامس و جادو وشيروس بجبل نفوسة وغيرها من المدن، تحمل معها مختلف السلع[١] وفى نفس الوقت يقوم أفرادها بنشر الإسلام[٢] وبذلك ساهمت تلك الدولة أيضا في التجارة الصحراوية، بفضل تشجيع حكامها وإن كانت صلات تاهرت كما يبدو من المصادر الأباضية مع مدينة جاو[٣].

---

(١) ذكر الإدريسي "أن التجار يدخلون بلاد السودان بأعداد من الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الافاوية والعطر وآلات الحديد المصنوع " أنظر الادريسى : مصدر سابق ، ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) كانت التجارة في الدولة الرستمية حرة يقوم بها كل فرد تنزع نفسه إليها ، واشتهر كثير من التجار والأغنياء الذين عاشوا خلال هذه الفترة ،فعرفوا لكثرة تنقلاتهم بين ورجلان ووادي ريغ ، وبلاد الجريد وإقليم فزان وجبل نفوسة من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى ، ومنهم من كان تاجرا وعالما في نفس الوقت ، ومنهم أبو عثمان المزاتى الدكى ، الذي عاش خلال القرن" ٣هـ/ ٩م"وكان يسافر إلى بلاد السودان .أنظر الدرجينى :"الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجينى المتوفى عام (٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) تحقيق إبراهيم طلاى ، الجزائر ، ١٩٤٧م، جـ٢، ص٣٠٨، الشماخى :"أبو العباس أحمد بن أبى عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخى المتوفى عام (٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م) " : كتاب السير ، تحقيق محمد حسن ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، جـ٣، ص ١٢٣، ١٢٤.

(٣) ويعتبر اليعقوبى كوكو(جاو) أهم الدول على أيامه،ويقول إنها تطلق على عاصمة الدولة ، وكانت تخضع لها عدة ممالك تدين لكوكو(جاو) بالولاء والسيادة ، وكان لأهميتها التجارية أن ارتبطت بعلاقات مع التجار المسلمين ." أنظر عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا ، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية ، مطبعة يوسف ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤٨،٤٧.، ومن هذه العلاقات الطيبة التي كانت قائمة بين الدولة الرستمية وبلاد السودان ، وخاصة مدينة كوكو "جاو" أن الإمام أفلح عقد مع ملك كوكو علاقات مودة فأهدى إلى هذا الملك هدية نفيسة ليوثق الصداقة بينهما ، ويشكره على ما يجده تجار بلاده من حسن المعاملة ، وانتشر الإسلام بهذه المدينة بفضل النشاط التجاري أنظر ياقوت الحموي: مصدر سابق، مادة كوكو ، ص ٣٠١

Hunwlck ,j:op.cit,,p٩ .

كما شجع الاغالبة الذين أسسوا دولتهم عام(١٨٤هـ/ ٨٠٠م)[١] رعاياهم في مدن إفريقية على المشاركة في التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها[٢]،وقد ساعدت حيوية التجار المغاربة بالإضافة إلى دور الدويلات السياسية المستقلة والفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي والصحراء والسودان الغربي خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، في تنمية الأمن على طول الطرق التجارية . وكان التجار المغاربة إلي جانب أعمالهم التجارية يقومون بالدعوة إلى الإسلام ، وقد ارتبطت التجارة وانتشار الإسلام مذاهبه في السودان الغربي كافة إلى الدرجة التي أصبح من العسير معها وضع حد فاصل بين الدور الذي قام به التجار من جهة وبين دور العلماء ودعاة الإسلام من جهة أخرى . وغالباً ما يجتمع الدور التجاري والدور الدعوى في نفس الرجل[٣] ، وبما أن هؤلاء التجار كانوا أصحاب مذاهب شتى فإنهم استمروا اتصالهم بأهالي السودان الغربي لنشر الإسلام على أساس مذاهبهم المختلفة[٤].

واستمر تدفق الإسلام عبر الطرق التجارية مع استمرار تسرب المذاهب الدينية المختلفة إلى السودان الغربي خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي،

---

(١) نسبة إلى إبراهيم بن الأغلب ، أحد ولاة العباسين بالمغرب (القيروان) ، الذي أستقل بالمغرب وأسس دولة عرفت بالاغالبة في نهاية القرن الثاني الهجري (١٨٤ هـ/ ٨٠٠م) إلى نهاية القرن الثالث الهجري ،(٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) ، أنظر ابن خلدون :"أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد " تاريخ ابن خلدون ، راجعه درويش الجويدى المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، المجلد الثاني ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ، ص١٨٤١ ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ٢ ، مرجع سابق ، ص٣٧٢ ، ٤٠٦، للمزيد عن دولة الاغالبة أنظر .سعد زغلول عبد الحميد ، مرجع سابق ، ص ٢٧ ،٢٨، ٢٩، ٣٠ وما بعدها.

(٢) المالكي : مصدر سابق ، جـ١، ص١٨٢، جـ٢، ص ١٠٢ .

(٣) Lewis ,l .m .: ISLAM in Tropical Africa (Oxford , ١٩٦٠) p .٢٠.

(٤) حسين مراد : الصلات ، ص٣٧٥، ٣٧٦.

بواسطة الاحتكاك التجاري في المقام الأول مع ازدياد نمو النشاط التجاري للمغاربة على اختلاف مذاهبهم ، وبفضل المنافسة بين الدويلات السياسية المستقلة من مدراريين و رستميين وأغالبة انتعشت تلك التجارة انتعاشا كبيراً، ففي العهد الأغلبي استمر خروج القوافل التجارية من إفريقية وقد وصل حجمها إلى مائة جمل بأحمالها وأعوانها[١] ، فقد كانت القوافل المغربية تتجمع في مدينة سجلماسة نحو إدرار ، وصولا إلى مدينة أودغست ثم تنطلق القافلة من أودغست إلى عاصمة غانة القديمة الواقعة علي ستة أيام من الجنوب الشرقي،أو تنطلق نحو المناطق الخصبة والعامرة بالسكان في وادي نهر السنغال أي إلى بلاد التكرور[٢] .

وفى أواخر القرن الثالث الهجري وتحديداً بين عامي (٢٩٦_٢٩٧هـ/ ٩٠٨_٩٠٩م) نجح الفاطميون الشيعة في القضاء على دولة الأغالبة ، ثم قضوا على دولتي الخوارج المدرارية في سجلماسة والرستمية في تاهرت ، ونتيجة للغزو الفاطمي الشيعي وبطشهم بالاباضية خاصة في المغرب الأوسط ، وتفرق أهل تاهرت في واحات الصحراء[٣] أصبحت لهم السيطرة على كل بلاد المغرب بعد أن قضوا على كل الدول المستقلة[٤] مما أتاح لهم السيطرة والتحكم في طرق تجارة

---

(١) المالكي : مصدر سابق ،جـ١ ، ص٢٣٤ ، ٢٣٥.

(٢) اليعقوبى : مصدر سابق ، ص٣٦٠.

(٣) ابن الصغير المالكي :أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق محمد ناصر ، وإبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٦ ، ص٧١. أنظر النفوسى "سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠م"الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، مطبعة الأزهار البارونية، بدون تاريخ ، جـ٢ ، ص١٣، وللمزيد عن دولتي الرستميين والمداريين الخارجتين بتاهرت و سجلماسة في المغربين الأوسط والاقصي أنظر ، محمود إسماعيل : أثر الخوارج في الحياة السياسية في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه منشورة ، كلية آداب جامعه القاهرة ١٩٧٠م.

(٤) عز الدين عمر موسى : دراسات إسلامية غرب افريقية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ،١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م ،ص٥٧ ، ص٥٨ . إيفان هربك : بروز الدولة الفاطمية ، تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الثالث ، اليونسكو١٩٩٤، ص٣٥٨.

الصحراء ، وبذلك احتكروا تجارة الصادر والوارد مع السودان الغربي، وبسبب هذا الوضع تحالف الأباضية وأهل السنة ضد الفاطميين من أجل تجارة الصحراء[1]

وقد عاش المذهب المالكي خلال القرنين الثالث والرابع الهجري تجربة مريرة قبل أن يحقق انتصاره النهائي سواء على المستوى الشعبي أو على مستوى السلطة الحاكمة ، فبعد محنة الإمام سحنون بن سعيد(١٦٠-٢٤٠هـ/ ٧٦٦- ٨٥٤م)[2] مع الأغالبة وفقهائهم الأحناف خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي وهي المحنة الخاصة بخلق القرآن[3] دخل فقهاء المذهب المالكي بإفريقية خلال القرن

---

(١) الحبيب الجنحاني : دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ، مرجع سابق ، ص١٦٠، ص١٦٦. كانت الدولة الفاطمية تسعى جاهدة من أجل بسط نفوذها على العالم الإسلامي كله بشكل عام ، لذلك كانت رغبة خلفائها في الاستفادة من المبادلات التجارية عبر الصحراء كبيرة ، ليتسنى لهم الحصول على الذهب من أجل تمويل فتوحاتهم وضرب عملاتهم ،وبالتالي كانت تلك الدولة حريصة على بسط نفوذها على المناطق الواقعة على مسالك تلك التجارة ومدن المرافئ المرتبطة بها ، فدخلت في صراع مع الدولة الأموية بالأندلس بقصد السيطرة على تلك المناطق ، خاصة ما يقع منها على طرق المحور الغربي ، وقد تحزب سكان المنطقة حول الدولتين المتصارعتين ، فكانت صنهاجة وكتامة إلى جانب الفاطميين ، والى جانب الأمويين زناته المتضررة من الدولة الفاطمية ، وقد تمكنت الدولة الفاطمية وحلفاؤها من تحقيق انتصارات عسكرية كبيرة كادت أن تقضي على طموحات خصومها آلاأن انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر أدى إلى حسم الصراع لصالح الأمويين وزناتة.

(٢) هو عبد السلام بن سعيد المشهور بسحنون(١٦٠-٢٤٠هـ/ ٧٧٦-٨٥٤م) الفقيه القاضي الأستاذ المعلم ،الذي درس على خيرة شيوخ عصره في إفريقية ، وذهب يطلب ليعلم من الإمام مالك بن انس فلم يدركه فدرس على أبن الماجشون من شيوخ المدينة، ثم كر راجا إلى مصر حيث درس على يد شيخها عبد الرحمن بن القاسم العتقى وأشهب بن عبد العزيز ، للمزيد،أنظر عن الإمام سحنون ، محمد زينهم محمد عزب ، مرجع سابق ، ص ٧.

(٣) حدثت محنة خلق القرآن ، وكاد يذهب الإمام سحنون ضحيتها ، والذي تولى امتحان القضاة والفقهاء في إفريقية محمد بن أبى الجواد ، الذي عرف بسياسة التقرب إلى أمراء بني الأغلب من أجل الاحتفاظ بالمنصب "قاضي إفريقية " كما كان يتميز بجهلة في إصدار الإحكام والفتاوى ، كما كان يستخدم ذريعة امتحان القضاة والفقهاء في التخلص من المعارضين أمثال سحنون ، فتعرض سحنون

التالي في صراع حاد وعنيف مع الدولة الفاطمية الشيعية وقد استغل الخلفاء الشيعة وفقهاؤهم قوة السلطة لإرهاب المناوئين لهم سياسياً ومذهبياً وعملوا على قمعهم في أفريقية[١]. على أن وقوف أهل إفريقية وراء فقهائهم المالكيين حد من تسلط الشيعة، وخفف من ممارساتهم الإرهابية التي تستهدف فرض مذهبهم، ولم تقتصر المواجهات بين المالكيين والشيعة على استعمال العنف والسيف[٢]، بل امتدت لتشمل المناظرات الكلامية بينهما، وقد احتفظت لنا كتب طبقات المالكية بنماذج من تلك السجلات التي غالبا ما كانت تنتهي بتفوق فقهاء المذهب المالكي وانتصارهم، مما أدى في نهاية الأمر إلى قيام الثورات ضد الفاطميين[٣] وإذا كان الفاطميون قد عجزوا عن نشر أو فرض مذهبهم الشيعي في بلاد المغرب فقد عجزوا أيضاً عن مجرد التعريف بمذهبهم الشيعي في بلاد السودان الغربي.

وعلى أية حال ترتب على الغزو الفاطمي لبلاد المغرب انهيار دولة الخوارج الصفرية في سجلماسة، بل وحدث اندثار لمذهبهم، ولكن المذهب الأباضي لم يندثر برغم انهيار الدولة الرستمية، ولكنة انحصر في بعض الجهات المتناثرة مثل جبل

لظلم كثير، فكانت مقاطعة الناس له مجبرين بأمر الأمير والقاضي، وقطع ملابسه لولا أن أسرعت المنية بالأمير أحمد بن الأغلب، ولولا تعاطف ابنه أبو العباس محمد مع سحنون لضاعت حياة علم من أعلام المذهب المالكي، للمزيد عن هذه المحنة أنظر عن" محنه فقهاء المالكية مع الاغالبة والشيعة" أنظر عياض :ترتيب المدارك، جـ٤، ص٦٢. ابن عذارى :البيان جـ١، ص٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨١.

(١) أحمد الشكرى : مرجع سابق، ص١٢٤.

(٢) حاول الخوارج استرداد سلطانهم والدفاع عن مصالحهم بكل وسائل العنف التي امتلكوها، متحالفين في ذلك مع خصوم الفاطميين في المغرب و الأندلس، وخير ما يصور ذلك ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الاباضى الذي أوشك أن يقضى على خلافة الفاطميين في إفريقية، غير أن ثورته سحقت في سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٦م .ولم يكن مصير ثورة أبى خرز يعلى بن زلتاف في سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ - ٩٦٩م بأحسن حالا من ثورة أبي يزيد، أنظر بيعة أبي يزيد للناصر الأموي عند المراكشي : مصدر سابق، جـ٢ص ٣٣١، ٣٣٠، الشماخي : مصدر سابق، ص ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١.

(٣) أنظر عز الدين عمر موسى : مرجع سابق، ص٥٨.

نفوسة ، ورجلان ، ورقلة[1] فقد ظل أتباعه يمارسون نشاطهم التجاري وإن قل هذا النشاط بعض الشئ ، كما أدى سقوط الدولة الرستمية الاباضية إلى إضعاف المذهب وأتباعه في السودان الغربي[2].

ومع هذه الأحداث التي واكبت رحيل الفاطميين إلى مصر ، نجد نازلة تدل على استمرار الصلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان الغربي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، كما تدل أيضاً على علو شأن تجار المالكية وعودة نشاط تجارتهم كسالف عهدهم من حيث القوة والانتشار، و تظهر مدى إسهام تجار المالكية في التجارة عبر الصحراء. وتعتمد معلوماتنا عن التجارة عبر الصحراء في هذا القرن على ما جاء عند الونشريسى[3] من نازلة أفتى فيها فقيه القيروان أبو الحسن القابسى (٣٢٤-٤٠٣هـ/ ٩٣٥-١٠٢١م)[4] ، وهذه النازلة بها دلالة على التبادل التجاري بين إفريقية وبلاد السودان في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[5].

---

(١) حسين مراد : المذهب المالكي ، ص٥٧.

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) الونشريسى:" أبو العباس أحمد بن يحيى المتوفى عام(٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م) ": المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، حقق تحت أشرف ، محمد حجي ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، بدون تاريخ ،جـ٩، ص١١٦.

(٤) هـو : " أبـو الحسن علـى بـن محمـد بـن حلـف المغـافرى المعـروف بالقابـسى المتـوفى عـام (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) وهو من كبار فقهاء المالكيـة في القيروان خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وكان مشهورا بسعة علمه ، ومن بين شيوخه محمد عبد الله بن أبى زيد القيرواني ، أشتهر القابسى بتضلعة وسعة معرفته في علوم الحديث والفقه والكلام ، ولـه مؤلفات عديدة أورد منها ابن فرحون سبع غشرة عنوانا ، وانتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في القيروان ، الونشريسى : مصدر سابق ،جـ٩، ص١١١.

(٥) ونص الفتوى كما يلي : "سئل القابسى عمن دفع إلى رجل قرضا ليمضى به إلى ناحية تادمكة وهى بلاد السودان وشهد الشهود .فسافر إلى تادمكة ومنها إلى غانة وأودغست ، وتأهل هناك وولد له ،

وهناك فتوى أخرى تدور حول نزاع بشأن ميراث تاجر من إفريقية توفى في بلاد السودان دون أن يترك وصية[١] و تتناول هذه النازلة التي جرت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي التجارة بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي عبر الصحراء الكبرى ، وتشير إلي بعض المراكز التجارية مثل تادمكة ، وأودغست ، وغانة ، وقد ذكر البكري هذه المراكز في وصفه للطريق من سجلماسة إلى غانة[٢] ' كما ارتبط بالنشاط التجاري بين المنطقتين استقرار بعض المسلمين لمدة طويلة في بلاد السودان ومصاهرة أهلها وبالتالي انتشار الإسلام بفضل التأثير الطويل والسلمي للتجار المسلمين المغاربة[٣].

ويشهد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تطورات أسهمت في ارتفاع شأن المذهب المالكي في إفريقية والمغرب، كان أولها وصول المعز بن باديس إلى الحكم سنة (٤٠٦ ـ٤٥٤ هـ/ ١٠١٦ ـ١٠٦٢م) وهو أمير إفريقية ، فالمعز هو الذي طهر الله تعالى على يديه إفريقية من مذهب الشيعة...وحمل الناس في أيامه على مذهب الإمام مالك وقطع ماعداه.

وأقام أحدى عشرة سنة من يوم خروجه من البلد الذي أخذ فيه المال ، وعلى هذا العامل ديون باع القاضي فيها ماله ليقسمه بين الغرماء فقام من له الحق القيام بهذا القرض هل يضرب له مع الغرماء " أنظر الونشريسى : مصدر سابق ، جـ٩، ص ١١٦ .وقد أجاب القابسى في إجابته على تحويل المال الذي أستلمه الوكيل وفق عقد القراض غالى دين مما يعطى صاحب القراض الحق في اقتسام العائد مع بيع أملاك الوكيل مع بقية الداتين ، أنظر حسين مراد : الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي ، ص ٣٧٦.

(١)ميشيل برت : فتويتان من أواخر القرن الرابع الهجري ، تتعلقان بالتجارة عبر الصحراء ، بحث في مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين ، المجلد الأول ، السنة الثالثة ، يناير ١٩٨١م ، ص٦٢.

(٢)البكري : مصدر سابق ، ص١٤٩، ١٥٩، ١٨١، ١٨٢.

(٣) Levizion , N : Western Maghrib and Sudan ,in the Cambridge History of Africa, vol٣, Cambridge , London , ١٩٧٧,p ٣٨٩.

وإذا كانت المصادر تختلف حول التاريخ الذي أزال فيه الدعوة الشيعية من إفريقية وإعادة المذهب السني المالكي إلى سابق عهده فأن بعضها يرجع الأمر إلى بداية حكمه لإفريقية ، والبعض الآخر يرجع تاريخ هذا الأمر إلي عام (٤٣٥هـ/ ١٠٤٤م) وعندما قطع الدعوة للفاطميين وأظهر ولاءه للعباسيين[1].

وقد استمرت علاقة بلاد السودان مع إفريقية في عهد المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٤ هـ/١٠١٦-١٠٦٢م) إذ وصلته من تلك البلاد هدية سُنية سنة(٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م)، كما كان هناك هدايا أخري ويصف ابن عذارى هذه الهدية بقوله : "هدية جليلة فيها رقيق كثير وأنواع من الحيوان "[2]، والرقيق الذي وصل مع هذه الهدية يعد السلعة الثانية ذات الأهمية بعد الذهب الذي كان يُجلب من بلاد السودان الغربي إلى بلاد المغرب[3] ، ولم تعين المادة المصدرية المتاحة الجهة التي وصلت منها الهدية هل هي غانة أم مالي أم بلاد التكرور أم صُنغى ؟.

أما العامل الثاني لارتفاع شأن المذهب المالكي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي هو قيام دولة المرابطين[4] التي قامت بدعوة الحق ورد المظالم

---

(١) حيث كانت في إفريقية مذاهب الصفرية والشيعية والأباضية والنكارية والمعتزلة ، ومن مذاهب أهل السنة الحنفية والمالكية ولم يبق في أيامه إلا مذهب الإمام مالك ، أنظر ابن عذارى المراكشي : مصدر سابق ، ص٣٩٧ ،ابن أبى دينار : مصدر سابق ، جـ٢،ص١٠٣، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،راجعه درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، جـ٢ ،٢٠٠٧،ص١٨٦٨.

(١) ابن أبى دينار : المصدر السابق : ص١٠٥.

(٢) ابن عذارى المراكشى : مصدر سابق ،جـ٢ ص ٣٩٦، ٤٠٠.

(٣) الإدريسي : مصدر سابق ، ص ١٢٠ ،١٢١ .

(٤) ـ عن المرابطين ودولتهم أنظر : حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧م، أيفان هربك وجان دفيس :المرابطون :تاريخ أفريقيا العام ،اليونسكو ، جـ٣، ص ٣٧١-٤٠٢، وداد نصر محمد لسيد الطوخي : مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ١٩٨٦ .

وقطع المغارم، وهم على السنة متمسكون بمذهب الإمام مالك[1] ونجحوا في توحيد المغرب الأقصى ومد نفوذهم إلى بلاد الأندلس . وقد شكلت تجارة الصحراء أهمية تجارية للمغرب في عهد هؤلاء المرابطين ، حيث نشطت الحركة التجارية في هذه الفترة لتوافر عوامل عديدة منها سيطرة المرابطين على مساحات واسعة من الصحراء مما أدى إلى استقرار الأوضاع السياسية في هذه المناطق[2]. وكان لسيطرة المرابطين على تلك المساحات أكبر الأثر في إحكام السيطرة على الطرق التجارية المهمة ، وخاصة الطريق الذي يصل مابين سجلماسة في الشمال إلى أودغست وبلاد السودان في الجنوب مما ساعد على تأمين هذه الطرق ، وبالتالي ازدهار حركة التبادل التجاري مع بلاد السودان ، وازدهرت معها المدن التجارية لكل من السودان الغربي وبلاد المغرب، وما بينهما من محطات متناثرة على الطرق التجارية في قلب الصحراء[3] ، وليس أدل على العلاقات الطيبة من إقامة علاقات سياسية ودية مع بعض القوى السودانية مثل إمارة التكرور ودولة غانة[4].

---

(١) البكري : مصدر سابق ، ص ٣٥١.

(٢) حسين مراد: الصلات بين المغرب والسودان الغربي ، ص ٣٨٢.

(٣) BOVill (E.W.) : The golden trade of the Moors , London , ١٩٦١. P٨٠. Oliver(R) &Fage (J.B.) :A Short History of Africa , Benguin book ,١٩٧٣, p٨٧.

(٤) وليس أدل على هذه العلاقات الطيبة القائمة بين الطرفين ، من ذلك الكتاب الذي أطلع عليه صاحب الاستبصار ، وقال : "ووقع إلى كتاب ملكها ،أي ملك غانة ، إلى يوسف بن تاشفين ، وأن لم يشر صاحب الاستبصار إلى فحوى الرسالة ، أنظر الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ،الإسكندرية ١٩٥٨م،ص ٢٢٠

David Conrad and Humphrey Fisher : The Conquest That Never Was: Ghana and the Almoravids, ١٠٧٦. I. The External Arabic Sources History in Africa, Vol. ٩ (١٩٨٢), African Studies Association,p٢٢/٢٣.

وهكذا قامت دولة المرابطين على المذهب المالكي السني وقامت بالقضاء على بقايا المذاهب المخالفة للسنة وخاصة المذهب الأباضى ، وعملوا علي تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي و إتباعهم له وإلزامهم بفقه صاحبه ، كما منع حكام المغرب من المرابطين الناس من الخروج عنه(١) .

وخلاصة القول ، إذا كان للمرابطين دور كبير في تصحيح المفاهيم الإسلامية لدى المسلمين في دولتهم ، وتخليص هؤلاء مما ساد بينهم من البدع والخرافات والعادات والتقاليد والرواسب الوثنية ، فقد تمكنوا من تحقيق الوحدة المذهبية في المغرب الإسلامي، بعد أن فشلت الفرق الإسلامية المتطاحنة من خوارج وشيعة وغيرهما في الوصول إلى ذلك الهدف ، كما قاموا بدعم الدعوة الإسلامية وتعميق هذا الدين بصفة عامة في المنطقة ، والمذهب المالكي بصفه خاصة في نفوس العامة بالمغرب ونشره بين صفوف فئات واسعة من سكان السودان الغربي(٢) .

---

(١) ابن أبى الزرع : "أبو الحسن على بن عبد الله المتوفى عام (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)" : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، طبع مدينة أوبسالة بدار الطباعة المدرسية ، ١٨٤٣م ، ص١٢٩.

(٢) Hiskett ,M : The development Of lslam in west Africa , logman ,London١٩٨٤,p٢٣.

محمود إسماعيل : فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص٦١،٥٩.
وللمزيد عن دولة المرابطين أنظر ، عصمت هانم عبد اللطيف دندش : دور المرابطين في نشر الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م .عبد الباقي محمد أحمد كبير : المرابطون ودورهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية جامعه الأزهر ، ١٩٨٤.

وقد أسهمت هذه الجهود في تشبث أهلُ المغرب بالمذهبْ المالكي بإتباعهم له والتزامهم فقه صاحبه ، كما منع حكام المغرب من المرابطين الناس من الخروج عنه ، وهذا الأمر من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى برهان عليه[١] .

إلي جانب هذا كله لم يترك المسلمون مسؤولية نشر الإسلام في السودانَ الغربي للتجار المحترفين ، فإلى جانب انتشاره بشكل عفوي فأن الجاليات الإسلامية في المناطق السودانية كانت تضم مع التجار العارفين والراغبين بالقيام بالدعوة إلى الإسلام بمؤازرة أنشطتهم التجارية مجموعات من العلماء والفقهاء المتفرغين لنشر الإسلام والدعوة إليه[٢].

وكانت الجاليات العربية المسلمة منتشرة في مختلف مناطق السودان الغربي، حيث كانت توجد جاليات كبرى أساساً في العواصم مثل تلك التي كانت موجودة بشكل ملحوظ في عاصمة غانة على امتداد قرون قبل دخول الإسلام رسميا لها وقد قال البكري : عن تلك الجالية في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أثناء حديثه عن تلك العاصمة " ...ومدينه غانة مدينتان ...إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون ،وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجتمعون فيه و بها الأئمة والمؤذنون و الراتبون ، وفيها فقهاء وحملة علم وفى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك ..."[٣] ، كما كانت هناك جاليات مماثلة ، ولو أنها أصغر حجما في تكرور وسلى وبريسى وكوغه وكوكو"[٤].

---

(١) الونشريسى : مصدر سابق ، جـ١ ، ص١٦٩.

(٢) صباح إبراهيم الشيخلى وعادل محيى الدين الألوسى: تاريخ الإسلام في إفريقيا وجنوب شرق آسيا ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ١٩٨٩ ، ص٥٣.

(٣) البكري : مصدر سابق ،ص٣٦٣.

(٤) المصدر السابق ، ص٣٦٠.

وقد تساءل بعض الباحثين عما إذا كانت الأحياء الخاصة بالمسلمين في المدن السودانية قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تخص الشماليين من العرب والبربر، أم أنهم كانوا يشكلون معظم سكانها وتضم إلى جانبهم أعدادا ليست قليلة من السكان المحليين المسلمين ، مبينين أن الإجابة عن هذا السؤال صعبة ، وإن كانوا يشيرون إلى أن غالبية تلك الأحياء كانت من العرب والبربر الذين كانوا يعتقدون أن وجودهم في مدينة مستقلة عن الوثنيين أمر تقتضيه العفة ومقاييس الشريعة.

وكان الدعاة من أبناء هذه الجاليات يتوجهون بالدرجة الأولى إلى الملوك ورؤساء العشائر الذين كانوا يستقرون بالقرب منهم ويرتبطون بهم و يقيمون معهم علاقات صداقة ويبذلون جهودا كبيرة من أجل إقناعهم باعتناق الإسلام ، كما أن أولئك الدعاة كانوا يحرصون كلما سنحت لهم الفرصة بذلك على تربية أبناء أولئك الملوك والرؤساء وفقا لتعاليم الإسلام و ينشئونهم عليها[1].

(١) MAuny (Raymond) :tableau geographique de l,oust Africa in au money –age ,dapres les sources ecrites ecries , la tradition et l,archeology, memoire de l,Ifan n!٦١, Dakar, ١٩٦١. P٤٨ – ٤٩.

المذهب المالكي في صُنغى[1]:

ومن أهم دول وملوك السودان الغربي الذين استفادوا خلال تلك المرحلة من هذا النشاط الدعوى دوله صُنغى وعاصمتها جاو ، حيث انتشر فيها الإسلام نتيجة للعلاقات التجارية التي ربطت الشمال الإفريقي ببلاد السودان الغربي، حيث إن طرق القوافل التي حملت معها التجارة حملت معها أيضاً الدعاة المسلمين و خاصة تجار ودعاة الأباضية الذين قدموا عليها زمن الدولة الرستمية(١٦٠ ـ٢٩٧هـ / ٧٧٧ـ ٩٠٩ م)[2] التي اتصلت من عاصمتها تاهرت عن طريق القوافل التجارية التي كانت تخرج من ورجلان قاعدة الرستميين التجارية في الصحراء. وقد وقع على كاهل هؤلاء التجار نشر الدعوة الإسلامية بين الرعايا بجانب ممارستهم نشاطهم

---

(١) ودوله سُنغى تعرف بـ (أو صُنغى ـ سغى ـ سونقهاى ـ صونغهاى ـ صنغاى ـ سنغاى ...) قامت مملكة صنغى الأولى في إقليم دندى على النيجر الادنى ، وأقدم ماعرف عنها الآن ، هو أنة في حوالي عام ٣٩٩هـ/ ٩١٢م)كانت عاصمة هذه المملكة هي مدينة كوكيا على النيجر ، وتقع على بعد نحو مائة ميل جنوب جاو الغاصمة ، ويقول السعدي ، عن كوكيا ، : "حشر فرعون السحرة في مناظرته مع الكليم عليه السلام "السعدي : مصدر سابق ، ص٣،وأياً ماَ كانت رواية السعدي ، فالمحقق أن كوكيا أقدم العواصم المعروفة لدولة صنغى ، غير أنة ، منذ حوالي القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي" ، يبدأ تاريخ صنغى في الوضوح ، وذلك حين قامت أسرة الازواء في الحكم ، وهى التي تحول لقبها فيما بعد (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) إلى أسرة شي ، أنظر إبراهيم على طرخان : إمبراطورية صُنغى الإسلامية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثامن ، ١٩٨١م ، ص ٨،٩. وقد عاصرت دوله غانة ودوله مالي ، وبقيت صُنغى حتى سنه ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م وينقسم تاريخها إلى قسمين فيما يتعلق بالإسلام ، فقد كانت على الوثنية حتى عام ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، ثم اعتنق ملكها الإسلام في هذا التاريخ ، وأصبحت منارة لحضارة الإسلام ومبادئه ، أنظر حسن أحمد محمود:الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، جـ١ ، ص٢٤٦.

(٢) الوسياني : سير أبى الربيع الوسياني ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٩١١٣ح ميكروفيلم رقم ٨٤٥٢، ص٤٩، الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ، تحقيق إبراهيم طلا ى ، الجزائر ١٩٧٤م ، جـ٢، ص٣١٩ ، ٣٢٠.

التجاري ، إذ كانوا يرون في انتشار الإسلام جنبا إلى جنب مع نشاطهم التجاري تدعيما لهذا النشاط[١] ، يشهد على ذلك ثراؤهم الكبير[٢] .

هذا وقد استمر تدفق الإسلام إلي جاو حتى بعد زوال الدولة الرستمية حيث تمكن الإسلام من جماعة كثيرة من سكانها، لكن انتقل الدور الدعوي من تجار الأباضية إلي تجار المالكية.

ومعروف أن جاو تقع في منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر حيث كانت ترتبط بإفريقية عبر الجادة الصحراوية التي تصل كوكيا بالقيروان مروراً بتادمكة السوق[٣] ،ومنذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كان تجار ودعاة وفقهاء إفريقية المالكيون يرتادون جاو ومنهم من كان يستقر بها ، حيث انتشر الإسلام مما شجع الحاكم الخامس عشر من حكام صُنغى الذي تذكر المصادر أنه أسلم عام (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) ، وأعطى لنفسه لقب "مسلم دام" ومعناه في لغتهم أسلم

(١) ويؤكد مؤرخو الاباضية ،من خلال ما ذكره الوسياني المتوفى عام (٤٧١هـ/ ١٠٧٨) فى أحداث الحكم الثاني للدولة الرستمية عبد الوهاب بن عبد الرحم بن رستم (١٧١-٢٠٨هـ/ ٧٨٨-٨٢٣م) أن أبنه أفلح عزم على السفر إلى بلاد كوكو لكن أباه صرفه عن عزمه ، ومما يؤكد على قوة العلاقة بين الطرفين وأهميتها للطرفين ، من أجل تقوية العلاقات بينهما ، وحين آل أمر حكم الدولة الرستمية إلى أفلح بن عبد الوهاب (٢٥٨-٢٩٨هـ/ ٨٢٣-٨٧١م) سعى لدعم هذه العلاقات مع بلاد السودان الغربي ، فأوفد سفارة رسمية إلى تلك البلاد ، على رأسها محمد بن عرفة الذي تولى مناصب رفيعة في الدولة الرستمية ، محملا بهدايا من أفلح إلى ملك السودان ، فسر هذا الملك من الوفد وهيئته وهديته ، أنظر الوسياني :سير أبى الربيع الوسياني ، مخطوطة ، ص٤٩ ، ابن الصغير : أخبار الائمه الرستميين ، مصدر سابق ، ص٧١.
Devidson, B : Old Africa rediscoverd ,London ,١٩٥٩,p ٩٧.

(٢) كان بيت ابن زلفين المزاتى يتملك من الإبل ثلاثمائة ألف ، ومن الغنم ثلاثمائة ألف ، ومن الحمير اثنى عشر ألفا ، أنظر النفوسى "سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م" :الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، مطبعة الأزهار البارونية ، بدون تاريخ ،جـ٢، ص ١٣٧.

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص٣٧٢.

طواعية وبدون إكراه[١] ، وأصبح البزركانيون أهل جاو[٢] لايملكون عليهم أحداً من غير المسلمين، وكان هذا قبل قيام دوله المرابطين[٣].

وقد ذكر لنا البكري في هذا الصدد ،"...ومدينة كوكو ...وهى مدينتان ، مدينة الملك ومدينة المسلمين ، وملكهم يسمى قندا ، وإذا تولى منهم ملك ، دفع إليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون أن أمير المؤمنين بعث إليهم بذلك ، وملكهم مسلم ، ولا يُملكون غير المسلمين "[٤].

وهذا القول يدل على أن حاكم جاو في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كان مالكياً ، فقد أشار البكري إلي هذا الأمر الذي تدعمه الأدلة الأثرية أيضاً، إذ تؤكد شواهد القبور التي اكتشفت بالقرب من جاو اتخاذ حكام صُنغي ألقاباً شرفية متطورة تتناسب مع استخدام الدول الإسلامية السنية[٥]

---

(١) عبد الرحمن السعدي :"عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي كان يعيش بعد عام١٠٦٥هـ/ ١٤٩٦م " : تاريخ السودان ،طبعة هوداس وبنوة ، مطبعة بردين،مدينة أنجى ١٨٩م،ص ٣

(٢) البرزكانين هم أهل جاو ، أنظر البكري ، ص٣٧٢.

(٣) عثمان برا يما بارى :جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ،دار الأمين للنشر و التوزيع ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ،ص٤٤.

(٤) البكري : مصدر سابق ، ص٣٧٢. وترى الباحثة أن رأى البكري الذي تحدث عن ملك صُنغى المسلم وعلاقاته بأمير المؤمنين ربما يكون قد أضفى وعن قصد على من يعنيه أمير المؤمنين قدرا من الغموض لكونه سنيا وأندلسيا مواليا للأمويين من جهة ، وعدوا للفاطميين ومنهجهم من جهة أخري.

(٥) أتخذ ثلاثة ملوك أسماء الرسول وخليفته "محمد بن عبد الله المتوفى في ٤٩٤هـ، وأبو بكر بن أبى قحافة المتوفى ٥٠٣هـ ، وعمر بن الخطاب المتوفى ٥١٤هـ، ومن خلال أثنين من هذه الشواهد تم نحتهما بالتأكيد في أسبانيا ، حيث يسود الاعتقاد أن حمل هذا اللقب ينشأ عن العادة الإسبانية التي بدأت تثبت منذ ٤٤٦هـ، في بلاط مع لقب الناصر لدين الله ، والتي وردت على مقابر جاو وهى مرتبطة باسم الخليفة الاموى ،أنظر sauvaget .j : les Epiaphes royales de Gao, Al andalus, vol xlv .fasc l, Madrid , ١٩٤٩, p١٣٧,p١٣٨.

كما تدل هذه الشواهد على العلاقة القوية التي ربطت بين المرابطين حكام المغرب والأندلس مع ملوك صنغي في أواخر القرن الخامس الهجري ، فمن خلال دراسة سوفاجيه لشاهد قبر أحد الملوك لهذه الدولة والذي كتب عليه ما يلي : هنا يرقد الملك أبو عبد الله بن محمد الذي دافع عن دين الله وهو الآن في رعاية الله ورحمته ، وكان هذا في عام(٤٩٤هـ/ ١١٠٠م)[١].

وتؤكد هذه التواريخ الموجودة على هذين الشاهدين أنه تم نحتهما في مدينة المرية الأندلسية في الوقت الذي كان المرابطون يسيطرون فيه على الأندلس ،ولذلك يمكن القول بأن هناك صلات تمت عبر المرابطين بين مدينة المرية حيث تم نحت هذه الشواهد ، ومدينه جاو حيث فيها هذه الشواهد[٢]، ويقول سوفاجه : "كان من الممكن الاعتقاد بأن صانع تلك الشواهد قدم من الأندلس إلى جاو[٣] في عام(٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م)[٤] وفى عام(٥٠٢ هـ/ ١١٠٩م) لعمل تلك الشواهد بنفس الأسلوب

(١) Sauvaget .j :cit ,op,p١٢٤أ١٢٥.

(٢) Ibid,: p,١٣٢, ١٣٣.

(٣) يرى سوفاجيه أن هذين الشاهدين قد نحتا في الأندلس وخاصة في مدينه المرية Almeria ثم نقلا إلى المقابر الملكية في جاو وكانت أدلته على ذلك :

شكل الحروف الكوفية المستخدمة في الشاهدين وخاصة شكل حرف العين الذي تشبه كتابته على الشاهدين اللذين عثر عليهما في جاو شواهد قبور عثر عليها في ألمرية . طريقه كتابة "هاذا " بدلا من "هذا" هي الشائعة في النقوش العربية بالأندلس . التشابه بين الركنيات الزخرفية في شواهد المرية وشواهد جاو .

كما كان هناك بعض الآيات القرآنية وبعض النصوص الشعرية لأبى العتاهية المنظومة مبنية على نفس الوزن ونفس القافية ، وهى تعتبر بمثابة مفاجأة مفاجئة في جاو حيث يصعب شرحها عبر الظروف المحلية وحدها ، ولكن في إسبانيا تثبت عادة نقش الأشعار على القبور ، على الأقل تلك القبور الخاصة بالشخصيات الكبرى

(٤) Sauvaget .j:Ibid, , p١٢٦ ,١٢٧, ١٣٢, ١٣٣

Sauvaget .j:Ibid, , p١٢٤أ١٢٥.

، لكن أبعاد هذه الشواهد ووزنها الضئيل نسبيا تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه قد تم نحتها في الأندلس وبالتحديد في مدينة المرية Almeria ونقلت إلى مدينة جاو ووضعت على المقابر الملكية[١].

وهذا يؤكد أن التأثير السني المالكي للمرابطين كان واضحاً على إمارة صُنغى وعاصمتها جاو ، وأن المذهب المالكي هو مذهب هذه الدولة .

المذهب المالكي في إمارة التكرور[٢] :

لم يكن ملك جاو هو الملك السوداني الوحيد الذي أسلم تحت تأثير الدعوة ، وإنما كان هناك ملوك عديدون من أمثال وارجابى بن رابيس ملك التكرور الذي أسلم بعد تولية حكم بلاده، وكان إسلامه في الثلث الأول من القرن الخامس ، أي قبل حركة المرابطين ، وهذا ما نستخلصه من كلام البكري في معرض حديثه عن مملكة التكرور وسكانها[٣].

عمل وارجابى بن رابيس على الدعوة للإسلام في مدينه سلى القريبة منه واستجاب ملك سلى لدعوته دون تردد[٤] .

Sauvaget .j:Ibid , p١٢٨, ١٢٩.(١)

(٢) التكرور : مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة ، أهلها أشبه الناس بالزنوج ، وتقع إمارة التكرور على الضفة اليسرى لنهر السنغال ، وهى بذلك تقابل مجال صنهاجة اللثام على الضفة الأخرى ، خاصة قبيلة جدالة (آخر الإسلام خطة) أنظر البكري : مصدر سابق، ص،٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) البكري : المصدر السابق ، ص٣٦٠ .

(٤) البكري : مصدر سابق ، ص ١٧٢ .، أحمد الشكرى :مرجع سابق ،ص٩٥، نقولا زيادة : معاهد العلم الإسلامية في السودان الغربي في العصور الوسطي ، المؤسسة الجامعية،١٩٨٧، ص ٤٦، ٤٧، usman Muhammad bugE: cit,op ,p ٦٩.

وكان الإسلام في إمارة التكرور منتشراً على مذهب الإمام مالك ، ويرجع ذلك إلى الحيز الجغرافي لإمارة التكرور الذي يقع على الضفةِ اليسري لنهر السنغال ، ويقابل مجال صنهاجة اللثام والذي يقع على الضفة الأخرى لهذا النهر خاصة قبيلة جدالة المالكية[١] .

ومما لاشك فيه أن الفقهاء والدعاة والتجار كان لهم دور أساسي في تهيئة الأهالي لقبول الإسلام ، وكان دائما يوجد الفقهاء إلي جانب الملك أو الأمير الوثني في تسيير شؤون مقاطعته[٢] وهذا لا يمثل حالة خاصة وإنما مثل ظاهرة عامه لأننا سنصادف حالات مماثله في الإمارات الأخرى.

المذهب المالكي في مالي[٣]:

اعتنق ملك مالي الإسلام أيضاً تحت تأثير الدعاة سواء كانوا من أهلها أو من الدعاة البربر الذين استقروا في بلاد السودان الغربي . ويذكر البكري أن سبب دخول ملك مالي في الإسلام يرجع إلى الجفاف الذي عرفته بلاده التي كانت تعتمد في حياتها على الزراعة ، وأن ذلك الجفاف استمر سنوات متتالية ، أهلك السكان خلالها الكثير من الحيوانات تقربا إلى أصنامهم لوضع حد لهذا الجفاف ، وقد أعياهم التوسل لتلك الأصنام دون فائدة ، مما شجع أحد الدعاة المسلمين المستقرين في

---

(١) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٥٩.

(٢) هناك روايات تؤكد معرفتهم ببعض جوانب الشريعة وأن شريعة الإسلام تحدد عدد الزوجات الشرعيات ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٢.

(٣) تعرف بمالي وملل ، ويقول البكري : يوجد بلد ملل جنوب مملكه غانة في المسافة الفاصلة بين عاصمتيها ، ويضيف الادريسى أنها نحو ١٢ مرحلة، أنظر الإدريسي : مصدر سابق ، ص ٦ ، البكري: مصدر سابق ص٣٦٦ Hunwick. J.o :The mid- Fourteenth Century Capital of Mail , the, Journal Of African history ,vol .١٤,No٢ ,١٩٧٣cambridge university press,pp١٩٥-٢٠٦.

حاضرة السلطان إلى التدخل بعد أن اشتكى إليه الملك حال بلاده، فربط هذا الداعية نهاية الجفاف باعتناق الملك للإسلام ، ولم يزل يدعوه إليه ويظهر له محاسنه ويرغبه فيه"... حتى أسلم وأخلص نيته و أقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه الفرائض والسنن . وأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده فأسلم وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته ، وكان معظم أهل مملكته مشركين ، فسموا ملوكهم منذ ذاك بالمسلمانى[1]. وقد قلده خلفاؤه واقتفوا أثره في الاحتفاظ بالإسلام وإدخال قيمه وتعاليمه إلى بلادهم ، والالتزام بشعائره في إطار المراسيم الملكية لدولة مالي ، وينسب كي زربو إقناع هذا الملك بالعقيدة الإسلامية إلى أحد فقهاء قبيلة لمتونة من قبائل الملثمين[2] وهى إحدى كبريات تلك القبائل الصحراوية، ومنها كان أمراء دولة المرابطين وكبار قادتها. وُيرجح الدكتور حسين مراد هذا الرأي بقوله : " إن هذا الفقيه الذي كان موجودا في بلاد الملك "يُقرأ القرآن و يعلم السنة " كان على المذهب المالكي الذي تَدعم بفضل جهود المرابطين"[3].

وهكذا كان حكام مالي علي المذهب المالكي لذلك لا يمكن تصديق رواية المؤرخ الأباضي الدرجينى المتوفى عام (٦٧٠هـ / ١٢٧٢ م)والذي ادعى أن جده على بن يخلف الذي سافر عام(٥٧٥ هـ / ١١٨٠م) إلى مالي هو الذي هدى ملك هذه الدولة إلى الإسلام ، لأن البكري كتب مؤلفه عام (٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) وهذا يعنى أن إسلام ملك مالي حدث في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وليس منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ومن هنا أراد

---

(١) البكري : مصدر سابق ،ص٣٣٦. والحقيقة فإن المؤلفين قد اختلفا في اللقب الذي كان ذلك الملك المسلم يحمله "المسلمانى - برمندانه " أنظر أبن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٤ .

(٢). Josephkl_zerBo :Histoire de l, Afrique d , hier a demai, hatier , paris,١٩٧٢.p١٣٣

(٣)حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٦٠ . Usman : op,cit ,p ٧٣ Muhammad bugE

الدرجيني أن ينسب لجده الأباضي المذهب هذا النجاح والسبق الذي حققه داعية مالكي المذهب مجهول الاسم(١) .

وتؤكد طريقة دخول ملك مالي في الإسلام في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فاعلية أسلوب الدعوة ، وأن هذا الدين انتشر على أساس المذهب المالكي في السودان الغربي من أجل استقطاب الشخصيات المؤثرة إلى الدخول في الإسلام(٢) .

المذهب المالكي في غانة(٣):

انتشر الإسلام في غانة بفضل جهود الدعاة والتجار المغاربة ، ساعد علي ذلك حكام تلك الدولة الذين كانوا محبين للمسلمين ، فقد كان ملكهم " بسي " محمود السيرة محباً للعدل مؤثرا للمسلمين(٤) .

---

(١)يستفاد ذلك من رواية البكري حيث يقول : "بأن أسلام مالي حكومة وشعبا كان في منتصف القرن الخامس الهجري ، وليس عام ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٦٣، ٣٦٤ ، كما يقول الدرجينى ، أنظر الدرجينى ، طبقات المشايخ بالمغرب ، ص٥١٧، ٥١٨، حسين مراد :المرجع السابق ، ص٦٠.

Lewlcki ,T : Arabic external sources ,for The history of the Africa to the south of sahara ,٢ed London١٩٦٩,pp. ٧٢/٧٣

cuoq ,j : ,Islumisation cit ,p١٤٣. (٢)

usman Muhammad bugE: cit ,op ,p ٧٧.

(٣) باستقراء المعطيات التي تطرحها المصادر العربية والرواية الشفوية ومقارنتها ، تمكن الباحثون من تحديد الإطار الجغرافي للمنطقة التي تقوم عليها المملكة ، وتم توطينها فيما بين نهري السنغال غربا والنيجر شرقا ، وعلى حدودها الشمالية كانت تتحرك القبائل البربرية الصحراوية ، وفى الفترة التي بلغت فيها مملكه غانة أوج قوتها تمكنت من مد نفوذها جنوبا لكنها لم تلامس مقدمة الغابات الاستوائية ، للمزيد أنظر أحمد الشكرى ، الإسلام والمجتمع السوداني ، مرجع سابق ، ص١٠٩ .

(٣) البكري : مصدر سابق، ص٣٦٣.

Cuoq ,J,M : L,Islumisation,p١٤٣(٤)

وتؤكد الكشوف الأثرية التي أجريت على موقع عاصمة غانة القديمة أن أقدم مساجد العاصمة بني في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، مع ترجيح وقوع غانة في نهاية طريق القوافل الغربي الذي يربط بين سجلماسة وغانة[1] .

فضلا عن ذلك ، كان الإمبراطور يعفى المسلمين من الكثير من التقاليد المفروضة على رعاياه وأهل مملكته والتي قال عنها البكري : "...فإذا دنا أهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم ، فتلك تحيتهم له ، أما المسلمون فإنما سلامهم عليه تصفيق باليدين ..."[2] .

ولقد شجع هذا الوضع التجار المسلمين على التوافد بكثرة إلى غانة حتى أصبح الجزء الذي يخصهم من عاصمته يحتوى علي اثني عشر مسجداً أحدها يجتمعون فيه و بها الأئمة والمؤذنون و الراتبون و حملة علم[3] .

وهكذا حظي المسلمون بالإيثار في غانة في عهده، ليس فقط لمجرد إعجاب الإمبراطور الغاني باستقامتهم وامتلاكهم للغة مكتوبة تساعده على تنظيم أجهزة الدولة وتنظم العلاقات الخارجية مع الدول الأخرى ، بل كان الإمبراطور يستأنس بهم ويطمئن إليهم ، لذا خصهم بامتيازات كثيرة . فقد ذكر البكري منها أنه " في مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد إليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم

---

(١)البكري : مصدر سابق ، ص ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٩.

Lamin Sanneh : The Origins of Clericalism in West African Islam The Journal of African History, Vol. ١٧, No. ١ (١٩٧٦), Cambridge University Press p٥١.

(٣)الادريسي : مصدر سابق ، ص٤.

الملك ، وتراجمة الملك من المسلمين ، وكذا صاحب بيت ماله ، ومعظم وزرائه من المسلمين[١] المغاربة الذين كانوا على المذهب المالكي.

كما أسهمت دولة المرابطين في دعم هذا المذهب في غانة أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، ولتأكيد ارتباط هذه المملكة بمذهب السنة المالكي أعلن ملك غانة تبعيته للخلافة السنية.كما أنه أدعى النسب العلوي، ليدعم نفوذه وحكمه في بلاده، وهذا الادعاء يؤكد أن الملك الغاني كان مسلماً سنياً لأنه مجرد إدعاء .

والجدير بالإشارة أن الدعوة السلمية للإسلام في السودان الغربي قد أثرت وبشكل جلي في تلك البلاد منذ بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حيث الانتصار النهائي للإسلام بمذهبه السني المالكي فقد أصبح الدين الرسمي بمذهبه هذا للوحدات السياسية كافة ويعتنقه الحكام والمحكومون.

ومن العرض السابق للجهود التي بذلت منذ بداية الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب وحتى أيام المرابطين نجد أن انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي قد سبق قيام دولة المرابطين بزمن كبير . وأما بدايات دخول المذهب المالكي للسودان الغربي فقد كانت أسبق من عصر المرابطين بزمن ليس بالقليل ومع ظهور المرابطين عم المذهب المالكي وانتشر في بلاد السودان الغربي بفضل تحمسهم له .

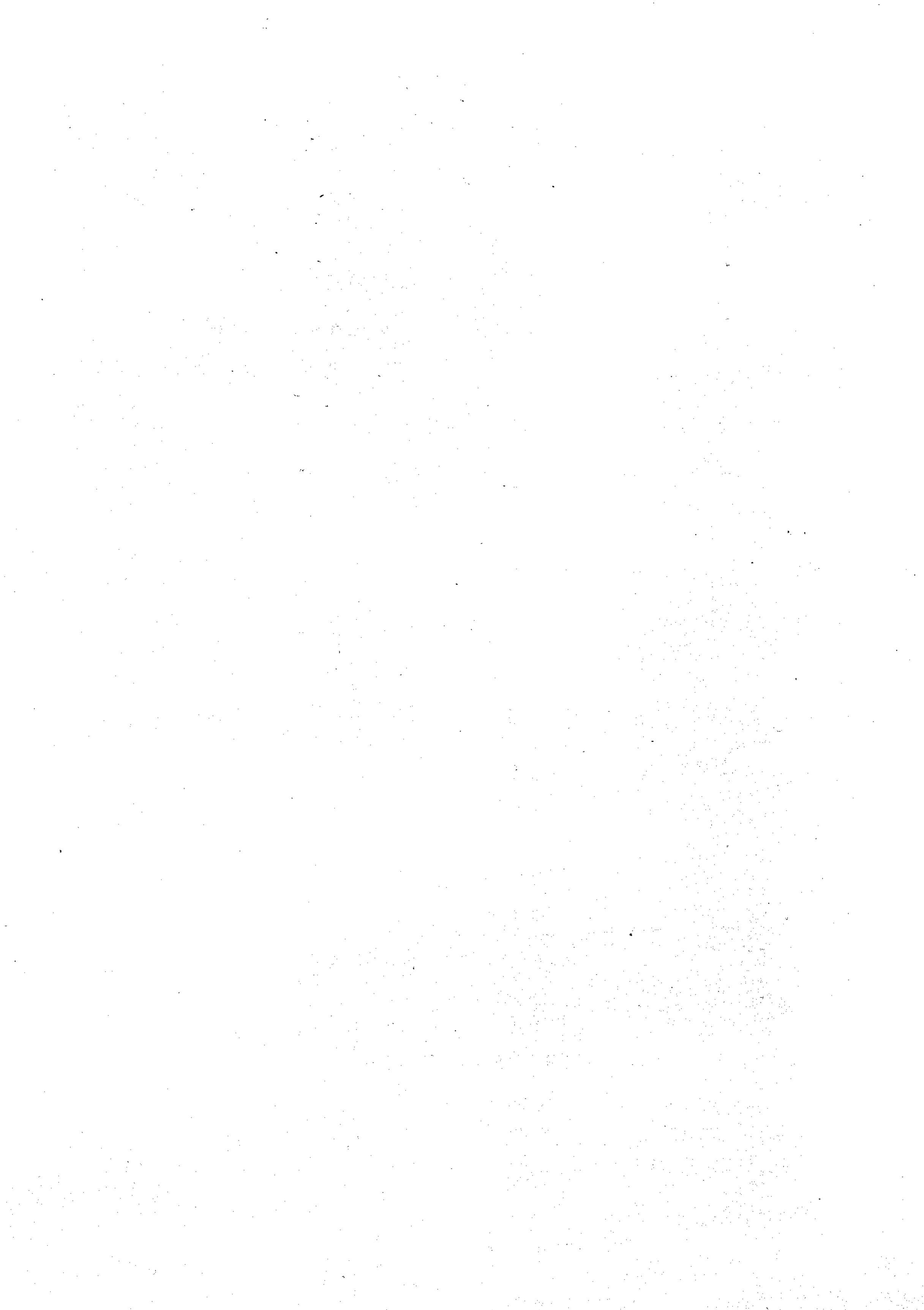
وبعد أن تم التحديد الزمني لانتشار الإسلام وظهور المذهب المالكي في السودان الغربي، سوف نتحدث الآن عن المرحلة التالية للمذهب في تلك البلاد ، وهى مرحلة الذيوع والانتشار، تلك المرحلة التي شهدت سيطرة دولة مالي على

---

(١) Usman Muhammad:op,cit,p٧٠

Hiskett, M: op,cit,p ٢٣.

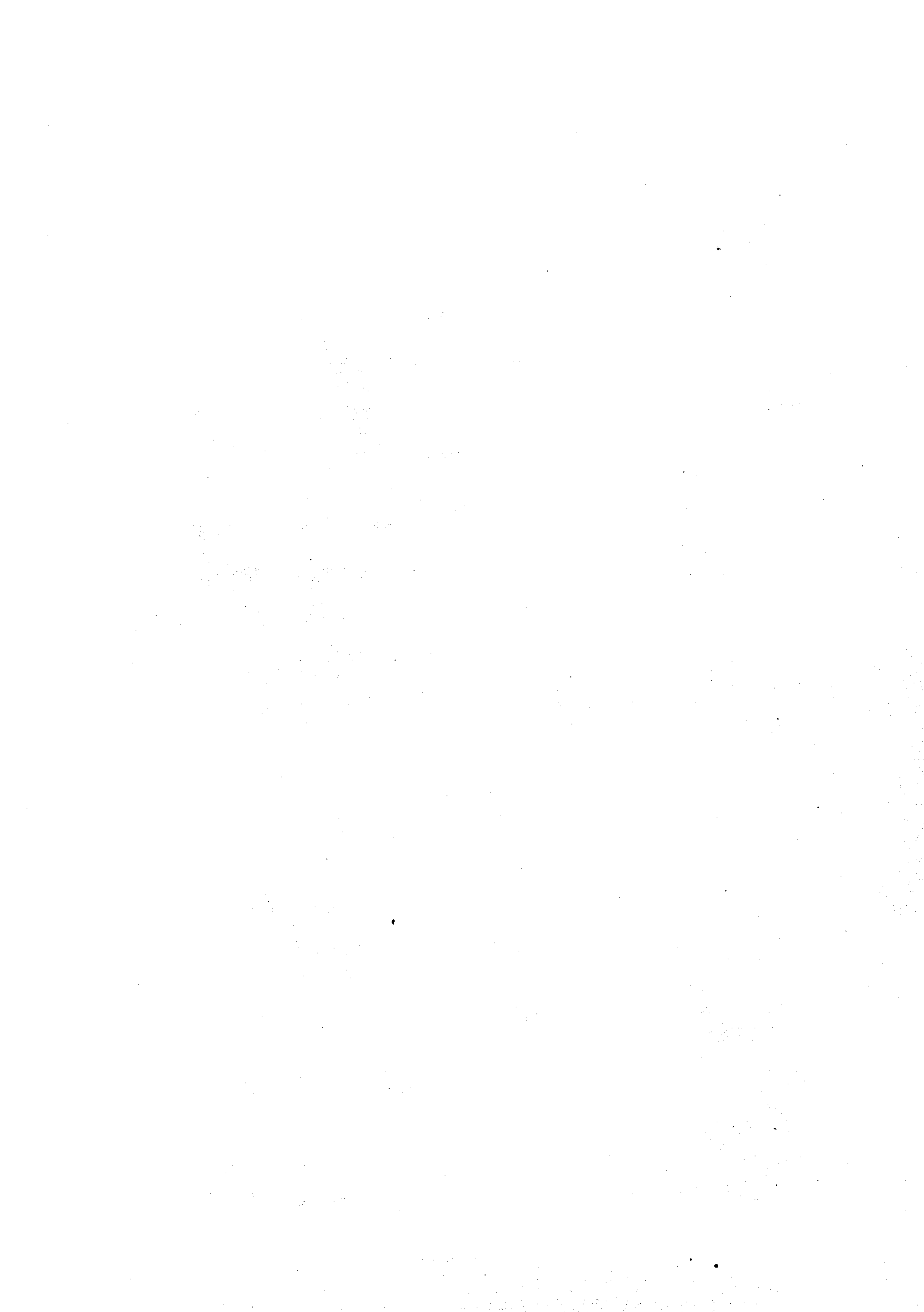
معظم مناطق السودان الغربي ، والتي تعقبها مرحلة سيادة المذهب المالكي عندما انتقلت السيادة العسكرية على تلك المنطقة الحيوية إلى دولة صُنغى الإسلامية .



الفصل الأول
المذهب المالكي انتشارلا وسيادته زمن دولتي مالي وصنغي

١ـ مرحلة الذيوع و الانتشار "دولة مالي"

٢ـ مرحلة سيادة المذهب المالكي "دولة ُصنغى "



تبدأ مرحلة الذيوع والانتشار للمذهب المالكي في بلاد السودان الغربي بظهور دولة مالي الإسلامية التي قامت في تلك البلاد وظهرت كقوة بارزة على الساحة السياسية بعد انهيار دولة غانة عام (٦٠٠هـ / ١٢٠٣م) على أيدي قبائل الصوصو[١]. مما أحدث فراغاً سياسياً في المنطقة، الأمر الذي دفع الأقاليم الإفريقية التي كانت تنضوي تحت لواء غانة إلى تكوين كيانات سياسيه مستقلة، تصارعت فيما بينها على السلطة والسيادة إلى أن آل الأمر أخيراً إلى قبائل الماندنجو[٢] المسلمة القاطنة في إقليم كانجابا، وهذه القبائل هي التي يرجع إليها الفضل في إنشاء مملكة مالي الإسلامية التي ميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذي نهضت به من أجل

---

(١) الصوصو " فرع من الفولانيين هاجر من تكرور واتجه شرقا إلى إقليم كانياجا في حوض نهر النيجر، حيث أسس طبقة حاكمة ودولة توسعت فيما حولها في نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ،وا لصوصو قاموا بتحطيم إمبراطورية غانة الإسلامية، عام(٥٩٩هـ / ١٢٠٣م)، واصطدموا بدوله مالي النامية في كاناجابا، أنظر إبراهيم على طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠، ص٧٦، ٧٧ ويظهر من خلال الرواية الشفوية، أن شعب الصوصو بقيادة "سومانجورو"كانت له طموحات سياسية كبيرة في بلاد السودان، ذلك أنهم بعد إخضاع مملكة غانة وربما كذلك بلاد التكرور، توجهوا نحو الجنوب للسيطرة على بلاد مالي حيث مناجم الذهب، وتمكنوا من بسط نفوذهم على قبائل الماندينغ لبضعة عقود، أذاقوهم خلالها مرارة القهر والتسلط، وقد كان من نتائج سياسة العنف التي مارسها سوما نجورو إزاء الماندينغ والشعوب الأخرى الخاضعة له، أن تَعمَق الإحساس لدى القبائل السودانية بضرورة توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ضد الصوصو، أنظر أحمد الشكرى: إمبراطورية مالي، ص ١٧٩.

(٢) ومؤسسو دولة مالي هم قبائل الماندنجو، والتسمية المتداولة بين قبائل الماندنجو هي: الماننكا، أو المانذكا، أو الماندينغ أو مانبج، أو ماننجا، أو ماندج، وهى كلها متقاربة، وقد سادت هذه القبائل لبضعه قرون في المنطقة الفسيحة الممتدة بين نهر النيجر والمحيط الأطلسى، في الوديان العليا لنهرى السنغال، وامتدت نحو الجنوب إلى حوالي خط عرض ٥٩ شمالا، ولا توجد منها جماعات مبعثرة في مناطق أخرى بحوض النيجر وما حوله، أنظر إبراهيم على طر خان: دراسات في التاريخ القومي الإفريقي، مرجع سابق، ص٢٦، ص٢٧

Hunwik, J.o: the Mid –Fourteenth Century of Mali , The Journal of African History ,vol.١٤,No.٢ (١٩٧٣),p٢٠٣

توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات أو وحدات أو ممالك ، وكذلك دورها البارز في نشر الإسلام والدعوة له في جميع بلاد السودان الغربي[١] في الفترة مابين (٦٢٨ ـ ٨٣٤ هـ/ ١٢٣٠ـ ١٤٣٠م) .

ولهذه الدولة منذ فجر ظهورها ما لا يقل عن ثماني أسر حاكمة لا يُعرف عنها إلا القليل مثل أسرة كوروما ، وأسرة ديارا ، وأسرة مركو ، وأسرة كامارا ، وأسرة باكابوكو ، وأسرة الترورين ، وأسرة الكونانتيين، و أسرة كيتا[٢] .

وقد قاد سندياتا كيتا[٣] قبائل الماندنجو إلى النصر ، إذ هزم مملكة الصوصو الوثنية المنافسة بزعامة سومانكورو في معركة كيرينا الحاسمة وقتل إمبراطور الصوصو عام (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)[٤] . وأتاح هذا النصر السيطرة على كافة الأجزاء التي كانت ضمن نطاق دولة غانة ، وأن يقيموا دولتهم التي عُرفت في التاريخ بمملكة مالي الإسلامية في الفترة مابين(٦٣٨ـ٨٣٤هـ/ ١٢٣٠ـ١٤٣٠م) على أنقاض هذه الدولة .وقام زعماء قبائل الماندنجو بتنصيب "سندياتا " كإمبراطور عليهم

(١) إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م، ص١٧ ، ص١٨.

(٢) أسرة كيتا ، لم تكن هي الأسرة التي حكمت مالي ، إذ سبقتها أسر، غير معروفه مثل هذه الأسرة غير أنها أدت دورا ما ثم اختفت من مسرح الأحداث ، أنظر ، Joseph ki – zerbo. P ١٣٠، وللمزيد عن هذه الأسر الحاكمة أنظر، إبراهيم طرخان : دولة مالي ، ص ٣٣، ٣٥.

(٣) هو سندينا كيتا ابن ناري فامغان بن ناري فامغان بن موسي كيتا المشهور بموسي إلاكوي ، وقد اشتهر سنديانا بلقب " ماري جاطة" ، ماري معناها الأمير من نسل السلطان ، جاطة معناها الأسد ، ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ١٨٩٥ ، القلقشندى : صبح الاعشي في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، بدون تاريخ ، جـ٥ ، ص ٢٩٣.

(٤) Nobiakai AL-Nuraslaam,An Investigation of Malinke historiography ;from studiata to Almamy Samori Toure ,Howard University ,Washington D.C,٢٠٠٥,p.٢٠.

عام(٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) وظهر أمامهم بلباس المسلم المؤمن[١] الذي يمثل نموذج الخليفة المسلم القوى بعد أن قدم له الزعماء آيات الولاء والطاعة.

في نفس العام الذي حقق فيه "سندياتا " انتصاره على ملك الصوصو اتخذ عاصمة جديدة لمملكته عرفت بـ (نيانى) أي " المدينة الآمنة" . وكانت هذه المدينة لا تبعد عن مدينة جني

إلا مسيرة بضعة أيام[٢]، ومنها كان يتم التحكم في الأمور الاقتصادية والحربية والسياسية للدولة ، وتلقب هذا الملك ، بـ"مارى جاطة "[٣].

كما استعان "مارى جاطة" بقواده في تمهيد بلاد السودان الغربي فشهدت مملكة مالي في عهده توسعا شمل كل الإمارات والممالك السودانية ،فضمت إقليم التكرور ، والمناطق التي كانت خاضعة لغانة ، ومنطقة الُصنغي . وبانصهار هذه الأقاليم في مملكة مالي الناشئة في كيان واحد تحولت معه مالي إلى إمبراطورية عظيمة القوة والاتساع حيث مارست نشاطها في السودان الغربي كله ، وحققت آمالها في الميادين السياسية والاقتصادية كافة حيث امتدت من جبال الأطلس غربا إلى بلاد الهوسا شرقا ، ومن المحيط الأطلسي جنوبا وحتى الصحراء الكبرى شمالا.غير أن هذه الإمبراطورية قد بلغت أوج عظمتها وذروة مجدها واتساعها خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث انفتحت في هذا الوقت على العالم الإسلامي

---

(١)أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع ، مرجع سابق ، ص١٨١.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٢، ص١٨٩٥. ٢٧، شكلت "نيانى " عاصمة مالي طيلة القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، وموقع نيانى ، يوجد على أحد روافد نهر النيجر ، وهو رافد سانكرانى ، أنظر ،أحمد الشكرى : المرجع السابق ، ص ١٨٣.

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق، جـ ٢، ص١٨٩٥.

، مما كان له الأثر الايجابي الكبير في التعريف بمملكة مالي وكذلك نمو المؤثرات الإسلامية بها (١).

وعلى أية حال فقد استطاع " ماري جاطة" أن يوطد نفوذه في الأقاليم التي دخلت في إطار دولته ، كما شهدت دولته تطورا ملحوظا في الأنشطة كافة ، وعند وفاته سنه(٦٥٢هـ / ١٢٥٥م) كانت دولته قد امتدت من بلاد الجلف غربا عند المحيط الأطلسي إلى أواسط النيجر شرقا ، ومن فوتا جالون جنوبا إلي الغرب من كومبي صالح عاصمة غانة السابقة شمالاً ، وأصبحت مساحة دولة مالي تقدر بما يزيد عن نصف مساحة أوربا كلها تقريبا[٢] . وهكذا كان اتساع إمبراطورية مالي في عهد" ماري جاطة " قد زاد من شهرتها، وكذلك في ثرواتها مما كان له أثر بالغ في استقطاب الكثير من الوافدين إليها وفي مقدمتهم فقهاء المالكية ، مما كان سببا من أسباب انتشار وذيوع المذهب المالكي.

وجاء بعده ابنه منسا ولى[٣] (٦٥٢ـ ٦٦٩ هـ / ١٢٥٥ـ ١٢٧٠م) الذي وصفه القلقشندى بأنه أعظم ملوكهم[٤] فقد اعتمد على قواد أبيه ومستشاريه الذين ساعدوه في توسيع رقعه مملكته. وقد اتسمت فترة حكمه بالرخاء إلى حد ما ، وبالتوسع في المناطق المجاورة ، والسيطرة على بعض مناجم الذهب الذي يمثل مصدراً اقتصادياً مهماً فقام بغزو جنجرا وونقارة اللتين يوجد بهما مناجم غنية

---

(١) احمد الشكري : مرجع سابق ، ص ١٨٠ .

(٢) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية ،ص٤٣.

(٣) ومعناها السلطان ولى وهو الابن الأكبر لسندياتا ، كما عرف بالملك الأحمر نظرا لأنه كان أبيض البشرة ،مما استدل من خلاله إبراهيم طرخان بأن أسرة كيتا جاءت من اليمن ، أنظر إبراهيم طر خان : المرجع السابق، ص٣٥.

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ،جـ٥، ص ٢٩٣.

بالذهب ،وضم إلى مملكته كونكودوجو ، وسانى نيانجا ، وسانجاران[١] كما زحف على بعض مناطق التكرور وتمكن من أخذ بعض الرهائن من الأسرة الحاكمة ليضمن لنفسه ولاء تلك الأسر ، وكذلك أخذ رهائن من إمارة صُنغى الناشئة[٢] وقد استمر حكمه قرابة خمسة وعشرين عاماً .

بعد وفاة منسا ولى عام (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م) تولى زمام الحكم سبعة ملوك ضعاف[٣]، ويبدأ الضعف يتسرب إلى دولة مالي، حتى نجح ساكورة(٦٨٤ ـ٧٠٠ هـ / ١٢٨٥ ـ ١٣٠٠م) في انتزاع الحكم من أسرة كيتا ، بعد انقلاب تم فيه قتل الحاكم الشرعي للبلاد ، وساكورة ليس من البيت الحاكم ، وإنما هو مولى من مواليهم[٤] .

وقد اتسع نطاق ملكه وقام بفتح مدينة جاو وضمها إلى مملكته ، كما غزا بلاد التكرور في الغرب ، وونقارة وجاو حتى أصبحت شعوب السودان الغربي تخشى بأسه[٥]، كما شهد عهده استتبابا في الأمن والنظام ، وانتعاشا في الحياة السياسية والاقتصادية ، فتوافد عليها التجار من بلاد المغرب وإفريقية[٦] ومعهم فقهاء المالكية. وفى المرحلة الأخيرة من حكمه ، قام ساكورة بأداء فريضة الحج في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون(٦٩٣ـ٧٤١هـ / ١٢٩٣ـ١٣٤١م). وفى أثناء عودته

---

(١) تقي الدين أحمد المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق وتعليق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٥م ،جـ١، ص١١٠ .

(٢) إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية ص٦٤.

(٣) ويقول ابن خلدون في هذا الصدد : "تولى من بعده إخوه واتى ، ثم من بعده أخوهم خليفة وكان محمقا راميا ، فكان يرمى السهام على الناس فيقتلهم مجانا فوثبوا عليه فقتلوه ، وولى عليهم من بعده سبط من أسباط مارى جاطة يسمى أبا بكر ، وكان ابن بنته فملكوه على سنن العجم في تمليك الأخت وأبن الأخت ، ولم يتسن معرفة نسبه ونسب أبيه " أنظر ابن خلدون :مصدر سابق ، جـ٢، ص١٨٩٥ .

(٤) ابن خلدون : :مصدر سابق ، جـ٢، ص١٨٩٥ .

(٥) أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني ، مرجع سابق ، ص١٨٣ .

(٦) ابن خلدون :مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٥ .

من الأراضي المقدسة قتل في تاجورة بالقرب من طرابلس عام (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)[1] وبذلك أسدل الستار على حكمه الذي استمر خمسة عشر عاماً.

وخلاصة القول إن هذه الشخصيات الثلاث (مارى جاطة ـ منسا ولى ـ ساكورة) قد سيطرت على مجريات الأحداث خلال (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)، من تاريخ هذه المملكة ، وإليهم يرجع الفضل في تأسيس إمبراطورية قوية . قادرة على التحول لمنعطف جديد في تاريخها .

ثم اكتسبت مالي في عهد منسا موسى(٧١٢ ـ ٧٣٧ هـ / ١٣١٢ ـ ١٣٣٧م)[2] شهرة عظيمة وهوالذي تولى مقاليد الأمور ، ووصلت مالي في عهده إلى قمة مجدها وقوتها واتساعها ، ووصلت إلى أقصى ما وصلت إليه من اتساع ، وامتدت حدودها من بلاد التكرور غربا عند شاطئ المحيط الأطلسي[3] إلى منطقة دندى ومناجم النحاس في تكده مركز القوافل شرقا "شرقي النيجر" ،ومن مناجم الملح في تغازا في الصحراء شمالا إلى فوتا جالون[4]،ومناجم الذهب في ونقارة جنوبا بغرب ،وحاذت الحدود الجنوبية منطقة الغابات الاستوائية[5].

كما انتعشت التجارة في عهد منسا موسى وأصبحت أسواق مالي من أهم أسواق السودان الغربي كله ، وزاد من أهمية هذه الأسواق انتقال سوق الذهب إليها

---

(١) أحمد الشكرى : مرجع السابق ، ص ١٨٥.

(٢) بعد وفاة منسا ولى ، تولى سبعه ملوك تولوا حكم البلاد من بعده كان أشهرهم منسا موسى ، أنظر أحمد الشكرى :المرجع السابق ص١٨٤.

(٣) و جاء وصف السعدي لمالي :" أما ملى فإقليم كبير واسع جدا في المغرب الأقصى إلى جهة البحر المحيط " أنظر عبد الرحمن السعدي ، تاريخ السودان مصدر سابق ، ص٩.

(٤) عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية ، ص١٠٦.

(٥) إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص٧٧.

، مما كان سببا في اجتذاب الكثير من التجار من درعة و سوس و سجلماسة و فزان و مصر أيضاً[١].

ذلكم هو منسا موسى الذي أشاد به وبمجده معظم الذين كتبوا عن تاريخ هذه المملكة العظيمة ، وعلى رأس هؤلاء الكتاب ،ابن بطوطة ، الذي حفلت رحلته إلى السودان الغربي بأخبار هذه المملكة ، لأنه زارها ووقف على الحالة فيها . ثم ابن خلدون الذي قال عنه أنه: " كان رجلا صالحا ، وملكا عظيما ، له في العدل أخبار تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد "[٢].

وهكذا أصبحت مالي إمبراطورية مترامية الأطراف، بقبائلها المتعددة وثرواتها الغنية ومواردها المتنوعة ومراكزها التجارية النشيطة بالإضافة إلي مراكزها الثقافية التي أسهمت في انتشار المذهب المالكي في هذه المملكة[٣].

وتتعدد أسباب انتشار وذيوع المذهب المالكي في السودان الغربي زمن دولة مالي ومنها جهود حكام تلك الدول في دعم وانتشار المذهب المالكي ،ومن بينهم مارى جاطة الذي أحجم عن التقدم نحو مدينه ولاته[٤] بعد أن قضى على دولة الصوصو الوثنية رعاية لحق من لجأ إليها من المسلمين الذين هربوا من قبل أمام خطر الصوصو ومن بينهم عدد كبير من علماء وفقهاء المذهب المالكي[٥].كما تمكن الإسلام في دولة مالي وذاع الفقه المالكي عندما تولى "منسا ولى" (٦٥٢_ ٦٦٩ هـ /

(١) عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية ، ص ٣٧.

(٢) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٥.

(٣) أحمد الشكرى: الإسلام والمجتمع ، ص١٩٠.

(٤) ولاته هي : المعروفة في رحله أبن بطوطة باسم إيوالاتن " أيوالاتن وبينها وبين مالي أربعة وعشرون يوما ، وطريقها كثير الأشجار وبها ما يشبه ثمار الأجاص والتفاح والخوخ والمشمش " وأعتبرها ابن بطوطة أخر عمل مالي في اتجاه الشمال أنظر ابن بطوطة :مصدر سابق ، ص٦٦٢، ٦٦٣.

(٥) إبراهيم طرخان : دولة مالي ، ص٤٢.

١٢٥٥ ـ ١٢٧٠م)الحكم بعد وفاة أبيه "مارى جاطة" والذي بتوليه الحكم تكون مالي قد قطعت صلتها بالتقليد السياسي الوثني الذي يجعل من ابن أخت الملك المرشح الوحيد لخلافة الملك بعد وفاته[١].

وجاء "منسا ولى" الذي تأكد وعيه الديني و حرصه على التقاليد الإسلامية في أداء فريضة الحج ، بعد أن سيطر على المراكز التجارية والثقافية التي كانت حافلة بالفقهاء الذين يُفقهون الناس في أمور دينهم[٢] وكان هذا في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس الذي حكم مصر في الفترة(٦٥٨ـ٦٧٨هـ/ ١٢٦٠ـ١٢٧٧م)[٣].

وبعد فترة اضطراب وفوضى دامت سبع سنوات نجح ساكورة في اغتصاب الحكم (٦٨٤ ـ ٧٠٠ هـ/ ١٢٨٥ ـ ١٣٠٠ م)، وقد اشتهر بالعدل وحسن السيرة، مما كان له الأثر الأكبر في انتشار السلم في هذه البلاد ، وشجع فقهاء المالكية[٤] على التوافد إليها من إفريقية وبلاد المغرب، وكان هذا سبباً من أسباب ذيوع المذهب المالكي و انتشاره في دولة مالي .

ويعد عصر منسا موسى (٧١٢ ـ ٧٣٧ هـ/ ١٣١٢ ـ ١٣٣٧م).[٥] عصر الازدهار للمذهب المالكي في هذه الدولة وكان هذا بفضل جهوده المتعددة والتي قام بها لدعمه ، ويرجع هذا إلى أنه كان ورعاً تقياً محافظاً على الصلوات وعلى قرأة

---

(١) ابن بطوطة : مصدر السابق ، ص ٦٦١، القلقشندى : مصدر سابق ، ص٢٩٤، ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٥.

(٢) حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٦٣.

(٣) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص١٨٩٥.

(٤) المصدر السابق والصفحة . ، القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٩٤.

(٥) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص ٣٨.

القرآن والذكر[١] ، كما يرجع له الفضل في بناء عدد من المساجد في بعض مدن دولته، ومن أشهرها المسجد الجامع بمدينة جاو ، والجامع الكبير[٢] في مدينة تنبكت[٣] .

ويذكر ترمنجهام[٤] أن منسا موسى قد صبغ مالي بصبغة إسلامية واضحة بما شيده بها من مساجد ،وبالاحتفالات الباهرة في المناسبات الإسلامية المختلفة، وبرعايته للعلم والعلماء.

كما كان منسا موسى صالحا عادلاً[٥] متمسكاً بالمذهب المالكي فخوراً بالانتساب إليه ، ويظهر هذا جلياً عندما مر على مصر أثناء رحلة حجه عام (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) ، ودخل على سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ـ ٧٤١هـ / ١٢٩٣ ـ ١٣٤١م)**وطلب منه أن يقبل الأرض في حضرة سلطان مصر المملوكي**

---

(١) العمري: مسالك الإبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق محمد عبد القادر خريسات ، عصام مصطفى هزايمة ، يوسف أحمد بني ياسين ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ،٢٠٠١م ، جـ٤ ، ص ٥٩.

(٢) يعتبر من أقدم مساجد تنبكت وأكبرها ، ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ التشييد الأول له ، ويعبر السعدي عن بناء المسجد الجامع فيقول " كان أولا على صورة متواضعة تتناسب مع حجم السكان بالمدينة في تلك الفترة ، كما يقول كذلك : "أما الجامع الكبير فالسلطان الحاج موسى "٧٠٧ـ٧٣٣هـ/ ١٣٠٧ـ١٣٣٢م"صاحب ملى هو الذي بناه ، وصومعته على خمسة صفوف والقبور لاصقة بها من خارجها في جهتي اليمين والغرب " أنظر السعدي : مصدر السابق ، ص٥٦.

(٣) مدينة تنبكت منذ نشأتها مدينة إسلامية ،"ما دنستها عبادة الأوثان ولا سُجد على أديمها قط لغير الرحمن ، مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين .."وذلك لأن طوارق مغشرن الذين أنشأوها كانوا مسلمين .وكانت تقدم عليها منذ ذلك الحين قوافل التجار المسلمين ، ثم أقام فيها المسلمون من كل مكان ، وتبعهم العلماء والفقهاء ، وتتابع العمران إلى أن أضحت أعظم مدينة إسلامية في غرب إفريقية ، وأعرق مركز ثقافي وتجارى ، وأشهر مركز تعليمي إسلامي فيها ، أنظر السعدي : مصدر سابق، ص ٢١.

(٤) Tromigham , J .s . , A History of Islam in west Africa. p٧٠. Oxford١٩٧٠,

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص٧ ، القلقشندى : مصدر سابق ، ص٢٩٥ .

فرفض وأبى وقال :" أنا مالكي المذهب لاأسجد لغير الله "فأعفاه السلطان الناصر من ذلك التقليد وقربه إليه وأكرمه وتحدث معه'[١] .

وأمر سلطان مصر وزيره أن يعنى بالضيف الكبير وأن " يجهزه بكل ما يحتاج إليه "كما أمر بإنزاله بقصر عند القرافة الكبرى ، وأقطعه هذا القصر [٢] أي ملكه له وهو إقطاع من نوع التمليك .

هكذا ذكر منسا موسى صراحة في القاهرة أنه مالكي المذهب ، لذلك سعى إلى دعم هذا المذهب في بلاده يتضح ذلك من خلال استغلال فترة إقامته في القاهرة أثناء تلك الرحلة وقيامه بشراء مجموعة من الكتب في الفقه المالكي.[٣] والراجح أن من أهم الكتب التي اقتناها كتاب "الموطأ " للإمام مالك بن أنس ، و"مدونه" الإمام سحنون فقيه إفريقية، بالإضافة إلى كتاب" مختصر خليل" .

حرص منسا موسى أيضاً على الإلتقاء بفقهاء المالكية في مصر ، و حرص على دعم الصلة بينه وبين هؤلاء الفقهاء ، ومنهم القاضي المالكي شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوى [٤] المتوفى عام (٧٤٣هـ / ١٣٤٧م)، والذي كانت له اليد الطولي في الفقه المالكي حتى أصبح إمام هذا الفقه في مصر ، ولذلك انتهت إليه رئاسة الفتوى على مذهب الإمام مالك بالديار المصرية [٥].

١- السعدي : مصدر سابق ، ص٧ ، القلقشندى : مصدر سابق ، ص٢٩٥ .
٢- المقريزي مصدر سابق ، ص١٤٢.
٣- المقريزي : المصدر السابق ، ص١٤٣ ،
Levtzion, N: Islam in west Africa Religion societyand poligion to 1800,varioum,London,1999, p185-186.
٤- العمري : مصدر سابق ، ص ٧٤، ٧٥.
٥- ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص٢٨٣.

كما التقى أيضاً منسا موسى مع الفقيه المالكي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري المدرس بالمدرسة المالكية وقاضى المذهب ، وكان هذا اللقاء قبل توجه منسا موسى إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج . وكان الحديث الذي دار بينهما فيما يبدو عن حالة المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية وكيفية دعم هذا المذهب في هذه الدولة بنقل مؤلفات كبار علماء المالكية بعد شرحها له لتدرس في حلقات العلم بمساجد مالي ، ولذا طلب منه منسا موسى أن يؤلف شرحا لمختصر أبى الحسن الطليطلى في الفقه المالكي[١] ، وبالفعل وافق ابن ثعلب على القيام بهذا الشرح ، والراجح أن هذا الشرح قد أخذه منسا موسى من ابن ثعلب بعد عودته من الحجاز إلى القاهرة بعد أن أدى الفريضة ثم أخذه معه في رحلة عودته إلى بلاده[٢] .

وهكذا أسهم منسا موسى في ذيوع المذهب المالكي بالإضافة إلى انتشاره في بلاده بفضل ما نقله من مؤلفات وشروح لكبار فقهاء المالكية حتى يمكن القول أن دولة مالي عرفت في عهده دخول كتب كبار فقهاء المالكية .

واصطحب منسا موسى معه كذلك من أرض الحجاز عند عودته من رحلة حجه عام (٧٢٥هـ / ١٣٢٩م) الفقيه الشاعر المهندس أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الغرناطي الساحلي[٣] الذي قابله هناك وتوثقت العلاقة بينهما بعد أن ظهرت له

---

(١) أبو الحسن الطليطلى : هو على بن عيسى بن عبيد التجيبى ، عاش خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، درس العلم فئ قرطبة وطليطله وهو فقيه عالم له مختصر مشهور منتفع به من كبار المالكية في عصره ، أنظر القاضي عياض : ترتيب المدارك ، جـ٦ ، ص١٧٢،١٧١ . أبن فرحون: مصدر سابق ،ص٢٩٥،٢٩٤.

(٢) حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٦٤ .

Hunwik, J.o :secular power and Religius Authority in Muslim society, the case of songhay , the Journal of African History ,vol.٣٧,No.٢

(١٩٩٦),p١٧٧.

(٣) هو : " أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الساحلي " ويلقب با لطويجن ، ولد بغرناطة ، ونشأ

براعته في عدة فنون منها مهارته العلمية والأدبية والفنية المتعددة حيث كان أديبا و شاعراً[١] . كما كان فقيهاً موثقاً ومهندساً معمارياً بارعاً موهوباً يعرف صنعة البناء الرفيعة وما تقتضيه وينفذها على أتقن الوجوه ، وبالفعل ذهب معه وسكن مدينة تنبكت حتى توفى بها عام(٧٤٧هـ / ١٣٤٦م)[٢].

كما أصطحب منسا موسى معه كذلك العالم الفقيه عبد الرحمن التميمي[٣] الحجازي الذي سكن تنبكت ، فوجدها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفوقوا عليه في الفقه المالكي[٤]، فرحل إلى مدينه فاس ، وتفقه هناك ثم عاد مرة أخرى إلى تنبكت فتوطن بها حتى وفاته بعد أن ترك أبناءً وأحفاداً أسهموا في نشر المذهب المالكي ، ومنهم حفيده حبيب الذي عاش في أواخر دولة مالي[٥] .

ولم يكن عبد الرحمن التميمي الوحيد الذي ذهب للتفقه في المذهب المالكي في مدينة فاس، وقد قام منسا موسى بإيفاد عدد من طلبة مالي للمراكز الثقافية ببلاد

فيها انظر، محمد بن شريفة :" من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان " إبراهيم الساحلي دوره الثقافي في مملكه مالي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ١٩٩٩م ،ص٨٣،٨٢، ٨٤.

(١) محمد بن شريفه : مرجع سابق ، ص ٨٢.

(٢) المرجع السابق :ص ١٠٣.

(٣) السعدي : تاريخ السودان ، ص٥١ ، أحمد بيير الأرواني : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية ، دراسة وتحقيق الهادي مبروك الدالي ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ليبيا ، طـ١ ، ٢٠٠١م ، ص٩٣ ، ٩٤.

(٤) المصدر السابق ، ص٩٤، كيف تفوقوا على عبد الرحمن التميمي ، وهو من قال عنه سيدي يحيى التادلسى أذا جاء فقهاء سنكرى للأخذ عنه فيقول لهم : " يا أهل سنكرى كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي " لذلك نحن نذهب مع الرأي الذي يرى أن عبد الرحمن التميمي يبدو وأنه كان شافعي المذهب ، ولهذا تفوق علية فقهاء تنبكت المالكين ، فأضطر إلى أن يسافر ليأخذ عن فقهاء المالكية بالقيروان ، أنظر أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني ، ص٢٢٥.

(٥) الارواني : مصدر سابق ، ص٩٤ ، ،٩٥.

المغرب ، ويقول يوسف كيوك بهذا الصدد ، إأذا كانت طريق التقوى والورع تنتهي بالسودانيين إلى مكة المكرمة ، فإن طريق العلم كانت تنتهي بهم إلى فاس(١) ' ولكن المصادر لم تحتفظ لنا إلا بشخصية كاتب موسى(٢) أي الذي كان يتولى وظيفة الكتابة لمنسا موسى الذي أرسله إلى مدينة فاس لطلب العلم والفقه المالكي على يد كبار الفقهاء الفاسيين .

وتشجيعاً لسياسة منسا موسى على استقدام الكثير من الفقهاء من المغرب والحجاز إلى دولته ،استقدم كاتب موسى معه الفقيه عبد الله البلبالى(٣).وقد قامت بينهما علاقة صداقة قوية أثناء وجوده بفاس ، فاصطحبه هذا الكاتب معه إلى مالي وسكن البلبالى مدينة تنبكت ، وكان عبد الله البلبالى أول من تولى إمامة المسجد الجامع من المغاربة(٤). والراجح أن هذا الإمام قد أسهم في ذيوع المذهب المالكي وانتشاره فترة إقامته في تنبكت .وإلي جانب كاتب منسا موسى هناك العديد من الفقهاء الذين تفقهوا في المذهب المالكي وأسهموا في انتشاره ، ومنهم الشيخ مؤدب محمد الكابرى الذي استقر بتنبكت ، وقرأ عليه العديد من طلاب العلم(٥) والذي

---

(١) j .cuoq : L ; Islumisation ,op .cit .p ١٠٩

(٢) هو :الإمام سيدي أحمد كان رحمه الله عالما عادلا ، أنظر ،الأرواني : مصدر سابق ،ص٩٣ ،٩٤، ص١٢٣ .عاش في منتصف القرن الثامن الهجري ، السعدي ، مصدر سابق ، ص٥٧.

(٣) هو : "عبد الله البلبالى ويقول السعدي:"هو جد جدتي أم والدي"جد السعدي"وهو أول البيضان، صلى بالناس في ذلك المسجد في أواخر دولة الطوارق وفى أوائل دولة.سني على ثم جاء إلى تنبكت صحبة الفقيه الإمام القاضي كاتب منسا موسى لما رجع من فاس .وخلفه في الإمامة "أنظر السعدي :تاريخ السودان ، مصدر سابق ،ص٥٨ ، وكذلك ،أبو عبد الله الطالب محمد بن أبى بكر الصديق البرتلى الولاتى ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم ، محمد حجي ،دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ،ص١٥٨، ١٥٩.

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧.

(٥) قرأ عليه الفقه العديد من طلاب العلم منهم الفقيه عمر بن محمد أقيت ،أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص٣٨.

عاصر كثيراً من الشيوخ والفقهاء ومن بينهم عبد الرحمن التميمي الذي جاء إلى مالي صحبة منسا موسى ، كما كان معاصراً للفقيه أندغم محمد الكبير(١).

ومن الفقهاء الذين ساهموا في انتشار هذا المذهب الفقيه الثقة أبو عباس سعيد الدكالي والذي أقام بمملكة مالي مدة طويلة و الذي شغل خطة القضاء بعاصمة مالي أيام السلطان منسا موسى(٢)، وكذلك الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن وانسول الذي تولى خطة القضاء في مدينة جاو(٣) ، والفقيه عبد الرحمن الذي كان قاضيا في نياني العاصمة أيام منسا سليمان(٤) . كما أسهم الفقيه المفتى الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبى بكر بن الحاج في ذيوع هذا المذهب خاصة أنه تولى القضاء في تنبكت زمن دولة مالي(٥) ، وغيرهم كثير من الفقهاء الذين تفقهوا على فقه الإمام مالك ،

Usman Muhammad bugE: cit,op ,p٧٧\٧٨.

(١) هو:"الفقيه أبو عبد الله أندغم حمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح معدن العلم والصلاح ومنة تناسل كثير من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الإباء ومنهم من جهة الأمهات ومنهم من جهتهما معا .فهو عالم جليل قاضى المسلمين ، قال عنه أحمد بابا رحمه الله هو أول من خدم العلم من أجداده فيما أعلم وهو جد جدي لأمة أبو أم جدي" لفظ أندغم حمد من الألفاظ الدالة على التعظيم والتبجيل عند أهل غرب أفريقيا في ذلك الوقت .،أنظر السعدي : مصدر السابق ،ص٢٧، وكذلك أنظر أبو بكر اسماعيل: مرجع سابق ، ص١٩٤.

(٢) ابن بطوطة : رحلته ، ص٦٧٤.

Hunwickm, J.o ; The Mid-Fourteenth Centuryi Capital of Mali The Journal ,of African History,vol.١٤,No.٢(١٩٧٣)p١٩٦٠ .

(٣) وهو من أهل سجلماسة ، وقد عاصر ابن خلدون وصادقه، و أمده بالكثير من المعلومات عن إمبراطورية مالي ، أنظر ، ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٦ .

(٤) وهو فقيه من السودان ، وقابله ابن بطوطة أثناء رحلته وأثنى علية كثيرا ، أنظر :ابن بطوطة ، رحلته ، ص٦٧٠

(٥) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢٧، ٢٨.

وكان لظهور هذا العدد من الفقهاء سبباً من أسباب ذيوع المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية[١].

وعلي أية حال تعد فترة منسا موسى فترة حاسمه في تاريخ المذهب المالكي في السودان الغربي ، فقد أدت جهوده المتعددة إلى ذيوع المذهب المالكي في دولته . وقد سار على نهجه في دعم ومساندة المذهب المالكي أخوه منسا سليمان (٧٤١-٧٦١هـ / ١٣٤١-١٣٦٠م)الذي كان متفقهاً في هذا المذهب[٢] .

وقد تعددت جهود منسا سليمان لنشر المذهب المالكي ودعمه ، منها قيامه بدعوة عددٍ من فقهاء هذا المذهب إلى بلاده[٣] ، ساعد على ذلك العلاقات الودية بين دولته والدولة المرينية في المغرب الاقصي[٤]. وقد أسهم في دعم المذهب المالكي في إمبراطورية مالي نزوح عدد كبير من فقهاء فاس إلى إمبراطورية مالي ، وقد التقي ابن بطوطة بعدد من فقهاء المغاربة أثناء رحلته إلى مالي[٥] .

وامتدت جهود منسا سليمان لدعم المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية إلى بناء المساجد والجوامع التي أصبحت منارة لتدريس الفقه المالكي ، وتأتى شهادة

---

(١) ويقول العمري : " وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، وبقى بها سلطان المسلمين ، وتفقه في الدين .."أنظر العمري : مسالك الإبصار ، ص ٥٩ .، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥، ص ٢٩٧.

(٢) العمري : مصدر سابق ، ص ٥٩ .

(٣) المصدر السابق والصفحة .

(٤) عن علاقة الدولة المرينية بدولة مالي أنظر : ابن مرزوق "محمد بن مرزوق التلمساني المتوفى عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م" : المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبى الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس يعبرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ١٩٨١م، ص٤٥٤، أبن خلدون :مصدر سابق ،جـ٢، ص ١٨٩٦ ، أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني ، ص٢٧٩، ٢٧٢.

(٥) ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص٦٤٧ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ .

حسن الوزان لتؤكد هذا الأمر إذ يقول : " ولمملكة مالي مساجد كبيرة وأئمة وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود مدارس "[١] .

وقد أعانت هذه المساجد الفقهاء والخطباء في نشر المذهب المالكي بين السكان عن طريق الخطب على المنابر، بالإضافة إلى دروس الوعظ بعد الصلاة مما يؤكد حرص هؤلاء الفقهاء على أداء تلك المساجد لدورها الفعال في نشر المذهب المالكي ، بالإضافة إلى تفقيه الكثير من أبناء المجتمع في أمور دينهم ، حيث كان أبناء هذا المجتمع حريصين كل الحرص على طلب العلم ، متعطشين لتعلم الفقه مع شدة حرص على أداء العبادات والمواظبة عليها ، وقد شاهد ابن بطوطة ذلك بنفسه أثناء زيارته لدولة مالي[٢] .

كما كان للعلاقات السياسية بين حكام مالي و المرينيين أطيب الأثر في دعم الصلات الثقافية بين الدولتين ،وترجع بداية هذه العلاقة بين عامي (٧٢٣ـ٧٣٧هـ/ ١٣٢٣ـ١٣٣٧م) وكانت هذه العلاقة عاملا من عوامل انتشار المذهب المالكي وذيوعه في دولة مالي ، وخاصة في عهد منسا موسى الذي نشأت بينه وبين أبى الحسن المريني(٧٣٠ـ ٧٤٩ / ١٣٣٠ـ١٣٤٩م) علاقة طيبة بالإضافة إلى عظمة ملكيهما وبفضل خصالهما الحميدة الثي تنبع من حب الدين الإسلامي والمحافظة على شريعته ، كما كانا يشتركان في حبهما واحترامهما لأهل التدين والعلم ، والحرص على مصالح المسلمين أينما كانوا[٣] .ونضيف إلى ذلك الاعتبارات الاقتصادية لتعطى علاقاتهما مرتكزات أكثر قوة بالنظر لما توفره التجارة الصحراوية

---

(١) الوزان " الحسن بن محمد الوزان الزياتى "٨٨٨ـ٩٥٧ هـ/ ١٤٨٣ـ١٥٥٠م ":وصف إفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥م ، ص ٥٣٩.

(٢) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٣، ٦٧٧.

(٣) ابن مرزوق : مصدر السابق ، ص ١٣٣، ١٦٩.

من أموال لخزائنهما . ولذلك كان هناك أكثر من سفارة وهدايا متبادلة[1] ، ومن هذه السفارات سفارة منسا موسى إلى أبى الحسن المريني لتهنئته بمناسبة فتحه لمدينة تلمسان عاصمة دولة بني عبد الواد ، وكان هذا في عام (٧٣٧هـ / ١٣٣٧م)[2].وأحسن أبو الحسن المرينى استقبال هذه السفارة ، كما قام بالرد عليها بسفارة إلى حاكم مالي منسا موسى لكنها وصلت بعد وفاته ، فأستقبلها منسا سليمان عام(٧٤١هـ/ ١٣٤١م)[3]. وقد فاقت هديته في تلك السفارة هديته إلى الناصر محمد بن قلاوون[4] وعندما عادت السفارة المرينية رافقها وفد من رجال دولة مالي ، جاؤوا إلى أبى الحسن " يعظمون سلطانه ويوجبون حقه ، ويؤدون حق خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتماله في مرضاته"[5] ،ونكتفي هنا بتسجيل حسن سياسة أبى الحسن إزاء حكام مالي وكيف استطاع كسب ود وصداقة حكامها باللين والكلمة الطية " أو ليسوا إخوة في الدين حتى لِتُعانِق فاس نياني وتحضنها وترعاها بحق أسبقيتها للإسلام "[6].

كما كان هناك سفارة أخرى بعد أن ضم أبو الحسن المرينى بلاد ومُلْكَ الحفصيين إلى ممتلكاته، وحيث مهد إفريقية ودخل تونس العاصمة عام(٧٤٨هـ ـ ١٣٤٨م) فانتهز منسا سليمان الفرصة وأرسل سفارة للسلطان المرينى بمناسبة فتحه الجديد[7].واستمرت العلاقات الودية بين مالي و المرينيين في تفاعل مستمر فخرج

---

(١) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٥.

(٢) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٥٤

Levtzion ,N: Islam in west Africa, p ٣٤٩\٣٥٠.

(٣) ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٥٤.

(٤) ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٨٩٦.

(٥) ابن مرزوق :مصدر سابق ، ص ٣٥٥ ،٣٨٥ ، أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع ، ص٢٧٤.

(٦) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥٧.

(٧) ابن خلدون :مصدر سابق ،١٨٩٦

Levtzion ,N : op,cit ,p٣٥.

ابن بطوطة من فاس متوجها إلى مالي عام(٧٥٢هـ/ ١٣٥٢م) وتصادف وجوده في مالي أثناء وفاة أبى الحسن فحضر مراسم عزاء أبى الحسن الذي أقامه منسا سليمان ترحما على روحه وكان هذا لعظيم مكانته عنده[١].

وقد استغل حكام دولة مالي الإسلامية تلك العلاقات الودية في دعم الحياة الدينية والثقافية في دولتهم ، فأوفدوا طلاب العلم إلى فاس عاصمة دولة المرينيين[٢] وخاصة إلى

جامع القرويين[٣] ، والمدارس الوقفية التي بنيت في هذا العصر ، حيث شهدت الدولة المرينية بناء العديد من المدارس الأخرى[٤] مما كان سبباً في رحيل كل طالب علم إليها لدراسة الفقه المالكي.

كما تعد اللغة العربية من أسباب انتشار المذهب المالكي وذيوعه في دولة مالي الإسلامية أيضا . واللغة العربية بصفتها لغة هذا الدين الإسلامي قد تغلغلت في

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق : ص ٥٧.

(٣) جامع القرويين الذي صار مفخرة حقيقية لمدينة فاس يرجع إلى عهد الزناتيين الذين خلفوا الأدارسة ، الذين ارتبطوا بالأندلس ، رغبة منهم في إقامة علاقات وثيقة ، وقد اشتهرت مدينة الضفة الغربية لوادي فاس باسم عدوة القرويين نسبة إلى جامعها الذي صار أشهر مساجد المغرب الأقصى وأعرقها ، بعد أن طغى بشهرته على جامع الادارسة الحقيقي ، أنظر سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ، جـ٢ ،ص٥١٢.

(٤) مثل مدرسه الحلفائيين التي بناها في عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٥م، السلطان أبو يوسف يعقوب المرينى "٦٥٦ ـ ٦٨٥هـ / ١٢٥٨ـ١٢٨٦م" ، كما أمر السلطان أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المرينى "٧١٠ـ٧٣١هـ/ ١٣١٠ ـ ١٣٣١م" ببناء مدرستين الأولى مدرسه فاس الجديدة والتي أكتمل بناؤها عام "٧٢١هـ ـ/ ١٣٢١م" ، والثانية مدرسه العطارين التي بنيت عام "٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م" ، للمزيد عن مدارس فاس ، أنظر دكتور حسين مراد :الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس في العصر المرينى ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، القاهرة ٢٠٠٢م، ص٨٤، ٩٣.

أعماق المجتمع المالي كله ، بسبب ذلك التأثير الإسلامي القوي الذي شمل سائر الحياة العامة . وأصبحت هذه اللغة لغة رسمية فغدت لغة التخاطب والتجارة في ربوع المدينة والأقاليم المجاورة لها ، خاصة بها عندما استقرت العائلات العربية والبربرية مع مرور الزمن في مالي ، وكونت أحياء خاصة في تلك المنطقة[١].هذا بالإضافة إلى أن الكثير من الشعوب الإفريقية قد ادعت الأصول الشريفة ، كما أن مؤلفات كبار فقهاء المالكية كانت تدرس في مالي ، مما سمح لأهلها أن ينهلوا من معين اللغة العربية ، ويتعمقوا في دراستها مما أتاح لهم قراءة مؤلفات كبار فقهاء المذهب ودراستها .

كما استخدم سكان دولة مالي الإسلامية اللغة العربية كلغة مشتركة حية في مختلف مجالات حياتهم ، الأمر الذي مكّن للغة العربية من التأثير الفعال في لغاتهم المحلية من خلال دخول الكلمات ذات الأصل العربي في تلك اللغات المحلية . من أجل هذا لم يُخطئ سير توماس أرنولد حين قال منصفا : " بلغت اللغة العربية وهى لغة القرآن درجة عظيمة من الذيوع والانتشار ، حتى غدت لغة تخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء ، ثم يردف ذلك بقوله : "وهذا تقدم كبير في الحضارة الإفريقية "[٢].وبهذا ساعدت اللغة العربية سكان السودان الغربي في الانفتاح على العالم الإسلامي الذي أصبح مفتوحاً أمامهم .

ولقد كان تأثير اللغة العربية وانتشارها بين أهالي بلاد السودان الغربي حكاما ومحكومين كبيراً، ويتأكد لنا مدى إتقان الحكام للغة العربية في بعض الأبيات

---

(١) ابن بطوطة: مصدر سابق ، ص ٦٦٤، ٦٦٥.

(٢) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين وآخرين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ٣٤٩. ، إبراهيم على طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، دار النصر للطباعة ، ص ٣٣، ٣٤.

الشعرية التي انشدها إبراهيم الساحلي في مكة المكرمة وأعجب به منسا موسى . ونستفيد من ذلك أنه كان يفقه العربية ويتذوق الشعر العربي[١].كما جاء في مسالك الأبصار أن هذا السلطان كان يجيد التكلم باللسان العربي ، ولكنه حينما كان في مصر لم يكن يتحدث مع الرسميين إلا بواسطة ترجمان[٢].

ومن الأدلة كذلك على انتشار اللغة العربية شواهد القبور التي اكتشفت في منطقة تادمكة[٣] والتي ترجع إلى عام(٤٠٠هـ/ ١٠٠٦م)[٤]، بالإضافة إلي شواهد القبور المكتشفة قرب مدينه جاو والتي يرجع تاريخها أقدمها إلى (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)[٥] لتؤكد أن بدء انتشار اللغة العربية يرجع إلى ما قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي[٦].

وإذا كانت اللغة العربية لغة العلم والثقافة فقد كانت أيضاً لغة الحكومة والمراسلات السياسية ، فمراسلات منسا موسى إلى سلطان مصر المملوكي الناصر محمد بن قلاوون كانت تكتب بهذه اللغة . كما كان بلاط منسا سليمان يعج بالفقهاء

---

(١) محمد بن تشريفه : من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، ص ٩٢.

(٢) العمري : مسالك الأبصار ، جـ٤ ، ص ٧١ .، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٩٥.

(٣) تادمكة : معنى الاسم هبة مكة ، وهى أشبه بمدينة مكة ، وهى مدينة كبيرة وأحسن غناء من مدينة غانا ، وجاو أهلها بربر مسلمون ، والمسافة بينها وبين القيروان خمسون يوما ، أنظر : البكري : المسالك والمالك ، جـ٢ ، ص٣٧٠ ،٣٧١.

(٤) Hunwick , j :op.cit .p١٦.

(٥) Fernando , Palo : histoire contre memoire epigraphie chronlques tradition orale et lieux d,oubli da ne le Sahel mallen , putication del ,institute des etudes Africaines Rabat ١٩٩٣.p١٨

(٦) Hunwick , j :op.cit .p١٦.

المغاربة الذين أقاموا في دولته أو الذين دعاهم إلى بلاده لتدريس المذهب المالكي[١] كما كان الخط العربي الذي نجده في هذه البلاد هو الخط الذي يطلق علية الخط المغربي[٢] .

وهكذا تعددت الأسباب التي أدت إلى ذيوع المذهب المالكي وانتشاره في بلاد السودان الغربي في زمن دولة مالي الإسلامية . وبزوال تلك الدولة من مسرح الأحداث التاريخية[٣] ، انتقلت السيادة على تلك المنطقة الحيوية إلى دولة صنغى

---

(١) القلقشندي : مصدر سابق ، جـ ٥، ص٢٩٧.

(٢) العمري : مصدر سابق ، ص ٧٤.

٣- بدأ سلطان دولة مالي الإسلامية في أفول مستمر نتيجة للصراع على السلطة وتفاقم الخلافات الأسرية بعد وفاة منسا موسى ، وقد زاد الأمر سوءاً انفصال صنغى في عام(٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، ولم يفلح منسا سليمان في استعادتها ، كما باءت محاولات منسا موسى الثاني(٧٧٦ـ٧٨٩هـ/ ١٣٧٤ـ١٣٨٧م)الرامية لإعادة صنغى إلى حظيرة مالي بالفشل ، حيث فشل وزيره القوى ماري جاطة في إخضاع أقاليم صُنغى الواقعة بالقرب من جاو ، وكذلك أخفق في السيطرة على طوارق تكدا ، والجدير بالذكر أن ملوك صنغى الذين خلفوا زاكسى الذي أسلم طوعا في مطلع القرن الحادي عشر كانوا يحملون لقب ذا ، وهم ينتمون إلى عائله ضياء التي جاءت من طرابلس واستقرت في جهات نهر النيجر ، وكان ملوك صُنغى خاضعين لنفوذ مالي خضوعا واهيا ،أنظر Trimingham,op.cit,p٩٢/٩٦.

إلي أن انتزع على كولن حرية صُنغى في عام "٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م"، متخذا لنفسه بدلا من لقب ذا لقب سني ، أنظر السعدي : مصدر سابق ص٣، هذا وقد ظلت عائلة سني تحكم منذ تلك الفترة وحتى عام(٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) بعد أن أسست دولة صنغى الإسلامية كدولة استوعبت مناطق مترامية الأطراف ، وأخضعت شعوباً مختلفة ، لم يتحقق إلا في عهد سني على (٨٧٠ـ٨٩٨هـ/ ١٤٦٥ـ١٤٩٢م)، وسني على كان الحاكم رقم خمسه عشر في سلسلة ملوك عائلة سني التي هي من عائله ضياء الأمازيغية الطرابلسية ، أنظر عبد القادر زباديه ، مملكه سنغاى في عهد الاسقيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، بدون تاريخ ص٢٧، فقد خلف ولده سني مادوجو الذي كان عسكريا مقتدرا والذي أورثه خبرات واسعة في هذا المجال الحربي ، وتمكن سني على من إخضاع جميع المناطق الواقعة على منحنى نهر النيجر حتى مدينه جني الإستراتيجية ، كما توسع في أقاليم كوروما وشمال ياتنجا ويانجارا ، غير أنه وجد مقاومه عنيفة من قبائل الموسى ولم تتم له السيطرة عليها ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ،ص٤٥،

الإسلامية وفي عهدها تحققت السيادة للمذهب المالكي وخاصة في فترة حكم الأساكى(٨٩٨-٩٩٩هـ/ ١٤٩٢-١٥٩١م) .

سيادة المذهب المالكي في صُنغى[١] :

يري الناظر لدولة صُنغى أنها من أطول الدول عمراً ، فقد بدأت بذورها في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، وهى بذلك عاصرت دولة غانة ودولة مالي الإسلامية ، وانتهت هاتان الدولتان وبقيت صُنغى على مسرح الأحداث واستمرت تقوى باستمرار وتتوسع ، حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، حيث انتهت بحملة المغاربة على البلاد عام(١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م)[٢].

وقد أصبحت مدينة (جاو) عاصمة لها منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، وتقع هذه المدينة عند منحنى نهر النيجر ، وقد أصبحت هذه المدينة من أهم مراكز التجارة والثقافة في السودان الغربي ، وهى تشبه مدينة غانة بالنسبة إلى البلاد الواقعة في أعالي النيجر[٣] .أما قبل ذلك فقد كانت عاصمتهم الأولى (كوكيا)

Michel A. Gomez: Timbukta under Imperial songhay, areconsi duration of aunomy , Spellman college , Atlanta journal of African history ١٩٩٠,printed in great Britain vol ,٣١, p٦-٨.

(١) نسبة إلى قبيلة صُنغى ، وهى قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد ، ثم أخذت تنتقل إلى الشمال مع النيجر ، وفى القرن الأول الهجري / السابع الميلادي كانت تمتد مساكنها حول النيجر بحوالي ١٥٩كلم ، وتمتهن صيد الأسماك وزراعة الدخن ، وفى هذا الوقت بدأ انتظام شعبها تحت سلطة واحدة ، أنظر : عبد القادر زبادية : مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى وشرقي القارة الإفريقية وغربيها ، مطبوعات معهد الدراسات العربية ، مصر ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م ، ص ١٠٩،

Gerrit J : Dimmendaal: Lexique dendi (songhay) (Djugou,benin)avec un index francais _dendi by petr zima ,Journal of the International African Institute,vol.٦٦,no.٤|١٩٩٦, p ٣٦٢.

على نهر النيجر الأدنى ، وهى تبعد عن (جاو) قرابة مائة وخمسين كيلومتراً إلى جهة الجنوب[١] .

وقد حكمت ُصنغى في البداية أسرة مؤسسها الأول هو ديا (ضياء) وأصله من اليمن[٢] والتي ظلت تحكم هذه البلاد حتى عام (٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) . ثم انتقل الحكم بعدها إلى عائلة سني التي حكمت بين عامي (٧٣٦ـ٨٩٩هـ / ١٣٣٥ـ١٤٩٩)وعائلة سني[٣] هي فرع من فروع عائلة ضياء السابقة الذكر ، وقد تولت عائلة سني الحكم عندما استقل بُصنغى على كلن وكان هذا في عام(٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م) وفصلها عن دولة مالي الإسلامية . إذ إن ُصنغى كانت خاضعة لدولة مالي منذ عام(٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)حيث كان علي كولن يعيش هو وأخوه سليمان نار في عاصمة دولة مالي الإسلامية[٤]إلى أن استطاع الأخوان الهرب

---

(١) عبد القادر زيادية : مرجع سابق ، ص ٢٥، ٢٦.

Hunwick,J.o : gao and the Almoravids Revisited : Ethnicity ,political Change and the limits f Iterpretin ,The Journal of African history ,vol.٣٥,No.٢/١٩٩٤,p٢٥٢.

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٤.

Hunwick,J.o : IdeL ,p ٢٥٣.

(٣) لقب " ذا " لقب "سني " بمعنى المحرر ، أنظر السعدي : تاريخ السودان ، ص٣. بينما يرى الدكتور الأمين عوض الله أن لقب سني لا يستبعد أن يكون على كولن قد أتخذ هذا اللقب ليظهر التزامه بسنة الرسول الكريم وعليه ، يكون لقب "سني " مشتق من السنة المحمدية ، أنظر : الشيخ الأمين عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغى ، جدة ، دار المجمع العلمي ، ١٩٧٩م ، ص٦٦.

(٤) تطورت دولة مالي الإسلامية ، وعند عودة منسا موسى من رحلة حجه الشهيرة "٧٣٣هـ/ :١٣٣٢م" رأى أن يثأر من ُصنغى فعرج على عاصمتها جاو ، وكان ملكها قد مات حديثا وخلف ولدين صغيرين هما على كولن وسليمان نار ، فأخذهما منسا موسى معه إلى عاصمته ، ويعلل السعدي ذلك بقوله : " إنه أخذهما للخدمة عنده على عاداتهم فيما يختص بأبناء الملوك الذين في طاعتهم "أنظر السعدي ، تاريخ السودان ، ص٦.

عندما بلغا مبلغ الرجال من دولة مالي ولجأ كلاهما إلى العاصمة جاو[1] حيث لقيا الإخوان ترحيبا من الأهالي الذين استقبلوهم استقبالا كبيرا تعبيرا عن تأييدهم لهما. وبالفعل تم طرد الجنود التابعين لدولة مالي الإسلامية، ثم كانت المعركة الفاصلة التي دارت عام(٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م) . بين دولة مالي وُصنغى والتي انتهت باستقلال الثانية عن حكم سلاطين دولة مالي، وبذلك تكون ُصنغى قد حصلت على استقلالها التام[2] . وعين على كولن نفسه ملكاً على دولة ُصنغى الناشئة، وقد حكم من هذه الأسرة ثمانية عشر أميراً[3].

وهكذا ظلت عائلة سني تحكم منذ تلك الفترة حتى عام(٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) حيث دخلت ُصنغى في طور الدولة الكبرى القوية حيث استوعبت مناطق مترامية الإطراف وأخضعت تحت سيادتها شعوباً مختلفة، و كان هذا في عهد على بير الكبير سني على (٨٧٠ـ٨٩٨هـ/ ١٤٦٥ـ١٤٩٢م) . حيث قام بتأمين حدود دولته من الناحية الشرقية[4].

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) فيج جى . دى : تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة سيد يوسف نصر، القاهرة، ١٩٨٢م، ٦٢.

(٣) منهم، (١) على كلن، (٢)سليمان نار، (٣) إبراهيم كاباى، (٤) عثمان كانافا، (٥) بارى كينا، (٦) محمد دع، (٧) محمد كونيجيا، (٨) محمد فارى، (٩) كاريبفو، (١٠) مارفى كول، (١١) مارى هاى، (١٢) ماردانو، (١٣) سليمان دام، (١٤) على بير، (١٥) بارى دع، (١٦) سني مادو جو، (١٧) سني على، (١٨) أبو بكر داعو، وكان هذا أخر حكام أسره سني على، حيث أل الحكم إلى أسره جديدة وهى أسرة الاساكي وكان ذلك في عام (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣) و للمزيد أنظر : عبد القادر زبادية : مملكة سنغاى، ص ٢٦.

(٤) عندما تولى سني على مقاليد الأمور كانت دولة مالي الإسلامية تحتضر من الضعف الداخلي والضغوط الخارجية التي جاءت في المقام الأول من ملوك صنغاى وقبائل الموشى، فسارع سني على بالتهام أملاك دولة مالي الواحدة تلو الأخرى، وتقدم شرقا فأخضع إمارات الهوسا وكاتسينا وجوبر وكانو وزنغفارة وزاريا، وعرج غربا حتى استولى على بلاد الماندنجو والفولاني، وشمالا حتى موطن الطوارق، أنظر أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، جـ٦، طـ٤، القاهرة

وتمكن سني على هذا من إخضاع جميع المناطق الواقعة عند منحنى نهر النيجر وحتى مدينة جني[١]، كما سيطر على مدينة والانه وإقليم التكرور حتى المحيط الأطلنطي، ويلغت دولة صنغى بذلك اتساعاً لم يسبق أن بلغته من قبل، مما نتج عنه زيادة قوتها واتساع سلطانها السياسي والاقتصادي، وبذلك يكون سني على بتلك الحروب والانتصارات نجح في أن يكون صاحب الفضل في تحويل مملكته الصغيرة إلى إمبراطورية إسلامية كبيرة تضاهى أكبر إمبراطوريات ذلك الوقت[٢].

بعد وفاة سني على عام (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)، تولى ابنه الأكبر أبو بكر داعو الحكم بوصفه وريثا شرعياً للحكم في بلدة دنغ عام(٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م). ولكن لم يمتد حكمه للبلاد سوى بضعة أشهر، حيث قام القائد محمد تورى[٣] أحد قادة جيوش سني على بانقلاب ضده للاستيلاء على الحكم عام(٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م).

مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٣م، ص ٢٦٢.

(١) مدينة جني: تقع جني على مسيرة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تنبكت، وتقع على الضفة اليسرى لنهر بني، أحد روافد نهر النيجر، وتقوم على هضبة صخرية وسط سهل فسيح تغطيه المياه في الخريف، ويبدو أن تأسيس مدينة جني كان حوالي القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي أو قبله، أنظر السعدي: تاريخ السودان، ص ١١، أبن الوزان: وصف أفريقيا، ص ٥٣٧.

Roderick.J: McIntosh and Susan Keech McIntoshFrom Siecles Obscurs to Revolutionary Centuries on the Middle Niger Author(s) World Archaeology, Vol. ٢٠,.No. ١, Archaeology in Africa (Jun., ١٩٨٨), pp١٤١-١٦٥

,Lansine kABa , L: op,cit,p ٢٥٤.

(٢) محمد أنور توفيق: دولة سنغاى الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ١٩٧٧م، ص ٣٩.

(٣) هو " القائد محمد تورى بن أبى بكر" كان من أصل سوننكى ،كما كان ضابطاً بارزاً من ضباط جيش سني على بارو، قام بحركة انقلاب بعد وفاة سني على، و اتخذ لنفسه لقب الاسكيا ليكون صفة مميزة لحكمه وحكم سلالته، أنظر السعدي: مصدر سابق ص٧١، ٧٢.

وبانتهاء حكم أسرة سني الذي استمر زهاء تسعة قرون[١] قامت أسرة حاكمة جديدة عرفت بلقب جديد هو (الأساكى)[٢]، ويعتبر تسلم الأسكيا محمد عرش دولة صنغى الإسلامية بداية عهد انتظام المملكة وبداية سيادة المذهب

المالكي زمن الأساكي وقد تحققت السيادة في دولة صنغي لعدة عوامل سوف نعرض لها الأول منها هو جهود بعض حكام دولة صنغى وخاصة أسكيا محمد الكبير(٨٩٨ ـ٩٢٤هـ / ١٤٩٢ـ١٥٨٢م)[٣] ،وابنه أسكيا داوود(٩٥٦ـ٩٩١هـ / ١٥٤٩ـ١٥٨٣م) اللذيْن عملا على تشجيع فقهاء المالكية في دولتهما ومنحوهما حرية مطلقة . وتنص المصادر التاريخية على أن الأسكيا محمد الذي كان مالكي المذهب قد مهد الطريق لفقهاء المالكية للتمكين لهذا المذهب في دولته، ساعده على ذلك أسرته الصالحة التي نشأته في بيئة علمية أدت إلى تحمسه لعقيدته الإسلامية ولمذهبه المالكي ، فأبوه كان من العلماء وأمه كانت صالحة تقية[٤]، وقد وصلت به

---

(١) Hunwick,J.o : Gao and the Almoravids Revisited,٢٥٤.
Usman Muhammad bugE: cit,op ,p٨٥.

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٧١، ٧٢. الاساكى : " اتخذ محمد تورى لنفسه لقب "الاسكيا" ليكون صفة مميزة لحكمه وحكم سلالته ، ويشير السعدي إلى سبب هذه التسمية ، بقولة : "...ولما بلغ الخبر بنات سني على قالت أسكيا معناه في كلامهم لا يكون إياه فلما سمعه أمر أن لا يلقب إلا به فقالوا أسكيا "ومعناها المغتصب لأنة أغتصب السلطة من أبى بكر داعو ، وهذا اللقب اشتهرت به الأسرة التي أسسها.

(٢) Alice Louise Wiilard: The Songay in the West African world-System, A dissertation submitted to The Johns Hopkins University in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Baltimore, Maryland,١٩٩٩,p٣٠٢ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧١، ٧٢.
R. W. Niezen: The 'Community of Helpers of the Sunna': Islamic Reform among the Songhay of Gao (Mali) Africa: Journal of the International African Institute, Vol. ٦٠, No. ٣ (١٩٩٠), p. ٣٩٩

(٤) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٦٩.

العاطفة الدينية الإسلامية إلى أن أرجع نسبه إلى الصحابي جابر بن عبد الله الانصارى المتوفى عام (٧٨هـ / ٦٩٧م) ولهذا نشأ غيوراً محباً لدينه مصلحاً تقياً حتى إنه شكل دولته على أسس الشريعة الإسلامية(١).ولذلك يعد من أعظم ملوك الُصنغى فقد " فرج الله به على المسلمين الكروب وأزال به عنهم البلاء والخطوب ، حيث اجتهد في إقامة الملة وإصلاح أمور الأنام ، وصاحب العلماء واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد"(٢) .

وبفضل أسكيا محمد تخلصت البلاد من حكم عائلة سني على ، وكان بعض حكام هذه العائلة من المتمسكين بالتقاليد الوثنية لذلك خرج أسكيا محمد على حاكم الدولة المدعو سني بارو عام(٨٩٨/ ١٤٩٤ـ١٤٩٣م)لأنه كان كوالده سني على(٨٦٩ـ٨٩٨هـ/ ١٤٦٤ ـ١٤٩٢م) متمسكاً بالتقاليد الوثنية ومهملا لقواعد الشريعة الإسلامية . فالأب سني على كان يغلب عليه طابع البداوة ، كما كان فاجرا ظالما متلاعبا بالدين وفقا لما ذكره كعت والسعدي(٣) حيث حاول التوفيق بين الأنماط الإفريقية المرتكزة على السحر والشعوذة ، وبين ما جاءت به الشريعة الإسلامية . ولذلك خشي من علماء تنبكت أن يهددوا نفوذه باسم الدين، الأمر الذي جعله يضطهدهم ويعاملهم بقسوة(٤) ، مما كان سبباً لهربوهم من مدينة تنبكت إلى مدينه ولاته(٥) .

(١) Hunwick, j :Songay Borno and Housland in sixtath century, book history of west Africa, vol٢ second edition ,London ١٩٧١,p٢٤.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٣.

(٣) كعت : مصدر سابق ، ص ٤٣، ٤٤، السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٧.

(٤) Trimingham .op .cit ,p.٩٤

(٥) يؤكد بعض المؤرخين أنها أسست منذ قرون عديدة تحت اسم بيرو ، وأنها كانت على صلة قوية بإمبراطورية غانة منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، قبل أن يتم تحويل أسمها إلى ولاته في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر، في هذا الصدد أنظر
unesco : patrimoine culturel de I,humanite ,bulletein d,informntion ne

وقد توفى سني علي في ظروف غامضة عام (٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م) أثناء عودته من حملة ضد بلاد كرم[1] بعد أن بقي في الحكم حوالي سبع وعشرين سنة وأربعة أشهر وخمسة وعشرين يوما[2] وتم تنصيب ابنه الأكبر أبي بكر داع في عام (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) في بلدة دنغ خلفا له[3] ، ولكن حكمه لم يمتد سوى بضعة أشهر حيث حاصرته التحديات منذ الوهلة الأولى ، فقد تطلع أحد قادة جيوش والده للحكم وهو محمد تورى بن أبى بكر الذي حشد قواته وعمل على استقطاب العلماء والأنصار إلى جانبه مستفيدا من ممارسات أبى بكر داعو التي كانت لا تتفق مع روح العقيدة الإسلامية . فقد بدأ أبو بكر داعو يستمد سلطته من السحر والشعوذة والتقاليد الوثنية ، ولذلك اعتبره صاحب الفتاش في عداد الكفرة[4] وانتهز القائد محمد تورى عدم التزام أبى بكر داعو بالتعاليم الإسلامية فخرج عليه، و جعل ذلك مبرراً لإقصائه . ونتيجة لذلك أرسل إليه محمد تورى أحد كبار الفقهاء وهو الفقيه العالم الصالح محمد تل الشريف ، يدعوه للإسلام ونبذ التقاليد الوثنية وإعلان ولائه للإسلام كدين للدولة[5] .

٢٣-٢٤, ١٩٨٣,p.٢٤.

أما سكانها فيعتقدون أن تأسيسها سابق لظهور الإسلام وأنها فتحت علي يد عقبة بن نافع في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، والذي يوجد قبر أبنه العاقب بن عقبة بالقرب من مسجدها بحسب ماتوارثوه من روايات ، أنظر الخليل النحوي : بلاد شنقيط المنارة والرباط ، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجماعات البدوية المتنقلة "المحاضر" مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، ١٩٨٧، ص ٦٥.

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧١.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ،ص٥٣، ٥٤.

(٣) نفس المصدر : ص٥٢، السعدي : مصدر سابق ، ص ٧١.

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٣، ٥٤.

(٥) أرسل الاسكيا محمد الفقيه العالم محمد تل الشريف إلى شي بار يدعوه إلى الإسلام وهو في بلدة أنفع فأبى وامتنع وأغلظ للفقيه بالكلام وأرتكب فيه امرأ عظيما حتى هم بقتله وصده الله عن ذلك بقهره

وعندما رفض أبو بكر داعو الاستجابة لدعوة محمد تورى التقى به الأخير في معركة حاسمة بالقرب من جاو عاصمة صُنغى ودخل القائد محمد تورى العاصمة جاو عام (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) ، وبهذا تمت الإطاحة بحكمه وبحكم سلالته لدولة صُنغي والذي استمر زهاء التسعة قرون[١].

وقد أدى قضاء محمد تورى على أسرة سني على ، إلى اعتلائه عرش دولة صُنغى[٢] واتخذ لدولته مظهراً إسلامياً في كل معاملاتها ، كما كان متحمساً للإسلام وللفقهاء ، كل هذا أدى إلى تعميق الوجود الإسلامي في الدولة ، وأدى إلى ارتفاع شأن فقهاء المالكية الذين عادوا إلى مدينه تنبكت التي كانوا قد فروا منها زمن

وغلبته ورجع إلى الأسكيا محمد وبلغه الخبر من أبيه شي بار وما فعلة بة ،وبعد ذلك أرسل أسكي محمد الفقيه صالح جور إلى وشى بار ثانيا وأتاه وبلغة رسالة أسكي محمد فما أزداد إلا عتوا و أبآية وامتناعا وتجبرا وأتى بأشد من فعلته الأولى ، حيث أشار علية وزراؤه بقتل هذا العالم حتى وقال له أذهب بقتل هذا العالم حتى تنقطع رسله ولا يرسل لك مرة ثانية ، ولكن منعه الله وقال له أذهب لمرسلك فأن رجع إلى بعد رسول منه فدمه في عنقك ، وذهب للأسكيا محمد وأخبره ما حدث ومدى أبايته من الدخول في الإسلام ، جمع الاسكيا محمد أهل مشورته من العلماء والأكابر وشاورهم في أمرة فأشاروا علية بإرسال رسول ثالث يداريه ويلين له في الكلام لعل الله يهديه إلى الإسلام فأرسل الفقيه القاضي محمود كعت ،فأمتنع وزاد أبآية وأمر بضرب طبول الحرب وذهب وبلغ الاسكيا محمد بيا حدث وأستعد للحرب وبايعه الجميع على الموت . أنظر محمود كعت :الفتاش ، ص٤٤، ٤٥ ، ٤٦.

(١) دائرة المعارف الإسلامية : نقلها للعربية محمد الفندى ، أحمد الشنتاوى، وآخرون ، تهران ،مادة صنغى ، مجلد ١٢ ، ص٢٦٥

Davidson Basil:The Africanpast ,London ,١٩٧١,P٢٥.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥٨ ،

Michael A . Gomez : Timbuktu under Impetial song hay , A reconsideration Autonomy ,the journal of African history ,Cambridge University press ,١٩٩٠, p٩.

,Lansine kABa: cit,op,p ٢٤٤/٢٥٦.

سني على[١] . وبعودتهم وبفضل رعاية أسكيا محمد لهم وللفقه المالكي ، أصبحت مدينة تنبكت مركزاً مهماً للفقه المالكي في دوْلة صنغى يقصدها الفقهاء وطلاب العلم .

وبتولي أسكيا محمد الحكم ارتفاع شأن المذهب المالكي ، فقد اشتهر بالورع والتقوى كما كان مراعياً لحرمة الدين ملتزماً باتباع أحكامه ، كما كان له ميل شديد لنشر الإسلام السني وجعله ديناً ودولة . كما كان له اهتمام كبير بالفقهاء ، يأخذ برأيهم في جميع شؤونه ، " كان يسأل العلماء عن سُنة رسول الله صلى الله علية وسلم ويمشى على أقوالهم "[٢] ، في أمور الدين والدنيا[٣] ، وفى أمور السلم والجهاد .

وكان لخروج أسكيا محمد للحج عام(٩٠٢_٩٠٣هـ/ ١٤٩٦_١٤٩٧م)[٤] أثر كبير في دعم المذهب المالكي في دولته بين رعاياه ، حيث لقي أعلام الإسلام بمصر والحجاز والمغرب، ففي مصر التقى بالإمام السيوطي المتوفى عام (٩١١/ ١٥٠٥م)[٥].

---

(١) ,Elspwth ,j, B,A: op.cit, p٣٥,Lansine kABa , L: op,cit,p ٢٥٤.
z Michael A . Gomez : Ibid ,p ٨.

(٢) ومن هذا أسئلته للإمام السيوطي في مصر أثناء رحله حجة ، أنظر ، البرتلى ، مصدر سابق ، ص١١١ ، وكذلك أسئلته للإمام المغيلى ، وعن جهل علماء بلادة بالأمور الدينية ، انظر المغيلى :"محمد بن عبد الكريم" ،أسئلة الاسكيا وأجوبه المغيلى، تقديم عبد القادر زبادية، الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م ، ص٣٢.

(٣) كعت : مصدر سابق ، ١١، ١٢.

(٤) نفس المصدر : ص ١٦.

(٥) هو" جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي ، أنظر عبد الرحمن السيوطي : الحاوي للفتاوى ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ٢٠٠٤م ، مقدمة الكتاب .

وبعد عودة الاسكيا الحاج محمد الكبير من رحلة حجه " زاد حماسه لنشر الدين الإسلامي والتمكين للمذهب المالكي فيقول الوفرانى في هذا الصدد :"فرجع إلى السودان فنصر السنة و أحيا طريق العدل وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ومال للسيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الأحوال "[١].

ومن ذلك اهتمام الأسكيا الحاج محمد الكبير بعد رجوعه من رحلة الحج بمحاربة الإمارات الوثنية ، مما كان له أثر كبير في سيادة وتمكين المذهب المالكي ، وخاصة بعد أن أصطحب معه الفقيه الصالح" مور صالح جور" ليبين له أحكام الجهاد في سبيل الله وفق المذهب المالكي[٢]، فخرج عام(٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) للجهاد ضد دوله الموشى الوثنية[٣] وقد قام بإرسال الفقيه الصالح مور صالح إلى سلطان الموشى يدعوه للإسلام ونبذ الوثنية أو الالتزام بدفع الجزية. غير أن سلطان الموشى رفض الاستجابة لهذا العرض ، مستجيبا لأوامر كاهن معبدهم الوثني الذي أشار عليه بعدم ترك دينه ودين آبائه وأجداده ، وما أن نقل له الفقيه العالم الصالح مور صالح ما دار بينه وبين حاكم الموشى ، لم يجد أسكيا الحاج محمد بدا من الاستعداد

(١) الوفرانى :"محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله " نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، ط٢ ، الرباط ، مكتبه الطالب ، بدون تاريخ ، ص ٩٠ .Michael A . Gomez : op,cit. p٩

(٢) السعدي : مصدر سابق ص٧٤، إبراهيم طر خان : إمبراطوريه صنغى الإسلامية ، مجله كليه الآداب ، جامعه الرياض ، مجلد ٨ ، الرياض ، ١٩٨٦مص١٦.

(٣) دولة موشي دولة ظهرت في منعطف نهر النيجر ، وكانت ذات تنظيم سياسي وعسكري ، وأهلها من المحاربين الذين هاجموا تنبكت ، وخربوها زمن منسا موسى حاكم مالي ، وفى عهد صنغى دخلوا في صراع عسكري مع حاكمها سني على وأسكيا محمد اللذيي شنا عليهم حربا باسم الإسلام ، أنظر ميشيل إيزارد : شعوب وممالك منعطف نهر النيجر وحوض الفولتا ، تاريخ أفريقيا العام ، اليونسكو ١٩٨٨م، مجلد ٤ ، ص٢٢٥،٢٢٣،

Michael A .Gomez :op,cit,p٥.

للقتال خاصة وأن أهل الموشى قد أعدوا العدة لمحاربته . وفى هذا الصدد يقول السعدي:"فقاتلهم وقتل رجالهم وخرب أرضهم وديارهم وسبى ذرا ريهم فكل من أتى من هذا السبي من رجال ونساء صاروا مباركين ولم يكن في هذا الإقليم جهاد في سبيل الله إلا هذه الغزوة وحدها"[١] ،وإذا كان هذا العمل يدل على حرص الأسكيا الحاج محمد الكبير على نشر الإسلام وإعلاء كلمه الله ومحاربه البدع والخرافات في أيامه[٢] فإنه يدل أيضا على تقديره لفقهاء المذهب المالكي الذين استعان بهم في كل أمور دولته مما أعان على التمكين للمذهب المالكي في ربوعها .

كما اتصل الأسكيا محمد عام(٩٠٢هـ / ١٥٠٢م) بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلى[٣]المتوفى عام(٩٠٩هـ/ ١٥٠٩م)والذي يعد من كبار فقهاء المالكية في عصره . وذكر له الأسكيا جهل بعض علماء بلاده بالأمور الدينية واللغة العربية ، وبالتالي عدم أهليتهم الشرعية في تولى مناصب الدولة المهمة ، فكان رد الإمام المغيلى للأسكيا محمد ناصحاً له بقوله :"...وجب عليك أن تطلب عالما من أهل الذكر، فالعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في الأمم الماضية يجب الاعتماد عليهم والسعي إن بعدوا ..."[٤] .

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص٧٤.

(٢) المغيلى : مصدر سابق ، ص٤٦.

(٣) المغيلى "هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكرينم بن محمد المغيلى التلمسانى ، ولد في تلمسان شمال غرب الجزائر من أسرة بربرية من قبيلة مغيلة، وهو من العلماء القلائل الذين حفظت مؤلفاتهم وبقيت ذكراهم إلى يومنا هذا في بلاد السودان الغربي وتوفى عام"٩٠٩ هـ/ ١٥٠٩م"أنظر ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ص٥٧٦،٥٧٧ ،

Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran:A Contribution to the Biography of sheikh Muhammad Ibn,Abd-Al-kariam Ibn Muhammad, Autonomy ,the journal of African history vol ١٤,no.٣/١٩٧٣ Cambridge University press ,p٣٨١/٣٩٤.

(٤) المغيلى : أسئلة الاسكيا ، ص٣٢،

Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran:Idel ,p ٣٨٢

وقد أصبح هذا التوجيه حافزاً للأسكيا محمد الكبير فعمل بكل قوة لرعاية العلماء واستقطابهم ودعوتهم من جميع أنحاء العالم الإسلامي ، ويعد محمد عبد الكريم المغيلي من الوافدين إلى بلاط أسكيا محمد في مدينة جاو ، واتخذه الأسكيا محمد مستشاراً دينياً له ، كما أقام الإمام المغيلي حلقات علمية ، ومارس نشاطه في التأليف ، وكان له مناظرات دينية مع العلماء[1] .

والجدير بالذكر أن الأسكيا الحاج محمد الكبير كان مقرباً لهؤلاء العلماء الفقهاء ، فإن دخلوا عليه أجلسهم وقربهم منه[2] ، وارتفعت مكانتهم عنده لدرجة أنه حضر إلى جاو قادما من تنبكت خصيصاً لاستقبال القاضي أبى البركات عند رجوعه من الحج عام(٩٢٤هـ / ١٥١٨م)[3].

وقد سار الأسكيا داوود على نهج الاسكيا محمد الكبير في التمكين والسيادة للمذهب المالكي ، وقد ساعده على ذلك أنه كان حافظاً للقرآن ، فقيهاً عالماً بأحكام هذا المذهب ، فقد قرأ كتاب "الرسالة" لأبى زيد القيرواني المتوفى عام (٣٨٦هـ / ٩٦٦م)[4] على يد أحد فقهاء المالكية[5]. وفى عهده انتشرت كتب المذهب ، بفضل اتخاذه نسّاخاً ينسخون له الكتب التي كان يهديها إلي العلماء والفقهاء . كما قام بإنشاء

---

(١) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٧٠،
usman Muhammad bugE :cit,op,٨٦.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١١، ٥٥.

(٣) السعدي : مصدر سابق ،ص ٧٦.

(٤) ابن أبي زيد القيرواني (أبـو محمـد، عبـد الله بن أبـي زيـد عبـد الرحمن النغزاوي القـيرواني) ولـد عام"٣١٠هـ/ ٩٢٢م" شيخ المالكية بالمغرب، كان إماماً بارعاً في العلوم ، واسع الثقافة والإطلاع متبعاً طريق السلف داعياً إليه بالقلم واللسان والعمل، كثير الحفظ واسع العلم والرواية فصيح اللسان والقلم يقول الشعر ويجيدة مع صلاح وورع وعفة.

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٩٤، ٩٥.

خزائن الكتب[١] ،حيث كانت الكتب هوايته المفضلة والتي كان يقدمها للعلماء والعارفين ليعين بذلك طلاب العلم على الاطلاع على كتب المذهب.

كما كان الأسكيا داوود شديد الكرم والاحترام للفقهاء وكذلك كان كثير الاحتفاء بهم، ومن ذلك استقباله الحار للقاضي محمود كعت حينما قدم إلى جاو حيث أكرمه كرما يليق بالعلماء[٢]،كما كان يزورهم إذا مرضوا، ويستمر في عيادتهم إلي أن يتماثلوا للشفاء[٣] .

ويرجع العامل الثاني لسيادة المذهب المالكي في دولة صنغى إلى تولى عدد من فقهاء المالكية عدداً من الخطط الدينية والتي يأتي في مقدمتها خطة القضاء والفتيا. وكان يعين هؤلاء الفقهاء (المفتين ـ القضاة) أسكيا، وهم بذلك تابعون للسلطة المدنية ، ومع ذلك فإنهم كانوا في الأحكام التي يصدرونها مستقلين تماما يعتمدون

---

(١) المصدر السابق والصفحة ، إبراهيم طرخان ، دولة صنغى ، ص٣٧.

(٢) كما كان معروفاً كذلك بالأعمال الخيرية ، فقد حدث أن منح الفع محمود كعت صاحب الفتا ش ما عينه بنفسه لتجهيز بناته الأربع وأبنائه الخمسة بمناسبة زواجهم وكانت المنحة ضياعا وخيولا وعبيدا و ملابس.وتكاليف العُرس قد يساعد فيها السلطان إذا كان الطالب له جاه عنده وهذا ما فعله الفع كعت صاحب تاريخ الفتاش ، وكان في تلك الفترة يتولى أمر القضاء في مدينة تنبكت فعندما أراد أن يزوج أولاده الخمسة وبناته الأربع أرسل إلى الاسكيا داوود مع كاتبه نكر لنبار يطلب منه أن يعينه على متطلبات العُرس قائلا : (فنادى الفع كعت) كاتبه بكر لنبار فجاء فقال له أردت أن أبعثك إلى أسكي بحاجة لنا ، فقال أنا رسولك بلا شك فقال قل لاسكى إنى محتاج قصدناه فإن لي أربع بنات وخمسة بنين مقبلون علي الزواج ونطلب منه أربع زرابى، وأربع إماء وأربع كلات وأن يعينني في جهازهن البنات وأما البنون أريد لهم العمامة وأريد منه كسوة العام قميصين وعمامتين وقلنسوتين والدابتين فرسا (و رمكه عتيقة) ومزرعة وعبيدها وبذرها وأربعين حلابة .. ونريد منك ياأسكى الفع أن تخبره وتبلغه رسالتي، أنظر كعت ،ص١٠٨.

(٣) ومن هذا ما حدث مع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت عندما مرض في كاغ في بعض أسفاره وكان السلطان أسكي داوود يأتيه كل ليلة يسمر عنده حتى برئ تعظيما له ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص١١٥.

فقط علي الأحكام الشرعية المستمدة من روح الإسلام وحده ووفق مذهب الإمام مالك .ولذلك كان الأساكي حريصين في اختيارهم على أن يكون المعينون من الفقهاء البارزين في العلم و المتضلعين في الفقه المالكي[١]، والذين يتمتعون بالورع والصلاح والزهد .

ويرجع الفضل إلى أسكيا محمد في تنظيم القضاء في دولته ، إذ أكثر من القضاة بحيث لم تخل مدينة من المدن الكبرى من قاضٍ مثل تنبكت وجاو وجني وغيرها من المدن، إذ إنه عين في كل بلد من بلاده قاضيا[٢]يفصل بين الناس وفق الشريعة الإسلامية . وقد تولي قضاء دولة صُنغى الإسلامية عدد من القضاة ممن اتصفوا بالعدل وحسن السيرة . ففي مدينة تنبكت تولى القضاء قضاة ينتمون إلى عائلة أقيت ، ويأتي في مقدمتهم الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت(٨٦٨ـ٩٥٥هـ / ١٤٦٣ـ١٥٤٨م)[٣] ، وكان قد عينه أسكيا محمد عام(٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) لاشتهاره بالعلم والصلاح والفقه[٤].

(١) وقد أتسم تعاملهم مع المذهب بالسمات الآتية :

" أ "التزام نصوص المذهب وعدم الخروج عنها إلى غيرها إلا ما كان على سبيل الاستئناس عند من تهيأت لهم متانة العلم وسعة الأفق من المفتين .

"ب" الإفتاء والقضاء بالقول المشهور في المذهب ، وعدم الخروج عنه إلا فيما ندر

"ج" طغيان طابع التقليد في الإفتاء والقضاء وندرة طابع الاجتهاد ،أنظر الفكر السامي :ج٤ ، ص٣١٨.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٥٩.

(٣) أحمد بابا : " أحمد بن أحمد بن عمر أقيت ت ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م" نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ليبيا ، ط١ ، ١٩٨٩م ،ص ٦٠٧، السعدي : مصدر سابق ، ص٣٨، الاروانى : مصدر سابق ، ص ٩٠.

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٨، محمد بن مخلوف : شجرة النور الذكية في طبقات المالكية ، دار الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٦٠٤. Levtzion ,N : Islam in west Africa,p٣٤٣.

كذلك كان حال القضاء في مدينة جني[(١)] ، فقد تولى عدد من فقهاء المالكية منصب القضاء هناك ، منهم فودي محمد بن سانوا الونكرى ، وكان فقيهاً وعالماً كبيراً ، وصلت شهرته العلمية وصلاحه إلى آسكيا الحاج محمد الكبير فولاه قضاء مدينة جني عام(٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) بعد عودته من الحج[(٢)].

أما قضاة مدينة جاو فقد تولى خطة القضاء فيها الفقيه القاضي محمود كعت الذي كان معاصرا للأسكيا محمد الكبير و أسكيا داوود ، وشغل منصب القضاء نظرا لشهرته الواسعة في الفقه وكذلك لسعة علمه[(٣)] .

كما تولى فقهاء المالكية خطة الفتوى وهى خطة ضرورية للناس كافة حيث يحتاجونها في مختلف مناحي الحياة ، سواء في العبادات أو المعاملات . ويعد محمد بن عبد الكريم المغيلى من أهم من تولوا هذه الخطة في عهد أسكيا الحاج محمد الكبير، منذ أن وصل إلى جاو عاصمة دولة صُنغى في عام(٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) . فقد وجه له أسكيا الحاج محمد الكبير عدة أسئلة مهمة تتناول مسائل اجتماعية ودينية وسياسية ،

---

(١)مدينة جني من أهم المراكز الثقافية في السودان الغربي ، تتمتع بموقع ممتاز في جزيرة وسط المياه على أحد روافد نهر النيجر وتقوم على هضبة صخرية لها سهل فسيح تغطية المياه في الخريف ثلاثة أشهر من فيضان نهر النيجر وتقع على مسيرة مائتي ميل إلى الجنوب الغربي من تنبكت ،وهى مدينة قديمة جدا يرجع تأسيسها للقرن الأول الهجري ، وقد وصلت مدينة جني درجة من الازدهار والثقافة جعلتها تحتل المركز الثاني بعد مدينة تنبكت ، لذلك كان الاساكى يهتمون بها ويعينون لها القضاة الصالحين، ويساعدون هؤلاء القضاة على بناء مأوى لطلاب العلم وبناء المساجد. أنظر السعدي : تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص١١، ١٢، ١٦، ١٧.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٥٩، السعدي : مصدر سابق ،ص١٨.

(٣) مادهو بانيكار : الوثنية والإسلام ، ترجمه وتعليق أحمد فؤاد بلبع ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٨م ، ص٥٤٧.

ومن خلال أسئلة الأسكيا محمد يتضح مدى حرصه على إصلاح حال البلاد وفق الشريعة والمذهب المالكي[١] .

أما العامل الثالث الذي أعان في تمكين المذهب المالكي وسيادته فهو ازدهار تدريس الفقه المالكي على يد عدد من فقهاء السودان الغربي . وقد نبغت أسرتان كبيرتان فيء هذا المجال ، الأسرة الأولى أسرة أقيت والأسرة الثانية أسرة بغيغ ، بالإضافة إلى عدد أخر من فقهاء المالكية من غير هاتين الأسرتين .

ويأتي على رأس أسرة أقيت الشيخ الفقيه عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢م) والذي فر من مدينة تنبكت بسبب اضطهاد حاكم صنغى سني على لفقهاء هذه المدينة ، وظل في مدينه ولاته التي رحل إليها حتى وفاته يدرس الفقه فاستفاد الطلاب منه استفادة كبيرة[٢] . وكان للأسرة الثانية وهى أسرة بغيغ جهود كبيرة في مجال التدريس ساهمت في تحقيق سيادة المذهب المالكي في تلك البلاد .ويأتي على رأس هذه الأسرة القاضي الفقيه محمود بن أبى بكر الجنوى بلدا الونكرى أصلا ، وهذا الفقيه العالم والد كل من الفقيهين أحمد بغيغ المتوفى عام (٩٧٨هـ / ١٥٧٠م)[٣]والفقيه محمد بغيغ (٩٣٠-١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣-١٥٩٣م) . والأخير من أعلام المذهب المالكي وهو أستاذ ومعلم للفقيه أحمد بابا التنبكتى[٤] .

---

(١) تذاكر مع الاسكيا الحاج محمد في جلة من المسائل الفقهية وألف في السودان عشرات الكتب والشروح أضاءت الحياة العلمية في السودان الغربي .أنظرأحمد بابا :نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، مصدر سابق ص٥٧٦ ،٥٧٧ ، كما كان مفتيا وراسماً لسياسة الاسكيا الحاج محمد ، حيث ألف له كتابا أطلق عليه أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلى ،الاروانى : السعادة ، مصدر سابق ،ص ٨٥. وللمزيد عن هذه الخطط الدينية أنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٧،أنظر الاروانى : مصدر سابق ، ص٨٢،٨٣

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص٢٩ ، البرتلى ، مصدر سابق ، ص٢٨.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٦٠٢.

وكان العامل الرابع لسيادة المذهب المالكي فى بلاد السودان الغربي زمن دولة صنغى هو قيام الكثير من فقهاء المالكية في تلك البلاد بالشرح والتعليق على أمهات الكتب في الفقه المالكي . وكان لانتمائهم لمذهب الإمام مالك أثر كبير في تأليف المختصرات والشروح والحواشي والتعليقات على مؤلفات هذا المذهب ، وخاصة مختصر خليل الذي يعتبر مؤلفه هو حامل لواء مذهب الإمام مالك في زمانه بمصر ، والكتاب يضم المشهور من الآراء مجردا من الخلاف في فروع فقهية كثيرة جدا مع الإيجاز البليغ ، وقد حظي مختصر خليل هذا بنصيب كبير من الدراسة والتأليف فألفوا عليه الحواشي والتعليقات ، منها تقييد أو شرح وضعه الفقيه محمد بن أحمد بن أبى محمد التازختى المتوفى عام (٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م)[١]. كما كان للفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) تقييد في سفرين ضما شرحاً لمختصر خليل ، ولأهمية هذا الشرح أقبل عليه طلاب العلم بالدراسة والتحصيل[٢].كما وضع أيضاً العاقب بن عبد الله الأنصمنى المتوفى بعد عام (٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) تعليقاً على مختصر خليل[٣].

وقد حازت هذه المؤلفات الفقهية لهؤلاء الفقهاء الكثير من الإقبال ، فسعي إلي طلبها العلماء وطلاب العلم مما أعان علي سيادة المذهب المالكي في تلك البلاد ، وكان هذا بفضل ظهور جيل من الفقهاء والعلماء أخذوا علي عاتقهم تدريس هذا المذهب والتأليف فيه ، وذلك بفضل تمسك الحكام وأعلام الفقهاء والعلماء به ومن ورائهم المحكومون كافة .

---

(١) المصدر السابق ، ص١٦٨، ١٧١.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٩، ٤٠.

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٧.

الفصل الثاني
عوامل انتشار المذهب المالكي وسيادته في بلاد السودان الغربي

أولا ـ العوامل الداخلية:

١ـ تغلب المذهب المالكي على غيره من المذاهب والنحل الإسلامية

٢ـ ملاءمة المذهب لطبيعة أهل السودان الغربي .

٣ـ دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي .

ثانيا ـ العوامل الخارجية:

١ ـ ذيوع صيت الإمام مالك إمام دار الهجرة .

٢ ـ التأثير المغربي.

٣ـ رحلات الحج والرحلات العلمية .

بعد أن عرضنا للعوامل التي أدت إلي انتشار المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي نحن الآن بصدد الحديث عن العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلي توطين هذا المذهب وسيادته في تلك البلاد في عهد دولتي مالي و صُنغى الإسلاميتين.

أولا ـ العوامل الداخلية :

١ ـ تغلب المذهب المالكي على غيره من المذاهب والنحل الإسلامية :

من الواضح لدينا أن أصحاب المذاهب الإسلامية من السنة والخوارج الصفرية والأباضية كان لهم إسهام كبير وواضح في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي. ففي خلال هذا القرن نشطت التجارة التي أسهمت بدورها في نشر الإسلام و كذلك نشر بعض ارائهم الدينية ، وقد ساعد على ذلك حيوية التجار ، ودور السلطة السياسية في الشمال الإفريقي وبلاد السودان الغربي و توفير الأمن على طول الطرق التجارية[١].

وقد استمر نشاط تجار الفرق الإسلامية الدعوي للإسلام خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ومع نهاية هذا القرن انتهى دور الخوارج الصفرية في السودان الغربي بسقوط دولتهم في سجلماسة عام(٢٩٧هـ/ ٩٠٩م) ،وبدأ كذلك دور الأباضية في الضعف بعد سقوط دولتهم في تاهرت عام(٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) ، وكان هذا بسبب قيام الدولة الفاطمية الشيعية في المغرب ، فقد سعت تلك الدولة جاهدة من أجل بسط نفوذها على العالم الإسلامي بشكل عام ، لذلك كانت رغبة خلفائها في الاستفادة من المبادلات التجارية عبر الصحراء

---

(١) الحبيب الجنحاني : المغرب الإسلامي ـ الحياة الاقتصادية والاجتماعية (٣ـ٤هـ/ ٩ـ١٠م) الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٢ ، ١٤٦.

الكبرى ، ليتسنى لهم الحصول على كميات الذهب لتساعدهم في تمويل فتوحاتهم وضرب عملتهم . ولكن فشلت الدولة الفاطمية الشيعية في بسط نفوذها ، كما فشلت في نشر مذهبها في بلاد المغرب ، وبالتالي في بلاد السودان الغربي .

ثم شهد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي استمرار نشاط تجار السنة المالكية في بلاد السودان الغربي مع الغياب التام لتجار الفرق الإسلامية الأخرى ، وفى هذا القرن قام المرابطون بدور دعوى في تلك البلاد ونشروا الإسلام على أساس المذهب المالكي، ولذلك حدث انتصار للمذهب المالكي في تلك البلاد ، إذ أصبح مذهب الحكام والمحكومين .

وتوضح مرحلة ظهور المذهب المالكي في السودان الغربي والتي عرضنا لها في هذه الدراسة كيفية تغلب المذهب المالكي على غيره من المذاهب حتى توطن بمفرده في بلاد السودان الغربي[١] .

٢ ـ ملاءمة المذهب المالكي لطبيعة أهل السودان الغربي :

اختار أهل السودان الغربي مذهب الإمام مالك دون سواه من المذاهب الإسلامية الأخرى، حيث بزغ مذهب مالك مع بدايات انتشار الإسلام بفضل جهود دعاته من المغاربة وانفرد أهله بالمذهب ، كما شكل هذا المذهب عمقاً ثقافياً في السودان الغربي مثلما شكل المذهب الحنفي عمقاً ثقافيا في الدولة العباسية و لذلك سوف أناقش الأسباب التي من أجلها اعتنق أهل السودان الغربي لمذهب مالك معللة أسباب اختيارهم لهذا المذهب وتوطنه عندهم .

ومن أسباب اعتناق أهل السودان الغربي للمذهب المالكي أن هذا المذهب يعُد اقرب المذاهب الفقهية لمزاج وطبيعة أهل السودان الغربي ، وذلك لسهولة

(١) أنظر الفصل التمهيدي .

المذهب ووضوحه ، فهو مذهب يعتمد على القرآن الكريم[١] ويأخذ بالنص الصريح الذي لا يقبل تأويلاً[٢] . ويأخذ من القرآن الكريم نصاً أو إشارة أو مفهوماً ، ويقدم القرآن على ما عداه من السنة[٣] ، ويوثق الحديث بالقرآن . كما تأتى السنة في المرتبة الثانية ، حيث يأخذ بالمتواتر منها ، وبخبر الآحاد[٤] مثلما يأخذ مالك بعمل أهل المدينة[٥] فيأخذ بفتاوى الصحابة وما أجمعوا عليه من فتاوى. كما يأخذ بالقياس ، والمصالح المرسلة ، والاستحسان ، ويأخذ بفقه سد الذرائع ، وقد قابل هذا المنهج ميلا وهوى لدي أهل السودان الغربي ، لأنه يتفق مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقيد ، ولأن أهل السودان الغربي كأهل المغرب يميلون إلى البساطة ويفرون من النظريات المتطرفة والتأويلات البعيدة المتكلفة ، كما أن المذهب المالكي خلا من تداخل الآراء فبقى بعيدا عن الشوائب نقيا[٦] .

كما أن فقه الإمام مالك ينفر من الجدل ويستند إلى الحديث[٧] وإذا كان فقه الإمام مالك مرحلة متطورة إلا أن النقلة بالنسبة لأهل السودان الغربي لم تكن

---

(١) الإمام مالك : الموطأ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، من مقدمة المحقق ، ص .ذ.س.

(٢) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين ، جـ٢ ، ص٢٢.

(٣) أبن العربي "أبو بكر بن عبد الله ": أحكام القرآن ، تحقيق على محمد البجاوى ، صادر الجبل ، بيروت ،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ص ١٥٦.

(٤) السبكى "تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين ": قاعدة في الجرح والتعديل ، تحقيق عبد الفتاح أبو غرة ، طـ٢ ، دار الوعي ، حلب ، ١٩٣٧م ، ص ١٣٠ .

(٥) الذهبي "شمس الدين محمد أبن أحمد بن عثمان الذهبي ": سير أعلام النبلاء ، طـ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، جـ٨ ، ص ٨١.

(٦) عمر الجيدى : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ ، مطبعة النجاح ، بدون تاريخ ، ص ٣١.

(٧) الرازي : الجرح والتعديل ، جـ١ ، ص ١٨٤ . ، السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد السيوطي الشافعي ":طبقات الحفاظ ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة مصر ، طـ١ ،

مفاجئة بل كانت متدرجة ، حيث أدت طبيعة أهل السودان الغربي إلى النفور من أي مذهب يقوم على الرأي ، ومن ثم وجدوا ضالتهم في المذهب المالكي الذي يمثل مدرسة المدينة[١] التي توافرت فيها أحاديث الرسول ﷺ بعيدا عن رأى فقيه أو قياس جديد .

وإذا علمنا من ناحية أخرى أن أهل السودان الغربي قد تميزوا بحساسية مفرطة تجاه مسألة السُنَة ، وبسعيهم إلى تتبع آثارها وإلى مقاومة أعدائها من أهل البدع و أهل الأهواء يمكن أن نجد تفسيرا لتفضيلهم لمذهب الإمام مالك[٢] .

وهناك خاصية أخرى في المذهب المالكي ربما جعلت أهل السودان الغربي يفضلونه على ماعداه وهى تلك التي تتعلق بأصوله فهو يتميز بكثرة الأصول ، وكثرة هذه الأصول بين أيدي المفتى تسمح له باختيار أصلحها وأقربها للعدل ، وأكثرها توفقاً مع الواقع الإفريقي . ولذلك كان المذهب المالكي يتميز بكثرة مراعاته للعرف[٣] .

كما ساهمت جهود فقهاء المالكية المغاربة الأوائل في نشر مذهب الإمام مالك بطريق غير مباشر ، فقد كانوا أسوة حسنة من خلال تمسكهم بأقوال مالك وتطبيقها علي أنفسهم وخاصة ما يتعلق منها بالبعد عن السلطان ، ومن ثم عدهم العامة نماذج يحتذي بها ، فأقبلوا على الأخذ بالمذهب حكاما ومحكومين بل صار الانتماء لهذا المذهب مصدر فخر ، فنجد منسا موسي(٧١٢-٧٣٧هـ/ ١٣١٢-١٣٣٧م) حاكم دولة مالي يفخر باعتناق هذا المذهب ويقول وهو في القاهرة : "أنا مالكي

١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، ص ٧٩.

(١) الذهبي : سير الإعلام ، جـ٨، ص ٨٣.

(٢) نجم الدين الهنتاتى : المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الـ٥/ الـ١١م ،تبر الزمان ، تونس، ٢٠٠٤، ص ٦٤.

(٣) المرجع السابق ونفس الصفحة .

المذهب"[١] وهكذا اقبل ملوك وأهالي تلك البلاد على هذا المذهب والتزموا بفقهه في كافه العبادات والمعاملات[٢] .

٣ـ دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي :

ساعدت الظروف مجتمعة علي جعل مذهب الإمام مالك أمراً مقبولا من الوجهة السياسية لدى الحكام ، ويعد هذا العامل من أهم العوامل التي أدت إلى توطين المذهب المالكي في منطقة السودان الغربي . فقد أصبح المذهب المالكي بفضل جهود هؤلاء الحكام أحد المقومات الأساسية للدول التي قامت في تلك المنطقة ، فكان دور السلطة الحاكمة كبيراً في جمع أهالي السودان الغربي على مذهب واحد هو المذهب المالكي . ولذلك عملوا على نشره وأوجدوا له الحماية خوفاً من الفرق الأخرى سواء أكانت سياسية ، أو أعتقادية ، أو فرقاً شيعية ، أو خارجية ، وهذه الفرق لعبت دورا في تشكيل المغرب المجاور جغرافيا لبلاد السودان الغربي.

وقد عرضنا من قبل لدور بعض حكام دولة مالي الإسلامية في نشر هذا المذهب وذيوعه[٣] كما بينا دور بعض حكام دولة صُنغى الإسلامية في تحقيق السيادة الكاملة لهذا المذهب[٤].

وخلاصة القول إن المذهب المالكي انتصر في بلاد السودان الغربي بفضل ودعم السلطة الحاكمة لهذا المذهب ، إذ تولى فقهاء المالكية جميع خطط الدولة مثل خطة القضاء وخطة الفتوى وخطة الكتابة وغيرها من الخطط الدينية[٥] ، مما يعنى أن

---

(١) المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ١٤٢.

(٢) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٧٧.

(٣) عن دور حكام مالي في تحقيق ذيوع المذهب المالكي أنظر الفصل الأول من هذه الرسالة .

(٤) عن دور حكام صنغى في تحقيق السيادة للمذهب المالكي أنظر الفصل الأول من هذه الرسالة .

(٥) عمن تولى من فقهاء المذهب المالكي للخطط الدينية أنظر : الفصل الثالث من هذه الدراسة .

جميع الأحكام القضائية صارت وفق المذهب المالكي ومن ثم تم التمكين لهذا المذهب بين سكان تلك البلاد خاصة وأن تطبيق أحكامه يعين على هذا الأمر[١] .

العوامل الخارجية:

إذا كان للعوامل الداخلية التي عرضنا لها أنفاً أثر كبير في التزام أهالي السودان الغربي بالمذهب المالكي وتمسكهم به وتوطنه في بلادهم ، فإن للعوامل الخارجية والتي سنتعرض لها نفس الأثر ، وأهم تلك العوامل هي :

١ ـ ذيوع صيت الإمام مالك امام دار الهجرة :

كانت المدينة المنورة دار حديث وإسناد ، فكان أهل الفتوى بها من التابعين أمثال سعيد ابن المسيب المتوفى عام(٩٣هـ/ ٧١١م)[٢] وعروة بن الزبير المتوفى عام (٩٣هـ/ ٧١١م)[٣]، وخارجة بن يزيد المتوفى عام (١٠٣هـ/ ٧٢١م)[٤] ،وسليمان بن يسار المتوفى عام(١٠٧هـ/ ٧٢٥م)[٥] ، وعبد الله بن عتيبة بن مسعود المتوفى عام(٩٨هـ/ ٧١٦م)[٦] ، فكانوا هم الفقهاء الذين دارت عليهم الفتوى ، و نواة لعلم

(١) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٧٨.

(٢) الرازي : مصدر سابق ، جـ٢، ص ٥٩.

(٣) أبو حجر "شهاب الدين أحمد بن على العسقلاني المتوفي عام" ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م": تهذيب التهذيب ،حيدر أباد، الدكن ،١٦٢٥هـ/ ،جـ٧،ص ١٨.

(٤) خارجة بن يزيد : روى عن الواقدى ، وكان يقسم المواريث في المدينة ، أنظر شمس الدين الذهبي : تذكرة الحفاظ ، تحقيق السيد مصطفى ، دائرة المعارف ، حيدر أباد ، بدون تاريخ ، جـ١ ، ص ٨١ .

(٥) ابن خلكان " شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان الشافعي المتوفي عام" ٦٨هـ/ ١٢٨٢م" وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، دار الطباعة ، المديرية المصرية ، القاهرة ١٢٧٥هـ ، جـ٢، ص ٣٩٩. ، ابن حجر العسقلاني : مصدر سابق ، جـ٢، ص٥٧.

(٦) حدث عن عائشة وأبي هريرة ، وكان يعنى بالحديث ، أنظر ابن خلكان :مصدر سابق ، جـ٢ ، ص ١١٥ ،السيوطي : طبقات الحفاظ ، مصدر سابق ، ص ٢٣١.

الفقه في المدينة المنورة . ثم أتى من بعدهم محمد بن المنكدر المتوفى عام (١٣٠هـ/ ٧٤٧م)[١] ، ومحمد بن شهاب الزهري المتوفى عام (١٢٤هـ/ ٧٤١م)[٢] ، إلى أن توجت المدينة المنورة بالإمام مالك بن أنس الذي ذاع صيته وفاق أقرانه ، والتف حوله طلاب العلم وكثر تلاميذه الذين انتشروا في الأقطار الإسلامية كافة[٣].

ولد الإمام مالك[٤] على أرجح الأقوال في عام(٩٣هـ / ٧١١م) وتوفى عام(١٧٩هـ / ٧٩٥م) وفى حداثته جود القرآن ، ولازم عبد الرحمن بن هرمز الملقب بالأعرج الذي توفى في عام (١١٧هـ/ ٧٣٠م)[٥] ثلاث عشرة سنة . ثم أخذ في طلب العلم بمختلف فنونه وفروعه ، وبذل الجهد في طلبه، فأخذ عن ابن شهاب الزهري الذي كان صاحب علم غزير تعلمه علي أيدي بعض التابعين خاصة سعيد بن المسيب

---

(١) حدث عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وعن سليمان بن أبى رافع ، وابن عمر ، وعنه حدث عمرو بن دينار والزهري وغيرهم ، وقال مالك فيه : "كان سيد القراء" ، أنظر ابن حجر : تهذيب التهذيب ، جـ٩، ص ٤٧٣، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ١، ص ١١٤.

(٢) محمد بن شهاب الزهري : روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب ، وحدث عنه عطاء بن أبى رباح وعمر بن عبد العزيز ، وقال عنة البعض إنة أول من دون العلم أ أنظر ابن كثير " عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي عام(٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ، جـ٩، ص٣٤، السيوطي : مصدر سابق ، ص ٤٢.

(٣) الأصبهانى"أبو نعيم أحمد بن عبد الله": حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،دار الكتاب العربي ،بدون تاريخ ، جـ٦، ص٣١٦.

(٤) ذكر ابن الأثير : نسبة إلى ذي صبح واسمه الحرث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعه ، وهو من عرب يعرب بن قحطان وأصبح ، صارت قبيلة ، والمشهور إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحى مولده سنه ٩٣هـ ، ووفاته ١٧٩م ، أنظر ابن الأثير "على بن محمد ت٦٣٠هـ/ ١٦٣٣م" :اللباب في تهذيب الأنساب ، بيروت ، جـ١، ص ٦٩.

(٥) عبد الرحمن بن هرمز الملقب بالأعرج كان مولى للهاشميين ، وكان قارئا محدثاً تابعياً روى عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى، وروى عنه الزهري وأبو الزناد توفى سنه ١١٧هـ ، أنظر عياض : مصدر سابق ، جـ١، ص ١٠٢.

وغيره. كما درس على أيدي نافع مولى عبد الله ابن عمر ، واتجه إلى فقه الرأي بالمدينة ، فدرس على ربيعة بن عبد الرحمن الملقب (بربيعة الرأي)، ولم يكن الرأي عند ربيعة كالقياس المعروف في العراق ، ولكن الرأي في المدينة قوامه التوفيق بين النصوص المختلفة فكان يتتبع الرواة وينتقى الثقات منهم .

ثم جلس الإمام مالك للتدريس فذاع صيته في البلاد واشتهر ذكره ، وقد أوتى فراسة قوية في فهم الرجال ، وإدراك قوة عقولهم ولهذا قال : "إن هذا العلم دين ،فانظروا عمن تأخذون منه ، ولقد أدركت سبعين ممن يقولون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين فما أخذت منهم شيئا ، وأن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن"[١]. وقد بلغ الإمام مالك درجة كبيرة من العلم أهلته لان يكون أفقه الناس وأعلمهم بُسنة نبيهم ﷺ، كما كان مالك لا يفتى إلا بما هو واضح نير[٢] وكان يأخذ الرواية الموثوق بها . ولا يسارع في الفتوى ، وكان يبتعد عن الجدل وفى شأنه يقول : "ما أجبت في الفتوى حتى سألت من هو أعلم مني هل تراني موضعا لذلك سألت ربيعة وسألت يحيى بن سعيد فأمراني بذلك فقلت فلو نهياك قال كنت أنتهي لا ينبغي للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه "[٣]. وكان مالك يقول :"ليس الجدل من الدين في شي "[٤] ، وعندما سئل عن الصلاة خلف أهل البدع وغيرهم قال : " لا أري أن يصلي خلفهم ".جمع الإمام مالك إلى علم الحديث علم الفقه حتى صار حجة فيهما معا ،

---

(١) الرازي : مصدر سابق ، جـ١، ص ١٢.

(٢) عياض : مصدر سابق ، جـ١،ص ١٠٢ ، السيوطي : تزيين الممالك ، مصدر سابق ، ص ١٥.

(٣) ابن الجوزى " جمال الدين أبو الفرج الجوزى " : صفوة الصفوة ، تحقيق محمود فخوري ، محمد رواسي ، دار المعرفة ،بيروت ، ط٤، ١٤٠٦هـ/ ١٩٦٨م، جـ٤، ص ٩٩.

(٤) المرجع السابق ، ٣٢، ٣٣.

وكتابه الموطأ[١] خير شاهد على ذلك وهو الكتاب الذي يُعد سنداً للمحدثين أمثال" البخاري"[٢] ،والنسائي[٣] وأبى داود[٤] ، وغيرهم.

عاش الإمام مالك حياة دينية علمية ، ولذلك قصده طلبة العلم من كل الآفاق في أواخر عهد أبى جعفر المنصور(١٣٦ـ١٥٨هـ/ ٧٥٤ـ٧٧٥م)[٥] وازدحموا عليه في خلافة الرشيد (١٧١ـ١٩٣هـ/ ٧٦٧ـ٨٠٩م) .[٦] ،وظل علي تلك الحال إلى يوم وفاته[٧].

---

(١) أشهر نسخ الموطأ نسخة يحيي بن يحيي بن كثير و سلاسى ، وقد رحل إلى الإمام مالك ونقل عنه الموطأ ، أنظر السيوطي : تزيين المهالك، مصدر سابق ، ص ١٤.

(٢) هو :"أبو عبد الله ابن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد زيه ، ولد ببخارى سنة (١٤٩هـ/ ٧٦٦م) واجه إلى علم الحديث وحفظ كتاب أبن المبارك و وكيع وقطع البلاد والأقطار طولا وعرضا طالبا للحديث ، وكان لا يجارى في حفظ الحديث سندا ومتنا ، ومن مؤلفاته قضايا الصحابة والتابعين والتاريخ الكبير ، وكتاب الضعفاء ، والمسند الكبير وكتاب الاشرية ، وكتاب الجامع الصحيح ، للمزيد أنظر أبن كثير "عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م" البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، بدون ، جـ١١، ص٢٤.

(٣) أبو عبد الرحمن بن شعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار٢١٥ـ٣٠٣هـ/ " عرف بالنسائي نسبة إلى نَسَا بلدة مشهورة بخراسان ، ويقال النسوى، وكان أحد أعلام الدين وأئمة الحديث ، إمام أهل عصره بين أصحاب الحديث في معرفة الجرح والتعديل ، أنظر ابن كثير: مصدر سابق ، جـ١١، ص١٢٣.

(٤) أبو داود هو "سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدى السجستانى(٢٠٢ـ٢٧٥هـ/ ٨١٧ـ٨٨٨م) رحل لطلب العلم ، وكتب عن أهل العراق والشام وخراسان ، وأخذ الحديث عن المشاهير ، أثنى العلماء عليه ووصف بالحفظ التام والعلم والوافر والفهم الثاقب في الحديث وغيرة مع دين وورع ، أنظر ابن كثير : مصدر سابق ، جـ١١، ص١٢٥.

(٥) السيد عبد العزيز سالم :دراسات في تاريخ العرب ، العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، أسكندرية ، ١٩٩٣، ص٥٨.

(٦) المرجع السابق :ص ٦٩.

(٧) العسقلاني : مصدر سابق ، جـ١٠، ص ٥.

قال ابن عيينة :"مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه"[١] ، وقال الشافعي : "إن ذكر العلماء فمالك النجم "

وينقل القاضي عياض عن الإمام الشافعي قوله : " ما كتب الناس بعد القرآن شيئا أنفع من موطأ مالك "[٢] ، ويقول أيضا الإمام مالك عن كتابه : "إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول الصحابة والتابعين ، ورأيي هو إجماع أهل المدينة لم أخرج عنهم "[٣] ولهذا اعتنى الناس بكتاب الموطأ ، فقد اعتنوا بتدريسه بالإضافة إلى شرحه والتعليق عليه فظهرت شروح عديدة علي أيدي الكثيرين من تلاميذ الإمام مالك المنتشرين في طول البلاد وعرضها[٤] .

فقد ظهر علماء وفقهاء من أبناء بلاد السودان الغربي أخذوا على عاتقهم نشر هذا المذهب في تلك البلاد ، دفعهم إلي هذا سيرة صاحبه وملاءمة مذهبه لسكان تلك البلاد . ومن أشهر فقهاء المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي أحمد بن سعيد المتوفى عام (٩٧٦هـ/ ١٥٦٩م) ويعد أحد أعلام المذهب المالكي ، ولذلك كان مدرسا للموطأ ، وقد جلس لتدريسه منذ عام (٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م) وحتى وفاته،

---

(١) عبد العزيز الشناوي : الأئمة الأربعة حياتهم ومواقفهم وأرائهم ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، ٢٠٠٤م ، ط١، ص ٢٧.

(٢) عياض : ترتيب المدارك ،جـ٢، ص٧٠٢.

(٣) المصدر السابق : ص ٧٢.

(٤) جملة الذين شرحوا الموطأ " أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن بطليموس المتوفى في عام (٥١٥هـ/ ١١٢١م) تحت أسم المقتبس ، وعبد الملك حبيب صاحب "الواضحة" ، وابن عبد البرصاحب كتاب التمهيد على الموطأ ، وأبو وليد الباجى :صاحب الاستغناء ، أنظر ، ابن فرحون :الديباج المذهب ، مصدر سابق ، ص ١٧، وابن حجر :تهذيب التهذيب ، جـ١٠، ص٥، والسيوطي : مناقب مالك ، مصدر سابق ، ص ٥١.

وانتفع به جمع كبير من العلماء في مقدمتهم الشقيقان الفقيهان محمد بغيغ[1] و أحمد فقد قرا عليه الموطأ[2] .

كما كان الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) من علماء المذهب المالكي ، وكانت له رحلة إلى بلاد المشرق للحج التقى خلالها بأعلام مذهب مالك في كل من مكة والقاهرة وأخذ عنهم ، وحين عاد إلى بلاده جلس لتدريس كتاب الموطأ في مدينة تنبكت[3] .

كما أسهم الفقيه العالم محمد بن محمود بن أبى بكر الونكرى التنبكتى (٩٣٠-١٠٠٢هـ / ١٥٢٤ -١٥٩٣م) في التمكين لهذا المذهب بتلك البلاد وهو من أعلام منطقة السودان الغربي فهو أستاذ وشيخ الفقيه أحمد بابا (٩٦٢-١٠٣٦/ ١٥٥٥-١٦٢٧م) ، و يذكر الأخير أنه لازمة أكثر من عشر سنين فقرأ عليه كل كتب الفقه المالكي ، ومنها الموطأ إذ يقول "ختمت عليه الموطأ قراءة تفهم[4]" وهكذا تعلق فقهاء السودان الغربي وطلابه بالإمام مالك وكتابه الموطأ.

كما يرجع تعلق أهل السودان الغربي بمذهب الإمام مالك لان صاحبه سكن المدينة المنورة موطن دار الهجرة ولم يبرحها إلا حاجاً[5] ، كما أن المدينة المنورة قد انطوت سياسياً عندما دخل (أبو حمزة الخارجي)[6] المدينة وروع أهلها وقتل منهم

---

(١) هو ابن الفقيه محمود بن أبى بكر بغيغ ، وهو من أشهر شيوخ أحمد بابا وتلميذ لوالده أنظر أحمد بابا: مصدر سابق ، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) أحمد بابا: مصدر سابق ، ص ١٤٣،،١٤٢

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٢، ٤٣.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٦٠٢.

(٥) السيوطي :تزيين الممالك في مناقب مالك ، مصدر سابق ، ص ٤٢.

(٦) أبو حمزة الخارجي الآباضى هو :" المختار بن عبد الله بن مازن بن مُجاسر بن سُليمة بن مالك بن فَهم " أمير مكة المكرمة والمدينة المنورة في خلافة مروان بن محمد سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٧م) ،أصله من سلالة

كثيرين ، ومنذ ذلك الحين انزوت عن السلطان السياسي بسبب ما جرى لها من محن آخرها في عام(١٣٠هـ/ ٧٤٧م)[1].

سُليمة بن مالك بن فهم الأزدي الذي قتل والده مالك بن فَهْم ، وكان أول أمر أبي حمزة، أنه كان يوافي مكة كل سنة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد وإلى خلاف آل مروان، فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخر سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م أنظر محمد بن أحمد الحسيني الفاسى ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمود محمد الطناحى ، طـ٢ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١٥٣ ، عارف أحمد عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة ، مكتبة كنان ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص ١٠٤، ١٠٥ .

(١) أبو حمزة المعروف بالخارجي.تغلب على مكة في سنة تسع وعشرين ومائة، بعد الحج منها، وحضر الموقف بعرفة، وما شعر الناس إلا به وهو معهم فيها، وسأله أمير مكة إذ ذاك، عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك في المسالمة، حتى تنقضي أيام الحج، ففعل أبو حمزة، فلما كان النفرة الأولى، هرب فيه عبد الواحد إلى المدينة، فاستولى أبو حمزة على مكة، وتوجه منها إلى المدينة، في سنة ثلاثين،فلقيه بقديد، جيش أنفذه عبد الواحد من المدينة، فغلبهم أبو حمزة، وسار أبو حمزة إلى المدينة فقتل فيها، ثم جاءه ابن عطية السعدي من الشام، من قبل مروان بن محمد، فلقيهم وقتل أبو حمزة في جماعة من أصحابه في مكة، في سنة ثلاثين ومائة، وكان الذي قدم إلى مكة، عبد الله بن يحيي الكندي الأعور، الملقب طالب الحق، الثائر باليمن، في عشرة آلاف وقيل في سبعمائة، وطالب الحق: وفي هذه السنة: قدم أبو حمزة، وبلج بن عقبة الأزدي الخارجى من الحج، من قبل عبد الله بن يحيي الحضرمي طالب الحق محكماً مظهراً الخلاف على مروان بن محمد، فبينما الناس يعرفة، ما شعروا إلا وقد طلعت عليهم أعلام، وعمائم سود على رءوس الرماح،وهم سبعمائة، ففزع الناس حين رأوهم، وسألوهم عن حالهم، فأخبروهم بخلافة مروان وآل مروان، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ على مكة والمدينة، وطلب منهم الهدنة، فقالوا نحن بحجنا أضن، وعليه أشح، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض، حتى ينفر الناس النفرة الأخيرة، فوقفوا بعرفة على حدة، ودفع بالناس عبد الواحد، فنزل بمنى في منزل السلطان، ونزل لأبي حمزة بقرن الثعالب، فأرسل عبد الواحد إلى أبي حمزة الخارجي، عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر وعبيد الله بن عمر، بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب وربيعة بن أبى عبد الرحمن، في رجال أمثالهم، فدخلوا على أبي حمزة وعليه إزار قطرى غليظ، فتقدمهم إليه عبد الله بن الحسن، ومحمد بن عبد الله، فنسبهما فانتسبا له فعبس في وجوههما، وأظهر الكراهة لهما، ثم سأل عبد الله بن القاسم، وعبيد الله بن عمر، فانتسبا له، فهش إليهما وتبسم في وجوههما وقال: والله ما خرجنا إلا لنسير بسيرة أبويكما، فقال له عبد الله بن الحسن: والله ما خرجنا لتفضل بين آبائنا، ولكن بعثنا إليك الأمير برسالة، وهذا ربيعة يخبرها. فلما ذكر له ربيعة نقض العهد، قال أبو حمزة: معاذ الله أن ننقض العهد أو نخيس به، والله لا أفعل ولو قطعت

رقبتي هذه، ولكن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم. فرجعوا إلى عبد الواحد فأخبروه، فلما كان يوم النفر الأول، نفر عبد الواحد فيه، وخلى مكة، فدخلها أبو حمزة بغير قتال، فقال بعضهم في عبد الواحد :زار الحجيج عصابة قد خالفوا دين الإله ففر عبد الواحد ترك الحلائل والإمارة هارباً ومضى يخبط كالبعير الشارد ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة، فضرب على أهلها البعث، وزادهم في العطاء عشرة، واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فخرجوا، فلما كانوا بالحرة تلقتهم جزر منحورة، فمضوا .وفى عام(١٣٠هـ/ ٧٤٧م) كانت الوقعة التي كانت بقديد، بين أهل المدينة وأبي حمزة الخارجي، قد ذكرنا أن عبد الواحد بن سليمان، ضرب البعث على أهل المدينة، واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله فخرجوا، فلما كان بالحرة، لقيتهم جزر منحورة فتقدموا، فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة، فانكسر الرمح فتشاءم الناس بالخروج، :وفيها خرج (قاله خليفة) عبد الله بن يحيي الأعور الكندي بحضر موت وتسمى بطالب الحق، فغلب على حضر موت واجتمع عليه الإباضية، ثم صار إلــى صنعاء،وعليها القاسم بن عمر الثقفي، وهو في ثلاثين ألفاً، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم القاسم، وكثر القتل في أصحابه، وسار عبد الله، وقد خندق القاسم على نفسه، فبيته في وضح الصبح، فهرب القاسم، وقتل أخوه الصلت وطائفة، ودخل عبد الله بن يحيي صنعاء، فأخذ الأموال وتقوى، وجهز إلى مكة عشرة آلاف ووليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فكره قتالهم، فوقفوا بعرفات، ووقف الناس، ثم غلبوا على مكة، فنزح عبد الواحد إلي المدينة. وقال في أخبار سنة ثلاثين ومائة: وفيها قتل بقديد خلق من أهل المدينة، وذلك أن عبد الواحد لما غاب عن مكة، وتقهقر عن المدينة، كتب إلى المدينة يخبره بخذلان أهل مكة، فعزله ووجه جيشاً إلى المدينة، فسار من مكة المتغلب عليها من جهة عبد الله الأعور، وهو أبو حمزة، واستخلف على مكة أبرهة بن الصباح الحميري، ثم التقى أبو حمزة هو وأهل المدينة بقديد، في صفر من السنة نفسها ؛ فانهزم أهل المدينة، وقتل من قتل، ودخل أبو حمزة المدينة، فقتل حمزة ابن مصعب بن الزبير، وابنه عمارة، وابن أخيه مصعب بن عكاشة، وعتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير، وابنه عمرو، وصالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير، وابن عمهم الحكم بن يحيي، والمنذر بن عبد الله بن المنذر بن الزبير، وسعيد بن محمد بن خالد بن الزبير، وابن لموسى بن خالد بن الزبير، وابن عمهم مهند. قال خليفة: قتل أربعون رجلاً من بني أسد بن عبد العزى، وقتل يومئذ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، فأصيب يومئذ من قريش ثلاثمائة رجل ، ثم تقابلوا من أسفل مكة ومن أعلاها، ومن قبل وقتل أبو حمزة، وقتل خلق كثير من جيشه، أنظر محمد بن أحمد الحسيني الفاسى ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمود محمد الطناحى ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١٥٣ ، عارف أحمد عبد الغني: تاريخ أمراء المدينة المنورة ، مكتبة كنان ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص ١٠٤،١٠٥.

ومنذ ذلك الحين اعتزلت السياسة[١] وأصبحت موئلا للزهاد والعلماء الذين حولوها إلى حاضرة علمية ، يتوافد عليها طلاب العلم مِن أنحاء العالم الإسلامي[٢] لدراسة أحاديث رسول الله ، كما أن الإمام مالك جعل منها موئل علم ، وتوافد عليه طلاب العلم[٣] من بقاع مختلفة تنقل عنه فقهه .

ولذلك جذبت المدينة المنورة عدداً من أبناء السودان الغربي الذين أقاموا بها مجاورين للحرم المدني الشريف ، فجاور منهم أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت(٩٣٢-٩٩١هـ / ١٥٢٦-١٥٧٤م) التنبكتى المولد ، وهو عم العالم الشهير أحمد بابا وقد اتصف أبو بكر هذا بالخير والورع والزهد ، فحج وجاور بالمدينة المنورة ، ثم عاد إلى بلاده وأخذ أولاده ورجع مرة أخري إلى بلاد الحجاز وسكن المدينة المنورة وظل مجاورا بها حتى وفاته[٤] . وإذا كانت المصادر قد أفادت بمجاور واحد من أبناء السودان الغربي في المدينة المنورة فالمرجح أن هناك كثيرين قد جاوروا .

ويرجع لشخصية الإمام مالك توطين المذهب المالكي في السودان الغربي ، لأن الإمام مالكا كان هو الأعظم في تمييز البدعة عن السنة فيقول الإمام مالك: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول: "اليومَ أكملت لكم دينكم "[٥]».

---

(١) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، بدون، ص ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ٩، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٣) محمد أبو زهرة : مالك حياته وعصره ،أراؤة وفكره ، ص ٧٥.

(٤) السعدي: مصدر سابق، ص ٤١.

(٥) سورة المائدة : الآية ٣.

٢ـ التأثير المغربي .

كان للعامل الجغرافي دوره في توجه المغاربة إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام، فقد تيسر الاتصال بينهم وبين أهالي تلك البلاد عبر الصحراء الكبرى بالرغم من بعد الشقة وأخطار الرحلة لا نعدام الحواجز الطبيعية(١) وإذا كان للعامل الجغرافي أثره في نشر الإسلام في تلك البلاد، فقد كان لهذا العامل أثره أيضا في نشر المذهب المالكي في تلك البلاد ، فمن المعروف تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي والعمل على نشره ، وهو أمر من الشهرة بمكان بحيث لا يحتاج إلى بيان(٢).

ويعتبر ترحيب أهل السودان الغربي بهذا المذهب مظهراً من مظاهر الائتلاف بين الجانبين ، ومن هنا رأينا المغرب يصير الوطن الأب في نفوس ومشاعر أهل السودان المالكيين(٣) .

ومن الجدير بالذكر أن الصلات بين بلاد المغرب وبين السودان الغربي كانت ضاربة بجذورها في أعماق الزمن ، حيث كان الحضور المغربي في بلاد السودان الغربي قديما . ففي دولة غانة الوثنية كانت الوفود المغربية موجودة ومشاركة في إدارة تلك الدولة وخاصة الفقهاء الذين تمتعوا بوضع اجتماعي ممتاز، فهم المقربون للملك الذي اتخذ منهم عدداً كبيراً لإدارة دولته(٤) ، وكان ملك غانة وموظفوه يكنون لهم الاحترام والتقدير ، وكان هذا قبل أن يصبح الإسلام الدين الرسمي لها .

---

(١) محمد أمين المؤدب: جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب أفريقيا، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٩م، ط١، ص ٥٨٨.

(٢) الونشريسي : مصدر سابق ، جـ٢، ص ١٦٩ .

(٣) عباس الجراري: الموحدون ثورة سياسية ومذهبية ، مجلة المناهل المغربية ، العدد الأول ١٩٧٤، ص١٠٥.

(٤) وكان ببلاط ملك غانة موظفون ذوو درجات عالية من المسلمين مثل المترجين ، ولما كانت مصالح

وقد أدى وجود تلك العناصر المغربية بصفة دائمة في غانة إلى تقوية الروابط بين سكان غانة والمغاربة الذين توافدوا من جهات المغرب كافة[١] ، وكان ذلك من أجل خدمة مصالحهم الاقتصادية المشتركة من ناحية ، بالإضافة إلى استفادة السودانيين من تلك العناصر المغربية في شتى المجالات المتعددة من ناحية أخري[٢] .

واستمر توافد المغاربة على بلاد السودان الغربي بوجه عام وغانة بوجه خاص ، تحديداً في فترة سيطرة المرابطين على المغرب الأقصى إذ استمرت الاتصالات الأهلية والدبلوماسية بين المرابطين ودولة غانة ، يدل علي ذلك المراسلات بين يوسف بن تاشفين وملك غانة التي ذكرها صاحب الاستبصار[٣] . وأسهمت هذه الاتصالات في استقرار أعداد كبيرة من المغاربة من أهل العلم والفقهاء وقراء القرآن الذين أصبحوا منتشرين في السودان الغربي كله ، وقد ذكر الزهري عن أهل جناوة

مملكة غانة الحيوية ترتبط شمالا بالمغرب ، كان أغلب هؤلاء المترجمين مغاربة ،حيث يقومون بالاستقبال والترجمة للوفود التي تأتى للملك ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ١٧٥.

(١) الدول المستقلة بدأت في الظهور من منتصف القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، فظهرت دولة بني مدرار في عام (١٤٠ هـ/ ٧٥٧م) والدولة الرستمية في عام (١٦٠هـ/ ٧٧٦م) دولة الادارسة العلويين في أقصى المغرب سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٨م) وكانت فاس عاصمتهم وحاضرتهم ، كما ظهر في الريف بنو الحمريون ، وفى أفريقية ظهر بنو الأغلب في سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م) ، وشيعتهم من بني تميم ، وفى نهاية القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي وتحديدا في سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) ثم ورث الفاطميون هذه المهالك المستقلة وكان مناصروهم من بني حمدون بالمسيلة، أنظر مصطفى أبو ضيف عمر : أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري المرابطين والموحدين وبني مرين ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢م ، ص ٢٦٣، ٢٧٣، محمد محمد أمين : تطور العلاقات العربية الإفريقية ، نشر معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ، ١٩٧٨م، ص٦٤، ٦٥، ٦٦.

(٢) البكري : مصدر سابق ، ص ١٧٥.

(٣) مجهول : (كان حيا في أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر للشئون الثقافية العامة ، بغداد ، بدون تاريخ ، ص ٢١٩، حسين مراد : الصلات بين بلاد المغرب والسودان الغربي ، ص ٣٩٠.

وبقصد بهم أهل غانة[١] عند القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أن "عندهم العلماء والفقهاء والقراء[٢]"

كما أن دولة مالي حين أسلم ملكها كان يوجد في دولته بعض دعاة المغرب وفقهائه ، ويتضح ذلك من قصة إسلامه[٣] أما منطقة التكرور فقد انتشر فيها الإسلام أيضا بفضل جهود المغاربة[٤] .

وعلى أية حال يؤرخ لبداية الاتصالات بين بلاد المغرب و بلاد السودان الغربي بالقرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[٥] ، وقد أثمرت هذه الاتصالات خلال القرون التالية بأن أصبح الإسلام دينا رسميا للوحدات السياسية كافة في تلك البلاد خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.كما استمر تأثير مالكية المغرب في السودان الغربي خلال القرون التالية .

كما انتشر الإسلام في مملكة جني بفضل جهود المغاربة وكان بها عدد كبير من الفقهاء "حوالي أربعة ألاف ومائتين" ورغم أن هذا العدد مبالغ فيه ،إلا أنه لم يكن جميع أهل جني قد أسلموا بعد ، وأسلموا جميعا في نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . الذي شهد مجيء أعداد كبيرة من الفقهاء وخاصة المغاربة منهم إلى بلاد السودان الغربي .

---

(١) يقصد دولة غانة ، فقد عرفهم الزهري قائلا :"وأهل جناوة الذين حاضرتهم غانة " ، أنظر الزهري " محمد بن أبى بكر الأندلسى كان حيا في سنه ٥٤١ـ٥٥٦هـ/ ١١٤٦ـ١١٦٠م " كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد صادق الحاج ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٢٥ ، أحمد الشكرى : مرجع سابق ، ص٩٨ ، ٩٩.

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) البكري : مصدر سابق ، ص ١٧٥.

(٤) السعدي: مصدر سابق، ص ١٢، ١٣.

(٥) البكري : مصدر سابق ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

وقد استمر تدفق فقهاء بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي زمن دوله مالي الإسلامية (٦٢٨-٨٣٤هـ/ ١٢٣٠-١٤٣٠م) بفضل تشجيع سلاطينها و خاصة منسا موسى (٧١٢-٧٣٧هـ/ ١٣١٢-١٣٣٧م) الذي أرسل يطلب الفقهاء من المغرب والمشرق والأندلس، وعمل على استقدامهم إلى بلاده[١] . يشهد على ذلك استقدام منسا موسى للفقيه عبد الله البلبالى من مدينة فاس ، و قد ولاه منسا إمامة المسجد الجامع بتنبكت[٢] . كما وفد زمن منسا موسى أيضا الفقيه أبو العباس الدكالي الذي تولى منصب القضاء في هذه الدولة[٣].

وقد استمر توافد المغاربة في عهد منسا سليمان(٧٤١-٧٦١هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م) الذي أحسن استقبالهم ، وقد شاهد ابن بطوطة العديد منهم أثناء رحلته إلى مالي في عهد هذا المنسا . فالتقي في مدينة ولاتة بأحد فقهاء مدينة سلا[٤] ويدعى الفقيه ابن بداء[٥] ، كما التقي ابن بطوطة أيضا بقاضي مدينة ولاته وهو الفقيه المغربي محمد بن عبد الله بن ينومر ، كما التقى بأخيه يحيى وكان فقيهاً ومدرساً هناك[٦]. كما التقي ابن بطوطة بشيخ المغاربة في مدينة تكده[٧] ويدعى الفقيه إبراهيم بن إسحاق بالإضافة

---

(١) الجز يرى "عبد القادر بن محمد، أنتهي من تأليفه ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م": درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ ص ٦٦٧.

(٢) أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٧٧م، ط١، ص ٣٣.

(٣) ابن بطوطة : : رحلته ، مصدر سابق ، ص٦٦٧.

(٤) سلا مدينة تقع بالمغرب الأقصى على ساحل المحيط الاطلنطى ، منها إلى مدينة مراكش عشر مراحل ، لها نهر كبير و في غرب هذا النهر أختط عبد المؤمن بن على مدينة سماها المهدية ، أنظر ياقوت الحموي: مصدر سابق،ص ٢٣١.

(٥) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٦١.

(٦) المصدر السابق والصفحة : ص ٦٦١.

(٧) تقع مدينة تكدا على بعد ١٨٠ كيلومتر ألي الشمال من مدينة أغاديس الحالية ، المصدر السابق ، ص ٦٧٩.

إلى الخطيب محمد ، والمدرس الفقيه أبى حفص المسوفى[١] والشيخ التلمسانى الذي يعلم الناس القرآن الكريم والفقه[٢]، والشيخ المزورى المراكشي الذي قابله أيضاً[٣] ، والمقرئ عبد الواحد بشمعة[٤] والشيخ الموصلي[٥] وسعيد بن على الجزولى[٦] .

ولكثرة الوجود المغربي في دولة مالي وجد ابن بطوطة حياً من أحياء العاصمة خاصاً بهم ويدعى "محلة البيضان" ومن اللافت للنظر أن أهل تلك البلاد يطلقون على المالكيين من البيض لقب " تورى"[٧].وكان كبير المغاربة في العاصمة محمد بن الفقيه الجزولى قد التقى به ابن بطوطة كما التقي بصهره الفقيه عبد الواحد .

أما مدينة "جاو" عاصمة دولة صُنغى فقد امتد إليها المد المغربي بحيث كان وجودهم فيها كبيرا ، يشهد على ذلك وجود مسجد في هذه المدينة يدعى مسجد البيضان ،وإمامه الفقيه محمد الفيلالى ، وكان هناك أيضا الفقيه محمد بن عمر المكناسى ، والفقيه محمد الوجدى التازى أي من مدينة تازة المغربية[٨] .ولم يقتصر الحضور المغربي في مدينة جاو على الفقهاء فقط بل امتد ليشمل الأسر والبيوتات

---

(١) المصدر السابق: ص ٦٧٩.

(٢) حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٨٢.

(٣) ابن بطوطة :مصدر سابق ، ص٦٦٥.

(٤) نفس المصدر ، ص٦٦٤.

(٥) وهو من علماء بجاية أنظر ، الغبرينى " العباس أحمد ، المتوفى(٧٠٤هـ/ ١٣٢٦م) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الوطنية للنشر والتوزيع ، وطبعة المطبعة الثقافية الجزائر ، ١٣٢٨هـ، ص ١٦٦، ١٦٧ .

(٦) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٧.

(٧) المصدر السابق: ص ٦٦٤.

(٨) المصدر السابق ، ص ٦٧٩.

الشريفة ، ومنها انتقال بعض أفراد أسرة الأشراف السعدية سلاطين المغرب الأقصى للإقامة في جاو وبالقرب منها[١] .

كما قدم إلى مدينة تنبكت الشيخ يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن التغلبى التادلسى[٢] الشريف المتوفى عام (٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م) والذي بني بها مسجداً سمى باسمه "مسجد سيدي يحيى" . وكان هذا الشيخ إماماً بلغ الغاية في العلم والصلاح ، وكان يعلم الناس في مسجده[٣] ويدرس لهم بعض كتب الفقه المالكي ، ومن هذه الكتب الفقهية التي كان يقوم بتدريسها كتاب" تهذيب البر ادعى "[٤] .

كما سكن مدينة تنبكت أيضا وغيرها من مدن السودان الغربي عائلات مغربية اشتهرت بالعلم يؤكد ذلك ماذكره السعدي : " أخيار العلماء من ورقلة[٥] وبعض المدن الاخري مثل فزان[٦] و غدامس[٧] و

---

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٤٩.

(٢) مجهول :مخطوطة نسب سيدي يحيي ، مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية (تنبكت) رقم ٢٤٠.

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٠ ، ٥١، الارواني : مصدر سابق ، ص ٧٩، ٨٠.

(٤) السعدي : مصدر سابق ،ص ٤٧.

(٥) ورقلة : تقع في الجنوب الشرقي للجزائر ، و أتت تسمية ورقلة من السكان الأوائل بها وهم بنو الوركلان ، أو بنو الورجلان بحيث اشتق اسم ورقلة من ذلك ، ويقول البكري : " فإن أردت من تادمكة الى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان ، وهى سبعة حصون للبربر أكبرها يسمى أغرم آن يكامن ، أي حصن العهود ، أنظر البكري : مصدر سابق ، ص ٣٧١.

(٦) فزان : " أسم يطلق على المنطقة الواقعة بين طرابلس شمالا وتبستى جنوبا ، وهى منطقة تتناثر فيها الواحات التي تعد امتدادا لواحات القسم الأوسط من الصحراء الكبرى ، وأن من مدن فزان مدينة جرمه ومدينة تساوه التي تسمى جرمه الصغرى ، أنظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٤٠.

(٧)غدامس :"مدينة بالمغرب ثم فى جنوبيه ، ضاربة في بلاد السودان بعد بلاد زافون ، تدبغ فها الجلود الغدامسية ، وهى من أجود أنواع الدباغ ، لاشي فوقها في الجودة ، وفى وسطها عين أزلية ، وعليها أثر بنيان رومي ، وأهلها بربر يقال لهم : تناوريه " ، أنظر البكري : المسالك والممالك ، جـ٢، هامش ص ٢٢٥، وقد عرفت منطقة درعه استقرار منذ القديم ، وقامت بدور كبير في التواصل بين مختلف الجهات ،

توات[١] و درعة[٢] و تافيلالت[٣] و فاس[٤] ----------------------==

لوقوعها على طريق القوافل التجارية الرابطة بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، وكانت بها مراكز تنطلق منها وتنتهي أليها تلك القوافل ، طيلة العصر الوسيط والحديث ، أنظر الادريسى : " الشريف الادريسى السبتى المتوفى عام ٤٩٣-٥٦٠هـ/ ١١٠٠-١١٦٥م " تحقيق الوافي نوحي ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، ط١، ٢٠٠٧م ، ص٢٧٦.

(١) توات هي صحراء في اعلي المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما .....وعدد قصور في القرن الحادي عشرة قصر أوسطها بوده وتيمي وتمنطيط واختلف المؤرخون في تسمية توات فهناك روايات تتعلق بتحديد ماهية التسمية ومن هذه الروايات رواية عبد الرحمن السعدي الذي قال إن سلطان مالي كنكان موسى كان ذاهبا إلى الحج برفقة جماعة كبيرة من أهل بلده فلما وصلوا هذه الديار أصيب البعض منهم بمرض معروف عندهم باسم توات فانتظرهم السلطان ومن معه علهم يشفون بسرعة من مرضهم لكن ابطأ بهم المرض وصار الحال إلى ما لا يرضون فتركهم السلطان في هذه الأرض وسار بمن معه وهؤلاء الذين بقوا وجدوا هذه الأرض مخضرة وذات بساتين وواحات فمكثوا بها واستقروا وصاروا يسمونها بالمرض الذي أصيبوا به وهو توات ،عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان ، ص ٧.

(٢) درعة : "من درعة إلى سجلماسة مسيرة أربعة أيام ، وعلى وادي درعة شجر كثير وثمار عظيمة وهناك شجر التاكوت الذي يشبهه شجر الطرفاء ، وبهذا التاكوت تدبغ الجلود الغدامسية ، وعلى وادي درعة سوق فى كل يوم من أيام الجمعة في مواضع مختلفة منه معلومة ، وربما كان عليه في اليوم الواحد سوقان ، وذلك لبعد مسافته وكثرة الناس عليه ، وطول عمارته المتصلة سبعة أيام "، أنظر البكري ، مصدر سابق ، ص ٣٣٨.

(٣) تافيلالت : هي سجلماسة والتي تعرف الان باسم تافيلات ، وتقع سجلماسة فى شمال وادي درعة ، على طرف الصحراء جنوبا في أخر بلاد العمران ، وتليها المفازة الكبرى التي تؤدى إلى بلاد غانة من بلاد السودان وكان يسكن تلك المفازة قبائل الملثمين من صنهاجة من مسوفة ولمتونة ، أنظر سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي ،جـ٢، نقلا عن صاحب كتاب الاستبصار ، ص ٤٠٩.

(٤) فاس : وهى مدينة بالمغرب الأقصى وسميت بفاس لأنهم لما شرعوا في حفر أساسها وجدوا فأسا في موضع الحفر ، وتم بناء مدينة فاس في عام ١٩٢هـ/ وهي مدينتان يشقهما نهر ، الأولى فاس القديمة والمياه تجرى بأسواقها وحماماتها ، حتى يقال إنه ليس بالمشرق ولا بالمغرب مدينة تضاهيها في ذلك ، إلا أن أرضها ذات ارتفاع وانخفاض ، وفيها عدة عيون ، وقال أبو عبد الله العسلي : "عدتها ثلاثمائة وستون عينا ، وقال أبن سعيد : "لم أرقط حمامات في داخلها عين تنبع إلا في فاس ، وقال : " وهى أكثر مياها من دمشق " وقال : " وفاس هي مدينتان : أحداهما بناها إدريس بن عبد الله ، أحد خلفاء

والسوس[١] " إلى غير ذلك من البلاد[٢] والعائلات المقيمة فيها . ومن هذه العائلات عائلة تعلى و على رأسها محمد ابن الصديق الذي أصبح إماماً للمسجد الكبير[٣] ، وعائلة الخضر الذين كان جدهم كاتبا عند سني على[٤] .

وتعددت العائلات المغربية التي سكنت مدينة تنبكت ، ومنها عائلة أبو القاسم التواتى المتوفى عام (٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م) والذي كان له حلقة يدرس فيها للأطفال بجوار مسجده[٥] الذي تولى فيه الإمامة . وقد تولى الإمامة من بعده في هذا المسجد السيد منصور الفزانى وهو من عائلة الفزانى[٦] ، وهناك أيضاً عائلة الفلالى و يأتي على رأسها الإمام الفقيه محمد بن أبى بكر بن أكداد الفلالى المتوفى عام (٩٨٩هـ/ ١٥٨١م) والذي تولى الإمامة في الجامع الكبير[٧] في تنبكت وجني وجاو. وهناك عائلات آخري منها عائلة الهوارى[٨] في جني ، وعائلة الدليمى من

الادارسة بالمغرب ، وتعرف بعدوه الأندلس ، والأخرى بنيت بعدها تعرف بعدوه القرويين ، وقال في الروض المعطار :" وكان بناء عدوة الأندلسيين في سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وبناء عدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وعدوة القرويين أكثر عيونا وبساتين وأشجار من عدوة الأندلسيين ، ورجال عدوة الأندلسيين أشجع ورجال عدوة القرويين أجمل ، والثانية فاس الجديدة ، وهى ثلاث مدن بناها أباء ملوكها القائمين بها الآن حين ملكوا المغرب الأقصى ولما نزلوا بنوا ثلاث مدن على ضفة النهر الغربية ، أنظر ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ١٥٣ ، ١٥٤.

(١) السوس : "وهى مدينة من أقصى المغرب في الإقليم الثاني ، قال أبن سعيد : "حيث الطول ثمان درج والعرض ست وعشرون دقيقة ، وهى على طرف من البر داخل في البحر أربعين ميلا ، وفى جانبها الشمالي نهر يأتي من الشرق من جبل لمطة ، أنظر القلقشندى : مصدر سابق ، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢١.

(٣) المصدر السابق ، ص٢١.

(٤) المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، الاروانى : مصدر سابق ، ص ١٢٤ .

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٨.

(٦) الاروانى : مصدر سابق ، ص ١٢٤.

(٧) نفس المصدر والصفحة .

(٨) الولاتى : "أبو عبد الله الطالب محمد بن أبى بكر الصديق البرتلى الولاتى " ، فتح الشكور في معرفة

مراكش[١] وعائلة الكابرى وجدها محمد الذي جاء من المغرب للدراسة فى مدينة تنبكت وتولى القضاء في هذه المدينة[٢]. وعائلة البلبالى ويأتي على رأسها الفقيه الحافظ مخلوف بن على بن صالح البلبالى المتوفى عام (٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م) والذي انتشر علمه وفقهه في مدينة تنبكت فقد درس بها ، وكانت له نوازل وأبحاث مع الفقيه العاقب الأنصمنى ، ثم غادر تنبكت إلى مراكش وقام بالتدريس فيها ثم عاد إلى وطنه الأصلي وهو واحة بالقرب من توات وبها توفى[٣].

كما وفد الإمام الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلى التلمساني[٤] المتوفى عام (٩٠٩هـ/ ١٥٠٣) ويعد من أشهر المغاربة الذين وفدوا إلى تلك البلاد وخاصة مدينة جاو وقد انتفعت تلك البلاد بفقهه وعلمه . دخل الإمام المغيلى بلدة تكدة ، واجتمع بحكامها ومكث بين ظهراني أهلها مدة من الزمن ، ونشر العلم بين أهلها ، وأقرأ أهلها وانتفعوا به ، حيث كان يمارس فيها التدريس والوعظ ، وأفاد أهل تلك

أعيان علماء التكرور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،١٩٨١م ، ص ١٠٨.

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٠٨.

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٩، الولاتي : مصدر سابق ، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٤) المغيلي :"هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني " ، من أعلام القرن التاسع والعاشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، ولد بمدينة تلمسان " التي تقع في الجزائر بينها وبين مدينة وهران المشهورة حوالي ١٥٠ كيلو متر ، وقيل إنه ولد فى مدينة فاس المغربية و المغيليون من الأسر العلمية القديمة بسلا ، أنظر أحمد بابا التنبكتى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامه ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ،طرابلس ١٩٨٩م ، ص ٥٧٦، ٥٧٧ ، ٥٧٨.

البلاد كثيراً[١] ومن الذين شهدوا دروسه في تكدة الفقيه محمد بن أحمد بن محمد التازختي المعروف بأيد أحمد[٢] .

وممن أخذ الفقه عن الإمام المغيلي الفقيه عبد الله الأنصمنى المتوفى عام (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) والذي أصبح فقيهاً ومن أعيان مذهب الإمام مالك[٣] .ثم رحل الإمام المغيلى إلى مدينة جاو واجتمع بسلطانها أسكيا محمد ووضع له مؤلفاً إجابة عن مسائل عرضت عليه[٤] ' فأزال الشوائب التي علقت بالدين ، وصحح الكثير من أموره التي كانت مغلوطة في أذهان العامة ، ووجهه أسكيا محمد للعقيدة الصحيحة[٥] .

وهكذا كان للفقهاء المالكية وللعائلات المغربية دور بارز في استقرار ودعم المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي ، ولم يقتصر الأمر على تأثير مالكية المغاربة فقط بل سنجد دوراً كبيراً لمالكية المشرق خلال رحلات الحج والرحلات العلمية ، وخاصة فقهاء مالكية مصر الذين كان لهم نفس الدور والتأثير في دعم مذهب الإمام مالك .

٣ـ رحلات الحج والرحلات العلمية .

دأب مسلمو السودان الغربي على تنظيم رحلات جماعية للخروج إلى الحجاز من أجل أداء مناسك الحج، وزيارة الروضة الشريفة، غير مكترثين بالمعوقات والصعاب. وتعد أهم ظاهرة طبعت هذه الرحلات هي الإشراف الفعلي لملوك

---

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٥٧٨ .

(٢) كلمة أيد معناها (ابن) في لغتهم ، وهو من بلدة قريبة من والاتة المشهورة ، السعدي مصدر سابق ، ص٣٩.

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٥٧٨ ، السعدي مصدر سابق ، ص ٤١.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ص٥٧٧.

(٥) أبو بكر إسماعيل ميقا : الحركة العلمية والثقافية ، ١٧٠.

وأمراء الحواضر الإسلامية السودانية عليها ، بالإضافة إلى رعاية شؤون الحجاج مادياً وأدبياً . وهكذا أصبح خروج المسلمين من السودان الغربي ملوكاً وجماعات ، إلى الحج واتصالهم بالشعوب الإسلامية المختلفة في المغرب ومصر والحجاز تأكيدا لروح الأخوة الإسلامية التي فرضها الإسلام[1].ومن الواضح أن المغرب كان محور التقاء هذه الوفود من حجيج أهل السودان الغربي حيث ينضمون إلى وفود الحجاج المغاربة ، ثم يتجهون في ركب واحد صوب مصر ، ويخرجون مع ركب الحجاج المصريين إلى أرض الحجاز، مما أتاح لهم الفرصة للاحتكاك والتفاعل ، وبخاصة بينهم و بين رواد المعرفة وأهل العلم في تلك البلاد .

وقد ارتبطت رحلة الحج بالرحلة في طلب العلم حيث أصبحت الرحلتان لديهم وجهين لعملة واحدة ، ومن ثم كانت هذه الرحلة من المسائل المحمودة في السودان الغربي عموما باعتبارها عاملا مهماً في توثيق الصلات والروابط مع أهل المغرب خاصة والمشرق على وجه العموم . وقد تضاعفت سبل الاتصال عن طريق الرحلة في طلب العلم والرحلة للحج إلى المشرق الإسلامي مما أوجد تلاحماً ودعما للروابط الثقافية بين أهالي و فقهاء السودان الغربي ونظرائهم من حواضر المشرق والمغرب الإسلاميين ، وقد نتج عن هذه الرحلات تبادل المعارف والآراء في مختلف العلوم العقلية و النقلية وعلى أية حال فقد أعانت رحلة الحج فقهاء السودان الغربي علي الاتصال بعلماء المغرب والمشرق كما أتاحت لهم الاطلاع على الكتب والمصنفات في شتى ألوان المعارف الإسلامية ودراستها ، فكانت الحركة مستمرة بين السودان الغربي من جهة ، و فاس ومصر والحجاز من جهة أخرى للاستزادة من العلوم

---

(١) شوقي عطا الله الجمل : الحضارة الإسلامية العربية في غرب أفريقيا سماتها ودور المغرب فيها ، مجلة المناهل المغربية ،العدد السابع ، السنة الثالثة ، ،١٩٧٦ ص١٣٤.

الدينية والحصول على الإجازة من العلماء بعد التعمق في دراسة الفقه وأصوله وسائر العلوم الدينية وخاصة الفقه المالكي[١].

وقد كانت القاهرة معبرا مهماً لفقهاء السودان الغربي في أثناء رحلتهم لتأدية فريضة الحج، وكان لفقهاء المالكية في مصر فضل في توطين المذهب. وهكذا كانت رحلة السودانيين دائمة إلى مصر وهم في طريقهم إلى الحجاز، و بذلك كانت القاهرة محطة مهمة لأبناء السودان الغربي[٢].

ومن أبرز المراكز العلمية في القاهرة والتي كان يتوافد عليها أبناء السودان الغربي وهم في طريقهم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مدرسة ابن رشيق و التي بناها في مدينة الفسطاط القاضي و الفقيه المالكي المصري علم الدين بن رشيق عام(٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) والذي تولى تدريس المذهب المالكي بها. وأصبحت هذه المدرسة مركزا لتدريس المذهب المالكي حيث بلغت في هذا الأمر شهرة عظيمة. وكان بناء هذه المدرسة من تبرعات أبناء بلاد السودان الغربي لتكون مركزا لإقامة الوافدين إلى مصر من تلك البلاد[٣].

---

(١) رشيد الزواوي : التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي ، مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد ١ ، ١٩٩٣ ، ص ٣٢٤، ٣٣٩.

(٢) تمتعت القاهرة بأهمية كبيرة لحجاج دولتي مالي وُصنغى، حيث مثلت لهم أهم محطة تجارية وعلمية وثقافية ، وذلك لوقوعها على طريق حج هاتين الدولتين ، ومنتهي طرق الصحراء للذهاب إلى الأراضي المقدسة عن طريق القاهرة ، أنظر ابن خلدون : مصدر سابق ، ص ١٨٩٥، إبراهيم على يوسف الشامي : الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وُصنغى (٦٣٦-١٠٠٠هـ / ١٢٣٨/ ١٥٩١م) ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م ، جـ٢ ، ص١٢٣.

(٣) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، طـ١٩٨٧م ، جـ٢، ص ٣٦٥.

كما كان للأزهر الشريف دور ومكانة كبيرة في نفوس أبناء السودان الغربي الذين أرادوا أن ينهلوا من معين فقهاء المالكية به ، وقد قام الأزهر الشريف باستقبال الكثير من هؤلاء الوافدين الذين تزايدت أعدادهم ، ولذلك أسس لهم رواقٌ خاص بهم في الأزهر عام (٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) عرف برواق التكاررة[١]. وقد ساعد الأزهر على توطين المذهب المالكي بين أبناء هذه البلاد ، وهكذا كان الأزهر عنصرا فعالاً وإيجابياً في دعم الصلات الثقافية بين مصر و تلك البلاد[٢].

وتذكر لنا كتب التاريخ والتراجم أسماء بعض ممن وفد إلى مصر من بلاد السودان الغربي وأقاموا للدراسة بها ونهلوا من فقهاء المالكية تعاليم هذا المذهب ومن هؤلاء ، فالح ابن عثمان التكروري المتوفى عام (٦٩٥هـ/ ١٢٩٣م)[٣] ، وكذلك الشيخ عثمان فقيه أهل غانة وكبيرهم علما ودينا وشهرة ، وكان قد جاء إلى مصر عام(٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م)، وكان قد التقى بابن خلدون الذي نقل عنه أخبار تلك البلاد في كتابه العبر[٤] .

كما وفد إلى القاهرة ركب حجاج السودان الغربي بصحبة السلطان منسا موسى الذي جاء إلى مصر عام(٧٢٤هـ/ ١٣٣٤م)[٥] وتشير المصادر إلى أن هذا الوفد حَظِي بكثير من الإكبار والإجلال وتروي أنه ضم أكثر من أربعة عشر آلف حاج[٦] وقد جاء هذا الوفد إلى أرض مصر في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد

---

(١) القلقشندى : مصدر سابق ، جـ٥، ص ٢٨١، المقريزي : مصدر سابق ، جـ٢، ص ٣٦٥.

(٢) حسين مراد : المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص ٨٤.

(٣) المقريزى : المواعظ ، جـ٢، ص ٣٦٢، ٣٦٤.

(٤) ابن خلدون : تاريخه ، جـ٢ ، ص١٨٩٤.

(٥) المقريزي " تقي الدين أحمد بن على المتوفى عام "٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م" : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مابين عام ١٩٣٦-١٩٥٨م ، جـ٢، ص ٢٥٥.

(٦) المقريزي : الذهب المسبوك ، ص ١١٢.

بن قلاوون (٦٩٣ـ ٧٤١هـ / ١٢٩٣ ـ ١٣٤١م) . وقد كان منسا موسى ومن معه على نمط واحد في العبادة والتوجه إلى الله عز وجل كما أنه كان كثير الحضور لمجالس العلم الخاصة بفقهاء المالكية وكان هو ومن معه في غاية السكينة والوقار[١] .

وقد اهتم منسا موسى ومن معه بتحصيل الفقه المالكي على أيدي فقهاء مصر المالكيين مثل القاضي المالكي شرف الدين أبي الروح عيسى الزواوى المتوفى عام (٧٤٣هـ / ١٣٤٧م) ، والذي كانت له مكانة كبيرة في الفقه المالكي جعلته إماماً لهذا المذهب بمصر ، ولذلك انتهت إليه رئاسة الفتوى على مذهب الإمام مالك بالديار المصرية[٢] .

كما جلس منسا موسي ومن معه أيضا إلى الفقيه محمد بن أحمد بن ثعلب المصري المشهور بابن كشتغدى وهو قاضي ومدرس المالكية في مصر ، وسمع منه وطلب العلم على يده ، بل وطلب منه أن يقوم بشرح لمختصر أبى الحسن الطليطلى[٣] وقد اصطحبه معه منسا موسى عند عودته إلى بلاده .

كما جاء إلى مصر ضمن ركب حجاج السودان الغربي عام (٨٩٠هـ/ ١٤٨٤م) عدد كبير من أبناء تلك البلاد والتقوا بفقهاء المالكية في مصر ، منهم أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام(٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م)، وقد التقى هذا الفقيه بخالد الأزهري[٤] وهو من أعلام النحو مما كان سبباً في ارتفاع شأن أحمد بن

---

(١) العمري : مسالك الإبصار ، جـ٤ ، ص ٧١.

(٢) ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ص٢٨٣.

(٣) القاضي عياض :مصدر سابق ، جـ٦ ، ص١٧١ ، ١٧٢ ،أبن فرحون : مصدر سابق ، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٤) هو خالد بن عبد الله بن أبى بكر الجرجاني وهو من أعلام النحو للمزيد ، أنظر السخاوى "محمد بن عبد الرحمن المتوفى عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م" الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، جـ٣، ص ١٥٣، ١٥٤.

عمر بن محمد أقيت في مجال العلم حيث أصبح فقيها لغُويا نحويا وانتفع به جمع كثير من أبناء وطنه حين عاد إليه ، كما التقى بالإمام جلال الدين السيوطي المتوفى عام (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) ، وكان للإمام السيوطي هذا العديد من المؤلفات في التفسير والحديث والأصول وغيرها من العلوم[١] .

وقد استمرت رحلات الحج وطلب العلم إلى الحجاز والمشرق ، فعندما حج أسكيا محمد الكبير عام(٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) كان في صحبته عدد كبير من الفقهاء[٢] ، بما لا يدع مجالاً للشك في أن هؤلاء الفقهاء السودانيين وغيرهم قد التقوا بأعلام فقهاء مصر المالكيين الذين ذاعت شهرتهم في المذهب المالكي شرقاً وغرباً، ومن هؤلاء الفقهاء المصريين شمس الدين اللقاني (٨٥٧ـ٩٣٥هـ/ ١٤٤٢ـ١٥٢٨م) ، وكان من حفاظ مختصر خليل وانفرد بإقراء هذا المختصر هو وأخوه ناصر الدين (٨٧٣ـ٩٥٨هـ/ ١٤٦٨ـ١٥٥١م)[٣] حيث كانا من العلماء الأجلاء وكان عليهما مدار المذهب بمصر[٤] ، ولذلك تفقه عليهما العديد من أبناء السودان الغربي مثل الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت (٨٦٨ـ٩٥٥هـ/ ١٤٦٣ـ١٥٤٨م) الذي جاء بصحبة ركب الحجيج السوداني عام (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) ، وأقام في القاهرة فترة التقى فيها بالأخوين اللقانى ودرس عليهما ثم عاد إلى بلاده فقيها وإماما فاشتهر بعلمه هناك وظل ملازما للتدريس وخاصة الفقه المالكي في بلاده بعد عودته وكان أكثر ما كان

---

(١) للمزيد عن السيوطي أنظر السخاوى : المصدر السابق ، جـ٤، ص ٦٠، ٦٤.

(٢) ومن فقهاء رحلة أسكيا محمد ، الفقيه صالح جور ، ومحمد تتنك ، والقاضي محمود يدبغ ، والشيخ مور محمد ، والقاضي محمود كعت ، أنظر محمود كعت :الفتاش ، ص ١٦.

Brent Singieton : Aselect bibliography of the Songhay Empire ,Africa,vol.٣١\٢٠٠٤,p ٣٦٠.

(٣) عن شمس الدين اللقانى وأخيه ناصر الدين اللقانى أنظر :أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٥٨٦، ٥٨٧ ، ٥٩٠، ٥٩١.

(٤) المصدر السابق :ص ٥٨٦، ٥٨٧.

يدرسه من كتب هذا الفقه المدونة ، والرسالة ، ومختصر خليل . وانتشر عنه إقراء مختصر خليل في بلاد السودان الغربي ، كما وضع شرحا لموطأ الإمام مالك في سفرين كبيرين[1] .

كما أخذ عن اللقانيين الفقيه محمد بن أحمد بن أبى محمد التازختى المتوفى عام (٩٣٧هـ/ ١٥٣٠م) والذي كان مصاحبا للفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت[2] في رحلة حجه سالفة الذكر، والذي حضر دروسهما في الفقه وخاصة كتاب مختصر خليل[3] . كما التقى التازختي أيضاً بالفقيه القلقشندى الذي كان محدثا وفقيها[4] مما جعل هذا الفقيه عند عودته إلى بلاده فقيها عالما محدثا ذائع الشهرة ، ووضع تقييدا على مختصر خليل[5] .

كما جاء إلى القاهرة من بلاد السودان الغربي مع الحجيج وفد للأخذ من فقهائها وهم في طريقهم إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، وكان هذا في عام (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م)، وكان في طليعة هذا الوفد الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م) الذي التقى في القاهرة بجماعة من أعلام المذهب المالكي ، منهم ناصر الدين اللقاني ، والفقيه الأجهوري المتوفى عام (٩٥٧هـ/ ١٥٤٩م) والذي كان مداوماً على تدريس مختصر خليل لطلبة العلم مما

---

(١) السعدي تاريخ السودان ، ص٣٨ ، ٣٩.

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٩.

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٥٨٧ ، السعدي مصدر سابق ، ص ٣٩، ٤٠ ، الاروانى : مصدر سابق ، ص ٩٣

(٤) هو :إبراهيم بن على بن أحمد إسماعيل القلقشندى "وكان محدثا وفقيها، أنظر السخاوى : مصدر سابق ، جـ١، ص ٦٤، ٦٥.

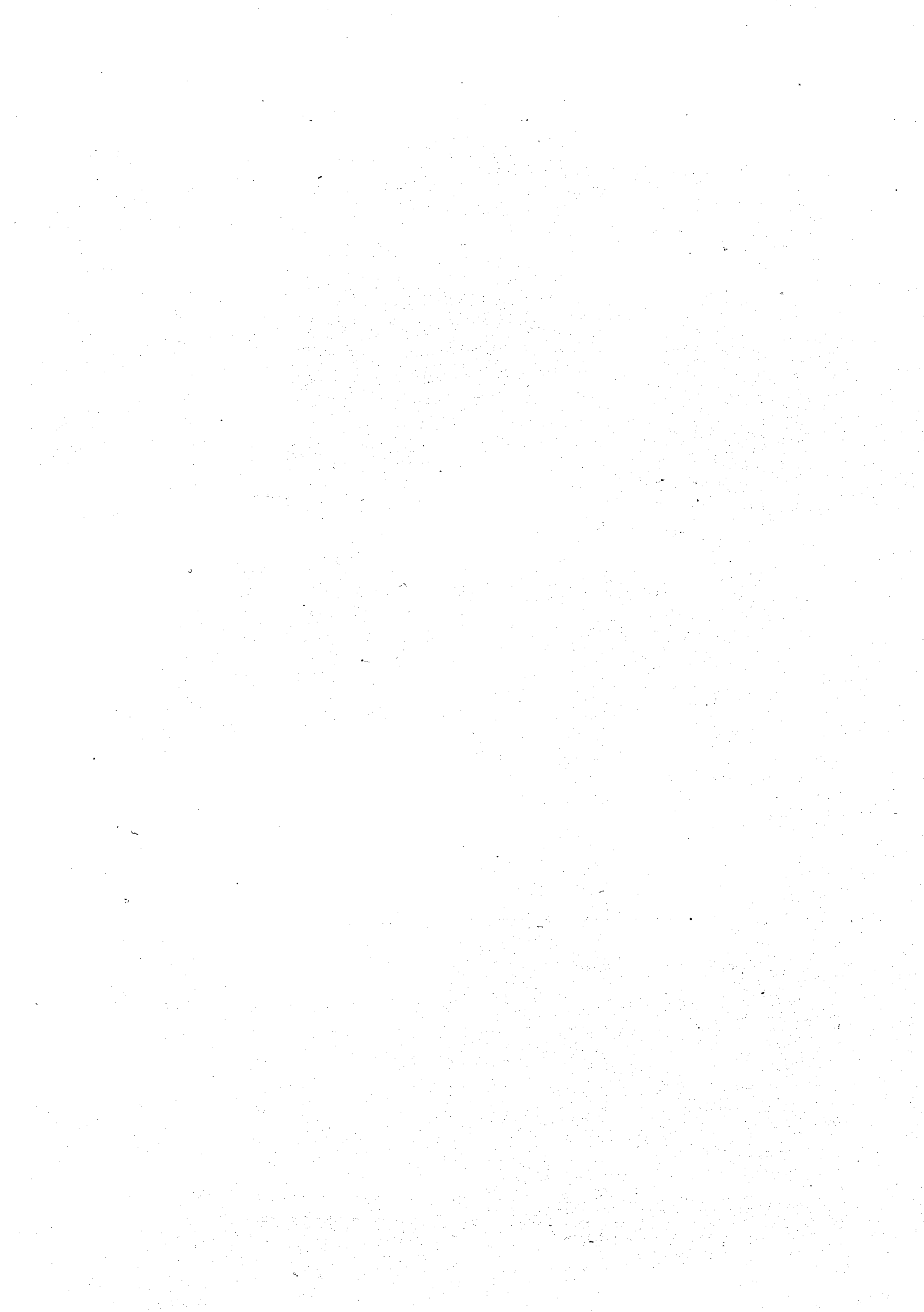
(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٩، ٤٠ .

كان سبباً في ارتفاع مكانته وذيوع صيته في مجال العلم وخاصة الفقه المالكي حتى قال عنه ابنه الفقيه أحمد بابا :"...إنه أعرف من رأيناه في الفقه..."[١] .

وخلاصة القول إن مرور و إقامة أبناء السودان الغربي في القاهرة قد هيأ لهم الفرصة للقاء أعلام المذهب المالكي من المصريين ، وكذلك غير المصريين ممن طاب لهم المقام في القاهرة منهم الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الحاج الطرابلسي المعروف بالتاجوري المتوفى عام (٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م) وهو من أعلام المذهب المالكي ، وكان قد تتلمذ على يد الأخوين اللقانيين وغيرهما ، وكان مدرسا للموطأ والرسالة والتهذيب ، والتقي في مصر الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت ، وكذلك الفقيه محمد بغيغ الذي شهد له حلقاته الدراسية[٢] ، وهكذا كانت رحلات الحج والرحلات العلمية عاملاً مهماً من عوامل توطين المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي. وكان هذا واضحا من خلال مجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء الذي تزودوا بمعارف مدن المشرق وفي مقدمتها القاهرة لينقلوها إلي مدنهم في بلاد السودان الغربي.

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٢٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص٢٦٣.



الفصل الثالث
فقهاء المالكية والحياة السياسية في بلاد السودان الغربي

١ـ فقهاء المالكية والعرش

أ ـ في دولة مالي .

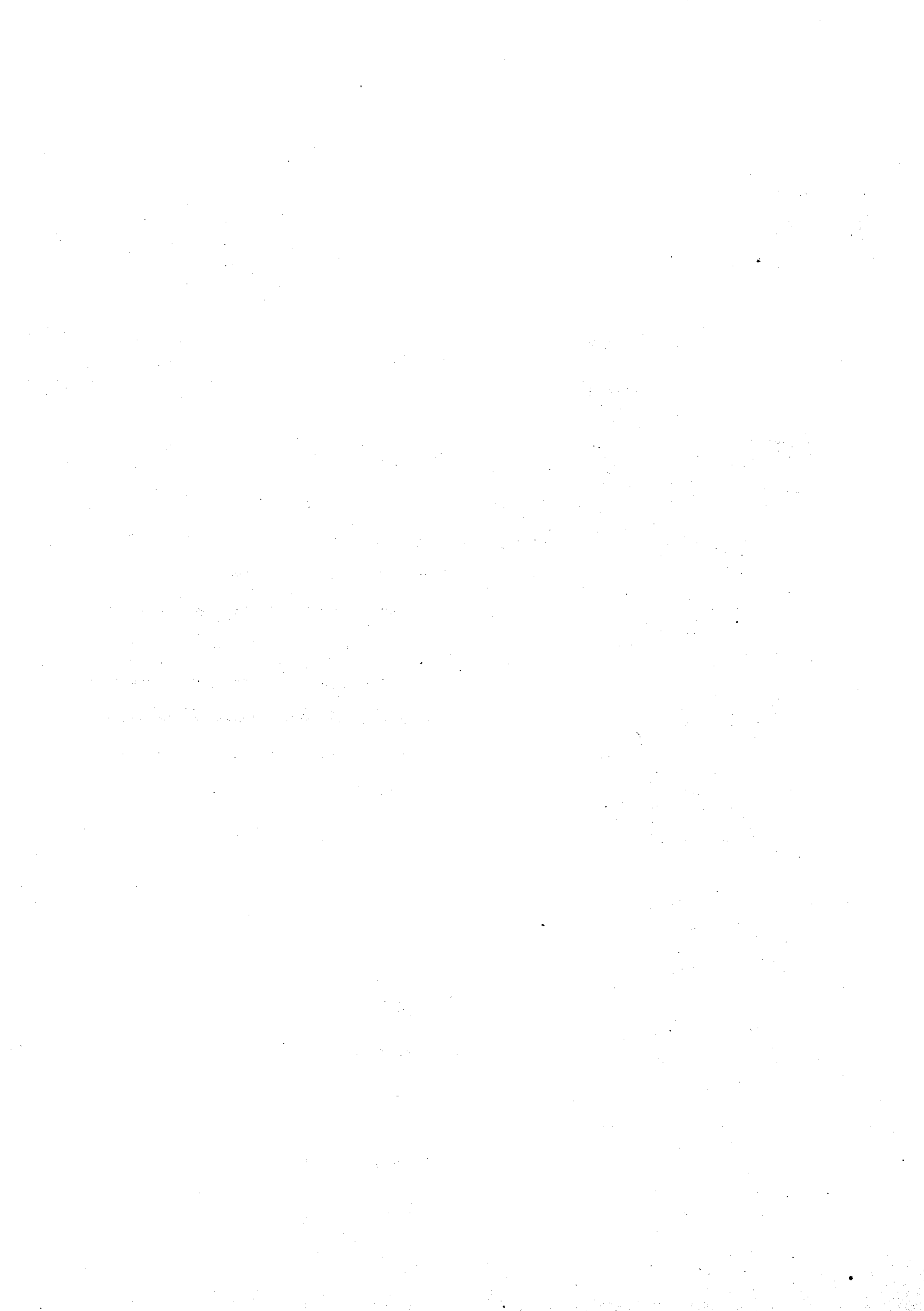
ب ـ في دولة صُنغى .

٢ـ الخطط والولايات التي تولاها فقهاء مالكية السودان الغرَبي .

أ ـ الكتابة .

ب ـ القضاء و الفتيا .

ج ـ الخطابة والإمامة.



نظراً للمكانة التي احتلها فقهاء المالكية في دولتي مالي وُصنغى بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي والنفوذ والتأثير الذي حظوا به بين العامة والخاصة ، فقد ارتبطوا بعلاقات مع السلطة الحاكمة كانت في أغلبها علاقات طيبة إلا أنها كانت تسوء بين الطرفين في أحياناً أخري.

فقد لعب فقهاء المالكية في السودان الغربي أدواراً مختلفة في جميع مناحي الدولة الثقافية والاجتماعية والسياسية ، حيث شغل البعض منهم وظائف عليا وخططا دينية كبرى، من قضاءٍ ، وإمامةٍ ، وخطابةٍ ، وكتابةٍ ، جعلتهم يساهمون بشكل كبيرٍ ومباشرٍ في الجهاز الإدارى والسياسي للدولة .

فالارتباط بين الفقهاء والسلطة أصبح قاعدة سياسية تتشكل من عناصر تتمحور حول علو صفة العالم ووظائفه ، فترفعه عن ماهو طبيعي مادي ، وتجعله أشد حرصا على القيام مقام الناصح المرشد الامين ، لأن الخطأ مرتبط بما هو عادى،فالُملك عطاء وليس اكتساباً، والسلطان مملوك قبل أن يكون مالكاً أو ملكاً[1] .

ولذلك ارتكز مجتمع السودان الغربي وخاصة في المرحلة المبكرة من انتشار الإسلام على الفقهاء في العملية التعليمية ، بالإضافة إلي النظام السياسي والإداري ، كما كان الحال في دولة غانة التي اعتمدت عليهم في الجهاز الإداري للدولة ، ولكن نما هذا التأثير للفقهاء مع نمو التأثير الإسلامي في دولة مالي منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وفى دولة ُصنغى منذ بدايات القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، عندما سعى حكام هذه البلاد إلى التعريف بأنفسهم

---

(١) المغيلى : رسالة في أمور السلطنة ، مجله كليه الآداب ، فاس ، العدد الخامس ، ١٩٨٩ ، ص٩٨.

كحكام مسلمين، لدرجة جعلتهم يستشيرون هؤلاء الفقهاء ، ومنذ ذلك الوقت تطورت العلاقة بين الفقهاء والحكام[١] .

وهكذا كانت العلاقة بين الفقهاء والسلطة الحاكمة قد بدأت في الظهور منذ قيام دولة غانة بعد أن قام حكامها باستقطاب بعض المسلمين للاستفادة من تجاربهم وممارستهم فأعان هؤلاء الفقهاء والتجار والكتاب والمستشارون المسلمون ملكها على تسيير أمور دولته[٢] وقد استمر هذا الأمر في دولتي مالي وصُنغي .

١ـ فقهاء المالكية والعرش :

أـ فقهاء المالكية والعرش في دولة مالي :

كان بلاط دولة مالي الإسلامية مليئاً بالفقهاء والعلماء ، وكان أكثرهم من الشمال الإفريقي ، وقد أسندت إليهم معظم الخطط الدينية . وقد حظي هؤلاء العلماء الفقهاء بمنزلة كبيرة لدى حكام مالي حيث كانوا من المقربين إليهم ، فهاهو الفقيه أبو عباس الدكالى[٣]، الذي كان معاصرا لمنسا موسى وكان يتولى خطة القضاء ، وقد تمتع هذا الفقيه بمقام واحترام كبيرين[٤] .

كما كان هناك الفقيه القاضي أنفار قم الذي كانت له علاقة خاصة مع منسا موسى والذي كان يوقره ويحترمه كثيرا ، حيث كان هو الوحيد الذي يصافحه[٥]

(١) TrimIngham J . s :Islam in west Africa ,op ,cit, ,p ١٠٠

(٢) البكري : المسالك ، جـ٢، ص٣٦٣.

(٣) نسبة إلى مدينة دكالة وهى :" تعرف كذلك باسم "يمويمن" وتقع بين مدينة مراكش وبين البحر المحيط، وهى مدينة كبيرة وهى نهاية في العمارة ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٦١٩.

(٤) ابن بطوطة : رحلته، ص٦٥٥.

(٥) يعتبر هذا حدثا عظيما جدا ، حيث كانت العادة هناك في السلام على ملوك السودان يكون بواسطة رمى التراب ، أو الدقيق على رأسه للتذلل على الأرض والسجود له ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ،ص ٣٥.

وبالإضافة إلى الفقهاء الذين كانوا موجودين في دوله مالي ، عمل منسا موسى أثناء رحله حجه الشهيرة[١] إلى جلب عناصر حجازية وقرشية حتى ينعم بحضور شرفاء يؤازرون سلطته ويكملون مشروعيتها " ...فاجتمع عليه أربعة رجال من قريش قيل إنهم من موالى قريش وليسوا من أشراف قريش ، وأعطي لكل واحد منهم أربعه آلاف ..." فالحاجة كانت ملحة لأشخاص يتوسم فيهم الشرف ، حيث المنبع الأصلي للدين الإسلامي مما يضيف هالةِ وقدسية أكبر لمملكته[٢].

ويذكر لنا ابن بطوطة أن مجلس منسا سليمان كان يحضره الخطيب والقاضي ، وكان هؤلاء ضمن حاشيته المقربين[٣] . ومما يدل على مكانة الفقهاء لدى حكام مالي ما حدث في بلاط منسا سليمان ، حيث قامت زوجته قسا بالتآمر عليه مع ابن عمه وبعد اكتشاف أمرهما عزم منسا سليمان على معاقبة زوجته التي هربت إلى دار الخطيب بعد عدم تمكنها من المسجد . فلم يلحقها أي أذى ، ورغم ما عرف عن منسا سليمان من تسامح ، لكنه كان لايسامح أحداً يرتكب أية جريمة و لذلك ساد الأمن في دولته[٤] .

ب ـ فقهاء المالكية والعرش فى دولة صُنغى :

كان الفقهاء أكثر حضورا في عهد دولة صُنغي بحيث كان هناك إطار من المعارضة ومن التحالف أيضا بين الفقهاء والعرش وخاصة علاقة السلطة مع العلماء. فقد تباينت هذه العلاقة . ففي عهد سني على(٨٦٩ـ٨٩٨هـ

(١) المصدر السابق ،ص٣٣.

(٢) المصدر السابق ،ص ٣٧.

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٧٧.

(٤) المصدر السابق : ص٦٧٠، ٦٧١.

/ ١٤٦٤-١٤٩٢م)[1] كانت هناك علاقة عدائية مع بعض العلماء، ولكن في عهد أسرة الأساكي تبدلت هذه العلاقة العدائية إلى علاقة مودة واحترام في معظم الأحوال وخاصة في الفترة الأولى من عهد آل أسكيا[2] .

وفي عهد سني على بير وقع صدام بينه وبين بعض فقهاء المالكية ، ومن مظاهر هذا الصدام قيام كثير من الفقهاء بشن حملة كلامية وفقهية ضده وصلت إلى حد التشكيك في إسلامه واعتبروه مسلما بالاسم أو وثنيا متظاهراً بالإسلام[3] .

وبسبب هذا الموقف الذي اتخذه هؤلاء الفقهاء حدث لهم تنكيل علي يد سني على وخاصة عندما أخضع مدينه تنبكت عام(٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) بعد أن انتزعها من حكامها الطوارق[4] وجعلها العاصمة الثانية لدولته ، حيث كانت تنبكت المدينة

---

(١) هو ابن السلطان سن سلمن دام ، ورغم قبح سيرة سني على وظلمه وفجوره ، فانه كان المؤسس الحقيقي لإمبراطورية صنغى ، ففي عهده توسعت دوله صنغى وتجاوزت شهرتها وأخبارها الآفاق، حيث كان محاربا شجاعا " وكان منصوراً ، وما قابل أرضا قصده ،إلا خربها، وما كسر له جيش كان فيه ، أنظر محمود كعت :مصدر سابق ، ص ٤٣، السعدي : تاريخ السودان ، ص ٣٦، البرتلى : ، ص ١١٢، الشيخ الأمين محمد:العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب قسم تاريخ ، جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، ١٩٧٦م، ص ٦٧.

(٢) محمود كعت :مصدر سابق ، ص ٤٣.

(٣) المصدر سابق ، ص ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، و كذلك :نقولا زيادة : المغرب والسودان في أيام المنصور الذهبي ، بيروت، ١٩٦٧م ، ص٣.

. Mine Horace :op,cit ,p٨

Op.cit, p٢٤٨. Lansie

Levtzion,N: op,cit,p,٣٤٢.

(٤) الطوارق هم :"هم من مسوفة يتنسبون إلي صنهاجة يرفعون نسبهم إلى حمير ، وهم على دين الإسلام ،وأتباع السنة ، للمزيد أنظر السعدي ، ص ٣٥، ٣٦ ، أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والاندلس ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٩، ص ١٦، Lansine Kaba:op,cit, p ٢٤٨. Levtzion,N:op,cit,p,٣٤٢.

الوحيدة التي شهدت معارضة لسياسته على المستويين العلمي والفقهي ، وعلى المستوى السكاني أيضا ، حيث جمعت هذه المدينة بين جنباتها الكثير من الفقهاء ورجال العلم ، والكثير من العائلات الارستقراطية الكبرى من ذوى الأصل الصنهاجى(١) أو الذين يدعون هذا النسب(٢) مثل أسرة أقيت وأسرة بغيغ وأسرة الحاج وأسرة أندغ محمد التي كانت تتقاسم مع هذه الأسر القضاء والخطابة و الامامة والشرف والجاه(٣) هذا بالإضافة إلى الطوارق الذين حكموا هذه المدينة منذ نهاية دولة مالي بواسطة أسرة نض(٤) ، حيث سيطروا على مقاليد الأمور التي انعكست على مدينه تنبكت في النمو الاقتصادي والازدهار الثقافي ، كما كانوا يعينون من يشاءون من أفراد هذه الأسر العلمية .

ويرجع الصراع الذي كان قائماً إلي التباين بين مصالح الطرفين ، فسني على كان همه الأكبر ألا ينازعه أحد في السلطان(٥) ، ولا يكون هناك ولاء لشخص آخر

---

(١) يقول البكري عنهم : " ... وخلف بني لمتونه قبيلة من صنهاجة تسمى بني جداله ، وهم يجاورون البحر ليس بينهم وبينة أحد ..." وكما يضيف عن انتشارهم فيقول "...المصاقبون لبلاد السودان بنو جداله ، هم أخر الإسلام خطة وأقرب بلاد السودان منهم صنغانة بين أخر بلادهم وبينها ستة أيام ، وصنغانة مدينتان على ضفتي النيل ..." البكري : المسالك والممالك ، ص ٣٥٩ ، وللمزيد أنظر أبن خلدون : تاريخه ، ص ١٨٨١ ، ١٨٨٢ ، ١٨٩٦ ، ١٨٩٧ .

(٢) تحدثت العديد من كتب المصادر عن بحث العديد من الأسر السودانية عن الأصول العربية أو البربرية للارتباط بالنسب الشريف ، أو عن سمو اجتماعي، أنظر : cuoq ,B : La FamiLL Aqit de Tomboutou,Revue des BeLLes Lettres Arabes, ١٩٧٨N.٤١,premier Smestre,p٨٩.

(٣) Levtzion,N: Islam in West Africa,٣٤٢.

(٤) كانت مدينة تنبكت تحت حكم الطوارق الذين ولوا عليها أميرا من صنهاجة شنقيط ، وكان تامينوكال أكيل أغ أملويل أكملويل ، ذلك الأمير الذي كان ينتمي إلى الملثمين من مسوفه حاكما لها ، ومن ذلك الوقت كان الطوارق حكام تنبكت وسلاطينها حتى عام ١٤٦٩م ، أنظر أبن الوزان الزياتى : وصف أفريقيا ، ص٥٣٩.

(٥) جميلة إمحمد التكتيك : مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير ، منشورات مركز جهاد

سواه ، حتى يتحقق حلمه الأكبر في تكوين وتأسيس مملكة شاسعة ، ولذلك اتجه للاستيلاء علي مدينة تنبكت وخاصة بعد نجاحه في غزو جني عام (٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م)[١] ومن ثم اصطدم سني علي بفقهاء مدينة تنبكت بسبب نفوذهم القوى الذي كبل يده في أكثر من ظرف، فقد شكلت هذه الفئات حاجزاً قوياً أمام أهدافه ، وذلك عن طريق حصرها لقواته وسلطته بسب قوتها الدينية والسياسية وقدرتها على التأثير في الرأي العام وفرض شروطها ورغباتها على الجهاز السلطوي كما سنرى فيما بعد .

كما أن سني على قد أسس دولة كبيرة وواسعة بمجهوده الحربي الكبير ولذلك كان لا يرضى لنفسه أن يصبح أسيراً كملوك مالي الذين شاهد صنيع العلماء بهم ، ومن ناحية أخرى خشي من طوارق مسوفة أن يهددوا نفوذه باسم الدين . ولهذا الأمر عامل سني العلماء والطوارق بقسوة ،فهرب ملك الطوارق حاملاً معه علماء مدينة تنبكت ، وقيل إنه حملهم على ألف جمل. وبالرغم من ذلك قام سني علي بقتل خلق كثير منهم محمود وأحمد أندغ محمد[٢] ، كما قام بإذلال أهلها بعد أن اعتبرهم أصدقاء حميمين للطوارق ومتعاطفين معهم[٣] .

الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات التاريخية رقم ٢٦، ليبيا ، ١٩٩٨م، ٤٥.

(١) سينيكى مودى سيسوكو : الصنغى من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر،"تاريخ أفريقيا العام" ، جـ٤،اليونسكو ،١٩٨٨م ، ص٢٠٤.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٥، ٦٦ ، Clarke.B : west Africa and Islam, London ١٩٨٢,pp ٤٨/٤٩

(٣) كان السلطان "عقيل" زعيم جماعات الطوارق صديقا للعديد من الأسر النبيلة ، وأستطاع بنفوذه أن يستميل حاكم مدينة تنبكت محمد أندا ، الذي سمح الحكم الذاتي المدني للحاكم في أن يطور علاقاته مع حاكم صنغى ، وعلى الرغم من أن حكومة هذه المدينة كانت تابعه للطوارق إلا أنها اعترفت بسيادة صنغى الدولة المجاورة التي أصبحت القوة العظمى للإقليم ، ثم ساءت العلاقة بينهم بعد موت محمد أندا (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) فتولى ابنه وخليفته عمر الذي تباهى بقوته وأهان سني على في أول خطاب له ، مما أغضب سني على فأعلن الحرب على مدينة تنبكت ، فقام السلطان عقيل بعزل عمر بن محمد أندا ،

ولعل أسوأ مانسب إليه أنه أمر بالقبض على ثلاثين بنتا من بنات العلماء الأبكار ليكنّ من جواريه ، منهن ثلاثة من أسرة آل أقيت بزعم أن هذه الأسرة تتعاون مع الطوارق ولما تأخرن عن التوجه إليه وهو في مرسى مدينة كابره على النيجر ، أمر بقتلهن جميعاً وعرف هذا المكان بعد هذه الحادثة "فناء قدر الأبكار "(١) و الباحثة لا تستطيع أن تجزم بحدوث هذا الحادث لان مصدر هذا الحدث كان معادياً لسني علي . كما كان حكم سني على صارماً تجاه رعيته ، فقد فرض العمل الإجباري القائم على السخرة ، كما فرض التجنيد الإلزامي ليؤكد استعدادات جيشه للحرب ، وذكر عنه أنه أثناء نوبات من الغضب والشك كان غالباً ما يسجن الأسر النبيلة في مدينة تنبكت خلال الفترة من عام(٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م إلى عام٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م) ، ومرة أخرى خلال السنوات الآتية (٨٩٠ـ٨٩٨هـ/ ١٤٨٥ـ١٤٩٢م) (٢) .

وعلي الجانب الأخر يجب أن نشير إلى أن سني على لم ينكل بكل الفقهاء بل نكل ببعضهم فقط(٣) ، حيث عامل البعض الآخر معاملة حسنة وحافظ على وظائفهم

وانتشر بقواته من الطوارق من أجل السيطرة على الموقف ، وفي تلك الفترة قدم=== ===الحاكم المعزول "عمر" خدماته لسني على وأحاطه بكافه المشاكل المحلية ،وبأخبار صحة السلطان العليلة ،وهّون لـه من شأنه ،وأنه ضعيف في كل شئ ، في قدرته وجسمه ، وأنه رجل نحيف قصير جدا ،وأرفق برسالته نعل سلطان الطوارق ، لكي يتأكد سني على من ضآله جسمه ودعاه لكي يغزو تنبكت ، أنظر الفتاش :مصدر سابق ، ص ،٤٤، ٤٥.

Lansie kaba;op,citl, p٢٤٨ t.rimingham : Op,cit,p١٠٤..

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص٦٦.

(٢) T.rimingham: op,cit,p١٠٠ .

(٣) levtzion.N .Islam in west African politics : accommodation and tension between the ulama Nehemia Levtzion: Islam in west Africapop,cit,٣٣٩. and the political authorities ,cahiers etudes africaines ,٧١,xvlll "١٩٧٨ ٣٣٣-٣٤٥

وخططهم مثلما فعل مع الفقيه عبد الله البلبالى " وهو أول البيضان "المغاربة" الذين قصدوا بلاد السودان الغربي، حيث قام بالصلاة بالناس في المسجد الجامع بتنبكت في أواخر دولة الطوارق وفى أوائل دولة سني على ، وقد احترمه سني على كثيراً جدا وكان من عباد الله الصالحين ..."[١] . كما نجد سني على بعد رحيل فقهاء تنبكت إلى ولاتة يقلد القضاء للفقيه حبيب حفيد عبد الرحمن التميمي ، كما كان يحترم ابن عم الفقيه المأمون الذي رفض قول السوء في سني على "فقال لا أقول على سني على سوءاً لانه أحسن إلى ولم يعمل سوءا كما عمله في الناس ..."[٢] .

والجدير بالذكر أن سني على لم يكرر حوادث إهانة الفقهاء بعد ذلك ، فوصل الفقهاء وكبار القوم بالهدايا والصلات . وتحدثنا المصادر عن سبى من نساء الفولانيين من قبيلة سنفتير حيث بعث كثيرا من نسائهم إلى " كبراء تنبكت وبعض العلماء والصالحين بالمدينة ، وأمرهم أن يتخذوهن جواري وقد تزوج الإمام عبد الله البلبالى واحدة منهن وكان اسمها عائشة الفلانية[٣] ، ومع ذلك فقد بالغ سني علي في إكرامه لبعض الفقهاء وأقر بفضلهم وأهميتهم يدل علي ذلك مقولته الشهيرة .. " لولا العلماء لا تحلو الدنيا ولا تطيب ويفعل الإحسان في آخرين ويحترمهم "[٤].

ومهما قيل عن تصرفات سني على المتأرجحة بين العمل الطيب و الشرير ، فإن ما ذكر عنه في كتب المصادر والمراجع والتي تستعرض مساوئه وأفعاله و التي وصفته بأقبح الأوصاف وأرذلها والتي تشكك في إسلامه يحتاج إلى إعادة نظر ، فهذه

---

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٧٨، ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧

(٢) المصدر السابق: ص٦٦.

(٣) المصدر السابق : ص٦٧.

(٤) المصدر السابق والصفحة

Sulayman S. Nyang: Islam and politics in west Africa, A Journal of Opinion ,vol .١٣/١٩٨٤, African studies Association,p٥٥.

Levtzion,N,p; op,cit,٣٣٩.

المصادر تعتمد علي المؤرخين السودانيين المالكيين المعادين لسني علي فهم طرف في النزاع من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الكثير من تصرفاته الوثنية ترجع بسبب الانتماء إلى دين أمه وتربيته بين أخواله الوثنيين ، كما أنه تعلم الطقوس السحرية ومزاولتها ولذلك أشيع عنه انه كافر(١) .

لكننا نجد أيضا حديثاً عن تصرفات أخرى مطابقة للتعاليم الإسلامية، ومنها ما يستدل علي ذلك من اسمه ، كما أن بعض المؤرخين يشيرون إلى انه أتبع تعاليم الإسلام من خلال نطقه بالشهادتين(٢) ، وصومه لشهر رمضان ، وتقديمه فروض الزكاة والصدقات على شكل حيوانات وذبائح ، هذا بخلاف أشياء كثيرة

---

(١) نلاحظ نوعا من التناقض والتضارب في تاريخ سني على ، ونأتي إلى المصدر الثاني لمعلوماتنا حول سني على ، والذي وصفه بالكفر وسوء التصرف ، ويأتي هذا في أطار الاسئله التي وجهها الاسكيا محمد إلى الإمام المغيلى وكان رد الإمام المغيلى عليه في أطار طرح الاسكيا لتلك الأسئلة ، نجد سؤال الاسكيا محمد يدور حول ما ذكر عن سني على من سوء تصرف وكفر ، بسبب انتماء سني على إلى دين أمه وتربيته الوثنية ، وفى هذا المجال أعتمد الكثير من المؤرخين على مقوله أسكيا محمد عبر سؤاله وجعلوه مصدرا أساسيا ،رغم أن أسئلته تتأرجح بين ذكر الحقيقة وتشويهها ، فيذكر أنه كان يصوم رمضان ويتصدق بكثير من الذبائح وغيرها عند المساجد ونحوها ، ومع ذلك يعبد الأصنام ، ثم يذكر " ومن صفته أيضا أنه ما رؤى في جامع ولا مسجد هو ولا أحد من دائرته ...وفى دائرته ألوف من الرجال والنساء لا يستطيع أحد منهم أن يصلى صلاة ولا أن يصوم يوما من رمضان خوفا منه أن يعاقبه " ويظهر لنا مدى تناقض الأسئلة ، و التي نسبت معلوماتها إلى الإمام المغيلى الذي توخي الحرص عند الإجابة ، رغم ما عرف عنه من تصلب في الرأي وجهاد في أمور الدين وتطبيقه ،فكان رده داخلاً في أطار القاعدة الاستشارية و الاستفتائيه، وما جواب المغيلى إلا تبعا لما قدم له من معطيات يربطها بمقوله الشرع في هذه الأسئلة ، فيقول "فإن كان الأمر كما ذكرتم فهو كافر " كما كانت بقيه الأسئلة تهتم بكيفية محاوله استيلائه على ارث سني على معتمدا على مسألة تكفيره وإثبات ذلك بفتوى من الإمام المغيلى ،أنظر محمد عبد الكريم المغيلى : أسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلى ، تقديم وتحقيق، عبد القادر زباديه ، ص ٣٤، ٣٥ ، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠.

Lansie kaba: the pen , The swrd , and the crown, Islam and Revolution in songhay, p٢٥٦.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٤٣.

من الهبات إلى ذوى الحاجة والفقراء. ولهذا فإن الاعتماد على هذه المصادر غير كاف للحكم على مواقف وتصرفات سَني على خاصة الدينية منِها[١] .

ويري البعض أن الصراع كان في أساسه صراعاً سياسياً اقتصادياً ، وليس صراعاً بين الوثنية والإسلام ، والذي استعمل كوسيلة لضرب سني على ، ولم يكن صراع ثقافات مع العلم أن الهيئة العلمية المتمثلة في فقهاء المالكية لم تكن تسعى إلى الزعامة السياسية والرئاسة[٢] ، بل كانت تسعى إلي تسيير السلطة القائمة من خلال إطار التوجيه الذي يؤثر تأثيراً مباشراً وغير مباشر في الجهاز الحاكم ، حيث يعتمدون على الدين والانتماء الاجتماعي أو النسب الشريف . وبذلك فهم يحتلون مهمة الإرشاد والنصح والتخويف والترهيب ، وقد يكتفون بالمعارضة أو الرفض الذي يتطور في بعض الأحيان ليتخذ أشكالاً أكثر تطورا من المعارضة الفقهية ويتخذ أشكالاً أخرى تسعى إلى تغيير النظام القائم بنظام جديد .

حدث هذا عندما مات سني على بعد حكم استمر قرابة ثمانية وعشرين عاماً في ١٥ المحرم عام (٨٩٨ هـ / ٧نوفمبر ١٤٩٢م)[٣] ، بعد أن أدى صراعه وسياسة

---

(١) .وفى إطار الفتاوى التي طرحت على الإمام السيوطي ، كان هناك أسئلة حول سوء تصرف السودانيين في القضاء وأمور الدين والدنيا ، وابتعادهم عن الإسلام ، ولو قارنا ذلك بما قيل عن سني على ، وإن ثبت الأمر ، فقد تكون تلك مجرد تصرفات عامة كانت موجودة ومنتشرة بين المجتمع ولم تكن لصيقة بشخص معين ، أنظر السيوطي : الحاوي للفتاوى جـ١ ، ص ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤.

LansiekABa:op,cit,p٥٣/٥٤.

(٢) وخير دليل على ذلك اعتذار الفقهاء عن الخطط الدينية خوفا من الظلم والمسؤولية ، ولكن هذا لا يشكل أي تناقض بين الهدف من تسيير السلطنة والقيام بوظائفها ، ولان حضورهم على الساحة مرتبط بعلمهم ، لا بوضعهم في الهيئات السلطوية ،أنظر ،

Clssoko ,s .m .L , intelligentsia de Tombouctou,BlfAn,١٩٦٩,t,xxx,p.٩٤٧, Levtzion,N : Islam in west Africa, p ٣٣٩.

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٥١، ص ٥٥، السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٤، ص٧٠، ص ٧١ :

القمع التي اتبعها مع بعض فقهاء مدينه تنبكت إلى تحالفهم مع القائد محمد تورى الذي سلك سياسة إسلامية واضحة أمدته بتعاون أكبر مع الفقهاء[١] .وكان عرش صُنغى قد أرتقاه في عام (٨٩٨ هـ/ ١٤٩٢م) ابن سني على المدعو أبو بكر وكنيته (سني بارو) في وسط من المعارضة ، خاصة من محمد تورى المدعو (بمنساكورا والباراكوى) قائد المنطقة العسكرية حول بحيرة ديبو مما أدى إلى حدوث انقسام في الجيش الملكي وخروج محمد توري علي سنى بارو[٢]وأتباعه الشروط الأساسية لإعلان الجهاد في سبيل الله[٣] ، فأرسل الفقيه العالم محمد تل الشريف إلى بارو يدعوه إلى الإسلام وهو في بلده انفع ، فأبى وامتنع فأغلظ الكلام لذلك الفقيه وأرتكب معه امرأ عظيما حتى هم بقتله فصده الله عن ذلك ، ورجع إلى القائد محمد وأبلغه الخبر من رفض سني بارو وما فعله به . ثم أرسل محمد توري الفقيه صالح جور إلى سني بارو مرة أخرى فأتاه وأبلغه رسالة القائد محمد فما ازداد إلا عتواً وامتناعاً وتجبراً وأتى بأشد من فعلته الأولى ، حيث أشار عليه وزراؤه بقتل هذا العالم حتى تنقطع رسله ولكن منعه الله وقال له أذهب لمرسلك فإن رجع إليَّ بعد رسول منه فدمه في عنقه . وذهب إلى القائد محمد توري وأخبره ما حدث ومدى رفضه الدخول في الإسلام ، هنا جمع محمد توري أهل مشورته من الفقهاء والأكابر وشاورهم في أمره فأشاروا عليه بإرسال رسول ثالث يداريه ويلين له في الكلام لعل الله يهديه إلى الإسلام فأرسل الفقيه القاضي محمود كعت فامتنع وأزداد إصراره وأمر بضرب طبول الحرب وعاد وبلغ القائد محمد تورى بما حدث واستعد القائد محمد توري للحرب وبايعه الجميع[٤] .

---

(١) levtzion.N:op,cit,p٣٣٩ .

(٢) Lansie .op,cit,p٢٤٢.

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٤٤، ص٤٥، ص٤٦ ،
Louis Brenner: Histories of Religion in Africa , Journal of Religion In Africa,vol.٣٠,Fasc.٢May,٢٠٠٠.p١٤٥.

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٤٦.

وهكذا وبعد رفض سني بارو القسم بالولاء للدين الإسلامي والاعتراف به دينا رسميا للدولة، التقي الطرفان محمد توري وجيشه بجيش الموالين لسني بارو في معركة "أنافو" بالقرب من جاو عام (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م) حيث فر على أثرها سني بارو إلى دندى في الجنوب، كما ذكر ذلك أحد المؤرخين بقوله " إن الله حرر المسلمين من الكرب والأسى ، عدا الملك الجديد فإنه وضع حدا للمعاناة التي كانوا يتحملونها[١] ومع هذا النصر بدأت حقبة جديدة في تاريخ دوله صُنغى حيث انتهي حكم أسرة سني الذي أستمر زهاء تسعة قرون[٢] وقامت أسرة جديدة هي أسرة الأساكى[٣]التي كان أول ملوكها الأسكيا محمد توري

---

١) كرم الصاوي باز : الصراع بين العرش والعلماء في سنغاى ، في الفترة من "٨٦٩-٨٩٩هـ / ١٤٦٤-١٤٩٣م" مجله الدراسات الإفريقية - العدد ٢٢ ، ٢٠٠٠م ، ص ٧٨.
Lansie kABa:op,cit,p ٢٥٣ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة صنغاى ، مجلد ١٢ ، ص ٢٦٥، أنظر في الملاحق ، أسرة سني على .

(٣) اتخذت الأسرة الحاكمة الجديدة لقب الاساكى ، واستمرت تحكم حتى نهاية صنغى على أيدي المراكشيين عام (٩٩٩هـ / ١٥٩١م أي بعد نحو قرن ، حكم من الأسرة نحو ٢٢ سلطانا مستقلين : ١٣ منهم مستقلين ، ٩ كانوا من صنائع المراكشيين باشاوات تنبكت ، أنظر في الملاحق ،أسماء أسرة الاساكى ، وترجع تسميه هذه الأسرة بلقب الاساكى إلى أن بنات سني على ، عندما علمن بخبر ولاية محمد تورى ، صحن : "أسكيا " ومعناه في كلامهم ، كما يقول السعدي : "لا يكون إياه" وفسره بعض كتاب الغرب بمعنى المغتصب ، فلما سمعه محمد تورى ، أمر ألا يلقب إلا به ، فقالوا أسكيا محمد ، أنظر السعدي : تاريخ السودان ، ص٧٢===
Samba Gadjigo: Scribe, Griot, and Novelist: Narrative Interpreters of the Empire by Thomas A. Hale , Research in African = = =Songhay Literatures, Vol. ٢٢, No. ٤ (Winter, ١٩٩١) Indiana University Press,p. ٢١١,

Scribe, Griot, and Novelist: Narrative Interpreters of the : Ronald Niezen Songhay Empire by Thomas A. Hale, Journal of Religion in Africa, Vol. ٢٢, Fasc. ٢ (May, ١٩٩٢), BRILL pp. ١٨٤.

وقد أصبح لفقهاء المالكية في عهد هؤلاء الأساكى نفوذ كبير حيث كانت علاقاتهم قوية بالسلطة خاصة في عهد هؤلاء الأساكي الأقوياء ، فكانت لهم مواقف تبرهن على توجيههم للسلطة، وتبرهن كذلك على تحديهم لسلطة الحكام وإرادتهم ، فنجد أن الحكام خضعوا لهم واستجابوا من أجل دعم مشروعهم السياسي والديني المتمثل في وضع أسكيا محمد قواعد هذا المشروع ، فسعى للتقرب إلى الفقهاء وصاحبهم ، وقلدهم جميع الأمور وأعلى من مقامهم ورفع قدرهم وأشتهر أسكيا محمد بأنه كان يقدر العلم وأهله فإذا دخلوا عليه أجلسهم على سريره وقربهم ، وكان لا يقف لأحد إلا للعلماء والحجاج ولا يأكل معه إلا العلماء والشرفاء وأولادهم[١] لأن هؤلاء الفقهاء هم وحدهم الذين يستطيعون التأثير على المسلمين في أنحاء دولته وهو الأمر الذي يحتاجه أسكيا محمد[٢].

وارتفعت مكانة فقهاء المالكية في عهد أسكيا محمد وخاصة فقهاء تنبكت([٣]) فمن تقديره لهم أنه عندما كان يصل إلى هذه المدينة كان أول دار يدخله دار الفقيه القاضي الذي يكون في انتظاره، ويصنع لهم القاضي شيئاً من الأكل والشرب لأنهم يريدون التبرك به ، ويأكلون ويشربون بعد دعاء كثير على العادة . ثم يتوجه إلى المسجد الجامع بهذه المدينة وهنالك يتلقاه علماء البلد الأجلاء ، وأكابر الأئمة وجميعهم يدخلون المسجد قبل قدومه وينتظرونه ويشيعه القاضي وشهوده فيدخل على الفقهاء فيء الجامع الكبير[٤] .

---

(١) الحاج مرحبا : فتح الحنان المنان بأخبار السودان ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي النيجر ، رقم ١٠٨ ،ص ٢٣ب .

(٢) أحمد بابير الأرواني : جواهر الحسان في أخبار ملوك السودان مخطوطة ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية نيامي النيجر ، مخطوطة رقم ١٠٦ ، ص ١٣ ب ، Lansie kABa: op,cit, ,p ٢٥٦.

(٣) Moreou , R : Africains Musulmans ,inades edition prence Africaine,١٩٨٢,p١١٨\١١٩.

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ،ص ١١٠ ،ص ١١١.

وتتلخص سياسة الأسكيا مع العلماء والقضاة في الإحسان إليهم بكثرة العطاء ، وجعل هذه السياسة قاعدة لمن أتوا بعده فعليهم أن يحترموهم ويحسنوا إليهم والى ذويهم حيث اقتضت المصلحة أن يكون هناك تحالف بين الطرفين[1] .

ومن الأدلة علي ذلك أنه عندما وهب الأسكيا محمد للفقيه محمود جارية وأمره أن يتخذها سرية ففعل ، ثم أرسل أسكيا محمد ألف مثقال للفقيه محمود وقال له :" إن ولدت سريتك ذكرا فسمه باسمي وأعطاه ألف مثقال " وبالفعل أنجبت هذه السرية للفقيه محمود ابنه الذي تولي القضاء فيما بعد[2] .

ويتحدث محمود كعت في تاريخ الفتاش عما كان للفقيه صالح جور عند الأسكيا محمد من الإكرام والعطاء[3] .ومن كثرة عطايا الأسكيا محمد للفقهاء وأحفادهم ما حدث مع حفدة الشيخ مور هوكار عام(٩١٣ هـ/ ١٥٠٧م) . بعد أن غزا ونزل في قرية كبر و تلقاه هنالك ثلاثة رجال من حفدة الشيخ مور هوكار وهم مور الصادق ، ومور جيب ومور محمد الذين أخذهم سني على في زمنه واشتكوا إلى أسكيا محمد البؤس والشدة ، فأمر بالكثير من العطايا فدعوا له وشكروه وطلبوا منه أن يكتب لهم كتاب الحرمة حتى لا يتعرض لهم أحد بظلم و لايتعدي عليهم أحد فرضي وأجاب[4] .

Hunwik,J :secular power and Religius Authority in Muslim society: the : case of songhay , the Journal of African History ,vol.٣٧,No.٢,p١٧٧.

(١) محمود كعت : ص ٧٢، ٧٣.

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٢.

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٢.

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٢، ص ٧٣ ، ص ٧٤، ص ٧٥، أنظر في الملاحق نص كتاب أسكيا الحاج محمد لحماية أبناء العالم محمد هوكار عام (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) ومنحهم أمتيازات وإعفاءات من الضرائب والالتزامات المقررة بحكم العادة ، أنظر

Hunwik,J : op,cit,,p١٧٧. N. levtzion ,op.cit,p ١٣٨.

ولم تقتصر علاقة الأساكي بفقهاء المالكية علي عطف ورعاية الأساكي لهم بل تطورت هذه العلاقة من خلال قيام هؤلاء الفقهاء بدور التوجيه والنصح والإرشاد لهؤلاء الأساكي، يتضح هذا في أجوبة المغيلي عن أسئلة الأسكيا محمد إذ يقول له ناصحاً وموجهاً : " ... إنما أنت مملوك لا تملك شيئا ، وقد رفعك مولاك على كثير من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم لا لتكون سيدهم ومولاهم ..." (١) . ويتضح أن غرض الإمام المغيلى من رده ذاك هو أثارة التخويف والترهيب من تسلط الحكام علي الرعية.

وهناك واقعة أخرى تبرهن على دور الفقهاء وتحديهم للسلطة الحاكمة ، ودورهم في النصح والإرشاد ، ومن هذا ما حدث بين الأسكيا محمد والفقيه القاضي محمود بن عمر قاضي تنبكت المتوفى عام (٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م) فقد رفض القاضي تنفيذ أوامر أسكيا وقضاء بعض حوائجه ، وعاتبه أسكيا الحاج محمد على ذلك فأجابه القاضي : " هل نسيت أم تناسيت يوم جئتني في دارى وأخذت برجلي وثيابي فقلت : " جئت أدخل في حرمتك وأستودعك نفسي أن تحول بيني وبين جهنم فا نصرني وأمسك بيدي حتى لا أقع في جهنم وأنا وديعتك" فهذا سبب طردي رسلك ورد أمرك ، فقال الاسكيا نسيت ذلك والله ولكن ذكرته الآن ، فأنا أستغفر الله وأتوب إليه(٢) .

كما كان الأسكيا محمد لا يقدم على أمر إلا بعد مشورة هؤلاء الفقهاء وأخذ رأيهم في مسائل السلم والحرب ، كما كانوا هم رسله في معظم الأحوال ، ويتضح

---

(١) المغيلى : أسئلة الاسكيا وأجوبه المغيلى ، ص ٢٣ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٦١ ،
song hay :A Reconsideratin f Autnmy,the Journal of African History ,vol.٣١,No.١ (١٩٩٠),p ١٥. Nehemia Levtzioncit,٠p,p٣٤١.
Michaal A .Games :Timbuktu under Imperia song hay :A Reconsideratin f Autnmy,the Journal of African History ,vol.٣١,No.١ (١٩٩٠),p ١٥ .

ذلك بعد عودته من رحلة حجه الشهيرة عام(٩٠١هـ / ١٤٩٥م) ، حيث أراد أن يغزو دولة موش فأخذ مشورة الفقيه مور صالح جور الذي أفتى له بأن يجعلها جهادا في سبيل الله فلم يخالفه في ذلك وبين له جميع أحكام الجهاد ، فطلب الاسكيا من الفقيه مور صالح أن يكون رسولاً بينه وبين سلطان موش (١) فوافق أسكيا وأرسل هذا الفقيه إلي سلطان موش ، وبعد أن وصل وبلغه رسالة اسكيا طالباً منه الدخول في الإسلام رفض هذا السلطان وقال للفقيه ما بيننا وبينكم إلاالحرب . عاد الفقيه وأخبر الأسكيا بما حدث وقال له الآن ما عليك ياأسكيا الحاج محمد إلاقتالهم ، وبالفعل قاتلهم وخرب ديارهم(٢).

وتكرر الأمر في الأخذ بمشورة الفقهاء عندما طلب الإمام المغيلى من الأسكيا محمد الكبير االقبض على أفراد الجالية اليهودية التواتية في صُنغى لتورطهم في مقتل ابنه أثناء غيابه في رحلته إلى بلاد السودان . وجاءت هذه الجريمة تحريضاً من يهود توات الذين أرادوا الانتقام من المغيلى بسبب تحامله عليهم ، وتحريضه على هدم بيعهم. وكاد الأسكيا أن يلبى طلب الإمام المغيلى لولا استشارته للقاضي محمود بن عمر (٨٦٨ـ٩٥٥هـ/ ١٤٦٣ـ١٥٤٨م) الذي تدخل واحتج على ذلك ، وأمر

(١) موش هي :" دولة ظهرت في منعطف نهر النيجر ، وكانت ذات تنظيم سياسى وعسكري ، وأهلها من المحاربين الذين هاجموا مدينة تنبكت زمن منسا موسى حاكم دولة مالي ، كما دخلوا في صراع عسكري مع سني على في زمن دولة صنغى ، واكتمل الصراع في عهد الاسكيا محمد الكبير الذي شن عليهم الحرب باسم الدين وأنتصر عليهم . أنظر : ميشيل أيزارد : شعوب وممالك منعطف النيجر حوض الفولتا ، تاريخ إفريقيا العام ، اليونسكو ، ١٩٨٨م ، المجلد الرابع ، ص ٢٢٣، ٢٢٥.

Miner Horace: op.cit ,p٨.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٤.

الأسكيا محمد بإطلاق سراحهم ، مما كان سبباً في غضب الإمام المغيلى الذي قفل راجعا إلى توات التي ظل بها حتى وفاته[١] .

وهناك أحداث تظهر مكانة هؤلاء الفقهاء عند الأسكيا محمد ، منها أثناء رحلة حج الاسكيا محمد الكبير(٩٠٢هـ/ ١٤٩٥م) وقفت الرحلة للراحة فقام الأسكيا محمد الكبير يقسم التمر بين أهل الرفقة كعادته ، فأعطى جميع الناس ونسى الفقيه محمد تل الذي حزن وحزن معه أهل منزله . وتحدث بعض أهل الرفقة بأن هذا أمر عن عمد ومنهم من اغتاب الأسكيا محمد ، وحين علم الأسكيا محمد بما حدث منه تجاه هذا الفقيه أنكب على يديه و قدميه يقبلهما و يعتذر له بالنسيان[٢].

كما كان لبعض كبار فقهاء المالكية دور في الحفاظ علي دولة صُنغي من الاضطرابات والفتن الداخلية خاصة في الفترة التي أعقبت عزل أسكيا محمد واستيلاء ابنه موسي علي الحكم في عام(٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م) ،فقد منعوا هذا الأسكيا من التنكيل بإخوانه ومعارضيه منعاً للفتن الداخلية .ومن ذلك جهود الفقيه محمود بن عمر المتوفى عام(٩٥٥هـ/ ١٥٤٧م) للصلح بين الأسكيا موسى بن الأسكيا محمد الكبير وبين إخوته بعد أن قام بخلع أبيه من الحكم ،فطلب منه الفقيه القاضي محمود العفو عن إخوته وأن يتجنب الفتنة بينه وبينهم لما فيه من قطع الرحم والفساد في الأرض[٣].وقد دخل بيت القاضي محمود (بنك فرم بل) ابن الأسكيا محمد وأستحرم به فبعث الأسكيا موسى يطلب شفاعته ، فقال : "كل من دخل دار

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٧٧.

Trimingham J.s :Islam in west Africa,,p٣٤٤.

Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran: op,cit, ,p ٣٨١.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٦٨.

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٨٢.. Trimingham J.s : op,cit, ,p٣٤٠

القاضي محمود فهو آمن "[1] ، كذلك خرج الفقيه مورمع كنكى الذي شبه فعل أسكيا موسى بفعل سني على ، فخرج مع الطلبة من جنج فسلم على الأسكيا موسى وسلم عليه ودعا له ، ثم طلب منه أن يعفو عن درمكى وبركي وهما من قواد الجيش ، وقال له لا ترد شفاعتي حتى لا أكف لك عن الدعاء. ورغم صراحة الفقيه مورمع كنكى وإظهاره لرأيه المعارض لسياسة أسكيا موسى ، فإن الأخير لم يتخذ أي موقف تجاهه[2] نظرا لقوة هذا الفقيه وقوة الهيئة التي ينتمي إليها، خاصة وأن أسرة الأسكيا مرتبطة عضويا بمساندة الفقهاء .

بعد مقتل الأسكيا موسى على يد أحد إخوته في عام (٩٣١هـ / ١٥٣١م) . لم تهدأ الحروب ، رغم اعتلاء الأسكيا محمد بنكن ابن عمر كمزاغ العرش بعد مقتل ابن عمه ، ثم اعتلى العرش أخوه إسماعيل الذي عمل على تهدئة الأجواء منذ عام(٩٣٦هـ / ١٥٣٧م) وأخرج أباه الأسكيا محمد من سجنه في جزيرة كنكاك ، وولى إخوته كرؤوس حكومات محلية، فأحسنوا السيرة واحترموا الفقهاء ، وضربوا على أيدي المرابين وحددوا الأسعار[3].

ولما تولى الأسكيا إسحاق العرش عام(٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م) ، تقدم الفقهاء والأعيان لمبايعته بالملك ، وذهب هو بنفسه إلى مدينة تنبكت ودخل دار القاضي محمود أقيت طالبا منه الدعاء . وكان الأسكيا إسحاق صالحاً مباركاً كثير الصدقات حريصاً على صلاة الجماعة سباقا إليها قبل غيره و لا يمنعه عنها المطر والوحل وظلمة الليل[4].

---

(١) نفس المصدر ، ص ٨٣.

(٢) السعدي : المصدر السابق ، ص ٨٦.

(٣) ـ المصدر السابق والصفحة

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٨٨.

وقد انتهز فقهاء المالكية حرص أسكيا إسحاق على العدل وتدينه الشديد فقاموا بنصحه وحثه علي السير في رعيته بالعدل ، ويتضح هذا الأمر حين زار هذا الأسكيا مدينة جني ودخل مسجد المدينة الكبير وأمر أن يحضر العامة والخاصة من سكان هذه المدينة ، ثم جاء الأسكيا ومن معه من الأعيان وامتلأت الصفوف و الأساطين ثم أمر ترجمانه أن ينادى بالناس يعلمهم حالفا بلفظة "والله" ماسافرت سفري هذا إلا لإصلاح البلاد ولمصالح العباد ...والآن من يؤذى المسلمين ومن يظلم الناس في هذا البلد . ودخل الترجمان في الصفوف يتتبعها ويقول ذلك والجماعة ساكتة ، وكان ممن حضر في تلك الجماعة الفقيه القاضي محمود بن أبى بكر بغيغ وهو جالس بقرب الأسكيا ، فلما طال الحال عليهم فما رد أحد له جوابا قال له الفقيه محمود : "الحق ما تقول يا إسحاق فقال والله الحق فقال :إن علمناك بذلك الظالم فماذا تفعل له ، فقال له : ما يستحق من قتل أو ضرب أو سجن أو إجلاء أو رد ما أتلفه من المال وغرمه ، فقال له الفقيه محمود : "ما عرفنا هنا أظلم منك أنت ولا يغصب غاصب هنا مغصوبا إلا لك وبأمرك وبقوتك إن كنت تقتل الظالم فابدأ بنفسك ...!". فلما سمع الأسكيا بذلك تحير ودهش وتنفس الصعداء وبكى وندم على قوله حتى رحمه الناس وحتى عبس وجه قومه على الفقيه محمود بغيغ .وقال له بعضهم أنت القائل للسلطان هذا القول ، وكادوا أن يسطوا عليه فردهم الأسكيا عن ذلك وانتهرهم فما صدر منه إلا الأذعان والخشوع والحشمة ، بل قال : صدقت والله وأنا تائب لله واستغفره ثم نهض إلى منزله باكياً، ثم ولاه قضاء مدينة جني بعد إباية من هذا الفقيه[١].

وقد نهج أسكيا داوود الذي تولى العرش عام(٩٥٦ـ ٩٩٠هـ/ ١٥٤٩ ـ١٥٨٢م) ([٢]) نهج الأسكيا محمد الكبير في سياق احترامه وتودده للفقهاء ، فنجده

---

(١) المصدر السابق: ص٨٨ ، ص ٨٩.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص١٠٠، ١١٣.

مع والد أحمد بابا الفقيه أحمد ابن عمر بن محمد أقيت(٩٢٩-٩٩١هـ / ١٥٢٢-١٥٨٣م) والذي كان عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك والناس كافة نافعا بجاهه ،ولذلك كان لا يرد له شفاعة وكان هذا الفقية يغلظ القول للملوك فمن دونهم ، وينقادون له أعظم الانقياد ، ويزورونه في داره ، ولما مرض في كاغ في بعض أسفاره ، كان أسكيا داوود يأتي إليه بالليل حتى يبرأ من مرضه وسمر عنده تعظيما لقدره[١] .

وتظهر أخلاق أسكيا داوود الحميدة من خلال حسن ملاطفته مع القاضي العاقب عند بناء المسجد الكبير في تنبكت ، وقد سعى وشاة وتقولوا على لسانه ما لم يقل ، وأرسل له أسكيا أقوالاً لا ينبغيأن تُقال بينهما ، فأجابه القاضي بأجوبة قاسية لا يصبر عليها إلا مثل داوود . فلما أتاه أسكيا في سفره إلى مل وزاره في بيته وعليه الحاجب الذي رده وأبى أن يدخله عليه فوقف أسكيا على بابه على قدميه وقوفا طويلا وما أستأذن له في الدخول إلا بشفاعة بعض فقهاء البلد وأكابر شيوخه ، ثم أمر بفتح الباب له ودخل عليه متملقا متواضعا متذللا وانكب على رأسه فقبلها وجلس بجانبه مستوقراً حتى أرضاه ورضي وتوافقا بعد إباء وامتناع[٢] .

كذلك حدث في عهد الأسكيا داوود خلاف بينه وبين الفقيه محمود كعت ، ويدل هذا الخلاف في نهايته على مدي تحدى سلطة الفقهاء لسلطة الحكام وإرادتهم ، وكذلك اعتراف السلطة الحاكمة بقدرهم[٣] فقد قال الأسكيا داوود للفقيه محمود

---

(١) محمود كعت :مصدر سابق ، ص١١٥.

(٢) المصدر السابق : ص ١٠٩.

(٣) ومن ذلك : "في يوم مقدم بعض الحجاج من أهل تنبكت وجواليها في بعض السنين وكان منهم رجل من أهل كنت وهو من مماليك أسكي داوود وقد حج معهم ونزلوا بخارج بلد كاغ وعادة الحجاج في وقت دولة صُنغى إذا قفلوا ينزلون خارج البلد ولا يدخلون إلا بعد مشاورة أسكيا ، واستئذانه ويخرج الأسكيا لملاقاتهم ويأتيهم بالكسوات واللباس ويسألهم الدعاء والتبرك بهم فلما قدم هؤلاء الحجاج

كعت " ولولا العلماء لكنا من الهالكين فجزأك الله عنا خيرا "، وبعد رجوع هذا الفقيه إلي بلده أرسل أسكيا عشرة أثواب وخمسة عبيد ، وقال له : " هذا جزاؤك لأنك حلت بيني وبين معصية الله وغضبه وأعوذ بعزة الله وقدرته من ذلك "[1].

وتعددت الروايات التاريخية التي تبين احترام أسكيا داوود لفقهاء المالكية منها ما حدث بينه وبين الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد سبط القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت الذي قدم له نقداً لاذعا ([2]) عندما ذهب إليه بعدما عفا عن الفقيهين

المذكورون ونزلوا بخارج البلد على عاداتهم المألوفة وسمع بذلك الاسكيا داوود وكان عنده الفقيه كعت الذي خرج معه ومعهم بعض رؤساء البلد ، وبالفعل وصل أليهم وأتوه ونزل أسكيا بنفسه إجلالاً لهم وتعظيا وقبل أيديهم وأقبل الرجل الكتتوى الذي تقدم ذكره بأنه من مماليك أسكيا داود وهو لا يشعر بة و لا يعلم أصله فصافحه وأراد تقبيل يده ،وكان هناك رجل بجانب أسكي داوود ، وقد عرف ذاك الحاج الكنتوى المذكور وعرف أصله وأبويه وقال له : أخرج يدك من يد أسكيا أتصافحه بيدك وما خرجت من قوم يقدر على هذا فكيف أنت عبد و ما أجراك على مصافحة السلطان وأخذ بيده ونزعها من يد أسكيا وحلف على قطع يده التى أدخلها في يد أسكي وعظم القوم ذلك وتعجبوا من جرأته على يد أسكي بإدخال يده فيها والفقيه كعت ساكت بجانبه ، فألتفت إليه أسكيا وقال : يا محمود ما تقول في هذه المسألة فما جزاء من جهل قدرة وهنا قال الفقيه محمود كعت آلا أن تقطع يده وهذا أولى بة فقال له أسكي أنشدك بالله هل يجوز قطع يده على هذا فقال كيف لا يجوز قطع يد من وقف عرفة وطاف الكعبة ووضعها على الحجر الأسود ثم وضعها على الركن اليماني ورمى بها الجمرتين ثم زار الرسول ﷺ ووضعها على قبر أبى بكر وعمر ، ثم لم يكتف بهذه المزايا والفضائل والمحامد كلها حتى أتاك يصافحك بها لتعطيه غرضا قليلا حثيثا من أعراض الدنيا ، بل حق هذه اليد أن يضن صاحبها بها ويحفظها من النجاسة ولا يرضى أن يصافحك بها قلما صافحك بها ظنناها ختمت لها بسوء الخاتم ، ونعوذ بالله من ذلك . محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١١، ١١٢، ١١٣.

(١) المصدر السابق ، ص ١١٣.

(٢) وكان هذا النقد عندما قال له الفقيه : عجبت منك حين دخلت عليك وما حسبتك إلا مجنونا رذيلاً سفيها حين رأيتك تبصق في أكمام قمصان والناس يحملون على رؤوسهم التراب لك ، فضحك الاسكيا وقال : ما كنت مجنونا أنا بعقلي ولكن كنت رئيس المجانين الفاسقين المتكبرين ، ولذلك جعلت نفسي مجنونا وأدخلت الجن على نفسي تخويفا لهم لئلا يتعدون على المسلمين ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١٤.

محمد بغيغ وأخيه أحمد بغيغ[(١)] في كاغ . ويقى الفقيه أحمد بن محمد عنده فأمر الأسكيا بطعامه وناشد الفقيه أحمد بالله أن يأكل معه فأجاب فأكل، ثم خرجا لمقابلة الفقيهين ، وعندما شهدهما أنكب على رأسيهما يقبلهما وحياهما بأحسن تحية وإكرام مع ضيافة عظيمة وزيارتهما كل ليلة إلى رجوعهما بالمنح التي زودهما بها[(٢)].

وكان لفقهاء المالكية مواقف خاصة في الأزمات التي تعرضت لها صنغي ، وبخاصة في أواخر عهد الأساكى فعندما تعرضت البلاد إلى الحملة المغربية وبسبب مواقفهم المؤثرة داخل المجتمع أرسل المنصور السعدي مع جودر باشا عام ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م (٣) عندما دخل مدينة تنبكت رسالة إلى قاضيها الإمام العلامة أبي حفص

---

(١) بعدما رفضا منصب القضاء وألح عليهما في ذلك ولكنهما رفضا وهربا ودخلا المسجد وأقاما به شهورا ويأتي رسل أسكي كل يوم إلى أن عفي عنهما ثم قال لا أعفو حتى يأتياني إلى كاغ ونتبرك برؤيتهما فخرجا إلية وخرج معهما الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد وبالفعل ذهب إلية الفقيه أحمد بن محمد وحده وترك الفقيهين المذكورين بمرسى كاغ ودخل علية والتقاه في مجلس الجمعة على عادتهم وعبيده الخصيان واقفون على رأسه وكانوا نحو سبعمائة وعلى كل واحد منهم لباس الحرير ، وإذا أراد أسكيا أن يبصق أو يتفل أسرع إلية بعض الخصيان وباسطاً له كمه ليبصق فيه ثم يمسح فاه من النخام ، ودخل الفقيه وتلقاه الاسكيا بالترحيب حتى كاد أن يقوم لملاقاته إلا أنهم أذا جلسوا على سريرهم في ناديهم يوم الجمعة أو يوم العيد لا يقومون لأحد ولا يجلس أحد معه على سريره ، ثم أمر بإخراج الناس فأخرجوا ليخلوا بذلك الفقيه فلما انفرد بة قام إليه وحمل حصير الصلاة بيده وفرشه له وأجلسه علية وحمل إليه الوسادة وقبل يده ومسح وجهه بها ثم أخبره الفقيه بمكان الفقيهين بالمرسى وفرح الإسكيا بهما كثيرا ، ثم امر الفقيه الفع بكر الإنبارى أن يأتيهما هنالك وأسرج الفرسين ليركبوهما وفعلوا وسمى لهم بيتا ينزلون فيه، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١٤، ص ١١٥ ، Levtzion,N:op cit,p١٥٥.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ١١٥.

Stephen Charles Cory: The Caliphate and polilical Legitimacy In EarIy Modern Morocco, ADissertaion submitted in partial satisfaction of the requirements for the degree of doctor of philosophy in History, University of California Santa Barbara,٢٠٠٢,p١٤.

عمر بن الشيخ سيدي محمود بن عمر أقيت ، يبرر له أسباب الحملة ، وأن يحض الناس على الدخول في الطاعة ولزوم الجماعة[1] ، لان هذا لا يحدث إلا بمساعدة الفقهاء .

وفى بداية حكم المغاربة حدثت الفتنة بين أهل تنبكت وبين القائد التركي ، فتدخل القاضي أبو حفص عمر بن محمد بن محمود أقيت ، وطلب الشفاعة من الأمير المغربي لمجموعة من أهل تنبكت ، وانتهى الأمر بقبول الأمير شفاعته لعظم قدره وعقد الصلح بين القائد وأهل تنبكت[2] .

وهكذا ارتفعت منزلة فقهاء المالكية بفضل توقير حكام صنغي لهم واعترافهم بدورهم في حماية الملة وبفضل هذه المكانة أسندت إليهم العديد من الوظائف والولايات الدينية التي ستعرض لها .

(١) القشتالى : " أب، فارس عبد العزيز القشتالى المتوفي عام"١٠٣١هـ / ١٦٢١م" مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم ،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ١٩٧٧م ، ص ١٣١، ص ١٣٣.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.

٢ـ الخطط والولايات التي تولاها فقهاء المالكية في السودان الغربي :

أـ خطة الكتابة[1] :

اعتبر ابن خلدون خطة الكتابة إحدى الصنائع التي تؤدى إلى مخالطة الملوك، فأصبح لها بذلك شرف ليس لغيرها[2] وتبرز أهمية الكاتب في المرحلة التي يشب فيها عود الدولة ، ويشرع خلالها الأمراء في تحصيل ثمرات الملك من الخراج و الجبايات وغيرها ، وعندئذ يصبح أرباب الأقلام أوسع جاها وأعلى رتبة وأعظم نعمة وأقرب من السلطان مجلسا وأكثر إليه ترددا[3] .

وكان رجال الدين يعتبرون طبقة من المتخصصين أساسا في فن الكتابة، ويمتلكون نظامهم الخاص بهم ، كما كانت خطة الكتابة تتجه إلى أن تكون وراثية (٤). وقد تجلت حاجة دولتي مالي وصُنغى للكتابة من أجل توجيه الأوامر للرعية وكتابة الرسائل والإشراف على جباية الموارد وما يتطلبه ذلك من حسابات ، فضلا عن نقل أخبار المعارك . لذلك كان من الطبيعي أن يحتل الكاتب مكانة مرموقة في سلم الهرم الوظيفي ، وأن تشمله رعاية الأمراء سواء في دولة مالي أو دولة صنغى ،

---

(١) تشبه وظيفة الكاتب في عدة وجوه وظيفة كاتب الديوان التي كان لها أصولها وقواعدها ولاسيما في العصر العباسي الأول عندما اقترنت باسم عبد الحميد الكاتب ، أما في السودان الغربي عامة وفى تنبكت خاصة فقد اقترنت باسم كاتب موسى الذي تولى هذه الوظيفة في عهد السلطان منسا موسى ، وهي الوظيفة التي انحصرت في حمل قرارات الحاكم إلى أقاليم دولته المختلفة ،والقيام بالأمور الكتابية الخاصة بالعلاقات الداخلية ، أنظر مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية،ط١ ،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، ص٥٢٨.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ،ص ٣٠٧.

(٣) المصدر السابق : ص ٣٠٨ .

(٣) Triminghaam J.s :Islam in west Africa ,p٩٧.

Levtzion,N:op,cit,p ٨٨.

ولذلك وضعت شروط ومواصفات صعبة لاختيار الكاتب حددها ابن خلدون[١] بأن يختار "من أرفع طبقات الناس ، وأهل المروءة والحشمة منهم ، وزيادة العلم وعارضة البلاغة ...والقيام على الآداب والتخلق بالفضائل ...وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها".

وقد عرفت خطة الكتابة في مملكة مالي حيث كان الكاتب يساعد الفاريا[٢] وينفذ أوامره، وكانت مهمة الفاريا تتلخص في السهر على حفظ الأمن والنظر في الأمور الإدارية ، ويساعده في عمله كاتب ينفذ أوامره . وحسبما يظهر من كلام ابن بطوطة فإن هذا الكاتب غالبا ما يكون فقيها عارفا بشئون الإنشاء وقواعد الشريعة الإسلامية[٣].

ومن المؤسف أن المصادر لم تحفظ لنا سوى اسما واحدا ممن تولى خطة الكتابة في دوله مالي وهو كاتب منسا موسى[٤] الذي رحل إلى فاس لتعلم العلم بأمر من السلطان منسا موسى سلطان دولة مالي الإسلامية[٥].

كما لم تذكر لنا كتب المصادر سوى ثلاثة أسماء من كتاب دولة صنغى ، أولهم الكاتب إبراهيم الخضر[٦] وكان في عهد سني على الذي رتبه كاتبا لديه إلى اليوم

---

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩.

(٢) الفاريا :هو نائب عن الملك في الإقليم الذي كانت مهمته تتلخص في السهر على حفظ الأمن والنظر في الأمور الإدارية ، فمثلا فربا سليمان الذى قابله ابن بطوطة ولقى عنده فقيهاً كاتباً يكتب له ، وهو الذي كتب له ما يريد وعرضه على فربا سليمان وهو بالقرب من مدينة تنبكت ، أنظر ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٦.

(٣) المصدر السابق ،ص ٦٧٧.

(٤) هو : الإمام سيدي أحمد كان رحمه الله عالما عادلا رحل من أرضه إلى فاس للتعليم في دولة أهل مالي بأمر السلطان الحاج كنك موسى أنظر ،الأرواني : السعادة الأبدية، ص ١٢٣.

(٥) السعدي :تاريخ السودان ، ص٥٧.

(٦) إبراهيم الخضر وهو فاسى جاء لتنبكت وسكن فيه في حومة الجامع الكبير ، في زمن سني على، أنظر السعدي : تاريخ السودان ، ص٦٨.

الذي أنقلب عليه وأمر سني على بقتله وأخذ جميع أمواله فنفذ أمره ولكن الخدام أخفوه عن أعين سني على ولم ينفذوا أمره إلى أن جاء اليوم الذي احتاجه فيه سني على حيث جاءت له رسالة ولم يكن عنده قارئ ليقوم بقراءة ما فيها فقال سني على " إن كان إبراهيم حيا لم نتوحل في هذا الكتاب " فقالوا له إنه موجود وهو حي أخرناه فأمر بإحضاره فقرأ الكتاب ورده إلي خطته وأعطاه ضعف ما ضاع له من المال وظل في خطة الكتابة بعد وفاة سني علي و مجئ عهد أسكيا الحاج محمد الكبير الذي أبقاه في مقامه عزيزا مكرما إلى أن توفى فخلفه ابنه حوي الذي كان كاتبا لناظر أسكيا في تنبكت وكان في رتبة وقدر عظيم[١] .

ثم ذكرت المصادر الكاتب على بن عبد الله بن عبد الجبار اليمنى و الذي كان يعمل كاتبا لدى الاسكيا الحاج محمد الكبير[٢] ، وأشهده الأسكيا محمد الكبير على كتابة وثيقة عدم التعرض للشريف أحمد الصقلي هو ورهطه الذين جاءوا معه بالإضافة إلي ذريتهم في شئ من أمور السلطنة كما لهم الشفاعة في كل شئ إلا النفس التي حرم الله[٣] .

كما أمر الأسكيا الحاج محمد الكبير كاتبه عبد الله بن على بكتابة وثيقة حفدة الشيخ مورهوكار[٤] الذين اشتكوا للأسكيا الحاج محمد البؤس والشدة التي عاملهم بها سني على . فأمر الأسكيا محمد كاتبه أن يكتب لهم وثيقة الحرمة التي يسيرون بها في البلاد ليحموا بها أعراضهم وأشهد عليها كاتبه هذا ، وكذلك القاضي إسماعيل

---

(١) المصدر السابق ، والصفحة .

(٢) محمود كعت : الفتاش ، ص ١٥، ٧٤.

(٣) المصدر السابق : ص ١٨ ، ١٩ .وأنظر نص الوثيقة في الملاحق .

(٤) وهم مور الصادق ،مور حبيب ،مور محمد أنظر المصدر السابق ،ص ٧٢.

بن محمود كعت[1] وكان هذا الكاتب ممن صاحبوا الأسكيا الحاج محمد في رحلة حجه[2].

كما ذكرت لنا المصادر الكاتب الفقيه بكر الأنبارى[3] الذي تولى خطة الكتابة على عهد الأسكيا داوود وهو الذي قام بكتابة وثيقة العتق لأولاد وأحفاد السيدة العجوز التي جاءت للأسكيا داوود لحاجة لها عنده[4]. كما قام هذا الفقيه بتبليغ الاسكيا داوود رسالة القاضي محمود كعت الذي طلب منه أن يعينه على متطلبات فرح أبنائه الذكور والإناث[5]. كما كان الفقيه بكر الأنبارى ممن كتب وشهد على إعطاء الدية لابن القاسم بن مزاور الشريف الونكرى لقتل الأسكيا داوود أخيه عن طريق الخطأ[6] . هذا بالنسبة لخطة الكتابة التي تولاها عدد من فقهاء المالكية في دولة مالي الإسلامية وكذلك دولة صنغى الإسلامية .

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥.

(٢) المصدر السابق : ص ١٦.

(٣) هو الفقيه بكر إلانبارى وكان يلقب بأسكي الفع بكر لنبار ، أنظر ، المصدر السابق ،ص ١٤٧ .

(٤) "جاءت هذه العجوز إلى الاسكيا داوود وطلبت منه أن لا يفرق بين أولادها وأحفادها وأسباطها البالغ عددهم سبعة وعشرين أذا باعهم أو وهبهم أن يكونوا لشخص واحد حتى لا يتفرقوا فأجابها بأنه أعتقهم شكرا لله ثم قالت له أريد منك أن تكتب لهم وثيقة بشهادة هؤلاء الجلساء الصالحين خوف دوران الزمان وانقلاب الأحوال وتغير الأمور ونادي على كاتبه ليكتب لهم وثيقة عتقهم وهو الذي أستنطق الأمة العجوز بأن تذكر أسماء أولادها فكتبتهم في ذلك المجلس بشهادته وشهادة من حضر " ،أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٠٣ ، ١٠٤.

(٥) محمود كعت : الفتاش ، ص ١٠٨ .

(٦) وكانت هذه الدية عن قتل أخي الشريف أبن القاسم مزاور وكانت عبارة عن أراضٍ في ثلاثة أماكن وكل مكان كان يساوى مائتى نفس ، لأنة لم يستطع أن يستغفر لهذا الذنب بسفرة للحج والاستشفاع برسول الله ﷺ،أنظر محمود كعت : الفتاش ، ص١١٦ ، ١١٧ .

وإذا كانت المصادر لم تقدم لنا إلا عددا قليلا من فقهاء المالكية في دولة مالي الإسلامية وكذلك دولة صنغى الإسلامية ممن تولوا خطة الكتابة فإن هذه المصادر قد أمدتنا بمعلومات وافية عمن تولي خطة الفتيا والقضاء في هاتين الدولتين .

ب ـ خطة القضاء و الفتيا:

يعد منصب الإفتاء والقضاء من أشرف وأجل المناصب ، وكان رسول الله ﷺ أول من تولى منصب الإفتاء والقضاء في أمته ، ثم جاء من بعده الصحابة والتابعون ، ثم أئمة المسلمين وفقهاؤهم . وكان المفتون والقضاة محل تقدير وتبجيل بفضل مهمتهم الجسيمة في تبليغ الأحكام الشرعية ،[1] ولذلك أجمع العلماء على أن الفقيه لايتبوأ خطة الإفتاء أو خطة القضاء إلا إذا توفرت له شروط ومؤهلات معينة[2] . ومن أهم هذه الشروط هي تلك التي تتعلق بالجانب العلمي ، حيث يجب أن يكون عالماً لأن المطلوب منه أن يبين الحق وهو الحكم الشرعي المتعلق بالعبادة أو المعاملة[3]

(١) وكان الإمام مالك يكره التسرع في الفتوى ونقلت عنه أخبار كثيرة في هذا المجال ، منها قوله :" جنة العالم لاأدرى فإذا أخطأها أصيبت مقاتله "وقوله : "من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض نفسه قبل أن يجيب على الجنة والنار ، وكيف يكون خلاصه في الآخرة ثم يجيب "أنظر فتاوى الشاطبى ص٨٠ ، يرى الشاطبى : (أبو إسحاق بن موسى بن محمد اللخمى الشهير بالشاطبى المتوفى عام (٧٩٠هـ، ١٣٨٨م) سوهو من كبار الفقهاء المجتهدين ، كان شديدا على أهل البدع ، أنظر،أحمد بابا :كفاية المحتاج، جـ١، ص٩١.

(٢) قال الإمام مالك : (لا ينبغي للعالم أن يفتى حتى يراه الناس أهلا لذلك ، ويرى هو نفسه أهلا لذلك) ، أنظر القرافى :الفروق ، مطبعة دار المعرفة بيروت ، جـ٢ ، ص١١٠ .

(٣)ويشمل هذا الشرط :

أ ـ معرفته بكتاب الله عز وجل (بناسخة ومنسوخه،ومحكمه ومتشابهه،وتأويله ،وتنزيله،ومكيه ومدنيه ،وما أريد به) أنظر ،ابن القيم الجوزية : أعلام الموقعين ، جـ١ ، ص٣٥،

ب ـ وكذلك معرفته بسنة رسول الله ﷺ بحيث يعرف من الحديث < مثل ما عرف من القرآن >أنظر نفس المرجع والصفحة

وكذلك اهتم العلماء ببعض الشروط الأخلاقية إلي جانب الشروط العلمية لمن يتولى خطة الفتيا أو القضاء حيث نجدهم يلحون على عدالة من يتولى مهمة الإفتاء والقضاء[1] . وإن كانت الشروط المتعلقة بالجانب العلمي وبالجانب الإخلاقي متوفرة و موجودة فهي غير كافية لقيام الفقيه (المفتى والقاضي) بواجبه على أحسن وجه ما لم تكن له قريحة[2] وما لم يمتلك ملكة الإفتاء والقضاء والتمكن من التصرف في مخزونه المعرفي فيحسن تطبيق ما يعرفه من كليات علم الفقه على جزئيات الوقائع التي تعرض عليه ، وهو أمر عسير على كثير من الناس[3] وهذا لا يكتسب إلا بالدراية والتجربة . كما يجب أن يكون الفقيه (المفتى ـ القاضي)على دراية واطلاع على كتب الفتاوى والنوازل ليعرف من خلالها كيفية تطبيق الأحكام على

ج ـ معرفته باللغة العربية وعلومها ، ومعرفته كذلك بالفقه وأصوله (وذلك يكون محكما لأبواب الفقه ، مستحضرا لنصوص المذهب الذي يفتى به) مع التميز بين العام والخاص ، والمطلق والمقيد ،عارفا باصطلاحات العلماء .ويكون متقنا لقواعد الأصول إتقانا يمكنه من تنزيل الإحكام على القضايا ، وإدراج الجزئيات تحت الكليات .

د ـ وكذلك تكون معرفته بأحوال الناس ، حتى يكون عارفا بظروف المجتمع ، مطلعا على عادات الناس وأعرفهم وحيلهم ومكايدهم(فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال) ،أنظر ابن القيم الجوزية :مصدر سابق ، ص٣٥ ، ٣٦.

(١) كما رواه أبو داود الطيالسى من حديث عائشة رضي الله عنها أنها ذكر عندها القضاة فقالت :سمعت رسول الله ﷺ يقول : "يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين أثنين في تمرة قط" أبن القيم الجوزية : مصدر سابق ،ص٣٦.

(٢) ابن الجوزية :مرجع سابق ، جـ١ ، ص١٠ . ، ومما يدل على كمال الفقيه (المفتى والقاضي) العدول عما سئل عنة إلى ما هو أنفع للمستفتى في دينه مع بيان المسؤل عنه ،وإجابة السائل بأكثر مما سأل عنه ،وإذا كان الجواب يقتضى منع المستفتى من شيء تدعوه الحاجة إليه فعلى المفتى أن يدله على عوض وبديل له ليفتح له الباب المتاح ،والإفتاء بلفظ النص وتعزيز الحكم الذي يفتيه بحجته ودليلة ، أنظر ابن الجوزيه : أعلام الموقعين ، مرجع سابق ،جـ٤ ، ص١٧٢ ، ص٢٦٠.

(٣) الشاطبى : فتاوى الشاطبى ، ص٧٥.

القضايا الجزئية[1] ويضاف إلى ذلك صفات يجب أن يتصف بها الفقيه (المفتى - القاضي) كالرصانة والتثبت في الإفتاء والإحكام[2] .

هذا ولم يكن عند أهل السودان الغربي قانون مدون قبل الإسلام يحدد نظام الإفتاء والقضاء، بل كانوا يتحاكمون بما توارثوه عن أسلافهم من أساطير وتقاليد وأعراف منتشرة بينهم ، وكانت هذه التقاليد والأعراف عندهم بمثابة قوانين ثابتة لايجوز مخالفتها وكان الإفتاء والقضاء مبنيين على تلك التقاليد والعادات المحلية ،وكان نظام الإفتاء والقضاء عندهم عن طريق الملك وكاهن المعبد فهو يستفتيه في الأمور ويقوم هو(الملك) بتنفيذ ذلك الأمر لأنه هوا لذي يملك سلطة التنفيذ[3].

ومنذ أن كرم الله أهل هذه البلاد وسخر لها همم المؤمنين لنشر دينه الحنيف بين ربوعها كان أهلها وحكامها يسألون ذوى العلم من الفقهاء عن أمور دينهم ، ويستفتونهم حول حكم ما ينزل بهم في حياتهم من أحداث ووقائع[4] وكان هؤلاء

---

(١) محمد بن الحسن الحجوى : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي مطبعة المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م ،، جـ٤ ، ص٤٢٨ .

(٢) رواه الدرامي في سننه ، في باب الفتيا وما فيه من الشدة ، ونصه : "أخبرنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن أبى أيوب ، عن عبيد بن أبى جعفر قال: رسول الله ﷺ "أجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار"أنظر سنن الدرامي جـ١ ، ص٥٧ ، دار إحياء السنة النبوية.

(٣) "بعد عودة الأسكيا محمد من الحج في عام(٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) أراد أن يغزو بلاد الموش التي ظلت على وثنيتها وعلى عاداتها وأعرافها الوثنية القديمة ، فأرسل إليهم رسولاً يعرض عليهم الدخول في الإسلام ، فأجابه كبيرهم بأنه لا يستطيع الجواب قبل استشارة كاهن المعابد ، فنودي على هذا الكاهن الذي ذهب إلى كبير الأصنام يستطلع رايه بحضور رسول الأسكيا وملك الموسى ، وقد كان الجواب الذي أستطلعه الكاهن الكبير من كبير الآلهة ، أن على ملك الموسى أن لا يفرط في عبادة الأجداد) "ولهذا رفض الملك طلب الأسكيا بالدخول في الإسلام ، وهذا يظهر أن السودانيين قبل اعتناق الإسلام ،كانوا يستشيرون ويستفتون رأى الكهنة في كل ما يقدمون عليه ـ السعدي : مصدر سابق ، ص٧٤، وكذلك أنظر عبد القادر زبادية : أسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي ، ص١٧٠ .

(٤) أنظر السؤال الأول من أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي عليها :عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية

الفقهاء (المفتون والقضاة) يقومون بالرد عليهم من خلال مصادر التشريع الإسلامي وخاصة كتب الفقه المالكي المعتمدة في الإفتاء والقضاء[1] .

ويعد منصب القضاء من أهم المناصب التي تولاها فقهاء المالكية في دولتي مالي وُصنغي ، وكان من أشهر قضاة دولة مالي الإسلامية القاضي أبو عباس الدكالى الذي شغل خطة القضاء بعاصمة مالي أيام السلطان منسا موسى ، وكان هذا الفقيه قد أقام بمملكة مالي مدة طويلة وكان يشغل خطة القضاء بعاصمة مالي. كما تولى خطة القضاء الفقيه القاضي كاتب موسى الذي أرسله السلطان منسا موسى إلى فاس للأخذ عن فقهائها فعاد شعلة من العلم وتقلد منصب القضاء بتنبكت ، والفقيه القاضي محمد الكابرى الذي توطن مدينة تنبكت وتولى القضاء بها و توفى بها ، وتقلد أيضا الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن وانسول خطة القضاء في مدينة كوكو ، كما كان الفقيه القاضي عبد الرحمن قاضيا في نيانى العاصمة أيام منسا سليمان[2] وفي أواخر دولة مالي تولي الفقيه المفتى الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبى بكر بن الحاج[3] خطة القضاء بتنبكت وهو أول من أفتى وأمر الناس بقراءة

والتأثير الاوروبى في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء ،دراسات ونصوص ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٩م، ص ١٦١، ١٦٢، ١٦٣.

(١) ومنعوا الفتوى من الكتب الغريبة التي لم تشتهر حتى يعلم صحة ما فيها، وكذلك الكتب الحديثة التصنيف التي لم يتم تحقيق نقولها عن الكتب المشهورة ،أنظر السيوطي : الحاوي للفتاوى ، جـ١، ص٣٤٠.

(٢) هو من السودان ، كان قاضيا في نيانى العاصمة أيام منسا سليمان ، لقيه ابن بطوطة وأثنى علية كثيرا ، أنظر ، ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٧٤.

(٣) هو:الفقيه القاضي :"عبد الرحمن بن أبى بكر بن الحاج "ومن نسل هذا الفقيه القاضي علماء آخرون تولوا مناصب القضاء والتعليم في مناطق أخرى من مدن السودان الغربي من قبل أسكيا الحاج محمد ، السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢٨، البرتلى : فتح الشكور، ص٨٨ ، ٨٩.،الاروانى : السعادة الأبدية، ص٨٢.

نصف حزب من القرآن للتعليم في مسجد سنكرى بعد صلاة العصر وصلاة العشاء .

وهذا يدل علي أن القضاة في دولة مالي كان أغلبهم من المغاربة ، والقليل منهم كان من أهل تلك البلاد ، وهذا عكس الحال في دولة صُنغي ، حيث وصل إلى منصب القضاة العديد من أهل تلك البلاد ، إذ أن خطة الإفتاء والقضاء كمنصب رسمي لم تظهر وتبلغ ذروتها في التنظيم إلا في عهد دولة صُنغى الإسلامية ، حيث أصبح الفقيه (المفتى،القاضي) له سلطاته الواسعة ، بالإضافة إلي استقلاله في قضاياه[1] .

وقد قام بتنظيم خطة القضاء والإفتاء أسكيا الحاج محمد اقتباسا من المشرق أثناء رحلة حجه الشهيرة عام(٩٠١هـ/ ١٤٩٥م) . وفي إطار التنظيمات المهمة التي قام بها في السلك القضائي ، حيث نصب في مدينة تنبكت وفى كل مدينة تستحق القضاء قاضيا[2] ، وكان هو الذي يولى منصب قاضى القضاة أو قاضى مدينة تنبكت ومدينة جني ، وهم بذلك تابعون للسلطة المدنية ، أما قضاة الأقاليم فيوليهم قاضى القضاة[3] ولذلك كان قاضى مدينة تنبكت يتمتع بمكانة عالية ، ويعتبر قاضيها من أكبر القضاة ، وله مكانة وحرمة خاصة . وعلي الرغم من تبعية هؤلاء القضاة للسلطة المدنية إلا أنهم في أحكامهم التي يصدرونها مستقلون تمام الاستقلال عن أي اعتبار خارج نطاق الأحكام الشرعية المستمدة من روح الإسلام وحده ووفق

---

(١) محمد الغربي : مرجع سابق ، ص٣٩٣.

(٢) كان أسكيا الحاج محمد الكبير هو أول من ولى القضاء في مدينة جني عام (٤٠٠ هـ/ ١٤٩٨م) إذ إنه في السابق لم يكن الشرع مطبقاً عند الفصل بين الناس في خصوماتهم وقضاياهم ، بل كانوا يحتكمون إلى خطيب المسجد الجامع الذي يسعى بينهم بالصلح ، السعدي :تاريخ السودان ص١٨.

(٣) قاضى القضاة هو قاضى مدينة تنبكت بعد مشاورة السلطان واتفاق أهل البلد على هذه الولاية السعدي : مصدر سابق ،ص ٧٥، ٧٦.

مذهب الإمام مالك[١]، ولذلك كانوا حريصين في اختيارهم على أن يكونوا من الفقهاء البارزين في العلم و المتضلعين في الفقه المالكي، متمتعين بالورع والصلاح والزهد[٢].

ولم يكن أحد يتقلد منصب الإفتاء أو القضاء إلا إذا كان أهلا له خوفا من الله، وخشية من خطورة تلك المسؤولية أمام الله، وحتى أن كان أهلا لهذا المنصب فإنه كان يرفضه تورعا أيضا[٣] لذلك كان الفقهاء يتهربون من تولى منصب الإفتاء والقضاء ولا يتولونه إلابعد إلحاح شديد من الأسكيا[٤].وكان بعض فقهاء السودان الغربي قد تهربوا من تولى منصب خطة القضاء، ونرى ذلك بوضوح بعد وفاة القاضي العادل العاقب عام(٩٩١هـ/ ١٥٨٣م)[٥] في مدينة تنبكت، وظل المنصب شاغراً لمدة عام ونصف العام[٦] وما تولاها أحد لان أسكيا أرسل في طلب الفقيه

(١) وقد أتسم تعاملهم مع المذهب بالسمات الآتية:
أ ـ التزام نصوص المذهب وعدم الخروج عنها إلى غيرها إلا ما كان على سبيل الاستثناء عند من تهيأت لهم متانة العلم وسعة الأفق من المفتين.
ب ـ الإفتاء والقضاء بالقول المشهور في المذهب، وعدم الخروج عنه إلا فيما ندر
ج ـ طغيان طابع التقليد في الإفتاء والقضاء وندرة طابع الاجتهاد ،أنظر الفكر السامي :جـ٤ ،ص٣١٨.
(٢) levtzion .N : op,cit,p٩٩.
(٣) ابن القيم الجوزية : مصدر سابق ،جـ١ ، ص٣٦.
(٤) كان بعض أئمة المذهب المالكي قد بالغوا في التحذير من الدخول في ولاية القضاء وشددوا في كراهية السعي فيها ورغبوا في الإعراض عنها والهرب منها "حتى تقرر في أذهان كثير من الفقهاء و الصلحاء أن من ولى القضاء فقد سهل علية دينه وألقى بيده إلى التهلكة، ورغب عما هو الأفضل " أنظر ابن فرحون : تبصره الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ص ١٢.
(٥) هو : " العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن على بن يحيى التنبكتى قاضى تنبكت (٩١٣ـ٩٩١هـ/ ١٥٠٧ـ١٥٨٣م)، أنظر أحمد بابا :نيل الابتهاج ، ،ص ٣٥٣، ٣٥٤، محمد مخلوف: شجرة النور ص ٤١٤.
(٦) تعطل القضاء في تنبكت سنة وخمسة أشهر وقام الإمام محمد بغيع بالصلح بين الناس دفعا لما بدا بين الناس في ذلك الزمان من الخسارة وأكل بعضهم أموال بعض وضياع أموال الأيتام، وكان إذا صلى

أبى حفص عمر بن الفقيه محمد المتوفى عام (١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م) ليتولي هذه الخطة أكثر من مرة ولم يقبلها الفقيه حتى أرسل له أسكيا رسولاً من عنده ليبلغه أنه اذا لم يقبلها سيوليها لجاهل ، وكل ما يحكم به هذا الجاهل يُسأل عنه أمام الله تعالى، وعندما وصل هذا الرسول إلى الفقيه عمر وأبلغه رسالة الأسكيا قبل خطة القضاء وهو يبكى وكان هذا في عام(٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م)[1] .

وهناك واقعه أخري تدل علي تهرب فقهاء المالكية من ممارسة خطة القضاء ، وعلي حرص وحب الاسكيا محمد للفقهاء ومتابعته لهم لكل ما يتعرضون إليه من مضايقات ومن ذلك ، عندما قام الفقيه القاضي محمود بن عمر بقضاء فريضة الحج وترك القضاء من بعده للقاضي عبد الرحمن ، ثم عاد ومكث في تنبكت سنتين والقاضي عبد الرحمن يقضى ومارد القضاء للقاضي محمود الذي استنابه ، والقاضي محمود ساكت ولم يتعرض له إلى أن وقعت نازلة في مجلس القاضي عبد الرحمن وحكم فيها بما حكم به ، وسمع بذلك الفقيه القاضي محمود وأرسل إليه ينقض هذا الحكم لمخالفته بنص الكتاب والسنة والإجماع فأبى إلا إنفاذه، وسكت الشيخ فبلغ الخبر أسكيا محمد الذي أرسل رسله ليردوا الحكم للقاضي محمود ويعزلوا عبد الرحمن ، وجاء الرسول وأجتمع علماء تنبكت و فقهاؤها في جامع سيدي يحيى ونادوا القاضي بأمر أسكيا فحضر وقال له الرسل : أسكيا يأمرك بأن تسلم الأمر للقاضي محمود لأنك نائبه ، وإذا حضر المنيب فالنائب معزول ، ثم عزلوه وأتوا القاضي محمود بأمر أسكيا بأن يرجع إلى مكانه ويتولى القضاء فأبى وامتنع وألحوا

الصبح يجلس بباب مسجد سيدي يحيى ويحضر بعض طلبته ويقول رحمه الله من له حق على من أمتنع به فليأت فجعل الناس يأتونه بدعواهم وليحكم بينهم فيأمر وينهى ويسجن ويضرب من يستحق الضرب ، أنظر محمود كعت: الفتاش ، ص ١٢٤، ١٢٥.

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٢٤ ، السعدي : مصدر سابق ، ص١١٨،البرتلى : فتح الشكور ، ص١٧٨.عندما سمع بأمر الاسكيا بتوليتة القضاء خرج هاربا إلى بعض القرى من بلاد أترم ، ثم رجع كامنا حتى ظفروا به.

عليه ، فلما سمع أسكيا برفضه و امتناعه أرسل إليه كبراء قومه فلم يقبل الإ بعد ما غلبوه بالحجج(١) .

ويبين أيضا تهرب الفقهاء من خطة القضاء والإفتاء ما حدث مع الفقيه محمود بغيع(٢) المتوفى عام (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٢م) والذي أرسل أسكيا إسحاق أحد أعيانه من الجيش ليقدمه قاضيا أحب ذلك أم كره ، فأتى رسول الأسكيا وجمع أهل جني وفقهاءها وسلطانها ، كما أحضروا الفقيه محمود بغيع وهو لا يعلم لماذا حضر؟ فأخذوه وأمسكوا به وألبسوه قميص أسكيا الذي أرسله إليه في عنقه في عام (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) ، وعندما عرف الفقيه محمود أمر توليه خطة القضاء ظل يصرخ ويبكي بكاء الصبي وقدموه جبرا وقرأوا عليه كتاب أسكيا، ويأمره أعطوه فرسا. وحملوه إلى داره ، فلما دخل بيته استقبلته زوجته وقالت له لم رضيت القضاء فقال : لم أرض بذلك ! وإنما أجبروني به وكلفوني ، فقالت :" لو اخترت الموت عليه لكان أحسن منه "(٣) .

ومن ذلك أيضا عندما طلب أسكيا داوود من الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد سبط القاضي محمود بن عمر المتوفى عام (٩٧٦ هـ/ ١٥٦٨م) أن يقنع كل من الفقيه محمد بغيغ وأخيه الفقيه أحمد بغيع المتوفى عام (٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م) أن يتولى أحدهما قضاء مدينة جني وتوابعها ، وطلب أسكيا داوود من العلماء والأعيان في مدينتي جاو و تنبكت محاولة إقناعهما، ولكنهما أصرا على رفض تولى خطة القضاء . فلما زاد الإلحاح عليهما وتشفع فيهما الناس فأبى أسكيا وتشدد في ذلك حتى هربا ولجأ إلى

---

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٧٥، ص٧٦ . ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٧٦.

(٢) هو محمد بن محمود بن أبي بكر الو نكرى التنبكتي عرف "بيغيغ(٩٣٠-١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣-١٥٩٣م) أنظر أحمد بابا : نيل الابتهاج ،ص ٦٠٠، ٦٠١ ، ٦٠٢.كان الفقيه محمود بغيغ يفصل (يفتى)بين المولدين والمسافرين ، السعدي :تاريخ السودان ،ص١١٨، البرتلي : فتح الشكور ص١١٣.

(٣) محمود كعت :الفتاش ص١١٥، البرتلي : فتح الشكور،ص٢٨.

المسجد الجامع وأقاما فيه شهورا وأثناء ذلك كان يأتيهما رسول اسكيا يوميا فلما رأى إصرارهما على الرفض سكت عنهما)[١].

وتكرر رفض الفقهاء لخطة القضاء ، ففي عهد أسكيا إسحاق عندما عرض هذا السلطان خطة القضاء على الفقيه عثمان درم ليتولى هذا الأمر على بلده تندرم ، ولكن الفقيه عثمان رفض هذا المنصب ولم يقبله إلا قهرا بعد مناقشات ومد وجزر[٢] .وبعد موافقة الفقيه على تولى خطة القضاء، يتم تنصيبه عقب صلاة من الصلوات الخمس في المسجد الجامع على مرأى من الناس بحضور الملك في ذلك اليوم المشهود ، ويأتي الفقيه الذي يريد الملك تنصيبه لخطة القضاء فيقلده هذا المنصب[٣].

ويحلف الفقيه أمام الملك بالله أو باسم من أسمائه الحسنى أنه سيلتزم في أحكامه بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ وخلفائه من بعده ، واجتهادات أئمة العلم من بعده ، وأنه لا يخاف في الله لومه لائم[٤] ثم يقول الفقيه :"القوى عندي ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، وكذلك الضعيف عندي قوى حتى يستوفى له حقه " وعقب الحلف يقلده الملك خطة القضاء[٥].

وكان يعاون القاضي في أداء عمله العديد من فقهاء المالكية منهم من كان يتولي وظيفة متولي الشرع ، وهى حصر التركة بعد موت أي شخص له أملاك،وكذلك كان هناك وظيفة شهود القاضي وهم من الفقهاء الذين يوقعون مع القاضي على الوثائق كوثائق الصلح الذي يعقد بين الجماعات السياسية المتخاصمة . كما كان

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٠.

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) ما حدث مع الفقيه محمود بغيغ ، محمود كعت : الفتاش، ص٩٠.

(٤) أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٥) أبو بكر إسماعيل ميقا :مرجع سابق ، ص٢٨٠.

للفقيه القاضي أعوان يرسلهم للسلطة إذا لزم الأمر ويقومون كذلك بإيصال رغباته وأحكامه وفتاويه إلى السلطان إذا لزم الأمر[1].

كما كان هؤلاء القضاة يقومون بمراعاة المساكين وتولى الأحوال المدنية مثل تسجيل المحررين من العبيد ، والنظر في تقسيم التركات والميراث كما كان من مهام القاضي الإشراف على العملية التعليمية ، فكانوا يعينون المدرسين ويساعدون المحتاجين من الطلاب، كما كانوا يقومون بإيواء الطلاب وتوزيع الجراية عليهم وعلى أساتذتهم[2].

كما كان من مهامهم تعيين إمام الجامع الكبير في تنبكت ، فقد كان تعيين الإمام يتم على يد القاضي[3]. وكان من مهام القاضي القيام ببناء المساجد وتوسعة القائم منها للدراسة والصلاة حسبما يراه من حاجة المنطقة إلى ذلك بمساعدة من الملك والمحسنين .كما فعل الفقيه القاضي العاقب بن محمد أقيت[4] وكان له دور فاعل واضح في هذا المجال(5) فقد قام بتجديد مسجد محمد نض في الفترة مابين(٩٧٦-٩٧٧هـ/ ١٥٦٧-١٥٦٨م)[6] و كذلك تجديد بناء المسجد الذي في سوق تنبكت عام (٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م) .

---

(١) السعدي : مصدر سابق ،ص٢٧٦.

(٢) سيسكو : مرجع سابق ،ص٢١٣. ، عبد القادر زبادية : مرجع سابق ص٧٧،٧٤.

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص٦٠.

(٤) نفس المصدر : ص١٧١،١٧٠

levtzion N,op,cit,٩٦.

(٥) تذكر المصادر أن الفقيه القاضي العاقب قد أنفق من ماله الخاص في بناء هذه المساجد مالا لا يعرف نهايته إلا الله، أنظر محمود كعت :الفتاش ، ص١٢٢.

(٦) سوزى أباظة : عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت ،مجلة الدراسات الإفريقية،العدد٢٦، ٢٠٠٤ م، ص١٦٨

. levtzion,N : op,cit,p ١٣٦.

كما قام الفقيه القاضي العاقب في عام(٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م) بتوسيع الجامع الكبير[١] بالطوب اللبن ، وسَوى المقابر القديمة وزادها على المساحة الأصلية للجامع القديم بعد عودته من رحلة حجه . وفى عام(٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) قام بحركة تجديد وتوسيع في مسجد سنكرى[٢] على غرار مساحة الكعبة بعد أن أخذ مقاس مساحتها من حيث الطول والعرض ، فأستكمل بناء هذا المسجد على غرار مساحة الكعبة وما زاد وما نقص[٣] عليها في شي[١] ، وفى عام(٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م) ابتدأ

---

(١) يقال إن القاضي العاقب محمود بن محمد هو الذي بناه وأنفق على تجديده ،أنظر محمود كعت :الفتاش ،مصدر سابق ، ص١٢١،ص١٢٢، وكذلك السعدي : تاريخ السودان ، ص١٠٩، ١١٠، وهو الآن معدوم ومجهول الموضع ، أنظر السعادة الأبدية، ص٧٤.

(٢) السعدي :تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص١٠٩ ، سنكري : كلمة صنغاوية مركبة من : صن ، ويعني المعلم ، وكري : يعني الأبيض ، أي المعلم الأبيض ، ماهر عطية شعبان : جامعة سنكري في تنبكتو ودورها الحضاري والثقافي في القرن السادس عشر ١٤٩٢/ ١٥٩٠م ، مجلة الدراسات الافريقية ، العدد ٢٤، ٢٠٠٢م ، ص ٩٠، ٩١. انظر : S . Alpha :Les Familles latuna de Sonkore Cherif , p : ٣٠ , revue Sonkore N ٤ , ١٩٩٣ , Etude sur L'islam au Soudan , p : ٦٢.

(٣) يقول السعدي عن بناء مسجد سنكري: " فقد بنته امرأة واحدة أغلالية ذات مال كثير في أعمال البرّ ، ولكن لم نجد لبنائه تاريخاً... . ثم جدده القاضي العاقب نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، يقول السعدي في إشارة إلى ذلك: "... وفي يوم الخميس الثاني عشر من المحرم سنة ست وثمانين بعد تسعمائة ، وفي عهد الملك أسكيا داود تم توسيعه وإكمال ما تبقى من بنائه ، وذلك نظرا لازدياد الطلاب الوافدين إليه بكثرة ، واتساع حلقات العلم فيه ، فنال شهرة ضاهت شهرة بعض أبرز الجامعات الكبرى في العالم الإسلامي في تلك الحقبة بل في العالم أجمع .،أنظر السعدي:تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص١١١

Ali Ould Sidi :Monuments and Traditional Know-how: the Example of Mosques in Timbuktu, ISSN ١٣٥٠-٠٧٧٥, No. ٢٢٩–٢٣٠ (Vol. ٥٨, No. ١–٢, ٢٠٠٦) UNESCO ٢٠٠٦ ٤٩Published by Blackwell Publishing, ٩٦٠٠ Garsington Road, Oxford, OX٤ ٢DQ (UK) and ٣٥٠ Main Street, Malden, MA ٠٢١٤٨ (USA), p٥١.

الفقيه القاضي العاقب بتجديد وتوسع مسجد سيدي يحيى[٢] وانتهي من تلك التجديدات والتوسعات عام(٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)[٣] كما قام ببناء مسجد الهنا (٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م)[٤].

ويعد الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد أندغ محمد[٥] أشهر من تولى خطة القضاء في دولة صنغى الإسلامية ، والفقيه عبد الله بن الفقيه أحمد برى[٦] والذي كان مفتيا

---

(١) أنه لما حج وأراد الانصراف والقفول إلى تنبكت ،أستأذن خدم الكعبة أن يحد الكعبة ويكيله بقدمه طولا وعرضا فأذنوا له وكالة بالحبل طولا وعرضا ، وجاء بالحبل المكيل ،فلما أراد بناء وتجديد مسجد سنكرى أخرج ذلك الحبل وكال تلك العرضة التي أراد بناءها فيه على الأوتاد على جهاتها الأربع وبني عليها وهو على مقدار الكعبة،مازا دت وما نقصت عليها بشي ،أنظر ،محمود كعت :الفتاش ، ص١٢١.

(٢) شيد هذا المسجد محمد نض ،من قبيلة أجر الصنهاجية ،وحاكم تنبكت من قبل سلطان الطوارق آنذاك السلطان أكل ،أنظر السعدي ص٢٢،ومن المحتمل تشيده حوالي منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ،وعندما جاء إلية صاحبة وحبيبة الفقيه العالم سيدي يحيى التادلسى المتوفى عام "٨٦٦هـ/ ١٤٦١م " أكمل تشييد هذا المسجد،وعينة أماما فيه . Ali Ould Sidi op,cit, ٥٠

(٣) السعدي :تاريخ السودان ، ص١٠٨، ١٠٩.

(٤) الأرواني:السعادة الأبدية ، ص ٩١.

(٥) هو:الفقيه أبو عبد الله أندغ محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح معدن العلم والصلاح ومنة تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الإباء ومنهم من جهة الأمهات ومنهم من جهتيهما معا .فهو عالم جليل قاضى المسلمين ، قال عنة أحمد بابا رحمه الله هو أول من خدم العلم من أجداده فيما أعلم وهو جد جدي لأمة أبو أم جدي(لفظ أندغم حمد من الألفاظ الدالة على التعظيم والتبجيل عند أهل غرب أفريقيا في ذلك الوقت .،أنظر السعدي : المصدر السابق ،ص٢٧، الارواني : مصدر سابق ، ص٨٢،البرتلي : مصدر سابق ، ص١١٢ . أبو بكر ميقا :تاريخ التعليم في السودان الغربي ص١٩٤.

Lamse kABa , L:op,cit,p٢٤٤

(٦) عبد الله ابن الفقيه أحمد برى بن الفقيه أندغم حمد الكبير ، وهو من ذريته من جهة الأب والأم معا لان أمة أخت الفقيه أبى العباس أحمد بن أندغم حمد،أنظر البرتلى : مصدر سابق ، ص١٥٨ .الارواني : مصدر سابق ،ص٨٦.

شرعيا في زمانه نابغا في علوم القرآن وتوثيق الأسانيد . أما شيخ الإسلام أبو البركات الفقيه القاضي محمود بن عمر[1] والذي تولى القضاء عام (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) فشدد في الأمور وسدد وتوخي الحق في الأحكام و كان ذا ثبات عظيم في الأمور وهدى تام وسكون ووقار وكذلك اشتهر علمه وصلاحه في البلاد ، وظهرت ديانته وورعه وصلاحه وعدله في القضاء ونزاهته وكان لا يخاف في الله لومة لائم مع صلاح ودين ولذلك طار صيته في الأقطار شرقا وغربا[2].

وتولى خطة القضاء بعد وفاة القاضي محمود ابنه محمد[3] الذي تولى القضاء عام(٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م).وقد ساعده على النبوغ في خطة القضاء وغيرها أنه كان ذا فهم ثاقب وذهن صافٍ ، كما كان عالما جليلا ولم يكن له نظير في عمره في الفهم والدهاء ورجاحة العقل[4] .

وكان أخوه القاضي العاقب بن محمود[5] والذي كان مسدداً في أحكامه ، صلبا في الحق ثابتاً فيه لا تأخذه في الله لومة لائم قوى القلب في الأمور العظام التي يتوقف فيها غيره ، إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء وسد بابه ، ثم يلاطفونه حتى يرجع ، وقع له هذا مرارا.

---

(١) هو: "القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت بن يحيى التنبكتى(٨٦٨ـ٩٥٥هـ/ ١٤٦٣ـ١٥٤٨م) أنظر أحمد بابا :نيل الابتهاج ص٣٥٣، والسعدي:تاريخ السودان ، ص٣٨ ، الاروانى : مصدر سابق ، ص٩٠.

(٢) محمد مخلوف :شجرة النور الزكية ، ص ٤٠٢.

(٣) هو القاضي :" محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت ٩٠٩ ـ٩٧٣هـ / ١٥٠٧ـ١٥٨٣م ،وهو أحد الإخوة الثلاثة أولاد الفقيه محمود بن عمر ،أنظر أحمد بابا :نيل الابتهاج ،ص ٥٩٧. الاروانى : السعادة الأبدية ص٩١.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٥٧٩.

(٥) المصدر السابق ، ص٣٥٣، ٣٥٤،الاروانى : مصدر سابق ، ص٩١.،محمد مخلوف :شجرة النور ص٤١٤ . وقد سبق الحديث عنه في إصلاحات المساجد .

كما تولى أخوه القاضي عمر بن محمود القضاء في عام(٩٩٣ هـ / ١٥٨٥م). بعد رفضه لذلك المنصب ، وقد برع في علم الحديث والسير والتاريخ وأيام الناس ، وقد بلغ الغاية القصوى في الفقه حتى قال عنه بعض من معاصريه من الشيوخ إنه لو كان موجوداً في زمن ابن عبد السلام بتونس لاستحق أن يكون مفتيا فيها[١].كما تولي ابن هذا القاضي الفقيه عبد الرحمن بن عمر خطة الإفتاء ، وكان يقوم بعمله على أكمل وجه[٢].

وقد تولي خطة الإفتاء من فقهاء المالكية محمد بن أحمد بن محمد التازختى الذي كان مفتيا محصلاً جيد الحفظ ومتمتعاً بحسن الفهم[٣] ، و كذلك السيد أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الذي كان فقيها مفتيا[٤].

كما تولي منصب القضاء في مدينة جنى فقهاء المالكية ، منهم الفقيه محمد سانوا الونكرى[٥] الذي قدم إلى جني في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[٦] ولعلمه وصلاحه تعدت شهرته مدينة جني حتى وصلت إلى مدينة تنبكت مركز الثقافة الإسلامية. فعندما زار القاضي الفقيه محمود بن عمر مدينة تنبكت في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي التقى بهذا العالم الفقيه محمد سانوا ، فأعجب بعلمه وصلاحه ،فأثنى عليه للأسكيا الحاج محمد فولاه

(١) هو القاضي :" عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام(١٠٠٣هـ ١٥٩٤م) وقد سبق الحديث عنه في تهرب الفقهاء من خطة القضاء .، أنظر ،البرتلى :فتح الشكور ، ص١٧٨.

(٢) السعدي : تاريخ السودان ، ص٥٧، الاروانى :مصدر سابق ، ص٩٢.

(٣) البرتلى :فتح الشكور ،ص٦٣.

(٤) الاروانى :مصدر سابق ، ص٩٣.

(٥) هو : " الفقيه فودي محمد سانوا الو نكرى"وكان له أثار جلية في ازدهار الحياة العلمية في مدينة جني ،انظر ، السعدي : تاريخ السودان، ص٦ .

(٦) المصدر السابق : ص ٧.

الأخير قضاء مدينة جني عام(٩٠٤هـ / ١٤٩٨م بعد عودته من الحج[١] ، وكان الفقيه القاضي محمد سانوا أول قاضٍ شرعي يفصل بين الناس في مدينة جني ، بعد ان كان الناس يترافعون بخصوماتهم وقضاياهم إلى خطيب الجامع الكبير فيسعى بينهم بالصلح[٢] .

كما تولى الفقيه القاضي الصالح محمود بغيغ فى عام(٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) قضاء مدينة جني ، بعد وفاة القاضي عباس كب، وكان هذا في عهد الأسكيا إسحاق بن الأسكيا الحاج محمد الكبير[٣].

وكان القضاء في جني يمثل الازدهار والأمن والاستقرار وانتشار الإسلام والثقافة الإسلامية ، وقد ذكر السعدي أشهر فقهاء المالكية الذين تولوا القضاء في مدينة جني في عهد دولة صنغى الإسلامية وفي مقدمتهم محمد سانوا الأول و القاضي محمد فودي ، القاضي كناجي و القاضي تنتاع و القاضي سنقم والقاضي عباس كب وقال عنه إنه من أهل جني وكان فقيها عالما جليلا فاضلا خيرا له قدم راسخة في السخاء و القاضي محمود بغيع ، القاضي عمر ترف والقاضي تلماكلس ، و القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف ، و القاضي مؤدب بكر تورى ، وقال عنه إنه كلوي أصلاً من أولاد سلاطينها فزهد في السلطنة، و جليلا ونكرى الأصل تولى القضاء بعد وفاة القاضي مؤدب بكر تورى وهو أخر قضاة دولة السودانيين[٤].

---

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٥٩، السعدي : مصدر سابق ، ص١٨.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ١٨.

(٣) الاسكيا إسحاق :"هو إسحاق بن الأسكيا الحاج محمد الكبير، وقد تولى العرش في(٩٤٦-٩٥٦هـ/ ١٥٣٩-١٥٤٩م) انظر، السعدي : مصدر سابق ، ص ٩٥، ٩٦.

(٤) ولكن مع الاسف لم تذكر لنا كتب المصادر الكثير عن هؤلاء القضاة سوى أسمائهم فقط دون ذكر تواريخ أو شئ بالتفصيل عن حياتهم ، أنظر السعدي : مصدر سابق ،ص ١٩،٢٠.

ج ـ الخطابة والإمامة :

ظهرت خطة الخطابة و الإمامة منذ وقت مبكر في السودان الغربي مع بدايات انتشار الإسلام في تلك البلاد[١] . وقد حظي منصب الخطيب بالتقدير وعلو الشأن فكان لا يتولاه إلامن أتسع علمه و اطلاعه وكرم أخلاقه واتصف بلين العريكة وحسن السيرة ، والتقليل من الدنيا مع قلة الطمع فيها . والراجح أن بعض القضاة تولي منصب الخطابة فكان يلقب في أن واحد بلقب القاضي والخطيب[٢] .

وكانت وظيفة الخطيب هي أن يخطب في الناس واعظا ومرشدا أيام الجمع والأعياد ، وكانت مهمته تعتبر من المهام الأساسية في مجتمع السودان الغربي ، وكان الناس يحتكمون عنده ، وكان يقوم بمهمة القاضي في المدن الصغيرة [٣] .

---

(١) ضمت غانه منذ فجر تاريخها وحتى قبل أن تتحول حكومتها للإسلام ، نحو أثنى عشر مسجدا ،كما أن القسم الإسلامي من العاصمة كان ممتلئاً بالعلماء والفقهاء والأئمة ،أنظر إبراهيم على طرخان : إمبراطورية غانه الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص٨٢.

(٢) يبدو أن منصب القاضي عرف باسم الخطيب أيضا ، وهذا يتضح عن الكلام عن الأسكيا إسحاق ومسألة ترشيحه محمود بغيع لمنصب القضاء ما نصه "ثم رجع أسكي إسحاق إلى كاغ ، وأدركه في الطريق نعى الخطيب أحمد ترف خطيب جني قبل وصله لكاغ ، وهو الذي ألفاه إسكى إسحاق هناك خطيبا ...فأمر بتقديم القاضي محمود بغيغ وأرسل أحد أعوانه من جيشه ليقدمه قاضيا أحب أم كره " ،أنظر محمود كعت ، الفتاش : ص٨٩، ويذكر السعدي أن الأسكيا داوود ولى محمد در مي خطيبا سنة ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م، نفس المصدر ص٩٠، وهناك نص صريح لابن المختار يفيد بأن القاضي والخطيب شيئا واحدا وهو "...وكان آسكيا يوم عزم على الخروج لملاقاة جودار وقتالهم جمع أشياخ كاغ وأعيان جيشه والقاضي الخطيب وكبراء شهوده وسألهم عن الرأي والتدبير أنظر ، نفس المصدر ص١٤٩، ١٥٠.

(٣) سوزي أباظة : القضاء في صنغاي في عهد الأساكي (٨٩٨-٩٩٩هـ/ ١٤٩٣-١٥٩١م) ،مجلة المؤرخ المصري ، دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة ، قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة ، العدد ٢٨، يناير ٢٠٠٥م، ص ٣٥٩.

وقد تولي بعض القضاة منصب الخطابة بالإضافة إلي مهام أخرى ، فقد جمع القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف بين منصبي الخطابة والإمامة بالإضافة إلي القضاء فجمع المراتب الثلاث . ثم خرج للحج واستناب الخطيب إماماً على الخطابة والإمام يحيى على إمامة الجامع والقاضي مؤدب بكر تروري على القضاء ، وتوفى هنالك وبقي الثلاثة في أماكنهم[١] .

ومن أشهر من تولى خطة الخطابة الفقيه الواعظ أبو زيد محمود بن عمر الذي كان فقيها عالما فجمع بين الخطابة والتدريس وكان معرضا عن الدنيا بحيث لم يقبلها ولو في لحظة واحدة[٢].

وقد حظي الإمام والخطيب في عصر دولتي مالي وصُنغى برتبه ومكانه اجتماعية عالية فهو إمام المسجد ، كما كانت له ولداره حرمة تضاهى حرمة دار السلطان نفسه[٣] .

أما بالنسبة لخطة الإمامة فقد كان الإمام يتولي باتفاق أعيان المدينة أو البلدة، وتأتى موافقة القاضي على رأس هؤلاء[٤] وكان هناك بعض الأئمة يتولون منصب

---

(١) السعدي : تاريخ السودان ، ص١٩.

(٢) في عام (٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م) فلما صلى بالناس للظهر وجلس في مدرسته قال بالله بالله لتسمعن في هذا العام مالم تسمعوا بمثله قط ولترون فيه ما لم تروا قط ، أنظر المصدر السابق ، ص٥١، ٤٣.

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ،ص ٦٧١، محمود كعت : مصدر سابق ، ص٩٩، ١١٩.
ESLIAs N . s : social history of Timbuktu,the role of muslim schoars and notables ١٤٠٠-١٩٠٠, p١١٣.

(٤) بعد وفاة الإمام أبو القاسم التواتى ، اتفق أهل الجامع الكبير على الفقيه الإمام أحمد والد نانا سرك ،فرفعوا أمره إلى أبى البركات القاضي الفقيه محمود فكمل عليه وصار أماما في الجامع ، وبعد شهرين من ولايته جاء ابن أبى القاسم التواتى من توات فمشى أولئك الجماعة إلى الفقيه محمود وقالوا له : نريد أن تجعل لنا ابن الشيخ أماما فقال لهم بعد تولية الإمام أحمد أن لم تخرجوا عنى أسجنكم جميعا ، ثم رجع إلى توات ، وبعد سبعة أشهر توفى الإمام أحمد ،و اتفقوا على الفقيه الإمام سيد على الجزولى :وهو

القضاء[١].

وقد رفض بعض فقهاء المالكية تولي منصب الإمامة مثلما ما حدث مع أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتى المتوفى عام (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م)الذي طلب للإمامة فأبى ورفض[٢]، وكذلك ما حدث مع الفقيه أبى بكر بن أحمد بير بن الفقيه محمود الذي كان فاضلا خيرا تقيا صالحا ولذلك اتفق الصالحون على تقديمه للصلاة بالناس حين مرض الإمام القاضي العاقب فقدموه كرها فصلى بالناس الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم خرج هاربا من البلد إلى قرية تنبهور فتوفى هناك[٣].

كما رفضها الفقيه عثمان بن الحسن بن الحاج التشيتى بعد أن عرضها عليه القاضي عمر، وقال له لا تخرج من يدي حتى تدلني على من يستحقها، فدله على الفقيه صديق بن محمد تعل[٤].

وكانت خطبة الجمعة تلقى باللغة العربية، ثم تعقبها ترجمة باللغة المحلية يلقيها مساعد الإمام، وشهد ابن بطوطة في السوق بمالي رجلا بيده رمح يقف ويبين للناس بلسانهم كلام الخطيب[١].

من الطوارق فولاة الإمامة القاضي محمود، أنظر السعدي : تاريخ السودان ،مصدر سابق، ص٦٠، وكذلك ما حدث بعد وفاة الإمام عثمان بن الحسن التشيتى تنازع أهل الجامع الكبير في الفقيه كداد والفقيه الإمام أحمد بن الإمام صديق، فأختار القاضي العاقب كداد فرتبه إماما في الجامع الكبير ومكث في الإمامة أحد عشر عاما ،وتوفى ٩٨٩هـ، أنظر البرتلى :فتح الشكور، مصدر سابق، ص١٠٨، وتولى بعده الإمام أحمد بن الإمام صديق الذي تولى الإمامة بأمر القاضي العاقب ومكث فيها خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام، وتوفى عام(١٠٠٥ هـ/ ١٥٩٦م)، الاروانى :السعادة الأبدية، ص٩٧.

(١) السعدي : مصدر سابق، ص٥٦.

(٢) أحمد بابا: نيل الابتهاج ص ١٣٧، السعدي : مصدر سابق ص٢٧،البرتلى :مصدر سابق ،ص٢٧.

(٣) السعدي : مصدر سابق، ص٣٥.

(٤) البرتلى : فتح الشكور، ص ١٥٤.

وقد تعددت مهام الإمام، فقد جمع الفقيه الإمام القاضي كاتب موسى(٢) بين الإمامة والقضاء والتدريس ، كما كان كاتبا للسلطان منسا موسى وهو بذلك جمع بينهم وقد مكث في الإمامة أربعين سنة و لم يستتب ولو في صلاة واحده وهذا من أجل صحة البدن التي رزقه الله تعالى بها(٣) ، وكان هو آخر من تولى الإمامة من السودان ، وخلفه من بعده الفقيه عبد الله البلبالى .

وكذلك الإمام العاقب بن العاقب بن محمود تولي بعد موت أخيه القاضي محمد ، كلفه الأسكيا داوود بحمل القضاء فجمع بين المرتبتين الإمامة والقضاء إلى أن توفى(٤). وتقلد الإمام الفقيه إبراهيم الزلفى خطة الإمامة وقراءة القرآن الكريم وتجويده ، كما عمل في التدريس(٥) .

وكان الفقيه الإمام أبو القاسم التواتى المتوفى عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) إماماً ومدرساً في الجامع الكبير، وكان أسكيا الحاج محمد الكبير يصلي خلفه ،وكان يطلب

---

(١) أنظر ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٦٩.

(٢) كاتب منسا موسى هو : الإمام سيدي أحمد ، كان رحمه الله عالماً عادلاً رحل من أرضه، إلى فاس للتعليم في دولة أهل ملى بأمر السلطان الحاج موسى فخلفه في الإمامة الفقيه عبد الله البلبالى ، أنظر :الاروانى :السعادة الأبدية ص ١٢٣.

(٣) وهو من أئمة المسجد الجامع الكبير في تنبكت المشهورين ، وذكر السعدي بأن جميع أئمة هذا الجامع من السودانيين وأن آخر الأئمة من السود الفقيه القاضي كاتب موسى ، وذكر أنه مكث في الإمامة أربعين سنة لم يستتب ولم يتخلف ولو في صلاة واحدة لما حباة الله من صحة وعافية بين سببها عندما سئل عن سبب تلك الصحة فقال أحسبها من ثلاثة أشياء ، مابت في الهواء ولو ليلة واحدة في الفصول الأربعة كلها ، و مابت ليلة واحدة إلا ودهنت جسمي وبعد الفجر استحممت بالماء المسخون ، وما خرجت لصلاة الصبح قط الإبعد فطور . ،أنظر السعدى : مصدر سابق ، ص٥٧ ، أنظر الأروانى :السعادة الأبدية ، ص ١٢٣ ،البرتلي : فتح الشكور، ص ١٥٨، ١٥٩. ،

ESLIAs . N . s : Social,p١٠٩.

(٤) السعدي : تاريخ السودان ،ص٤١.

(٥) الاروانى :السعادة الأبدية ،ص١٢٤.

دعاءه[1] ، وهو الذي ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة مع قراءة حزب واحد من العشرينيات ، وقد حبس أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمد تابوتا فيه ستون جزءاً من المصحف في ذلك الجامع لأجل تلك الختمة[2].

وقد تقلد خطة الإمامة من بعده في المسجد الكبير الفقيه الإمام أحمد والد نانا سرك، والذي لم يمكث في الإمامة طويلا حيث توفى بعد سبعة أشهر[3] ، وكان قد تفقه على الإمام سيد على الجزولى وكان إماماً عالما عاملاً ولاه القاضي محمود بن عمر،وقد مكث في الإمامة ثمانية عشر عاما[4] وبعد وفاته عرض القاضي محمود بن عمر الإمامة على نائب الإمام على الجزولى والذي كان يستنيه متى عرض له العذر فرفض ، ورشح له الفقيه الإمام صديق محمد تعلى المتوفى عام (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) فصار إماماً في الجامع الكبير ومكث محمد تعلى في الإمامة نحو أربع وعشرين سنة[5].

كما تولى الإمامة عثمان ابن الحسن ابن الحاج التشتى المتوفى عام (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م)، وقد قبل الإمامة بعد امتناع حتى حلف له أبوه إن لم يقبلها ليسجننه[6] ، وبعد وفاة الإمام عثمان تولى الإمامة بعد نزاع وحسم من القاضي العاقب الإمام محمد بن أبى بكر بن إكداد الفلاني المتوفى عام (٩٨٩هـ/ ١٥٨١م)[7] ، وتولى من بعد وفاة الإمام محمد بن أبى كداد الإمام أحمد بن الإمام صديق الذي تولى

---

(١) مسعود عمر محمد:تأثير الشمال إلا فريقي على الحياة الفكرية، مرجع سابق، ص١٤١.

(٢) السعدي : مصدر سابق ص٥٨، ٥٩.

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٩.

(٤) المصدر السابق : ص ٦١،٦٠، البرتلى :مصدر سابق ، ص١٩٧،١٩٦،:
ESLIAs . Alpha N . s social History of Timbuktu, , p١١٤.

(٥) السعدي : المصدر السابق ، ص ٦٢، البرتلى : مصدر سابق ص١٥٤، ١٥٥، الاروانى : مصدر سابق ، ص١٢٤.

(٦) البرتلى : مصدر سابق ، ص١٩٠ ، ١٩١، الأروانى : مصدر سابق ، ص١٢٤.

(٧) البرتلى : مصدر سابق ، ص١٠٨، الأروانى : مصدر سابق ، ص ٩٤.

الإمامة بأمر من القاضي العاقب ومكث فيها خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام ، منها عشر سنين في دولة صُنغى .وهو آخر أئمة الجامع الكبير في دولتهم ، وخمس سنين في دولة السلطان الهاشمي أبى العباس المتوفى (١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦م)[١].

كما تولي الإمامة في مسجد سنكرى الكثير من الفقهاء ، وهم على الترتيب الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت[٢] الذي تولاها بإذن الفقيه حبيب ، ثم جاء من بعده الإمام أندغ محمد بن الفقيه مختار النحوي ابن خالة الفقيه محمود بن عمر والذي ظل إماماً لمدة عشرين عاما بعد وفاة أبي القاسم التواتى ، وظل في الإمامة حتى كبرت سنه إذ لم يعد قادراً علي إمامة المصلين فتركها لابن خاله الإمام أندغ محمد[٣].

ولما توفى أندغ محمد أمر الفقيه القاضي محمد بن الفقيه محمود فاعتذر متعللاً بسلس البول فكلفه بالبينة عليه فشهد له به الفقيه العاقب بن الفقيه العاقب بن الفقيه محمود فأقاله القاضي محمد وكلف شاهده بها فتولاها[٤] الإمام العاقب بن العاقب بن محمود الذي لم يستنب على الصلاة قط إلا في مرض موته حين أمر ابن أخيه الفقيه الزاهد محمد الأمين بن القاضي محمد أن يصلى بالناس فأبت أمه نانا بنت الحاج أحمد ، وبقى المسجد خاليا من صلاة الجماعة أياما[٥].

---

(١) مجهول : تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ص ١٧٩ ، البرتلى : مصدر سابق ، ص ٣٨، الاروانى : مصدر سابق ،ص٩٤.

(٢) المصدر السابق ،ص٦٣.

(٣) المصدر السابق ،ص ٥٩،٦٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٩، البرتلى : مصدر سابق ،ص١٠٧ ، الاروانى :مصدر سابق ،ص ١٣٢.

(٥) السعدي :مصدر سابق ، ص٦٣ .الاروانى : مصدر سابق ،ص١٣٢ .

ثم تولى الإمامة في مسجد سنكرى الإمام عبد الرحمن بن الفقيه محمود وكان يتكلف وهو في غاية المرض، ولم يستنب ولو مرة واحدة في صلاة، وكان محافظا على الصلوات في وقتها[١] إلى أن ألقي القبض عليه محمود بن رزوقون، فتولى من بعده محمد بن محمد كرى إلى أن توفى فصلى بالناس القاضي سيد أحمد مدة، ثم تولاها ابنه الفقيه محمد[٢].

ومن أئمة المساجد أئمة مسجد سيدي يحيى في مدينة تنبكت[٣]، وأول الأئمة في هذا المسجد هو الإمام سيدي يحيى التادلسي[٤]، ثم جاء من بعده الإمام محمد بغيغ[٥] الذي عُرِضت عليه الإمامة في الجامع الكبير فرفض لتعلقه بإمامة مسجد سيدي يحيى[٦]. ثم تولى الإمامة الإمام صديق بن محمد تعل، ومن بعده جاء الإمام محمود بن محمد الونكرى وظل في الإمامة حتى توفى عام(١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م)[٧].

---

(١) السعدي: نفس المصدر والصفحة.

(٢) نفس المصدر والصفحة، الارواني: مصدر سابق، ص١٣٢.

(٣) عرف هذا المسجد باسم سيدي يحيى لأنه عندما قدم سيدي يحيى إلى تنبكت تلقاه محمد نض التي كانت ولايته على تنبكت بين عامي (٨٣٧ـ ٨٧٦هـ/ ١٤٣٣ـ ١٤٧١م) عند قدومه بالترحاب وأكرمه غاية الإكرام وبني له مسجدا وجعله أماما فيه، وبلغ الغاية القصوى في العلم والصلاح، أنظر السعدي: مصدر سابق، ص ٤٩، ٥٠، ٥١، الارواني: مصدر سابق، ص٨٢،٨١.

(٤) هو يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الثعلبي بن يحيى البكاء بن أبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضي الله عنه ت ٨٦٦هـ. قدم إلى تنبكت زمن ولاية محمد نض بين عامى (٨٣٧ـ ٨٧٦هـ/ م) وتلقاه محمد نض عند قدومه بالترحاب وأكرمه غاية الإكرام وبني له مسجدا وجعله أماما فيه وعرف هذا المسجد بمسجد سيدي يحيى، وبلغ الغاية القصوى في العلم والصلاح، أنظر السعدي: مصدر سابق، ص٥٠.

(٥) هو القاضي: محمد بن القاضي محمود بن أبى بكر بغيع (٩٣٠ـ١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣ـ١٥٩٣م)، وكان من الفقهاء متعددي التخصص. أنظر، السعدي: مصدر السابق، ص٤٤.

(٦) السعدي: مصدر سابق، ص٦٣.

(٧) - البرتلي: مصدر سابق، ص١٥٤.

أما الإمامة في جامع التواتى بمدينة تنبكت[1] فقد تولاها الإمام الفقيه محمود بن محمد الزغرانى التنبكتى المتوفى عام (١٠١١هـ/ ١٦٠٣م)[2] ، ثم غلب عليه السعال فلازم بيته سنين تخلف فيها عن صلاة الجماعة والجمعة لذلك.

وهكذا كان لفقهاء المالكية مكانة ودور كبير بسبب توليهم بعض الخطط الدينية التي جعلتهم على مقربة من الأسر الحاكمة ، كما جعلتهم حلقة الوصل بين تلك الأسر والعامة في دولتي مالي و صنغى الإسلاميتين مما كان سبباً في علو مكانتهم الاجتماعية بين طبقات المجتمع المختلفة وفي بروز دورهم الكبير في هذا المجتمع من خلال شرائحه المختلفة ، وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل القادم من هذا البحث .

---

(١) جامع التواتى :تقول الرواية الشفهية إن الذي قام ببنائه هو محمد بن على التواتى ، الذي قدم من توات عام (٩٢٠هـ،١٥١٤م)مع جماعة من أهالى توات ، وقد حدثت خلافات دينية بينهم وبين بعض علماء تنبكت ، وترتب على ذلك بناء هؤلاء التواتيين ،مسجدا لهم يؤدون الصلاة فيه ، أنظر الأروانى :صدر سابق ، ص٩٧.

(٢) أنظر البرتلى ، مصدر سابق ، ص١١٠ ، الأروانى :مصدر سابق ، ص٩٧.

الفصل الرابع
فقهاء المالكية والحياة الإجتماعية في بلاد السودان الغربي

١ - الجذور الإثنية لفقهاء المالكية .

٢ - مكانة المالكية الاجتماعية بين طبقات المجتمع .

٣ - دور فقهاء المالكية تجاه العادات والتقاليد الاجتماعية ذات الأصول الوثنية.

٤ - فقهاء المالكية والاحتفالات الدينية .



مَثل الفقهاء الطبقة الدينية المثقفة في المجتمع السوداني ، ومن ثم فقد كانوا موضع نظر الحكام والعامة على السواء ، يسترشدون برأيهم وينتظرون مواقفهم الإصلاحية . كما أنه أُلقي علي عاتقهم عبُء الإصلاحات الاجتماعية ومحاولة الحفاظ على قيم المجتمع المسلم وظلت أعيُنُ الناس حكاما ومحكومين معقودة عليهم.

ولذا لم يأل فقهاء السودان الغربي جهدا في سبيل إصلاح المجتمع وتقويمه والخروج به من بعض المفاسد التي كانت تخالف الشريعة الإسلامية . خاصة و أنهم اندمجوا في مجتمعهم وعايشوا أجواءه ، فسارعوا إلى القضاء على المفاسد والأعراف الوثنية ، وإن كانت بعض صيحاتهم قد ذهبت سدى في بعض الأحيان ، لكن جهودهم الإصلاحية كانت مثمرة في معظم الأحيان .

وأول ما سنتحدث عنه في هذا الفصل هو الجذور الاثنية لهؤلاء الفقهاء الذين أثروا في مجتمع السودان الغربي .

أولاً الجذور الإثنية لفقهاء المالكية في السودان الغربي :

يُعدّ البحثُ عن الجذور الإثنية لفقهاء المالكية في السودان الغربي من الضروريات المهمة التي يجب بحثها لإماطة اللثام عن الجذور الأولى لأصل هؤلاء الفقهاء. وتعد محاولة رصد الجذور الإثنية للفقهاء المالكية أمراً صعباً بسبب غياب المادة المصدرية والباحثون المختصون في تاريخ تلك المنطقة يجمعون على أن تاريخها خلال العصر الإسلامي هو قبل كل شيء قضية مصادر. ذلك أن قلة وندرة المادة الإخبارية المتوفرة، فضلاً عن فقر مضامينها يمثل عقبة أرهقت الباحثين ودفعت بالكثيرين منهم إلى الاستئناس والاستشهاد دون حرج بمصادر متأخرة جداً، ترجع إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة / الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد ،

والاعتماد علي الرواية الشفوية ، أكثر من ذلك فإنه حتى بالنسبة للقرن الثامن الهجري / الرابع عشر للميلاد الذي يوافق جل معلوماتنا عن المنطقة مع كتابات كل من ابن بطوطة والعمري وابن خلدون فإننا نستطيع بالكاد أن نجيب من خلالها عن بعض الأسئلة التاريخية ذات الطابع ألحدثي أو الوقائعي، مثل تحديد فترة حكم ملك أو ضبط سنة حجه أو رصد بعض أعماله وغزواته إضافة إلي بعض الظواهر الاجتماعية .

هذا وقد تعددت الأصول الإثنية لفقهاء المالكية في السودان الغربي إلي عنصر سوداني ويربري وعربي ، وستتحدث عنها فيما يلي .

الجذور الإثنية لفقهاء المالكية في زمن دولة مالي :

يعد بديهيا القول بتعدد الجذور الإثنية والقبلية لفقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي التي تعددت بها الأجناس والأعراق البشرية سواء تلك التي قطنتها منذ البداية ، أو تلك العناصر التي اضطرت إلى الهجرة إليها نتيجة دوافع سياسية عسكرية أو رغبت في الوفود عليها نتيجة ثرائها وتعدد مواردها وأهمية موقعها ومن هذه العناصر: العنصر السوداني .

(١) فقهاء المالكية ذوو الأصوال السودانية في دولة مالي :

كان في بلاد السودان زمن دولة مالي فقهاء مالكيون ذوو أصول سودانية ، ولكنهم كانوا قليلي العدد ، منهم الفقيه القاضي الإمام كاتب موسى[١] ، الذي كان من أئمة المسجد الجامع الكبير المشهورين في تنبكت المشهورين وذكر السعدي أن جميع أئمة هذا الجامع من السودانيين ، وأن آخر الأئمة من السود . وهو من علماء السودان الذين رحلوا إلى فاس لطلب العلم بأمر من السلطان منسا موسى ، فلما

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧.

انتهى من دراسته بفاس عاد إلى بلاده مالي، وعاد معه الفقيه عبد الله البلبالى ، وخلف هذا الفقيه القاضي كاتب موسى في الإمامة ، وهو أول رجل أبيض صلى بالناس إماما بالمسجد الجامع الكبير وكان جميع أئمته منذ تأسيسه من السود(١) .

ويلاحظ أن هناك فقهاء مالكية من أصل الونكرى (٢) وكانوا كثيرين ولهم دور بارز في نشر الإسلام في إحدي إمارات الهوسا وهي إمارة كانو (٣) وكان هذا في القرن الثامن الهجري / القرن الرابع عشر الميلادي في عهد الساركن ياجى (٧٥٠-٧٨٧هـ/ ١٣٤٩-١٣٨٥م)حيث جاء وفد إلى كانو من الونقارة قادما من دولة مالي الإسلامية لدعوة أهل كانو إلى الإسلام (٤) .

(٢) فقهاء المالكية ذوو الأصول البربرية في دولة مالي :

كانت العناصر البربرية من العناصر السكانية التي انحدر منها بعض فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي ، إذ لا تعوزنا القرائن الدالة على تعاقب الوفود المغربية المتلاحقة على بلاد السودان الغربي سواء من البربر أو العرب.

---

(١) كعت: مصدر سابق ، ص ١٧٨ ،١٧٩ ، ١٨٠.، السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧.

(٢) هو مكان مشهور بكثرة الذهب وجودته منذ الأزمان القديمة ، وهو على الضفة الغربية لنهر السنغال ، وكان تحت حكم دولة مالي عندما جاء هذا الوفد إلى كانو ، أنظر بوفل : الممالك الإسلامية في غربي إفريقية وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء ، ترجمة زاهر رياض ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م، ص ٢٤٧، ٢٥٠، مهدي رزق الله : حركة التجارة ، ص ٣٩١.

(٣) مدينة كانو من أهم ولايات الهوسا ، ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، المرجع السابق ، ص ٣٨٩. ،وللمزيد أنظر ، حسين مراد : دولة كانو الاسلامية ، تطورها السياسى والحضاري حتى نهاية القرن ٩هـ/ ١٥م، بحث في مجلة الدراسات الافريقية ،عدد رقم ٤٧، عام ١٩٩٧.

(٤) السعدي :مصدر سابق ،ص١٩.

فقد ضمت الصحراء الفاصلة بين السودان والشمال الإفريقي أكبر تجمعات بربرية مثل لواتة،و زناتة ،و صنهاجة وما تبعها من جماعاتِ وعشائر متعددة، بسبب التجارة والطرق التجارية ، وقد كان لصنهاجة الدور الأهم في السيطرة على الطرق التجارية الغربية في الصحراء فصار طبيعيا ان تكون مدن تلك الصحراء مسكونة ببطون تلك القبيلة مثل لمطة و جزولة وجدالة ومداسة وبني وارث[١] وغيرها ، والتي كان لها حضور واضح في القرى والمدن المتاخمة لبلاد السودان مثل صنغانة و إدرار و اودغشت و بوغرات[٢] .

ثم ما لبثت هذه القبائل البربرية أن توغلت جنوبا في بلاد السودان نتيجة عوامل سياسية واقتصادية وحياتية، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله : " أبّعدوا عن المجالات هناك منذ دهور..فأصحروا في الأرياف ... ومنهم من قطع الرمال إلى بلاد القفر ..فيما يلي كوكو من السودان"[٣] .

وقد حفظت لنا المصادر التاريخية بعض أسماء فقهاء مالكية السودان الغربي من ذوى الأصول المغربية البربرية والعربية خاصة في دولة مالي ، فقد ورد على بلاد السودان الغربي فقهاء من بلاد المغرب كونوا جاليات ما لبث أن كتب لها الاستقرار بعد ذلك . ومن المرجح أن الفقهاء والقضاة ورجال الأدب قد قدموا إلى السودان الغربي بهدف التجارة، لأنه من الصعب التسليم بأنهم كانوا يقتصرون في نشاطهم على الوظائف الرسمية. فمهما كانت الرواتب التي تدرّها عليهم تلك الوظائف، فإنهم بلا شك كانوا يمثلون إلى ممارسة الأعمال التجارية الرابحة التي تفسر وحدها عبورهم للصحراء والإقامة في بلاد بعيدة مثل السودان. فقد كانوا وكلاء للشركات الموجودة بالمغرب ، أو وسطاء بين المغاربة والسودانيين ، حيث كان الجمْعَ بين التجارة والعِلْم هو

---

(١) البكري : المسالك والممالك ، جـ١، ص ٢٥٠.

(٢) المصدر السابق :جـ٢، ص ٣٥٩، العمري : مصدر سابق ، جـ٤، ص ٦٠.

(٣) ابن خلدون :مصدر سابق ، ص١٧٨٧ ،١٧٨٨.

إحدى خصائص الحضارة الإسلامية في السودان الغربي في شتى عصورها[١] بيد أن فريقا من هؤلاء التجار الفقهاء قد فضل الاستقرار في بلاد السودان ، يدل علي هذا رواية العمري التي تحدث فيها عن قدوم بعض الفقهاء المالكية إلى بلاد السودان كتجار ثم ما لبثوا إن استوطنوا هذه البلاد[٢].

وكان من أهم العوامل وراء استقرارهم هو حسن المعاملة التي لاقوها من قبل حكام هذه البلاد، فهذا ابن بطوطة يؤكد أن إمبراطور مالي منسا موسى "كان يحب البيضان ، ويحسن إليهم" و"هو الذي أعطى لأبي إسحاق الساحلي في يوم واحد أربعة آلاف مثقال[٣] وأعطى لمدرك ابن فقوص ثلاثة آلاف مثقال في يوم واحد "[٤] وقد استمرت هذه السياسة سارية المفعول خلال القرنين التاليين حسب شهادة الحسن الوزان[٥].

كذلك تقرب الفقهاء المغاربة التجار من الدوائر الحاكمة عن طريق الزواج والارتباطات العائلية ، فقد كان كبير جماعة البيضان محمد بن الفقيه الجزولي متزوجاً ببنت عم السلطان[٦] منسا سليمان ،ونجد لاحقاً أن ملك تنبكت[٧] زوج اثنتين من بناته لأخوين تاجرين مغربيين لفقههما وعلمهما وغناهما[١].

---

(١) A. El Alaoui, *Le Maghreb et le commerce transsaharien (milieu du milieu du XIVè s.)*, Thése de ٣ème cycle, Bordeaux, ١٩٨٣, pp. ١٠٨-١٠٩.

(٢) العمري : مسالك الإبصار ، جـ٤، ص٥٩، ٦٠ ، حيث يقول إن أبا عثمان سعيد الدكالي «سكن مدينة بيتي (عاصمة إمبراطورية مالي) خمساً وثلاثين سنة.

(٣) ابن بطوطة : رحلته ، ص ٦٧٢.

(٤) المصدر السابق والصفحة .

(٥) الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، ص٥٣٩، بمدينة مالي "يوجد عدد كثير من الصناع والتجار المقيمين والطارئين الذين يعيرهم الملك عناية أكثر من غيرهم" .

(٦) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٦٥.

(٧) لم يكن هناك ملك في تنبكت بل نائب عن إمبراطور جاو ، والذي يلقب بتنبكت كوى ، أما الذي

وكان حرص السلطة في السودان الغربي على تعاليم الإسلام ونشرها بين أفراد الرعية وراء استقطاب ثلة من فقهاء المالكية المغاربة إلى بلادهم، فقد اهتم سلاطين مالي بنشر العلوم والثقافة عن طريق استقدام عدد كبير من العلماء إلى بلادهم فامتلأت بلادهم بفقهاء المالكية من السود والبيض على السواء . وقد ترك لنا ابن بطوطة شهادة حيّة عن مدى تغلغل الإسلام في إمبراطورية مالي(٢). ويبرز العمري من جانبه تديّن منسا موسى وإسهامه في نشر الإسلام ببلاده. فعند حديثه عن منسا سليمان، يقول إن أخاه منسا موسى بني المساجد والجوامع والمآذن وأقام ببلده الجمع والجماعات والأذان، و"جلب إلى بلاده الفقهاء علي مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وبقي بها سلطان المسلمين، وتفقه في الدين"(٣) .

كما قدم عدد من الفقهاء المغاربة إلى مالي، فبحسب شهادة ابن بطوطة كانت مالي محلة خاصة للبيض(٤)من الفقهاء والعلماء والتجار المغاربة والمصريين ، ومنهم الشيخ الثقة أبو عباس سعيد الدكالى الذي أقام بمملكة مالي مدة طويلة ، وكان من بين مصادر العمري عن مالي ، ولكننا لا نعلم متى وأين التقيا،ولكن يظهر من خلال اللقب الذي يمنحه العمري لسعيد الدكالى أن هذا الأخير كان يشغل إحدى الخطط الدينية بعاصمة مالي(٥) .

كان موجودا أثناء مرور حسن الوزان فكان يدعى عمر بن محمد الندى المتوفى عام(٩٢٨هـ/ ١٥٢١م) ، وقد نصبه أسكيا الحاج محمد عام (٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م)الحسن الوزان : مصدر سابق ، ص٥٤٠.

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٩ ، ٦٧٢،أحمد الشكرى : مصدر سابق ، ص١٧٨ .

(٣) العمري : مصدر سابق ، ص٧١.

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص٦٧٤.

(٥) ابن خلدون : مصدر سابق ، ص ١٨٩٦ .

والقاضي الثقة أبو عبد الله محمد بن وانسول ، وهو من أهل سجلماسة ، دخل مدينة جاو وأستقر بها عدة سنوات ، استعمله خلالها أهل المدينة في خطة القضاء، وقد عاصر بن خلدون وصادقه وأمده بالكثير من المعلومات عن إمبراطورية مالي[٣] . ويغلب على الظن أن لقاءهما كان بالقاهرة خلال العقد الأخير من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي كما ذكر ابن بطوطة الفقيه محمد الفيلالى إمام مسجد البيضان[١] .

(٣) فقهاء المالكية ذوو الجذور العربية في دولة مالي :

بالإضافة إلي الأصول البربرية والسودانية عرفت مالي بعض الفقهاء العرب منهم الفقيه عبد الرحمن التميمي الذي قدم مع السلطان منسا موسى أثناء رحله حجه ، وذهب إلي فاس وأخذ الفقه المالكي[٢] وعاد إلي تنبكت وأصبح من كبار فقهاء هذه المدينة .

وهكذا تعددت الجذور الاثنية لفقهاء المالكية في السودان الغربي زمن دولة مالي الإسلامية ، مابين عناصر سودانية وبربرية وعربية وإن كان العنصر الغالب لفقهاء البربر.

الجذور الإثنية لفقهاء المالكية في زمن دولة صُنغي :

تعددت أيضا الجذور الاثنية لفقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي زمن دولة صُنغي ويأتي العنصر السوداني هو الأبرز بين الجذور الإثنية الاخري فقد سمح تقادم الزمن في لظهور عائلات سودانية نبغت في مجال الفقه .

---

(١) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٧٧.

(٢) الاروانى : مصدر سابق ،ص٩٣، ٩٤.

(١) فقهاء المالكية ذوو الأصول السودانية في دولة صُنغي :

هناك عائلة سودانية كبيرة أنجبت العديد من الفقهاء المالكية ، وبالرغم من أن السعدي يُرجع أصل هذه العائلة إلى أحدي قبائل البربر الكبرى وهى قبائل صنهاجة الصحراوية[١] ، إلا أن الباحثة تعتبر هذه الأسرة التي أنجبت كماً هائلاً من الفقهاء أسرة سودانية لقدم هجرتها إلي هناك ، بالإضافة إلي تلقيهم العلم والفقه في موطنهم وهو السودان الغربي خاصة في مدينة تنبكت .

وحسبما تذكر المصادر أن الجد الأكبر لهذه العائلة هو محمد بن عمر أقيت[٢] الذي تنسب إليه وإلي سلالته أعظم العلماء الذين كان لهم أثر بارز في الحياة العلمية والثقافية في المراكز العلمية بتنبكت، وهم يمثلون كذلك العنصر الغالب في الحركة الفكرية والثقافية في السودان الغربي كله.

المهم أن محمد أقيت وهو جد أسرة أقيت هاجر من موطنه الإصلي بلاد ماسنة إلى بلدة بيير (ولاتة) بسبب بغضة للفولانيين الذين كانوا يجاورونه في السكن ، واستقر محمد بن عمر أقيت في تنبكت ثم حدثت مصاهرة بين أسرته وأسرة أندغ محمد[٣] الذي كان قاضيا لتنبكت ، كما كان لأسرته نفوذ وشهرة في هذه المدينة ، وبهذه المصاهرة احتلت أسرة أقيت فيما بعد مكانة كبيرة[١] .

---

(١) السعدي : مصدر سابق ،ص٣٥، ٣٦.

(٢) هو "محمد أقيت بن عمر بن على بن يحيى بن كدالة بن بكى بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفر بن حيراى بن أكبر بن أبى بكر بن عمر الصنهاجى الماسنى ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٥، ٣٦،البرتلى : مصدر سابق ، ص٣١.

(٣) هو عبد الله أندغم حمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح " معدن العلم والصلاح ومنة تناسل كثير من شيوخ العلم والصلاح ومنهم من جهة الآباء ومنهم من جهة الأمهات ومنهم من جهتيهما معا .فهو عالم جليل قاضى المسلمين ، قال عنة أحمد بابا رحمه الله هو أول من خدم العلم من أجداده فيما أعلم وهو جد جدي لأمه أبو أم جدي أنظر ، السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٨، البرتلى : مصدر

وقد انحدر من أسرة أقيت أشهر علماء الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، منهم أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، وهو والد جد الشيخ أحمد بابا التنبكتى ، وكان عالما صالحا عاش في بداية الثلث الثاني من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي(٢) ، والفقيه المختار النحوي بن عمر بن أحمد وقد لقب بالنحوي لبراعته في هذا الفن ، و الفقيه العالم عبد الرحمن بن عمر بن أحمد أخو الفقيه المختار النحوي والذي كان من الفقهاء المتخصصين في تدريس كتاب التهذيب للبرادعى ، وكذلك الفقيه أحمد بري بن أحمد بن أندغ محمد أبو العباس وهو من شيوخ العلم في عهد ازدهار الثقافة الإسلامية في دولة صنغى(٣)

وهناك الكثير من أبناء هذه الأسرة الذين نبغوا في علم الفقه أشرنا إليهم أثناء الحديث عن الخطط الدينية التي تولوها في الفصل الثالث وأيضا في الفصل الخامس أثناء الحديث عن جهودهم العلمية ، ونكتفي هنا بذكر بعض أفراد من هذه الأسرة الذين نبغوا في الفقه المالكي وليس جميعهم .

ومن العائلات السودانية التي نبغت في الفقه المالكي في السودان الغربي وهي من أصل سوداني عائلة بغيغ وهي أصلا من جني ، ويأتي علي رأس هذه العائلة الفقيه القاضي الصالح محمود بن أبى بكر بغيع جنوى بلدا ومسكنا ونكرى أصلا(٤)

سابق ص١١٢.

(١) من المعروف أن الأم والخال في جنوب الصحراء يلعبان دورا مهمابالنسبة للأولاد وتعليمهم ، أنظر عبد العزيز العلوي : التأثيرات الدينية والفكرية المغربية على السودان الغربي الوسيط ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، المملكة المغربية فاس ١٩٩٩م ، ص٤٠٥.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨.

(٣) السعدي: مصدر سابق ص٢٩، البرتلي : مصدر سابق ، ص٢٨.

(٤) أحمد بابا :مصدر سابق ، ص٣٤١، السعدي : مصدر سابق ، ص١٩.

وكان من نسله ابنه الفقيه محمد بن محمود بن أبى بكر الونكرى التنبكتى الذي عرف بأسم محمد ببغيغ[١] .

وهناك عدد من الفقهاء الونكريين منهم الفقيه فودي محمد سانوا الونكرى[٢] الذي كان فقيها عالما عابدا صالحا وكان قد قدم إلى مدينة جني في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، وكان أول سكنه في قرية قريبة من مدينة جني تسمى طورا ، وكان يأتي من هذه القرية إلى مدينة جني في كل جمعة لأداء صلاة الجمعة بمسجدها الجامع حتى أحبه السلطان وأهالي جني وتآلفت قلوبهم معه ، عند ذلك طلب منه سلطان جني أن يسكن جني بدلا من قرية طورا فقبل الطلب. ومن فقهاء الونكريين أيضا الفقيه القاضي محمد بنب كنات الذي كان فقيها عالما جليلا ونكرى الأصل تولى القضاء بعد وفاة القاضي مؤدب بكر تورى وهو آخر قضاة دولة السودانيين[٣].

والفقيه مورو محمد هوكار وهو من مور كير ، وفقهاؤها جميعهم من أصل واحد، ومن ذريته مور صادق بن الفقيه مورم عمك بن الفقيه مورو هوكار[٤] وجميع من يلقب بمي كميدع ، ومي ننك ، وميهو ، وميكع ، وميفر ، وميتاص وميغى ، ومي يور ، وميزع ، واسم بلدهم ير ، وكل من كانوا في هذا الإقليم من أصل مغربي من وعكري و ونكر[٥] ، كذلك الفقيه الفع صالح جور الذي كان وعكري الأصل وهو جد أهل توتل[٦] .

---

(١) البرتلي : مصدر سابق ، ص١٣٣ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص١٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٤) المصدر السابق ،ص٦٣ .

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٤٨ .

(٦) السعدي : مصدر سابق ،ص٦٣ .

وكان الفقيه القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمنى دارا والتنبكتى مسكنا ، والوعكري أصلا قد ولد في منطقة كورما غرب جاو(٨٧٣ـ١٠٠٢هـ/ ١٤٦٨ـ١٥٩٣م) وعاصر أمير المؤمنين الحاج أسكيا محمد الذي حكم صُنغى من(٨٩٩ـ٩٣٥هـ/ ١٤٩٣ / ١٥٢٨م) وسكن تنبكت ، وكان للقاضي الفقيه محمود كعت أولاد منهم القاضي إسماعيل بن محمود كعت[١] و الفقيه يوسف بن محمود كعت ، والفقيه محمد الأمين بن محمود كعت ، وحفيده ابن المختار وهو ابن بنت القاضي محمود كعت صاحب التاريخ ، وهؤلاء من أسرة كعت وهم أعلام المؤرخين السودانيين[٢] .

وهناك أيضاً الفقيه مسربوب الزغرانى التنبكتى الذي ينسب إلى قبيلة الزغرانيين في غرب السودان الغربي ، وكان رحمه الله عالما فاضلا خيرا صالحا نادر المثال في قبيلته ، وقد اشتهر بالعلم والصلاح على الرغم من أنه ينحدر من قبيلة الزغران التي يصفها السعدي والتواتى بأنها لاتعرف بالصلاح ولا بحسن الإسلام[٣] .كما ذكرت المصادر الفقيه السوداني الأصل وهو القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف وتقول أنه جنوى الأصل والبلد ، وكان خطيبا ثم صار إمام الجامع ثم قاضيا فجمع المراتب الثلاث[٤] .

(٢)فقهاء المالكية ذوو الأصول البربرية في دولة صنغي :

أما في دولة صُنغى فتذكر المصادر الفقيه الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلى الذي ولد بمدينه تلمسان عام ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م وهو من أسرة عريقة ،فقد تربى في فترة

(١) محمود كعت :مصدر سابق ، ص ٧٥، ١١٦، أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٥٧٨، السعدي : مصدر سابق ،ص٣٩.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٤٢.

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص٥١،٥٢ ، البرتلي : مصدر سابق ،ص١٤٧.

(٤) نفس المصدر : ص ١٩ ،٢٠.

شبابه في توات في الصحراء ، وانتقل إلى فاس بهدف الدراسة ، ثم ارتحل إلى السودان حيث دخل بلاد أهير و تكدا و سيقو و كاشنا ثم رحل إلى جاو واتصل فيها بالاسكيا الحاج محمد الكبير ، فتذاكر معه في جملة من المسائل الفقهية ، وألف في السودان عشرات الكتب والشروح أضاءت الحياة العلمية في السودان الغربي[١]، وكانت له مع علماء فاس مسائل فقهية أخذت شكل الخلاف ، كما اشتهر بعدائه ليهود توات[٢] ، والفقيه عبد الله البلبالى الذي قدم مع كاتب السلطان منسا موسى من مدينة فاس[٣] .

كما كان الفقيه العاقب بن عبد الله الانصمنى المسوفى الذي كان حيا في (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) من أهل تكدا وهي بلدة قريبة من بلاد السودان عمرتها صنهاجة[٤] ،وأبو القاسم التواتى الذي جاء مع جماعة من علماء وشرفاء تافيلات بالمغرب ، وابتنى دارا بالقرب من المسجد الجامع بتنبكت ، وظل هناك الى أن توفى بتنبكت عام(٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) وكان بتلك المدينة خمسون عالما من توات[٥] .

وكذلك الفقيه عبد الرحمن بن على بن احمد القصرى الفاسى الذي توفى عام (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م) والذي ولد بمدينة القصر الصغير على البحر المتوسط ، و أخذ علم الحديث بمصر ثم ذهب لبلاد السودان[٦] .

---

(١) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٥٧٦، ٥٧٧.

(٢) المغيلى "محمد عبد الكريم المغيلى" :مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تقديم وتحقيق رابح بونار ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٦٨م، ص١٧ ، مطير سعد غيث أحمد : الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ،لبنان ، دار المدار الإسلامي ، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٩.

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٤٤.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٣٥٣،السعدي : مصدر سابق ، ص٤١، محمد مخلوف : مصدر سابق ، ص٤٠٣.

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٦ البرتلى :مصدر سابق ، ص١٥٥.

(٦) السعدي : نفس المصدر والصفحة ، البرتلى :نفس المصدر والصفحة .

أما الفقيه مور كنكى فقد رحل من قريته إلى كابرا لتلقى العلم من علمائها ، ثم رحل إلى جني بعد أن تلقى تعليمه في كابرا ، وذلك في منتصف القرن التاسع الهجري ، و ظل في جني حتى علم أن هناك من لا يرغب في وجوده فأرتحل عنها ، وكان سبب رحيله من جني أنه كان يصلى صلاة الصبح مع جماعة ذات يوم فسمع رجلاً بجانبه يقول في سجوده : "اللهم إن مورمغ كنكى ضيق علينا البلد أرحنا منه " فلما سلم قال يا رب لا أعرف مضرتي للناس حتى يُدعى علىّ فأرتحل يؤمئذ من جني إلى كونا فنزل فيها ، وسمع بخبرة أهل جنج فبعثوا له القارب وارتحل فسكن في جنج إلى أن توفى بها[١] .

ومن الفقهاء ذوو الأصول البربرية أيضاً الفقيه محمد بن أحمد بن أبى محمد التازختى الذي عرف بأيد أحمد المتوفى عام (٩٦٠هـ/ ١٥٢٩م)[٢] ، والفقيه على الجزولى الذي ولاه الإمامة القاضي محمود[٣] ، والفقيه فياض الغدامسى ، وهو الذي صلى على أبى القاسم التواتى[٤] ، والفقيه محمد تل الشريف وهو جد أهل ذكر وينسبونه إلى بني مداس والذي حج مع الاسكيا محمد الذي كان يحترمه احتراماً عظيما[٥] .والفقيه صديق بن محمد تعلى الكابرى الأصل المتوفى عام (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)[٦] ، والجنوى المولد الذي كان عالما فقيها فاضلا خيراً صالحا وهو من علماء بلدة جنج القريبة من تنبكت والمجاورة لها ، وقد جاء إلى تنبكت لينهل من منابع العلم والمعرفة والثقافة وتوطن بها ، رغم أنه كان صاحب مدرسة

---

(١) نفس المصدر : ص١٦.

(٢) السعدي: مصدر سابق،ص ٦٠، البرتلى:مصدر سابق ، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٣) السعدي: مصدر سابق ،ص٥٨، البرتلى : مصدر سابق ، ص٦٩.

(٤) السعدي :مصدر سابق ، ص٢٠،١٩.

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٨٢.

(٦) ـ البرتلى: مصدر سابق ، ص ١٥٥.

في بلدته جنج وفيها طلبته النجباء.[١] .

كما وجدت عائلات مغربية بالسودان الغربي ، وهى عائلة تعلى ، وعلى رأسها إمام المسجد الكبير محمد بن الصديق[٢] ،وعائلة الخضر[٣] وكان جدها الأول الذي قدم من فاس كاتبا خاصا لسني على ، والعائلة الثالثة هى العائلة التواتية[٤] ، والرابعة هي عائلة القصرى[٥] ، وأخيرا عائلة الفيلالى في تنبكت و دينى و جاو[٦].

(٣) فقهاء المالكية ذوو الجذور العربية في دولة صنغي:

وتتحدث المصادر عن الفقيه يحيى التادلسى ([٧]) المتوفى عام (٨٦٦هـ/ ١٤٦١م) والذي كان قد قدم إلى تنبكت زمن ولاية محمد نض بين عامي(٨٣٧ــ ٨٧٦هـ/ ١٤٣٣ـ١٤٧١م) وتلقاه محمد نض عند قدومه بالترحاب وأكرمه غاية الإكرام وبني له مسجدا وجعله إماماً له، وعرف هذا المسجد بمسجد سيدي يحيى. والفقيه أحمد الصقلي([٨]) الذي جاء إلى دولة صنغى فى عام (٩٢٥هـ/ ١٥١٩م) بناء

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص٦١.

(٢) المصدر السابق ،ص٦٨.

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٩، ٦٠.

(٤) . هو :"عبد الرحمن بن على بن أحمد القصرى ثم الفاسى السفيانى " أنظر أحمد بابا : مصدر سابق ،ص٢٦٤.

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص٢٨.

(٦) المصدر السابق : ص٣٠٨.

(٧) يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الثعلبي بن يحيى البكاء بن أبي الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنظر السعدي : مصدر سابق ص ٥٠.

(٨) هو أحمد بن عبد الرحمن بن إدريس بن أبي يعزى بن حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن عيسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن عرف بزين العابدين بن الحسن بن على بن أبى طالب وأمة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٩.

على طلب الأسكيا محمد الكبير أثناء رحلة حجة من شريف مكة ليتبرك به(١).

وهكذا تعددت أيضا الجذور الإثنية لفقهاء المالكية في دولة صُنغي مابين عناصر سودانية وبربرية وعربية .

ثانياً: المكانة الاجتماعية لفقهاء المالكية بين طبقات المجتمع :

احتل فقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي مكانة اجتماعية مهمة بين طبقات المجتمع السوداني الذي تعددت طبقاته ، وقد تعددت العوامل المؤثرة في التكوين الطبقي والاجتماعي لمجتمع دولتي مالي وُصنغي ، من هذه العوامل النسب الشريف ، فقد تمتعت الأسر الشريفة بمكانة مرموقة حيث كانت تعفى من الضرائب ، ويمنح لها مظاهر التوقير والاحترام والتقدير، وتقدم أسرة الشريف الحسنى خير دليل على ذلك ، ويدل عليه أيضاً أمر أسكيا محمد بن داوود بإعفاء عبيده من جميع وظائف السلطنة الوضيعة احتراماً وتقديراً لمقام سيدهم الشريف(٢) .

وقد ربط ابن خلدون(٣) أصالة النسب والشرف بمعيار آخر ألا وهو المعيار الأخلاقي "فمن استحكمت فيه صنعة الرذائل بأي وجه كان ، وفسد خلق الخير فيه لم ينفع ذكاء نسبه ولا طيب منبته "، وعلى هذا الأساس الأخلاقي تمكن البعض من

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٦.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٨ ، ١٩ ، وكذلك عندما حدث أن أسكيا داود قتل أحد الأشراف خطأ عام (٩٩٩هـ/ ١٥٨٣م)، فندم وأخذ يبكى أياماً ، وعزم على صوم الدهر ، وعندما جمع العلماء واستفتاهم في الاستغفار لهذا الذنب العظيم قالوا له : "أن تفزع إلى رسول الله ﷺ وتهرب وتدخل فى حرمته وتستشفع به ﷺ ، وإذا لم تقدر فلك دية في الشرع" وقدروا الدية بثلاثين نفساً يعطيها لأخ القتيل ، ولما سأل أخ القتيل عما يفضله من الأموال اختار الأرض فأعطاه ثلاث ضياع بعبيدها ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ص١١٦ ، ١١٧ .

(٣) ابن خلدون :مقدمة أبن خلدون ، ص١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .

احتلال مكانة اجتماعية حسنة[١] حيث احتلت كثير من العائلات وضعية طبقية متميزة عن طريق النسب والوراثة و الأخلاق ، نذكر من بينها أسرة الشريف أحمد الصقلي الذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٢].

ومن العوامل المؤثرة في التكوين الطبقي لمجتمع دولتي مالي وصُنغى أيضا عامل القرابة ، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بالعصبية ، ومما لاشك فيه أن هذا العنصر قد اكتسب وزناً في صياغة البناء الطبقي الذي من أهدافه السيادة على دفة الحكم ، وجعل السلطة حكرا على أقاربها ، حيث كانت الحاشية والأمراء النبلاء وقواد الفرق العسكرية و حكام الأقاليم من بين أقربائه المخلصين[٣] .

العامل الثالث المؤثر في التكوين الطبقي المذهب الديني للدولة وهو المذهب المالكي ، فقد لعب دوراً جوهرياً في تحديد الوضعية الاجتماعية لكبار فقهاء هذا المذهب ، إذ أصبح الفقه المالكي مطية لنيل المناصب الدينية العليا و ارتفاع المكانة الاجتماعية ، وللتدليل على أهميه العلم والمذهب المالكي في ارتقاء الهرم الاجتماعي نورد نصا مهماً، عبارة عن وصية من أب لابنه يقول فيها : "العلم شئ حسن ، فكن له ذا طلب ، و ابدأه بالنحو ، وخذ من بعده في الأدب ، فأن أردت أن ترى جاها ونيل مكتسب ، فافهم أصول مالك ، واحفظ فروع المذهب ، فإن قول مالك سلسلة من ذهب ، واعمل بما حفظته تحظى بأعلى الرتب"[٤] وخير دليل على أن الدراسة و

---

(١) محمود مكي : "وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين "مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلدان ٧ ، ٨ ،عام ١٩٥٩-١٩٦٠، ص١٨٣،١٨٢.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٩.

(٣) المصدر سابق ، ص٤٦ ، عبد القادر زبادية : مرجع سابق ، ص٤٥.

(٤) ابن قنفد :أنس الفقير وعز الحقير ، تحقيق محمد الفاسى وأدولف فور ، الرباط ، المركز الجامعي للبحث العلمي ١٩٦٥، ص١٠٧.

تحصيل العلم قد أتاحا للبعض فرصة الارتقاء الاجتماعي، هوعائلة أقيت وعائلة بيغيغ نهض بهم علمهم حتى صاروا من أعلام البلاد وأبرزهم مكانة ، وتقلدوا بعلمهم أرفع المناصب في الدولة[١] .

ومن هذا يتضح أن مجتمع دولتي مالي وصُنغى مجتمع طبقي ،حيث ارتكزت فيه الطبقية علي جملة من العوامل التي أعطت لها خصوصيتها من أهمها السلطة والجاه ، وشرف النسب ، والعلم ، والقرابة . كما لعب المذهب المالكي دوراً في رفعة مكانة فقهاء هذا المذهب أيا كانت طبقاتهم التي ينتسبون لها .

ومن هنا يمكننا تقسيم المجتمع في دولتي مالي وصُنغى آنذاك إلى طبقتين رئيسيتين هما : طبقة الخاصة ، و طبقة العامة ، حيث اندرج تحت كل طبقة مستويات مختلفة وفئات متباينة وسنحاول فيما يلي أن نعرض لكل طبقة لنتعرف على المكانة الاجتماعية لفقهاء المالكية بين طبقات المجتمع المختلفة .

١ـ مكانة فقهاء المالكية لدي طبقة الخاصة :

تكونت هذه الطبقة أصلا من أفراد الأسرة الحاكمة والحاشية وقادة الجند ورجال الدولة وحكام الأقاليم ، وفقهاء السلطة والأعيان ، فضلا عن بعض البيوتات الوجيهة المرتبطة بجهاز السلطة ، وكانت هذه الطبقة هي أقل الفئات عدداً ، ولكنها أكثرها سطوة وجاهاً ، وغني وثراء ، وكان قمة هذة الطبقة بلاط دولة مالي الإسلامية الذى كان مليئا بالفقهاء ، وقد حظي هؤلاء العلماء الفقهاء بمنزلة كبيرة لدى حكام مالي حيث كانوا من المقربين إليهم ، فهاهو الفقيه أبو عباس الدكالى[٢]،

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٠٨.

(٢) نسبة إلى مدينة دكالة وهى :" تعرف كذلك باسم "يمويمن" وتقع بين مدينة مراكش وبين البحر المحيط، وهى مدينة كبيرة وهى نهاية ففي العمارة ، أنظر : الحميري : مصدر سابق ، ص ٦١٩.

الذي كان معاصرا لمنسا موسى وكان يتولى خطة القضاء و يتمتع هذا الفقيه بمقام واحترام كبيرين[١] .

كما كان هناك أيضاً الفقيه القاضي أنفارقم الذي كانت له علاقة خاصة مع منسا موسى والذي كان يوقره ويحترمه كثيرا ، حيث كان هو الوحيد الذي يصافحه[٢].بالإضافة إلى الفقهاء الذين كانوا موجودين في دولة مالي ، ويذكر لنا ابن بطوطة أن مجلس منسا سليمان كان يحضره الخطيب والقاضي ، وكان هذان ضمن حاشيته المقربين[٣] . ومما يدل على ارتفاع مكانة الفقهاء لدى حكام مالي ما حدث في بلاط منسا سليمان ، حيث قامت زوجته (قسا) بالتآمر عليه مع ابن عمه ، وبعد اكتشاف أمرهما عزم منسا سليمان على معاقبه زوجته ، فهربت تلك الزوجة إلى دار الخطيب بعد عدم تمكنها من دخول المسجد . فلم يلحق بها أي أذي بسبب دخولها دار الخطيب ، مما يؤكد ارتفاع مكانة هؤلاء الفقهاء[٤] .

وقد ارتفعت مكانة فقهاء المالكية في دولة صُنغي لدي أفراد هذه الطبقة ، فقد اشتهر أسكيا محمد بحسن سياسته مع العلماء والقضاة والتي تتلخص في الإحسان إليهم بكثرة العطاء[٥] . كما أنه كان يقدر العلم وأهله ، فإذا دخلوا عليه أجلسهم على سريره وقربهم ، وأمر بألايقف أحد إلا للعلماء والحجاج ، ولا يأكل معه إلا العلماء والشرفاء وأولادهم[٦]، وقد جعل ذلك قاعدة لمن أتوا من بعده ، ونرى هذا جلياً من

(١) ابن بطوطة : رحلته، ص٦٥٥.

(٢) يعتبر هذا حدثا عظيما جدا ، حيث كانت العادة هناك في السلام على ملوك السودان يكون بواسطة رمي التراب ، أو الدقيق على رأس الداخل عليه إظهاراً للتذلل أو الوقوع على الأرض والسجود له ، أنظر محمود كعت : مصدر سابق ،ص ٣٥.

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٧٧.

(٤) المصدر السابق : ص٦٧٠، ٦٧١.

(٥) محمود كعت :مصدر سابق ، ص٧٢ ، ٧٣.

(٦) نفس المصدر والصفحة.

خلال عطاء الأسكيا محمد للقاضي المالكي محمود كعت(٨٧٣-١٠٠٢هـ / ١٤٦٨-١٥٩٣م) [١] ، فقد اشتهر أسكيا محمد بسياسته هذه مع العلماء والقضاة كافة والتي تتلخص في االتقرب إليهم بكثرة العطاء[٢].

وثمة كثير من النصوص تبين ارتفاع مكانة فقهاء المالكية الاجتماعية لدى الأساكي ، يؤكد ذلك ماحظوا به من عطف وتقدير من جانب الاساكى ،ويتجلى ذلك من خلال التوصيات التي أكدت على وجوب تعظيمهم ، فضلا عما حازوه من هبات وإنعامات جعلت ابن خلدون يخلص إلى القول بأن "لحملة العلم بدولتهم مكان من الوجاهة[٣] "وكانت خطة القضاء أعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، كما كانت سمة الفقيه عندهم جليلة ،ولا مراء في أن الثروات الواسعة إلى جانب الجاه الذي احتموا به أعطاهم مكانه اجتماعية ونفوذا قل نظيره ، حتى إن بعضهم صاروا يدخلون المدن دخولا رسميا يشبه دخول الأمراء ، ومن ذلك ما حدث مع أسكيا داوود الذي وصفته بعض المصادر بأنه كان شديد التعظيم والإجلال لهم"يقربهم ويكرمهم " شديد الاحتفاء بهم ، ومن ذلك خروجه لاستقبال القاضي محمود كعت حينما قدم إلى جاو، حيث أكرمه كرما يليق بالعلماء[٤]

وتذكر المصادر أن أسكيا داوود (٩١٣-٩٩١هـ / ١٥٤٩- ١٥٨٢م) كثر عطاؤه للقاضي المالكي العاقب المتوفى عام (٩٩١هـ / ١٥٨٣) فأعطاه مائة من الذهب وطلب منه أن يقسمها بينه وبين أهله وذريته وبين من يستحق شيئا منهم[٥] .

---

(١) كرم الصاوي باز : البيت والعائلة السنغائية زمن الاسكيين(٨٩٩-١٠٠٠هـ / ١٤٩٣-١٥٩١م)،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٥م، ص١٦.

(٢) محمود كعت :مصدر سابق ، ص٧٢ ، ٧٣.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٤) الحاج مرحبا : فتح الحنان المنان بأخبار السودان ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي النيجر ، رقم ١٠٨ ،ص ٢٣ب .

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٠٦ ، ١٠٧.

وقد نال هؤلاء الفقهاء مكانةً ونفوذاً في المجتمع الذي يجلهم لكونهم حفظة الدين وحملة الشريعة ، وبالتالي أصبحوا محل رعاية خاصة من جانب الملوك والوجهاء والعامة على السواء[١] .ومن البديهي أن يحتل بعضهم مكانته ضمن طبقه الخاصة ، فهم يعتبرون العارفين بأحكام الغنائم والخراج والجباية وغيرها من الأحكام الفقهية ، وهم الذين يفتون بشرعية توجهات الملوك والأساكى. ومن ذلك ما حدث مع الفقيه محمود كعت عندما خرج مع الأسكيا داوود لاستقبال الحجيج وتقديم الهدايا لهم بعد عودتهم من رحلة الحج ، وقام الأسكيا داوود بنفسه تعظيما لهم وقبل أيديهم ، وأقبل على رجل من عبيده يقبل يده وهولا يعرفه، فأشار له أحد رجال الدولة بأنه من العبيد ، وثار الأسكيا ، وهناك من حلف بقطع يد هذا العبد لتجرئه على مصافحة الأسكيا . وهنا سأل الأسكيا داوود الفقيه محمود كعت الذي أشار عليه بتقدير هذا العبد لأدائه فريضة الحج واستجاب هذا الأسكيا وقال للقاضي محمود كعت : "ولولا العلماء لكنا من الهالكين فجزاك الله عنا خيراً"[٢] .

وكان بعض الفقهاء قد أهلتهم ثرواتهم المادية والعقارية لتصدر قمه الهرم الاجتماعي كما هو الحال لأسرة أقيت ، وإذا كان هناك بعض الفقهاء الذين رفضوا أن يكونوا في زمرة الفئة الحاكمة فتهربوا من المناصب العليا فقد كان هناك بعض الفقهاء الذين تولوا بعض الخطط الدينية في الدولة واستغلوا مكانتهم لرعاية شؤون العامة والدفاع عنهم والشفاعة لهم، وخير دليل على ذلك الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الذي عرف برقه القلب كما كان عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك و الناس كافة نافعا لهم بجاههلا ترد له شفاعة، كما عرف بإنصافه للناس جميعا دون تميز[٣] .

(١) السعدي : مصدر سابق،ص٧٦ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١١٢، ١١٣.

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص٤٢.

كما كان هؤلاء الفقهاء يمثلون الهيئة الأكثر اعتبارا بين أفراد الطبقة الخاصة من حيث الثراء والسلطة[١] ، وقد تولوا مناصب ذات أهمية ، على رأسها القضاء ، والفتوى، والتدريس ،والإمامة ، والخطابة ، وغيرها من المناصب[٢] وكان الحكام كثيرا مايطلبون من بعضهم المشورة وإبداء الرأي في عدد من الأمور ويتضح هذا في أسئلة الاسكيا محمد للفقيه المالكي المغيلي ، كما أخذ أسكيا داود رأي القاضي محمود كعت في كثير من الأمور[٣] .

وهكذا ارتفعت مكانة معظم فقهاء المالكية ، يتبين ذلك من خلال الاحتفالات التي أقاموها في بيوتهم لتقبل التهاني من الأساكى والأعيان والأهالي في مناسباتهم الخاصة . وعندما رزق القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت بابنه محمد أهدي له أسكيا ألف مثقال من ذهب[٤] .

ومما يؤكد أيضا المستوى الاجتماعي الرفيع الذي كانت تعيش فيه هذه الفئة الخاصة المثقفة من فقهاء المالكية في تنبكت ، ما أصابها بعد نكبتها في عهد سني على وفرارهم باتجاه ولاتة ، فكان ذلك أكبر نكبة عرفتها الطبقة المثقفة لأن اشتغالهم بالعلم دون العمل اليدوي جعلهم في حال ضعيفة[٥] .

كما كانت هذه الفئة من الفقهاء تمتلك الخدم والعبيد ، كما كانوا يملكون وكلاء ينوبون عنهم في بعض المهام التي توكل إليهم مما أعطاهم الفرصة لحضور

---

(١) محمود كعت: مصدر سابق ،١٧٢، ١٧٣.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص٥١

(٣) محمود كعت:مصدر سابق،ص ٩٧، السعدي : مصدر سابق،ص٢٨.

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٤.

(٥) يقول السعدي في هذا الصدد : " ...ويوم الرحيل ترى رجلا كبيرا بلحيته أذا أراد أن يركب الإبل يبقى يرتعد خوفا منه وإذا ركب طاح على الأرض عند قيامه لان الإسلاف الصالحين أمسكوا أولادهم في جحورهم حتى كبروا ولا يعرفون شيئا من أمور الدنيا ... " ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص ٦٥.

الاحتفالات وحضور دروس الوعظ التي كانت تعقد ليلاً حيث كانوا قادتها وروادها ولذا كانوا على علم كبير ودائم بالحوادث الهامة في البلاد[١] .

وهكذا اندرجت العائلات التي انتسب إليها فقهاء المالكية ضمن طبقة الخاصة ، حيث اكتسبت هذه العائلات مكانة اجتماعية مرموقة بفضل توارث أفرادها بعض الخطط والوظائف الدينية والقضائية الرفيعة في جهاز الدولة ، ولاسيما منصب القضاء خاصة في عهد دولة صُنغى[٢] . وقد عاش معظم أفراد الطبقة الخاصة عيشة رغدة ، وتمتعت بكل المزايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحصلت علي امتيازات كبيرة من الحكام[٣] .

٢ـ مكانة فقهاء المالكية لدي طبقة العامة :

حوت طبقة العامة شرائح اجتماعية متنوعة و شكل وضعها المادي المتردي قاسما مشتركا بينها ، فشملت الحرفيين والصناع والمزارعين والرعاة والصيادين ، بالإضافة إلى العبيد والأقنان .

وقد اعتقد بعض المؤرخين المحدثين[٤] أن الفقهاء طبقة تعاونت مع الحكام لتغذية طبقة العامة بمفاهيم القضاء والقدر وبشرعية الحكم وإطاعة أولى الأمر . ولكن الحقيقة التي لاتقبل الشك أنه لم يكن الفقهاء طبقة اجتماعية بقدر ما كانوا شريحة اجتماعية على امتداد مجتمع السودان الغربي كله ، فبعضهم كان من المياسير والأغنياء ، وقد احتل هؤلاء الفقهاء مكانة خاصة لدى طبقة العامة في دولتي مالي

---

(١) محمود كعت: مصدر سابق،ص١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص٧٢ ، ٧٣.

(٣) المصدر السابق : ص ١٠٦ ، ١٠٧.

(٤) محمود إسماعيل : سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، دار الثقافة الجديدة ، تونس١٩٧٨ ،جـ١، ص٢٠٦

وُصنغى . ويرجع ذلك لكثرة الصدقة والعطاء للفقراء من جانبهم . ومن هؤلاء الفقهاء الفقيه الزاهد أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الذي توفى عام (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) والذي كان خيرا صيتا وورعا زاهداً تقيا أواها وليا مباركا ، معروف الصلاح ظاهر الزهد والورع متين الدين كثير الصدقة والعطاء[١] . كما كان الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن علىّ بن موسى عَريان الرأس المتوفى عام(١٠٢٠هـ/ ١٦١١م)[٢] زاهدا سخيا أخرج من ماله كله صدقه لله على الفقراء والمساكين وكذلك قام بشراء كثير من العبيد وأعتقهم لوجه الله تعالى[٣]

كما كان فقهاء المالكية يتمتعون بمكانة ومنزلة رفيعة سواء لدى الطبقة الحاكمة أولدى طبقة العامة ، حيث كانوا يقومون بدور الوسيط بينهم ، ومن ذلك كما تحدثت المصادر عن الفقيه محمد بن محمود بن أبى بكر الونكرى التنبكتى المتوفى عام (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م)[٤]الذي يقال عنه إنه كان يسعى في حوائجهم ويضر نفسه لنفعهم ،ويتفجع لمكروههم ، ويصلح بينهم وينصحهم[٥] . وكذلك الفقيه صالح بن محمد أند عمر المعروف (بصالح تكن)المستحرم عند السلاطين والذي كان يتشفع عندهم للمساكين ولا ترد له شفاعة[٦] .

كما كان هؤلاء الفقهاء ملجأ للعامة من بطش هؤلاء الحكام ، فكانوا يفرون إلي دار الفقيه (القاضي أو الأمام) إذا تعرضواْ لخطروهذه الحالة ومثلها كان قاعدة

---

(١) نفس المصدر : ص ٤٦.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص٥٢.

(٤) المصدر السابق : ص ٤١.

(٥) المصدر السابق : ص٤٤.

(٦) المصدر السابق : ص ٣٦.

قانونية لا يجوز للسلطان تعديها[١] أو للفقيه أن يردها ولكن كان من واجبة الشرعي إرشاده إلى طريق الصواب والذي يتلاءم مع الشرعية الإسلامية[٢] من ذلك ما حدث زمن منسا سليمان ، حيث قامت زوجته قاسا بالتآمر عليه مع ابن عمه ، وبعد افتضاح أمرهما ، عزم منسا سليمان على معاقبة زوجته ،التي هربت واستجارت بدار الخطيب بعد عدم تمكنها من المسجد فلم يلحقها أي أذى[٣].

وقد تعلقت قلوب العامة من الفقراء والمساكين بالفقهاء بسبب الاهتمام بهم أثناء المحن والكوارث ، حيث إنهم اعتادوا على إظهار أعمال البر والخير ، وكذلك حث طبقة الخاصة والمياسير تجاه هؤلاء بكثرة الصدقات ومنح العطايا والهبات. فعندما حدثت المجاعة التي راح ضحيتها كثير من هؤلاء العامة (الفقراء والمساكين)قام الفقيه محمود بن أبى بكر الونكرى التنبكتى(٩٣٠ -١٠٠٢هـ / ١٥٢٣-١٥٩٣م) بجمع التبرعات من المياسير في مدرسة الفقيه القاضي مؤدب محمد الكابرى لتوزيعها علي هؤلاء الفقراء والمساكين عند باب سنكرى[٤].

كما كان الفقهاء دائما يحثون الأسر الحاكمة على الاهتمام بالفقراء والمساكين وتقديم المساعدات لهم ، وخير دليل على ذلك أن القاضي العاقب بن محمود كان بأخذ من الأسكيا داود كل عام أربعة آلاف صينية ليقسمها على فقراء المدينة والمساكين[٥].

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٩٧ ، السعدي:مصدر سابق ، ص ٢٨.

(٣) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٧١.

(٤) ومن عادتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه : حتي يذهب إلي المسجد ، أنظر رحله ابن بطوطة ، مصدر سابق ، س ٦٧٢.

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ص١١٥ .

وقد زاد من مكانة فقهاء المالكية في مجتمع دولتي مالي وُصنغى ما أظهره بعضهم من بعض الكرامات التي تحدثت عنها بعض المصادر والمراجع منسوبة لعدد كبير من فضلاء الفقهاء المالكية و التي كان لها دور و أثر عميق في قلوب الخاصة والعامة على السواء ،مما يدل على تقدير الفقهاء والعلماء في هذه البلاد ، وخير دليل على ذلك ما ورد في كتاب أحمد بابا (تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء) عن بعض خصائص هؤلاءَ العلماء وما تمتعوا به من مكانة فقال : "...هذا جزء قصدتُ فيه إلى ذكر ما ورد من فضل العلماء والأخيار من الآيات والأخبار التي روتها الأئمة الأبرار ، بما خصوا به من أنواع الإكرام ، ومزيد الاعتبار ، على جميع الخلق في كل الإعصار ليكون تنبيها لمن جهل جليل ما لهم من عظيم المقدار ليوفيهم ويجعلهم وسيلة لربه في المهمات الكبار..."[1] إلي غير ذلك من كتب المصادر التي بينت مكانة فقهاء الماكية وخاصة بما أمتازوا به من قوة ودعم الإسلام في هذه البقاع النائية.

---

(١) أحمد بابا : تحفة الفضلاء بيعض فضائل العلماء ، تحقيق سعيد سامي ، المملكة المغربية ، جامعة محمد الخامس ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط ، نصوص ووثائق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ١٣، ومن ذلك ماذكرته كتب المصادر عن سيدي يحيى ، فتقول : حدثنا الشيخ الفقيه الأمين بن أحمد أن جواري الشيخ سيدي يحيى طبخن حوتا طريا من الصبح إلى العشى فلم تؤثر فيه النار فتعجبن من ذلك حتى سمعه الشيخ فقال لهن :" أن رجلي مست شيئا مبلولا في السقيفة حين خرجت لصلاة الصبح اليوم لعل هو والنار لأتحرق ما مس جسدي" ....أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص٥١ ،وكذلك ما جاءت به كتب المصادر عن الفقيه أحمد بن عمر محمد أقيت أنة لما زار القبر الشريف طلب الدخول الى داخله فجلس خارجه يمدحه ﷺفأنحل الباب له وحدة بلا سبب فتبادروا لتقبيل يده ، والفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت ، صاحب الكرامات كم نودي في مواطن الغيبة لتفريج الشدائد والملمات فحضر وأنفذ ... ! وبعد مادفن أخوة الأكبر الحاج أحمد ورجع لدارة صار حزينا جدا بحيث يعزيه الناس ولا يفطن لهم ، فلما جاء بدار عثمان طالب تنفس الصعداء ، وقال الآن أفترق أخي أحمد عن للملائكة وعلم الناس أنه يشاهدهم ، وتقول المصادر إن هذا نوع عظيم من الكرامات والمكاشفات أنظر السعدي المصدر السابق ، ص٣١ ،وهذا الفقيه إبراهيم بن الفقيه القاضي عمر حدث بينه وبين الاسكيا محمد مشادة قام مغضبا فسار نحو المرسى وقال لا صحابه : نسير ونقطع البحر ونمشى في حالنا ، فلما وصل البحر أراد أن يدخل فيه قالوا : له القارب ما كانت الساعة أصبر حتى يجيئى فال : ولو لم يكن ففهموا منه أنه يقطع البحر بلا

ثالثاً: دور فقهاء المالكية تجاه العادات والتقاليد ذات الأصول الوثنية:

حاول فقهاء المالكية جاهدين تبنى المفاهيم الإسلامية في الأوساط الاجتماعية داخل مجتمع السودان الغربي على مختلف فئاته حيث كان هذا المجتمع قد أخذ معه الكثير من العادات والتقاليد ذات الأصول الوثنية ، وذلك أثناء تحوله إلى الإسلام ، وقد واجه العلماء كثيرا من المخالفات الاجتماعية والبدع وكثيراً من مظاهر الشرك التي كانت سائدة قبل الإسلام حيث ألقت هذه الوثنيات القديمة بظلالها على عادات الكثير منهم نتيجة تمسكهم بتلك العادات التي توارثوها عن أسلافهم

ولما كان الفقهاء يمثلون الطبقة الدينية المثقفة في المجتمع فقد كانوا موضع نظر الحكام والعامة على السواء ، يسترشدون برأيهم وينتظرون مواقفهم الإصلاحية . ومن هنا كان عبء الإصلاحات الاجتماعية ومحاولة الحفاظ على قيم المجتمع المسلم ومبادئه ملقاة في المقام الأول على كواهل هؤلاء الفقهاء فأعين الناس حكاما ومحكومين تتجه إليهم .

وقد بذل هؤلاء الفقهاء جهودا كبيرة وشاقة في مقاومة فساد الأجواء المحيطة بهم ومحاربة الفساد والمفسدين في البلاد ، كما حاولوا المحافظة على الآداب العامة في

قارب (أي عنده مقدرة على المشي على الماء) ،أنظر السعدي المصدر السابق ، للفقيه أبى القاسم التواتى : المتوفى عام(٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) الذي كان صاحب كرامات وبركات يطعم الطعام وكثرة أطعامه للمداحين لشدة محبته لمدح النبي ﷺوموضع المدح قريب من داره ومتى سمعهم يمدحون خرج إليهم بالأرغفة المسخونة كأنما خرجت من الفرن في تلك اللحظة ولو كان في جوف الليل حتى تبين للناس أنها نوع من الكرامة ، ومن كراماته أيضا أن المؤمنين رأوا الماء يقطر من ثيابه يوما واحدا وهو في صلاة الصبح ويفلس بها جدا فلما سئل ؟قال :استغاث بي غريق تلك الساعة في بحر دب فأنقذته من الغرق في الماء (وهو جالس معهم بدون ذهاب)وروى أن الناس ازدحموا على نعشه في الليلة المظلمة وتصادموا حتى سقطوا على الأرض جميعا وبقى النعش في الهواء واقفا بقدرة الباري سبحانه حتى قاموا وأمسكوه ورأي الناس هناك جماعة كثيرة غير معروفين ....وذلك من كراماته والله أعلم. أنظر السعدي : المصدر السابق ، ص٥٩ ،وغير ذلك كثير في كتب المصادر.

الطرقات والمناسبات المختلفة وغير ذلك . وقد حملت أسئلة فقهاء المالكية إلى الإمام السيوطي ، وكذلك أسئلة الأسكيا محمد إلى الإمام المغيلى كثيراً من هذه الهموم لاستبيان رأى الدين الإسلامي فيها .

ويمكن تقسيم عادات أهل السودان الغربي إلى عادات إيجابية وأخرى سلبية، ويأتي على رأس العادات الايجابية ظاهرة التدين ، التي أشار إليها الرحالة الذين خالطوا أهل هذه البلاد ، فها هو ابن بطوطة[1] يصف سكان تلك البلاد الذين عاينهم وتعامل معهم خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر للميلاد ، فذكر أنه "في كثير منهم التدين القوى" . وتجلت مظاهر هذا التدين في أروع صورها إبان محافظتهم على الصلوات والتزامهم بها في الجماعات ، وضرب أولادهم عليها ،وإذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الإنسان إلى المسجد لم يجد مكاناً للصلاة لكثرة المصلين[2] .

وتتجلي مظاهر تدينهم كذلك في عنايتهم بحفظ القرآن الكريم ، فهم يقيدون أولادهم إذا ظهر منهم التقصير في حفظه فلا ترفع هذه القيود عنهم حتى يحفظوه[3]

---

(١) هو أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجى المعروف بابن بطوطة : وصل بلاد مالي في أعوام (٧٥٣-٧٥٤هـ/ ١٣٥١-١٣٥٣م) . في عهد ما نسا سليمان .

(٢) ومن عادتهم أن يبعث كل إنسان غلامه بسجادته فيبسطها له بموضع يستحقه بها حتى يذهب إلى المسجد ، أنظر رحلة ابن بطوطة ، مصدر سابق ، ص٦٧٢.

(٣) وقد دخل ابن بطوطة يوم العيد وأولاده مقيدون فقيل له :آلا تسرحهم ؟ فقال: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ، وكذلك مر بشاب منهم حسن الصورة علية ثياب فاخرة ، وفى رجله قيد ثقيل فقال لمن معه :ما فعل هذا ، أقتل ؟ففهم الشاب وضحك وقال لابن بطوطة :إنما قيد حتى يحفظ القرآن ، أنظر رحلة أبن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٧٣.

كما يعد العدل من عاداتهم الإيجابية ، بالإضافة إلي انتشار الأمن في بلادهم ، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب ، كما إنهم موقنون من عدم التعرض لمال من يموت ببلادهم من المسلمين الوافدين إليهم ، ولو كان قناطير مقنطرة إنما كانوا يتركونه بيد ثقة من هؤلاء المسلمين الوافدين حتى يأتي و يأخذه من يستحقه[(١)].

ومن عاداتهم الايجابية أيضا حب النظافة والاعتناء بها شهد لهم بهذه الظاهرة أيضا الرحالة ابن بطوطة ، ومنها أرتداؤهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم إلا قميص خرق غسله ونظفه وشهد به صلاة الجمعة [(٢)].

أما العادات السلبية فيمكننا رصد بعض منها استنادا إلى ما ذكرته المصادر ويأتي على رأسها الاعتقاد في الأساطير والخرافات والقوى السحرية واتخاذ الطلاسم ، فقد كان من العادات المتوارثة فيما يتعلق بالمريض أنه أذا أراد أهله أن يعلموا أن كان سيشفى أو سيموت ، كانوا يكسرون البيض فوق رأس هذا المريض، كما كانوا يقومون بنحر الذبائح تحت أقدامه . وكذلك كانوا يعتقدون في أهل السحر الذين يستعملون أسماء الله الحسنى و آياته في غير المباح للتفريق بين المرء وزوجه ، ومنهم من يزعم أنه يعرف ما إذا كرهت البهيمة أولادها و سبب ذلك ، فيأخذون من أشعار رأسه أو لحيته فيبخرونه على تلك البهيمة فيوافق مرة ومرة لا[(٣)] . ومنهم من يكتب لمن أراد حاجة عند أحد مما جعل أهل السحر

---

(١) المصدر السابق ، ص٦٧٢.

(٢) المصدر السابق ، ص٦٧٣.

(٣) عبد الرحمن السيوطي :الحاوي للفتاوى ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م ، ص٣٤١.

أرفع مقاما وأكثر رزقا وحكما[١] ومنهم من يقول ويعتقد أن بعض الناس يقتلون بعضا بمس أومقاربة ويزعمون أنهم يمرضونهم ، وإذ أعطوهم ما أرادوه داووهم ومنعوا عنهم أذاهم[٢] ومنهم من يمشى بين العوام ويناجى كل من يلقاه : ألا أريك رقية العين من أجل المحبة والنكاح ودخلة القلوب والقبول عند السلاطين ، وأمثال ذلك من أمور السحر والشعوذة[٣].

كما ظهر بينهم أيضاً من يدعى أنه يعلم الغيب ، باستخدام خط الرمل ونحوه[٤] ، ومنهم من يترصد مواقع النجوم ويترجم وضعها في ذلك المكان إلى حوادث معينة ستحدث ، والبعض الأخر يترجم أصوات الطيور إلى أشياء معينة[٥] .

---

(١) منهم من إذا سرق ماله أخذ المتهمين فيوقد نارا ويقيد المتهمين بشي قصير ويأمرهم بالمشي علية فيمرون فالذي يسرق تارة تحرقه النار، والذي لا يسرق لاتحرقه و لا تمسه ، ومنهم من يأخذ المتهم ،ويأخذ المرأة ويعلقها على خيط ويأخذ الخيط ويدلى المرأة ويجعل الخطين في الأرض ويجعل الرماد على خط واحد من الأرض ويترك الآخر ويدليها على وسط الخطين ويقرأون سورة يس على ذلك فأن تحركت المرأة وجرت على طريق الرماد ثبتت السرقة علية وإلا فلا أنظر : السيوطي مصدر سابق،صـ٣٤١، الهادي مبروك الدللي : مرجع سابق ، ص٤٤.

(٢) السيوطي : مصدر سابق ، ص٣٤١ .، ويروى السعدي : أن أحد المشعوذين أحضر خابية مملوءة بالماء و قرأ عليها ونادي باسم فأجاب وقال له أخرج إلى فخرج شخص من الماء بقدرة الله على شكل الرجل الذي يريد الانتقام منة وجعل الحديد في رجليه ، وطعنه بالحربة ، أنظر السعدي : مصدر سابق ، ص٩٩.

(٣) السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٤٣.

(٤) يستخدم خط الرمل لمعرفة الحاضر أو المستقبل ،وله ست عشرة حالة ، وأسماء وبعضها يرمز للخير والبعض الأخر للشر ، ومن يريد أستعمالة يأتي بتراب نظيف ، ويبسطه على الأرض ، ثم ينقط فيه بالأصابع الوسطى أربعة أسطر .من غير عدد بالحذف زوجا فزوجا إلى أن ينتهي إلى الأخر ، وإذا كان زوجا أو فردا أثبته ، ثم يثبت ما تبقى من السطر الأول أولا ، ومن السطر الثاني بعدة ، إلى أن تنتهي الأربعة أسطر فيتكون منها شكل عددي ، يستخلص من خلاله الحال والطلب ، التاريخ الحضاري : مرجع سابق ، ص٧٦ ، ٧٧ .

(٥) المغيلي : مصدر سابق، ص٣٤.
Mariam Konate Deme : THE ROLE AND FUNCTION OF THE

وكانت هناك حلقات تعقد في الأسواق ومحلة للعرافين والذين يستخرجون العين ، وكان أكثر روادها من النساء، وعندهم طلاسم للنكاح والبيع والشراء و الرهج والحروب والمحبة ووجع الرأس والضرس ويزعمون أنهم ملوك الدنيا وأبناء الأنبياء[١]".

وقد أنكر فقهاء المالكية في تلك البلاد تلك السلوكيات وكان لهم دور تجاه هؤلاء السحرة ومن يتعاملون معهم فكانوا يحاولون إقناعهم هم ومن يتعامل معهم بالبعد عن السحر . فإذا فشلت محاولاتهم هذه لجأوا إلى الحكام لتحريضهم على هؤلاء السحرة ويطالبون السلاطين بقتل هؤلاء السحرة[٢] نظرا لخطورتهم ونفوذهم وهيبتهم الكبيرة لدى الأهالي.

كما كانت هناك ممارسات وثنية تؤدى مع العبادات الشرعية بل اختلطت بها، واعتقد العامة أنها جزء منها ، ومن ذلك أنهم قوم يشهدون أن لا اله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وعادة بعضهم بناء المساجد وتلاوة القرآن والعلوم والمدائح والحج ومع ذلك كان بعضهم يعتقدون أن هناك من ينفعهم ويضرهم غير الله عز وجل ، حيث كان لهم أصنام يتقربون إليها لها ويذبحون ، وبعضهم الأخر يعظمون الأشجار ويذبحون عندها الذبائح[٣] .والراجح ان فقهاء المالكية استغلوا مجالس الوعظ في محاربة هذه السلوكيات الوثنية بالإضافة إلي الخطب الدينية كخطبة الجمعة ، كما واَجَهَ فقهاء المالكية في مجالس الوعظ والخطابة بعض السلوكيات المخالفة للشرع مثل أناس كانوا يؤدون صلاتهم بالتيمم فلا يتوضأ أحدهم إلا نادرا، وكانوا

SUPERNATURAL IN THE AFRICAN EPIC, A Dissertation Submitted to The Temple University, Graduate Board,٢٠٠٤,pp٩٩/١٠٠

(١) السيوطي :الحاوي للفتاوى ، ص٣٣٩.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٥، ص٢٩١.

(٣) المغيلي : أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي ، مصدر سابق ، ص٣٥.

أيضاً لا يغتسلون من الجنابة إلا نادرا، ولا تصوم نساؤهم ولا تصلي إحداهن إلا إذا كبرت ، ويدخلن المساجد ومع كل واحدة منهن عصا(١).

كما واجه فقهاء المالكية حالات الغش في الأسواق ، فقد كان بعضهم يقوم بخلط اللبن بالماء ، وبيع اللحم مع الشحم ، ومنهم من يقوم بنفخ اللحم(٢) ، ومنهم من إذا اشترى سلعة حازها وذهب بها قبل أن يدفع لصاحبها ثمنها ، فإذا ندم أو لم يبعها بربح وطلب منه صاحبها ثمنها قال له : خذ سلعتك أو اصبر حتى نبيعها(٣). ومنهم من يطفف المكيال والميزان بالزيادة والنقصان ، ومنهم من يغش الذهب والفضة بالنحاس ، أو يأبى أن ينزف التبر من التراب(٤).

كما انتشرت بينهم النميمة والتجسس والبخل والجبن والقسوة والظلم والفساد وقطع صلة الرحم وشهادة الزور والحلف بالأباء والأمهات والتكبر وأكل الحرام(٥) ، ويذكر ابن بطوطة ، أن كثيرا منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير(٦).

ومن العادات التي استقبحها الرحالة لبعض أهالي البلاد عادة عدم احتشام بعض النساء من الرجال ، وكذلك عدم احتجاب المرأة عن أخي زوجها وابن عمه أو صاحبه مع مواظبتهن على الصلاة ، كما كان لديهن الأصدقاء والأصحاب من

---

(١) السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٣٨.

(٢)المغيلي : مصدر سابق ، ص٦٣.

(٣) السيوطي : مصدر سابق ، ص٣٣٩ ، المغيلي : مصدر سابق ، ص٦٣.

(٤) وهذا معروف من أيام غانا في القرن الحادي عشر حيث توافرت في كتب الرحالة العرب ، على أن الملوك في السودان الغربي ، كانوا يصطفون لأنفسهم السبائك الذهبية ، ولا يتركون للناس إلا تراب الذهب (التبر) للتعامل ، وهم يفعلون ذلك لكي تبقى للذهب أهميته "

(٥) السيوطي : الحاوي للفتاوى ، مصدر سابق ، ص٣٣٨.

(٦) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٧٢.

الرجال الأجانب ، ويدخل الرجل داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك ، كما كان للرجال صواحب من النساء الأجنبيات[(١)].

وكذلك أنكر الرحالة عادة العري وكشف عورات النساء الحرائر والإماء وإن كانت بنت القاضي ، وتلك عادة كانت مشهورة ومطردة بينهم[(٢)].

وهنا أفتى الفقهاء للأسكيا محمد بما يقتضيه الشرع تجاه عادة العرى والاختلاط، وبالفعل كان الأسكيا الحاج محمد أول حاكم سوداني غربي يرغم المرأة على اتباع قواعد السلوك والآداب الإسلامية الحميدة في الزى ، وفى عدم الاختلاط بالرجال إلا في حدود الشرع، ويلغ في صرامة مراقبة سلوك الرعايا لضمان الالتزام الإسلامي أن رجال الشرطة في عهده ، كانوا لا يترددون في إلقاء القبض على أي رجل يشاهد في صحبة امرأة أجنبية عنه أو في حديث معها ، ثم يوضع في السجن[(٣)] وهكذا أعان فقهاء المالكية الاسكيا محمد في مواجهة عادة الاختلاط وشددوا علي تحريم هذا الأمر ونفذ الأسكيا فتواهم .

---

(١) المصدر السابق والصفحة .

(٢) وكذلك هناك عادة عرى النساء وهذا ما شاهده ابن بطوطة فقال:" ومن مساوى أفعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا باديات العورات ، ولقد كنت أرى في رمضان كثيرا منهن على تلك الصورة ، فإن عادة الفرارية أن يفطروا بدار السلطان ويأتي كل واحد منهم بطعامه تحمله العشرون فما فوقهن من جواريهم ، وهن عرايا .ويذكر كذلك دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات ، وكذلك تعرى بناته، وقد شاهد خروج نحو مائة جارية يحملن الطعام إلي قصره عرايا في ليلة السابع والعشرين ومعهن بنتان لهن ناهدان ليس عليهما ستر،وكانت عادة كشف عورات الحرائر والإماء متفشية بينهم حتى كانت البنت في جني لأتستر شيئا من عورتها مادامت بكرا ولو بلغت خمسين سنة وكانت شابة من أجمل النساء تخرج بين الناس عريانة بلا ستر أصلا ، وهى بين أبيها وإخوانها كذلك ، حتى تتزوج ، ولو كانت بنت السلطان أو القاضي ، أنظر :أبن بطوطة : المصدر السابق ، ص٦٧٣، عبد القادر زبادية :أسئلة الاسكيا ،ص٦٣ ،السيوطي : الحاوي ،ص٣٣٩.

(٣) جوزيف كيزربو:تاريخ أفريقيا السوداء ، باريس ، ١٩٧٨ ،ص١٤٥..

كما كان عند الملوك عادة وطء الحسان بدون زواج وهذا ما ذكره العمري[1] فقال : "وذكر لي عنه ابن أمير حاجب أنه حكي أن من عادة أهل مملكته أنه إذا نشأ لأحد منهم بنت حسناء قدمها له موطوءة فيملكها بغير زواج ، مثل ملك اليمن ، فقلت لمنسا موسى :"إن هذا لا يحل لمسلم شرعا " فقال :ولا للملوك ؟ فقلت ولا للملوك واسأل العلماء فقال منسا موسى :"والله ما كنت أعلم ذلك وقد تركته من الآن"[2].

كما كانوا يتناكحون بغير صداق ، ومنهم من حرفته أن يتزوج النساء الكثيرات الأموال ويعيش علي رزقهن[3] ، وكان أولياء الأمور لا يزوجون بناتهم إلالصاحب مال ونسب ،ولا يزوجون الفقير ولو كان عالما صالحا تقيا[4].

وهنا جاء دور الفقهاء المصلحين الذين قاموا بما يشبه ثورة التصحيح لتصحيح الشريعة الإسلامية بعد عهد سني على الذي أحدث انتكاسة للشريعة الإسلامية الصحيحة بعد عهد دولة مالي ، فظهرت صور كثيرة للفساد الاجتماعي والديني طوال عهده وحتى بعد وفاته عام (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) ، فبذل هؤلاء الفقهاء جهدا كبيرا لإصلاح هذه العادات وفق الشرعية الإسلامية ولو أنهم لم يستطيعوا القضاء عليها جيعها[5].

ومن العادات السلبية الأخرى التي انتشرت في المجتمع بين أهل مالي وصنغى العادات الخاصة بالميراث فهم لا يتوارثون على الكتاب والسنة ، وإنما كان

---

(١) هو ابن فضل الله ، المتوفى عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. مسالك الإبصار في ممالك الأمصار ، جـ٤ ، ١١٩، ١٢٠.

(٢) القلقشندى : مصدر سابق ، ص ٢٩٦.

(٣) عبد الرحمن السيوطي : مصدر سابق ،ص٣٣٧.

(٤)المصدر السابق ، ص٢٤٢.

(٥) المغيلي : مصدر سابق ، ص ٢٤٢.

يأخذ مال الميت ابن أخته، وكانوا على هذه الحالة منذ القدم[١] وفيهم كذلك من يقر الميراث كما فرضه الله تعالى ، ولكن أذا كان في الورثة كبير استولى على جميع التركة ، ويدعى بأنه في منزلة أبيهم ، ويقوم بإعطاء الزوجة نصيبها ويستولى هو على المتبقي ،من غير إيماء ولا تقديم ولارضى أحد منهم ولا يتعرض له أحد في ذلك مدة حياته ، حتى أذا مات استولى على تركته الأقوى أيضا ، وبعضهم لا يورث الزوجة ولا غيرها من النساء[٢].

وكذلك من عاداتهم السلبية أن منهم من كان يقوم باسترقاق الأحرار ويدعوهم بالعبيد، فإن مات من أدُعى عليه ذلك لم يقسموا ماله بين ورثته لانهم رقيق في نظرهم وإن قلت لهم هؤلاء أحرار كادوا يقتلونك ويقولون: هؤلاء عبيد أتباع للسيف ، ومنهم من يسخر منهم ويأخذ منهم الأموال ولا يضرهم في أنفسهم ، ومنهم من يبيعهم بالتنافس والتنازع[٣] وهنا أتي دور الفقهاء الذين استشارهم الأسكيا الحاج محمد الكبير وأخذ برأيهم في عادة الاسترقاق وتحطيمها بصفة رسمية[٤].

---

(١) السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٣٧ .

(٢)"وهنا يقرر الباحثون أن البشرية كانت في أطوار سابقة تعتبر قضايا الإرث والاستخلاف مرتبطة بالأم ، لان إلام هي ربة المنزل ، وهى التي يعود أليها جميع الإفراد في العائلة ، وقد كان ذلك أكثر وضوحا لما كانت البشرية تمر بأطوار لم ينتظم فيها الزواج ، فقد يكون للأم عدد من الأزواج في أن واحد ، وفى مثل هذه الحالة ، فأن الأم وحدها هي التي تمثل الأصالة في انحدار جميع أفراد العائلة من نسلها " .

(٣) السيوطي : مصدر سابق ، ص٣٣٧ .

(٤) فاى منصور على : أسكيا الحاج محمد وإحياء دوله السنغهاى الاسلامية (٨٨٩-٩٣٥هـ/ ١٤٩٣-١٥٢٩م)منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية العظمى ، طرابلس ، ص٦٤.

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١١٤.

ومن العادات السلبية التي اتسم بها القصر الملكي في جاو أثناء مجلس يوم الجمعة ما حدث من الاسكيا داوود ١٥٤٩-١٥٨٢م. الذي كان يجلس وحوله عبيده الخصيان يقفون على رأسه وهم نحو سبعمائة وعلى كل واحد لباس حرير فإذا أراد الاسكيا أن يبصق أو يتفل أسرع إليه بعض الخصيان وبسط له كمه فيبصق الاسكيا فيه ثم يمسح فاه من النخام[١] ، وكان أن شاهد هذا الفعل الفقيه أحمد بن سعيد سبط القاضي محمود بن عمر بن عمر أثناء وجوده في العاصمة فتكلم مع الأسكيا داوود وانتقده ورفض هذا التصرف (٢)

رابعاً : فقهاء المالكية والاحتفالات الدينية :

احتفل أهالي مالي وُصنغى بالمناسبات العامة كالأعياد الدينية وشاركهم فقهاء المالكية هذه الاحتفالات ومنها الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج فكان الأهالي يحيى هذه الليلة ا، ويصوم معظمهم اليوم السابق لها ، ويقوم فقهاء المالكية بقراءة القرآن الكريم والمدائح النبوية ، كما كانوا يقومون بشرح أهمية هذه الذكرى ، وموقف أبو بكر الصديق والصحابة منها ، وكذلك موقف المرتدين والمشركين من رسول الله ﷺ ، ويكون ذلك في المساجد والأماكن المختارة لهذه المناسبات[٣] .

كما شارك فقهاء المالكية في الاحتفال بالمولد النبوي ، وكان هناك حرص على الاحتفال بهذا اليوم في مالي وُصنغى وهو في شهر ربيع الأول من كل عام. ويلقى هذا الاحتفال مزيداً من الاهتمام والتبجيل تقديرا وتبركا بذكرى سيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ حيث يقوم فقهاء المالكية فى هذا الاحتفال بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد ، وكذلك الدروس الدينية حول سيرة خير البرية ﷺ في المساجد والجوامع ، كما تنشد

---

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) المصدر السابق ، ص١١ ، الفشتالى : مناهل الصفا في أخبار موالينا الشرفا مصدر سابق ، ص٢٦٤ .

المدائح النبوية بأبيات عربية في ساحات المساجد حتى الثلث الأخير من الليل[١]، وكان الفقيه أبو حفص عمر بن الحاج أحمد يداوم في هذا اليوم على مدح رسول الله ﷺ في الصباح وفى المساء ، كما كان الأهالي يحرصون على تقديم الطعام للمداحين لشدة محبتهم لمدح النبي ﷺ[٢] وفى يوم العقيقة وهو اليوم الثامن عشر من شهر ربيع الأول يتوجه كافة الناس وعامتهم إلى جامع سنكرى لمشاركة فقهاء المالكية في دعاء ختم القرآن الذي يختم إحياء لذكرى مولد النبي الشريف ﷺ[٣] .

كما كان لفقهاء المالكية دور مهم في استعداد مسلمي تلك البلاد لاستقبال شهر رمضان تطبيقا لتعاليم السنة النبوية الكريمة ، فكانوا يحثون الناس على أن يكثروا من العبادة وفعل الخير و التردد على المساجد في أوقاتها ،بالإضافة إلى حثهم على قراءة القرآن الكريم . كما كانوا يقومون بسرد أو تدريس كتاب الشفا لعياض في مسجد سنكرى في كل يوم من أيام شهر رمضان و في المدن الكبرى مثل تنبكت وجني و جاو[٤].

وعندما يقبل شهر رمضان فإن الأهالي يستعدون له بشتى أصناف الأطعمة والحلوى، وفي ليلة القدر يسهر الأهالي في هذه الليلة العظيمة وهى ليلة السابع

---

(١) محمود كعت : مصدر السابق ، ص٦٠ ، مجهول : تذكرة، ص٢٠.

(٢) MBOW Panda : Les péripéties du voyage de Tombouctou,p : ٣٤١ , la culture Arabe international tenu a Tombouctou en Août ١٩٩٥ , Publication de la foundation ta mimi Zaghoun , Tunisie ١٩٩٧ كما كان يفعل الإمام أبا القاسم التواتى إمام الجامع الكبير ،أنظر السعدي ، مصدر سابق ، ص٥٩.

(٣) مجهول :تذكرة النسيان ، ص١٥٧.

(٤) مثلما كان يفعل الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، وكذلك أبو حفص عمر أبن الحاج أحمد ، والفقيه محمد الأمين بن القاضي سيد أحمد الذي كان يدرس كتاب الشفا للقاضي عياض لمدة ثلاث سنوات في رمضان ، أنظر السعدي :مصدر سابق ، ص٣٣ ، ٣٨، مجهول :تذكرة ، مصدر سابق ص٥٤.

والعشرين من شهر رمضان المبارك وذلك بالعبادة والذكر والإرشاد في المساجد حتى الفجر[١] ، أما الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان فكان يوجد بكل مسجد[٢] ، وأيضا تقام في بيوت الأغنياء احتفالات كبيرة طوال شهر رمضان يتم فيها قراءة القرآن الكريم ، وشرح السيرة النبوية ، وسير الصالحين ، كما تقام موائد الطعام والشرب تمجيدا لهذا الشهر الكريم .

وعندما يأتي موعد الاحتفال بعيد الفطر والذي يسمى في مالي وُصنغى (فيرمي جينغر) ويعني عيد تسريح الفم للأكل والشرب ، وهو عيد يختم به شهر رمضان المبارك فكان الاحتفال يبدأ منذ الليلة السابقة له حيث تتم مراقبة الهلال ، وبمجرد التأكد من رؤيته يقصد العدول من الرجال دار القاضي أو السلطان للإدلاء بشهادة رؤية الهلال ، ويبدأ في اليوم الأول من شهر شوال ويستمر عندهم على مدار ثلاثة أيام تسودها مظاهر الاحتفال الديني ، ففي دولتي مالي وُصنغى كان الفقهاء والأهالي يخرجون إلى المصلى مرتدين الملابس البيضاء ، وينتظرون السلطان الذي يأتي إليهم واضعاً طيلساناً على رأسه ، لا يلبسه إلا في الأعياد مشاركا في ذلك فقهاء المالكية ، الذين يلبسونه طيلة العام . وكان من عادات الأهالي أنهم عندما يمثلون بين يدي السلطان يتعالى تكبيرهم وتهليلهم وبأيديهم الأعلام الحمراء المصنوعة من الحرير ، وبعد الانتهاء من الخطبة ينزل الخطيب من على المنبر ، ويجلس بين يدي السلطان ويبدأ بذكر مآثره الحسنة ، وكذلك يدعو إلى طاعة السلطان ،وكان المترجم الذي يعرف (بالدوغا) يترجم للناس مقالة هذا الخطيب[٣].

وكان الاحتفال بعيد الأضحى من أهم الاحتفالات الدينية التي حرص عليها فقهاء المالكية ويسمى في مالي وُصنغى " كبيبسي " وهو تحريف للكلمة العربية

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٨٠ ، مجهول :مصدر سابق ، ص٨٤.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١٨٠ ، مجهول :مصدر سابق ، ص٨٤.

(٣) ابن بطوطة : رحلة أبن بطوطة ، ص٦٨٦ ، ٦٨٧.

الكبْش أي عيد الكبش ، الذي يأتي في العاشر من شهر ذي الحجة . ويسبق الاحتفال صيام يوم عرفة وكما هومعروف فهو يوم وقوف الحجاج بجبل عرفة، ومن أجل مشاركة هؤلاء الحجيج في موقفهم يصوم المسلمون هذا اليوم باعتباره يوماً عظيماً ومقدساً في حياة الأمة الإسلامية ، ويقوم فقهاء المالكية في هذه الأيام بواجبهم الديني ، كما يقرأون القرآن الكريم والمدائح النبوية في المساجد والأماكن المختارة لهذه المناسبات[١] .

وكان الاحتفال بيوم عاشوراء يسمي (دِيدَوْ) وهو في اليوم العاشر من شهر المحرم ، وهو عيد يحظى باهتمام بالغ لدى مجتمعي مالي وُصنغى، حيث إنهم يعتبرونه يوماً لتطهير النفوس وتهذيبها لسنة جديدة فكانوا يتزاورون فيما بينهم طالبين العفو والسماحة ، ويقولون في هذا اليوم (يسي غوما) ، بمعنى : أرنا الله السنة القادمة بالسعادة والازدهار ويشارك فقهاء المالكية في هذا الاحتفال بأن ينظموا حلقات الذكر والوعظ والإرشاد في مختلف أرجاء المدن ، إضافة إلى تلاوة القرآن وختمه ، وقراءة كتاب دلائل الخيرات بالجوامع ، وفي بيوت بعض العائلات الموسرة[٢] .

ويعكس لنا هذا الأمر مدى تأثير فقهاء المالكية في مجتمع مالي وُصنغى وحرصهم على استغلال المناسبات الدينية الإسلامية ودفعهم إلى اتخاذ مستهل السنة القمرية رمزاً لطلب العفو وتحقيق وتعميق أواصر القربى وتوثيق صلات الرحم وتوطيد العلاقة الأخوية الدائمة والمستمرة بين أبناء العائلات في هذا المجتمع.

كما كانت هناك احتفالات موسمية أخرى كالاحتفال بخروج وعودة موكب الحجاج وكان لهذا الاحتفال أثر كبير في نفوس الحكام والفقهاء وعامة الشعب لما فيه

(١) كعت: المصدر السابق ، ص١١ ، الفشتالي : مناهل الصفا في أخبار موالينا الشرفا ، مصدر سابق ، ص٢٦٤.

(٢) BABA Mahamane: op.cit, pp ١٨٥.

من إجلال وقداسة لديهم ، فإذا جاء موعد الرحيل للرحلة المقدسة وكان في هذه الرحلة الملوك أو السلاطين يخرج في وداعهم كبار رجال دولتهم وعامة الشعب والجيش[١] .

وكان لفقهاء المالكية حضور كبير في هذه الرحلة مما أضفى عليها السكينة والوقار، خاصة لوجود القاضي الذي له أهمية كبرى في هذه الرحلة لما قد يتعرضون له من نوازل وأحداث أثناء السير إلى الحج فكانوا يقومون له بالفصل فيها ، وكذلك الفصل بين الأفراد فيما يحدث بينهم أثناء المسير[٢] .كما كان للفقهاء دور كبير في مساعدة غيرهم من غير القادرين على الحج وحملهم معهم لأداء هذه الفريضة . وبعد أداء الرحلة المقدسة وهم في طريق عودتهم اعتاد هؤلاء الحجاج أن ينزلوا خارج البلد ولا يدخلوا إلا بعد استئذان الأسكيا الذي كان يخرج لملاقاتهم ويقدم لهم الهدايا ويقبل أيديهم إجلالاً لهم ، وتقام الاحتفالات وُتقرأ القصائد في التهنئة والرجوع من الحج التماساً للبركات من الحجاج[٣] .

هذا وقد لعب فقهاء المالكية أيضاً دورا كبيرا كذلك في المآتم والأحزان التي كانت تقام في مالي وُصنغى ، حيث كانوا يتقدمون المواكب في الجنازات التي كان يمشى فيها الناس بكل خشوع وأدب ، وكانت كثرة المشيعين أو قلتهم تتوقف على المركز الاجتماعي للميت ، وكانت الولائم تعد في منزل أسرة الميت ويحضرها فقهاء المالكية و طلاب القرآن الكريم ، حيث يقرأون القرآن إلي وقت متأخر من الليل ، وذلك لليال متوالية ، ثم يتم توزيع الهبات عليهم من قبل أسرة الميت وتتضمن هذه الهبات ملابس وحبوبا وأموالاً نقدية في بعض الأحيان[٤] .

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص٢٣٣.

(٢) السيوطي :كتاب التحدث بنعمة الله ، ص١٥٨.

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ، ص١١٢،١١١.

(٤) عبد القادر زبادية ، مرجع سابق ، ص١٢٩.

وهكذا كان لفقهاء المالكية دور كبير في الحياة الاجتماعية لدي مجتمع السودان الغربي كله، مما مهد الطريق لهؤلاء الفقهاء لأخذ مكانة كبري أخري في الحياة الثقافية لدي سكان تلك البلاد.

الفصل الخامس
فقهاء المالكية والحياة العلمية
والثقافية في بلاد السودان الغربي

١ ـ التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية .

٢ ـ الدور التعليمي لفقهاء المالكية في السودان الغربي.

٣ ـ الإنتاج العلمي والثقافي لفقهاء المالكية .

٤ ـ الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء مالكية السودان الغربي وفقهاء المالكية في المغرب ومصر والحجاز .



استفادت الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي من تشجيع الولاة والسلاطين علي تحصيل العلم منذ أن أصبح الإسلام دينا رسميا للدولة في عهد دولة مالي ، فقد دأب بعض سلاطين دولتي مالي وصنغي علي بناء المساجد أو المساهمة في إنشائها ، حيث لم يقتصر دورها علي المجال الديني فقط ، بل كانت أماكن لتلقين العلم والمعرفة .

وقد شهدت دولة مالي الإسلامية وبخاصة في عهد منسا موسي نشاطا علميا ، وازدهرت فيها الثقافة الإسلامية واللغة العربية لاسيما بعد رجوعه من أداء فريضة الحج عام ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م[1] ، واصطحابه عدداً من علماء المشرق العربي والمغرب إلى دولته . كما قام بشراء الكثير من أمهات الكتب التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في السودان الغربي كله ، وقد بني في تنبكت الجامع الكبير سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م ، ووسع مسجد سنكري[2] ، الذي غدا جامعة إسلامية عريقة.

كما قام منسا سليمان في دولة مالي الإسلامية بجهود لدعم الحركة العلمية فبني المساجد والجوامع ورمم المتصدع منها وصانها . واستقدم كثيرا من العلماء والفقهاء

---

(١) هذا الملك من أعظم ملوك مملكة مالي ، وقد أطنب المؤرخون في ذكر موكب حجه الذي كان في سنة : ٧٢٤هـ ، ١٣٢٤ف ، وهي السنة السابعة عشرة من حكمه ، وصحبه في ذلك جحافل من العلماء والأعيان ، فانتشرت شهرة مالي وارتفعت إلى الذروة في المدن التي شهدت مرور قافلته الفخمة في شمال إفريقيا والقاهرة وفلسطين وغيرها ، وذلك بسبب قيامه بالحج إلى مكة والعظمة التي لازمته في الرحلة ، وكان لحجه أثر كبير في ازدهار الحركة العلمية والثقافية حيث استقدم عددا من العلماء الفقهاء والأدباء من جميع أنحاء العالم الإسلامي وبخاصة من الحجاز ومصر وشمال إفريقيا أنظر ،محمود كعت : الفتاش ، ص٣٣ ،السعدي : تاريخ السودان ، ص ٦،٧ سابق ، المقريزى : الذهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك ، ص ١١٠

: bugE: cit,op,p٨٥ usman Muhammad

(٢) السعدي : تاريخ السودان ،ص٨، ٥٦ ، ٥٧.

ممن هم على مذهب الإمام مالك[١] وشهد ابن بطوطة العديد من مظاهر العلم والثقافة في بلاد السودان الغربي (٢).

وازدهر العلم في عهد الأساكي في دولة صُنغي وبخاصة في عهد أسكيا محمد الكبير الذي عمل على إعادة جميع العلماء الذين هربوا في عهد سني علي إلى تنبكت، واستقدم علماء من بلاد المغرب والمشرق الإسلامي وشملهم بإكرامه ورعايته وعمّر المساجد ودور العلم. واشترى كثيرا من الكتب العلمية والثقافية، واهتم بنشر العلوم والثقافة، فازدهرت صُنغي ثقافيا في عهده ازدهارا. ويعتبر عهده وعهد خلفائه العصر الذهبي للعلم والعلماء، وأزهى عصور انتشار الثقافة الإسلامية العربية في السودان الغربي، وخاصة في مدينة تنبكت، وبلغت الحركة العلمية أوجها إذ ضمت تنبكت في رحابها عددا من كبار علماء العصر، وذاع صيتها بين مدن السودان الغربي، فتوافد إليها طلاب العلم. وكان الأسكيا محمد محبا للعلماء والصالحين والطلبة، كما كان كثير الصدقات، وكانت بداية عهده ازدهار للحركة العلمية في دولة صُنغى الإسلامية (٣). كما فعل من جاء بعده من الأساكي فاحترموا العلماء، واسقطوا عنهم وظائف السلطنة وغراماتها.

على أن هذا الانتعاش والازدهار الذي شهدته دولة صُنغي ساعد على إخصاب الحياة الفكرية والثقافية عن طريق التعليم وتأليف الكتب مما أدى إلى امتلاء خزائن المدينة بكل ما كان معروفا من أمهات الكتب في مختلف فنون العلم فأدى

---

(١) السعدي: مصدر سابق، ص ٥٧ ،العمري: مصدر سابق، جـ٤، ص ٥٩،
usman Muhammad bugE: op,cit ,p٧٨.

(٢) ابن بطوطة: مصدر سابق، ص ٦٧٣.

(٣) محمد أنور توفيق: دولة سنغاي الإسلامية تطورها لاقتصادي والاجتماعي والحضاري، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٣٦، ١٣٧.

ذلك إلى إنشاء حلقات دراسية مختلفة أمتلات بطلاب العلم يؤكد ذلك ما ذكره القاضي كعت من أنه كان يوجد في تنبكت في عهد أسكيا محمد الكبير مائة وخمسون مدرسة لتعليم الصبيان القرآن الكريم(١) .

وقد ترتب علي هذا التشجيع ظهور العديد من فقهاء المالكية في تلك البلاد، وقد أهتم هؤلاء الفقهاء بالعلم وحرصوا علي التعليم والتعلم . ويعد الفقيه المعلم أحد العناصر الأساسية للعملية التعليمية بفضل التكوين الثقافي لهؤلاء الفقهاء، ذلك التكوين الذي مكنهم من القيام بدور تعليمي في مجتمعهم .

أولاً: التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي :

كان لفقهاء المالكية دور بارز في مجال التعليم ، فقد ظهر منهم فقهاء محدثون ولغويون بارزون في مجال التدريس . ونحن الآن بصدد الحديث عن أهم المنابع التي استقى منها هؤلاء الفقهاء دروسهم وكيف تشبعوا بهذه الثقافة التي أهلتهم بعد ذلك لان يصبحوا معلمين بارزين في هذا المجال .

وقد تعددت منابع التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي ، بعضها منابع تكوين داخلية متمثلة في المدن العلمية الكبيرة فيها و ما تحتويه هذه المدن من مساجد كبرى ساعدت على التلقين والتلقي. وبعضها الأخر منابع خارجية متمثلة في رحلات الحج والرحلة في طلب العلم . وهذان المنبعان كان لهم أكبر الأثر في التكوين العلمي والثقافي لهؤلاء الفقهاء ونبدأ الحديث بعرض مظاهر التكوين العلمي والثقافي لأبناء السودان الغربي بالحديث عن المنابع الداخلية .

انصب الاهتمام بالتعليم في دولة مالي الإسلامية علي حفظ القرآن الكريم من أجل فهمه، وقد ذكر لنا ابن بطوطة تشددهم في ذلك (١). ولذلك كان أهل السودان

---

(١) كعت : مصدر سابق ، ص ١٨٠.

الغربي يرتادون المساجد و الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم[٢] وتعلم لغته،ولذلك اكتسبت اللغة العربية مسحة التقديس عند مسلمي السودان الغربي ، كما كانت هي اللغة الرسمية السائدة [٣]. فضلا عن دراسة وتفسير القرآن الكريم كما كانت هناك مؤلفات علم الحديث اتى تدرسّ خاصة صحيحي البخاري ومسلم في حلقات العلم . كما كان عرفت مؤلفات الفقه المالكي ذيوعاً بين الفقهاء والطلبة ، وكان يتم تدريس كتاب موطأ مالك ، والمدونة " للإمام سحنون عبد السلام بن سعيد المتوفى عام (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) والرسالة لابن أبي زيد القيرواني المتوفى عام (٣٨٦هـ/ ٩٩٦م)، ومختصر خليل بن إسحاق المصري المتوفى عام (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤)" [٤] ، والتهذيب للبراذعي ، والمنتقى في شرح الموطأ و جامع المعيار للونشريسي و المختصر للتفتازاني و المدخل لابن الحاج و أصول السبكي في

---

(١) فقد سجل ابن بطوطة مشاهدته في تشددهم فيحفظ القرآن الكريم ومن هذا أنظر ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٢ ، ٦٧٣، كما ذكر لنا عدد من فقهاء وقضاة ومدرسين ومقرئين وطلبة وخطباء، مقيمين في مختلف مدن السودان.الغربي إلا أن تلك الأسماء لا تترجم في الواقع إلا جزئياً حقيقة وجود هؤلاء الفقهاء وأكثرهم من المغاربة وكثافة هذا الوجود أنظر كذلك ، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٧٥ ،

usman Muhammad bugE: op, cit ,p٦٤..

(٢) كان الكتاب من ضمن مراحل التعليم في السودان الغربي وكان الكتاب لحفظ القرآن الكريم ، ومعرفة قواعد اللغة العربية ، وفي مقابل ذلك كان أهل التلاميذ يدفعون للفقيه بما يسمى حق الأربعاء ، وكانت المرحلة الثانية في المساجد وكان الطالب يتحصل على مجموعه من الدروس الخاصة باللغة العربية ، وفى المرحلة الثالثة والنهائية يتعمق الطالب في العلوم الشرعية واللغوية علي يد العلماء المشهود لهم بالتمكين وتتوج بالحصول على الإجازة ، أنظر كعت : مصدر سابق ، ص ١٨٠، السعدي : مصدر سابق ، ٢١٧.

(٣) زاهر رياض : تاريخ غانة الحديث ، دار المعرفة ، ط١ ١٩٦١م، ١٣٩.

(٤) أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني ، ص٢١٦.

cuoq j . "Histoire de l, I slamisationdeI, Afrique de I,oust : Des rigines a la fin du xvle siecle",geuthner,paris,١٩٨٥,p ١٢٥|١٢٦,

Levtzion N :op,cit,p٥٩

علم أصول الفقه و تحفة الحكام في الأحكام لابن عاصم و تلخيص المفتاح لمختصر السعد و شرح التتائي الكبير و مختصر ابن حاجب الأصلي و مختصر ابن حاجب الفرعي و المنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق (١) ولم تقتصر الكتب التي كانت تدرس علي علوم الدين وعلوم اللغة العربية بل شملت الكتب التي كانت متاحة للدراسة مثل كتب السير والتاريخ وأيام الناس (٢).

ويذكر لنا ابن بطوطة أنه رأي عند فربا سليمان كتاب " المدهش في المحاضرات " للفقيه الإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادي المتوفى عام (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)(٣).

وقد تم دعم التعليم الفقهي علي أساس المذهب المالكي في دولة مالي (٤) بفضل جهود بعض حكام تلك الدولة وخاصة منسا موسي الذي أحب العلم والعلماء ولذلك سعى إلى جلب الكتب على المذهب المالكي إلي بلاده ، يتضح ذلك أثناء فترة إقامته في القاهرة خلال رحله حجه إذ قام بشراء مجموعة من الكتب في الفقه المالكي(٥) . والراجح أن من أهم الكتب التي اشتراها كتاب الموطأ للأمام مالك بن أنس ، ومدونه الإمام سحنون بالإضافة إلى كتاب مختصر خليل.

---

(١) السعدي : تاريخ السودان ، ص٢٩، ٣٨- ٥٣ ، ٢١٨ ، البرتلي : فتح الشكور ، ص ٧٩

(٢) السيد أحمد السيد الباز : الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتى مالي وُصنغي (٦٣٨-٩٩٩هـ/ ١٤٠-١٥٩١م) ، رسالى ماجستير من قسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٦٤.

(٣) بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٦.

(٤) ESLlas . Alpha N . s : social history of timbuktu,the rle of muslim schlars and ntables ١٤٠٠-١٩٠٠, p١٢٦. levtzion N: op,cit,p ٧٧.

(٥) - المقريزي : مصدر سابق ، ص١٤٣ ، ابن بطوطة : مصدر سابق،ص ٦٧٦.

ELlAs N.:op,cit, ٨٧.

usman Muhammad bugE: op cit, ,p٧٧

كما التقى منسا موسى أيضا مع الفقيه المالكي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري المدرس بالمدرسة المالكية وقاضي المذهب ، وكان هذا اللقاء قبل توجهه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ،وكان الحديث الذي دار بينهما فيما يبدو عن حاله المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية وكيفية دعم وتدريس هذا المذهب في هذه الدولة بنقل مؤلفات كبار علماء المالكية بعد شرحها لهذا المذهب لتدرس في حلقات العلم بمساجد مالي ، ولذا طلب منه منسا موسى أن يؤلف شرحا لمختصر أبى الحسن الطليطلي في الفقه المالكي[١] ، وبالفعل وافق ابن ثعلب على القيام بهذا الشرح والراجح أن هذا الشرح قد أخذه منسا موسى من ابن ثعلب بعد عودته من الحجاز إلى القاهرة بعد أن أدى الفريضة ثم أخذه معه في رحلة عودته إلى بلاده[٢].

وقد تعددت جهود منسا موسى لدعم التعليم الفقهي منها استقدام الفقهاء المعلمين إلى بلاده خاصة من بلاد المغرب وبلاد المشرق العربي ، فأقبل عليهم أهل مالي يتعلمون ويدرسون الفقه والسنة من ذلك قيامه باصطحاب العالم الفقيه عبد الرحمن التميمي[٣] الحجازي الذي سكن تنبكت ، ووجدها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفوقوا عليه في الفقه المالكي[٤]، فرحل إلى مدينة فاس وتفقه هناك

---

(١) أبو الحسن الطليطلي : هو علي بن عيسى بن عبيد التجيبي كان حيا خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، درس العلم فىء قرطبة وطليطلة وهو فقيه عالم له مختصر مشهور منتفع به من كبار المالكية في عصره ، أنظر القاضي عياض : ترتيب المدارك ، جـ٦ ، ص١٧٢، ١٧١ .ابن فرحون: مصدر سابق ،ص٢٩٥، ٢٩٤.

(٢) حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٦٤.

(٣) السعدي : تاريخ السودان ، ص٥١ ، الارواني : مصدر سابق ، ص٩٣، ٩٤ .
ELlAs N:OP,CIT,P,١٣٥.
usman Muhammad bugE: cit,op ,p٧٨. Miner Horace : op, cit , p٥.

(٤) الاروانى : مصدر سابق ، ص٩٤، كيف تفوقوا على عبد الرحمن التميمي ، وهو من قال عنه سيدي يحيى التادلسى أذا جاء فقهاء سنكرى للأخذ عنه فيقول لهم : " يا أهل سنكرى كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي " لذلك نحن نذهب مع الرأي الذي يرى أن عبد الرحمن التميمي يبدو وأنه كان

ثم عاد مرة أخرى إلى تنبكت فتوطن بها حتى وفاته ' بعد أن ترك أبناء وأحفاداً أسهموا في تدريس وتعليم المذهب المالكي ومنهم حفيده حبيب الذي عاش فئ أواخر دولة مالي[1] .

وهكذا أسهم منسا موسى في تعليم المذهب المالكي في بلاده بفضل ما نقله من مؤلفات وشروح لكبار فقهاء المالكية حتى يمكن القول أن دولة مالي عرفت في عهده دخول كتب كبار فقهاء المالكية التى أقبل عليها طلاب العلم هناك.

ونظرا لتزايد الإقبال على التعليم في دولة مالي الإسلامية اعتبرت جميع مساجد المدن أمكنه للتدريس ، و كان من أشهر هذه المساجد في مدينة تنبكت الجامع الكبير و مسجد سنكري ، ومسجد سيدي يحيي التادلسي . ولم تكن تنبكت تضم هذه المساجد الثلاثة المشهورة فقط ، فقد ذكر لنا محمود كعت و السعدي عدد أخر من المساجد الصغيرة التي كان يتم التعليم فيها (٢) .

وقد اعتمد التعليم في السودان الغربي وخاصة في دولة مالي علي فقهاء مغاربة في الأساس الأول ، وكان لهؤلاء الفقهاء المغاربة تلاميذ من أهل هذه البلاد (٣) كما

شافعي المذهب ، ولهذا تفوق علية فقهاء تنبكت المالكيون ، فأضطر إلى أن يسافر ليأخذ عن فقهاء المالكية بالقيروان ، أنظر أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني ، مرجع سابق ، ص٢٢٥.

(١) الاروانى : مصدر السابق ، ص ٩٥،٩٤

ELlAs N. s : op,cit,,pp ١٠٨و١٠٩و١١٠ و١١٢ .

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٢٢، السعدي : مصدر سابق ، ص ١١٠، ١١١.

(٣) Adam Ba konare : les relations politiques et culturelles enter le Maraco et le Mali a traverse les ages , ryaume du Maraoc ,university Mohammed v public tins de l, Institut des etudes ,Africaines ,Rabal , p, ١٢. Ella's N. saaD :op.cit,p١٤٥.

Hunwlck,J: les relations politiques et culturelles entire le marc et le Mali a travers les ages , ryaume du , Maraoc ,university Mohammed v public tins de l, Institut des etudes ,Africa ines ,Rabal ,p١١.

كان هناك بعض من فقهاء المالكية الذين يقومون بالتدريس من أهل السودان الغربي نفسه وكانوا قلة كما كان هؤلاء من ذوى سند مغربي بِصفة مباشرة أو بصفة غير مباشرة عن طريق التتلمذ علي يد فقهاء من السودان الغربي ينتمون إلى المدرسة المغربية ويدرسون كتبا مغربية[١] .

ومن هؤلاء الفقهاء من السودان الغربي الذين قاموا بالتدريس بجانب الفقهاء المغاربة ومنهم الفقيه كاتب موسى وهو من الفقهاء الذين رحلوا إلي فاس لتعلم العلم في دولة مالي بأمر من السلطان منسا موسي (٢) .

وقد أسهمت الدور العلمية المتعددة في دولة صُنغي في التكوين العلمي للعديد من الأسر العلمية في كافة مجالات المعرفة ، ومن أشهر الأسر العلمية في دولة صنغي الإسلامية وخاصة في مدينة تنبكت أسرة أقيت وأسرة أندغ محمد وأسرة بغيغ.

ومن مصادر التكوين العلمي والثقافي لأسرة أقيت التراث العائلي حيث كان التعليم في عائلة أقيت مسألة عائلية[٣] فقد توارثوا العلم بعضهم عن بعض عن

---

(١) أهم الكتب التي انتشرت في السودان الغربي :"صغري السنوسي في التوحيد ، رجز المغيلي في المنطق ، شرح الخزراجية في العروض للشريف ألسبتي ، مدونة الامام سحنون ، رسالة القيرواني في الفقه ، جامع المعيار للونشريسي ، مختصر خليل ، أنظر أحمد بابا : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص : ٦٠١ ، ٦٠٢ ، السعدي : مصدر سابق ، ص :٣٨، ٤٥ ،٤٩ ، ٢١٨ ، البرتلى : فتح الشكور في أعيان علماء التكرور ، ص : ٣٢ ، ١٣٩.; ELlAs op,cit,,p٨٩ :

(٢)السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٩.

ELlAs N. s. :Idil,p١٢٦.

(٣) Hunwlck ,J : les relations politiques et culturelles,p٢٢.

طريق أبائهم وأعمامهم وإخوتهم[١] . ومن مصادر التكوين العلمي والثقافي لهذه الأسرة حضورهم حلقات الدرس التي كانت تعقد في بلادهم ويعقدها فقهاء مغاربة كالتي أشارت لها كتب المصادر عندما أشارت إلى أن الفقيه عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) أخذ تكوينه العلمي والثقافي في بداية الأمر على يد الفقيه محمد الكابري[٢]، واستكمل بقيه تعليمه عندما كان في مدينة ولاتة حيث كان بحضر حلقات العلم التي كان يعقدها العالم المغربي عبد الله بن أحمد الزموري[٣] الذي أجازه[٤] في كتاب الشفا للقاضي عياض[٥].وكان لجدهم لامهم وخالهم دور في التعليم ، فقد أخذ الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م)[٦] العلم عن طريق جده لامه الفقيه أندغ محمد[٧] الذي وصفه السعدي:" بأنه معدن العلم والفضل والصلاح"وأول من خدم العلم بهذه المدينة

---

(١) سوزى أباظة : عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت ، ص ١٤٨.

(٢) الارواني : السعادة الأبدية ، ص ٧٩، ٨٣.

(٣) هو العالم الفقيه المغربي عبد الله بن أحمد الزموري ، كان شيخا فقيها له شرح على كتاب الشفاء سماه " إيضاح اللبس والخفاء عن ألفاظ الشفاء" ، وكان من رجال العلم المشهورين ، فقد وصل إلى بلاد والاتن المتصلة ببلاد السودان وأقرأ أهلها ، ولقي هناك فقهاء فأثنى عليهم في العلم ثم رجع ، وكان حيا في عام" ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م"، أنظر أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٢٣٤، ٢٣٥.

(٤) الاجازة :" الإجازة في الأصل من مصطلحات المحدثين يعدونها في الدرجة الثالثة من أنواع الرواية ، ويأتي قبلها : السماع أي سماع لفظ الشيخ من حفظه أو كتابه ، والعرض أى قراءة الطالب على الشيخ وعرضه الحديث علية كما يعرض القرآن على المقرئ ، والإجازة عندهم : أن يقول المحدث لغيرة أجزت لك أن تروي عنى كتابي أو هذا الكتاب الذي حدثني به فلان ، ويبين سنده ، دون سماع ولا عرض ، أنظر محمد حجي : مرجع سابق ، ص١٠١.

(٥) الولاتى : مصدر سابق ، ص ١٧٧، سوزى أباظة : عائلة أقيت ، ص ١٤٩.

(٦)أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ١٣٧، ١٣٨.

(٧) هو :"أبو عبد الله أندغ محمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح " انظر، السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٨.

من أجداد أحمد بابا[١] . كما أخذ العلم عن خاله الفقيه مختار النحوي المتوفى عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)[٢] الذي أخذ العلم منه أيضا بقية أولاد أخته من آل أقيت ، وهم عبد الله ومحمود بن محمد أقيت وقام آل أندغ محمد بتوجيه أولاد أختهم إلى الدراسات الإسلامية ، وكانوا متمسكين بالدين ومتحمسين له ومثقفين وزاهدين ، وهى صفات جعلتهم يوفرون جوا من العلم والورع عاش فيه أولاد أختهم من آل أقيت .

وكان من علماء الفقه المالكي الفقيه أحمد بن سعيد (٩٣١-٩٧٦هـ / ١٥٢٤-١٥٦٨م). وهو حفيد الفقيه محمود بن عمر من جهة الأم تتلمذ على جده لامه محمود بن عمر أقيت ، وخاصة في دراسة الرسالة ومختصر خليل[٣] .

وقد أخذ الفقيه القاضي محمود بن عمر المتوفى عام (٩٥٥هـ/ ١٥٣٥م) العلم عن أخوه الفقيه القاضي أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) الذي أخذه عنه أولاده الثلاثة ، وهم محمد بن محمود أقيت (٩٠٩-٩٧٣هـ /١٥٠٣-١٥٦٥م)[٤]،والعاقب بن محمود (٩١٣-٩٩١هـ/ ١٥٠٧-١٥٨٣م) وعمر بن محمود المتوفى عام (١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م)[٥] .

أما القاضي العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ / ١٥٨٤م) فقد كان تكوينه العلمي على يد أبيه وعمه[٦] ، كما كان التكوين العلمي

---

(١)المصدر السابق والصفحة .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٧، ٢٨.

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٤) أحمد بابا : نيل الابتهاج : ص٣٤٠، السعدي : تاريخ السودان ، ص ٩١.

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٤.

(٦) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٣٥٣، ٣٥٤.

للفقيه محمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام ٩٩١هـ/١٥٤٨م) على يد عمه محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م)[1].

كما أسهم في التكوين العلمي للفقيه عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن الفقيه محمود بن عمر المتوفى عام (١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م) ابن عمه الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت[2]

وقد بدأ الفقيه محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب ابن الفقيه مختار (٩٨١-١٠١٤هـ/ ١٥٧٣- ١٦٠٥م) حياته العلمية في تنبكت ، حيث تتلمذ على أيدي أعلام أفذاذ لهم دور كبير في تنشيط الحركة التعليمية بتنبكت أمثال محمد محمود بغيغ الونكري الذي لازمه وأخذ عنه علوم النحو والفقه وعلم الكلام حتى أتقنها وأجازه فيها إجازة علمية تنم عن ثقته به وتضلعه فيما أخذ عنه من علوم[3] ، وهناك أيضا عبد الرحمن الفقيه محمود ، وأحمد بغيا ، ومحمد بن محمد كُرِيْ ، وسيدي بن عبد المولى أجلالي وغيرهم من أعلام تنبكت الذين أخذ عنهم محمد بابا علوما مختلفة في مجالات متعددة ، وقد أجازه معظم هؤلاء العلماء[4] ، هذا وقد بلغ محمد بابا درجة عالية من التمكّن في العلوم وبخاصة اللغوية التي برز فيها ، بمؤسسات تنبكت العلمية ، وأصبحت له شهرة كبيرة في هذا المجال

أما أحمد بابا التنبكتي (١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م) فقد تعددت مصادر تكوينه العلمي والثقافي ، إذ أخذ تعليمه الأول على يد والده الحاج أحمد بن أحمد بن عمر بن

---

(١)المصدر السابق ، ص ، الاروانى : مصدر سابق ، ص '

(٢) الولاتى : مصدر سابق ، ص ١٧٥.

(٣)السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥٤.

ELlAs N .:op,cit,p٧٠.

(٤) السعدي : مصدر سابق، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، البرتلى : فتح الشكور ، ص ٢٧ ، ٢٨.

محمد أقيت (٩٢٩ـ٩٩١هـ/ ١٥٢٢ـ١٥٨٣م) الذي قال عنه: " وحضرت أنا عليه أشياء عدة ، وأجازني جميع ما يجوز له وعنه ، كتب لي بخطه ، وسمعت بقراءته الصحيحين والموطأ ، والشفاء "[1] ، ثم استكمل تعليمه على يد عمه الفقيه أبى بكر بن أقيت[2]،ثم حضر دروس الشيخ أحمد بن سعيد(٩٣١ـ٩٧٦هـ/ ١٥٢٤ـ١٥٦٨م) سبط الفقيه محمود بن عمر الذي تم تكوينه العلمي على يد جده لامه محمود بن عمر أقيت فقد أخذ عنه الرسالة ومختصر خليل[3] ، ثم أكمل أحمد بابا تكوينه العلمي على يد أستاذه الفقيه محمد بن محمود بن أبى بكر المعروف بغيغ(٩٣٣ـ ١٠٠٢هـ/ ١٥٨٥ـ١٥٩٣م)[4].

وكذلك أتاحت لهؤلاء العلماء الرحلة العلمية إلى الشرق وأداء فريضة الحج رافداً أخر لزيادة تكوينهم العلمي والثقافي ، ففي هذه الرحلات كانت تتاح لهم فرصة مقابلة فقهاء المذهب المالكي وكذلك حضور دروسهم وكانوا يمنحونهم إجازات علمية تؤهلهم للتدريس والرواية عنهم ساعد على ذلك طول مدة الرحلة .

ويتضح هذا حين خرج أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) لأداء فريضة الحج في عام(٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) فقد لقي بعض أعلام الفكر في مصر وعلى رأسهم أولئك الإمام جلال الدين السيوطي وخالد الأزهري (الوقاد)[5]. كما كان هو الحال مع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد

---

(١) أحمد بابا مصدر سابق ، ص ١٤٢.

(٢)المصدر السابق ، ص ١٥١.

٥-المصدر السابق ، ص ١٤٣، السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٣.

(٤) أحمد بابا: مصدر سابق ، ص ٦٠٢.

(٥) خالد الازهرى هو : " خالد بن عبد الله بن أبى بكر الجرجانى المتوفى عام " ٩٠٥هـ/ ١٤٩٨م" وهو من علماء النحو ، للمزيد أنظر السخاوى : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١، ٢٠٠٣م ، جـ٣، ص ١٥٣ ، ١٥٤.

أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ/ ١٥٨٤م) الذي أجازه بعض فقهاء المالكية أثناء إقامته في مصر في رحلة حجه ، وقد لقي جماعة منهم ناصر اللقاني المتوفى عام (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م)[١] والشريف يوسف الارميوني تلميذ السيوطي ، وجمال الدين بن الشيخ زكريا والشيخ التاجوري والاجهوري وأجازه بعضهم[٢] في مكة المكرمة منهم الإمام العالم أبو اليمن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المصري مولدا المكي منزلا عام(٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م) .[٣] كذلك التقى أحمد بن أحمد أقيت أثناء قيامه برحلة الحج بالعالم بركات الحطاب[٤] وعبد المعطى السخاوى[٥] وعبد السلام الأسمر الزليطنى المتوفى عام (٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م)[٦] و إجازه بعضهم[٧] .

---

(١) ناصر اللقانى (٨٧٣ـ٩٥٨هـ/ ١٤٦٨ـ١٥٥١م) من أشهر رجال العلم والفتيا في مصر ، جلس لإقراء العلوم المختلفة وقد قرأ الفقه في نحو ستين سنة ، كما كان يستفتى من جميع الأقاليم ، وكانت له مؤلفات عديدة منها ما كتبة على نسخة التوضيح وتقييد على المحلى شارح السبكى ، وله شرح على خطبة المختصر ، أنظر : أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٩٠ ، ٥٨٩١.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٤١ ، ١٤٢. ELIAs N .sAAd:op,cit,p ٦٩.

(٣) حسن الصادقى : جوانب عن التواصل الثقافي شمال جنوب ، بحث ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ، ط١٩٩٩،١م، ٢٦٨.

(٤) هو : " بركات بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المكي ، المتوفى بعد عام "٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م" في سن كبيرة ، ومن مؤلفاته : شرح على خليل ، أنظر محمد مخلوف : شجرة النور الزكية ، ص٢٧٩.

(٥) هو : " أبو محمد عبد المعطى بن أحمد بن محمد السخاوى المدني المتوفى عام " ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م" ، من بيت علم وفضل ، له تأليف منها تفسير القرآن الكريم ، وتاريخ المدينة وشرح الشامل ، للمزيد أنظر : المصدر السابق ، ص ٢٧٢.

(٦) هو :" عبد السلام الأسمر الفيتورى بن سليم بن محمد بن حميد بن عمران بن محى بن سليمان السعيدى المغربي المخزومى القرشى المتوفى عام "٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م" كان من أكابر الاولياء وكان من أجل مشايخ الطريقة العروسية، تعلم وقرأ العلوم على يد الشيخ عبد الرحمن الوسلاتى والشيخ زروق ، ثم توجه إلى الشيخ الدكالى وأخذ عنه التصوف والطريقة العروسية ، أنظر أحمد النائب الانصارى : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، منشورات مكتبة الفرجانى ، طرابلس ، ليبيا ، جـ١ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٣.

(٧) البرمونى كريم الدين : مناقب الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتورى ، مخطوط ، مركز جهاد الليبين

كما تذكر لنا كتب المصادر الفقيه محمود أقيت(٨٦٨ـ٩٥٥هـ / ١٤٦٣ـ١٥٤٨م) الذي قام برحلة حج عام (٩١٥هـ/١٥٠٩م) ، ولقي في رحلة حجه جماعة من مشاهير علماء المشرق ، أمثال إبراهيم المقدسي والشيخ زكريا والقلقشندى ، واللقانيين الذين يعدان من أعلام المالكية في مصر وغيرهم من علماء مصر[١] .

أما الفقيه بغيغ (٩٣٠ـ١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣ـ ١٥٩٣م)[٢] وكان قد بدأ دراسته في موطنه على يد الفقيه أحمد بن أحمد والد الفقيه أحمد بابا ، وزاد من تكوينه العلمي والثقافي أثناء رحلة حجه مع أخيه وخاله ، حيث لقوا في طريقهم إلى الحجاز بعض أعلام المذهب المالكي أمثال الناصر اللقانى و التاجورى والشريف يوسف الارميونى والإمام محمد البكري وغيرهم[٣]

وهكذا كانوا هؤلاء الفقهاء هم أبرز طلاب الفقه المالكي في مدينة تنبكت ، حيث كان تكوينهم العلمي والثقافي لا يقل عن المستوى الذي كان سائدا في معاهد التعليم الإسلامي المنتشرة في العالم الإسلامي آنذاك وذلك بفضل توافدهم علي مصر والحجاز في أثناء رحلة حجهم .

كما عرفت مدينة جني العديد من فقهاء المالكية فيذكر لنا السعدي عددا ضخما من الفقهاء الذين كانوا في هذه المدينة عندما أسلم ملكها كنبر[٤] ولكنه لم

للدراسات التاريخية ، طرابلس ، رقم ٨٢١.

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٦٠٧ ، ٦٠٨، السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، ٣٩.

(٢)أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٠ .السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٣.

(٣) ٠-المصدر سابق ، ص ٤٥ ، ٤٦. .ELlAs N .sA[illegible]d: op,cit,p٦٩.

(٤) يذكر السعدي أنه عندما أسلم سلطان جني كان بها ٤٢٠٠ عالما، وقد يظن [illegible]ن في العدد مبالغة ولكن قوله -السعدي- ليس بغريب إذ إن جني بها سبعة آلاف وسبع وسبعون قر[illegible] متلاصقة، وعليه ففي كل قريتين عالم واحد وهذا أمر محتمل نفس المصدر : ص ١٤٢.

يسجل لنا بعض أسماء هؤلاء الفقهاء ولعل السبب في ذلك هو الفارق الزمني بين عصره وعصر هؤلاء الفقهاء ، لأنه عاش في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، وعاش هؤلاء قبله بحوالي خمسة قرون أما عندما أصبح الزمن قريبا من زمنه قدم لنا كثيرا من المعلومات وأسماء العلماء الذين كانوا في مدينة جني منذ منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي . والذين وكما يتضح من خلال كتب التراجم أنهم نهلوا العلم والفقه في موطنهم في بلاد السودان الغربي .

من هؤلاء الفقيه مورمغ كنكى[١] وهو من الفقهاء الوافدين على جني من كابرا وهى من المناطق المجاورة لها بعد أن تلقى تعليمه فيها ، وكان ذلك في منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[٢] .وكذلك الفقيه محمد سانوا الونكرى[٣]، وكان فقيها وعابدا صالحا ، قدم إلى مدينة جني في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي من قرية تسمى طورا بالقرب من جني وكان تعليمه بها[٤] . كما كان الفقيه محمود بغيغ والد العالمين الفقيه محمد بغيغ والفقيه أحمد بغيغ والذي جاء من ونكرى بعد أن تلقى تعليمه بها ، ثم جاء إلى مدينة جني وتولى القضاء بها عام (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م)[٥] .

وقد أغني هؤلاء الفقهاء الذين ذكرناهم الحياة العلمية في دولتي مالي وُصنغى و سمح هذا التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي القيام بدور هام في المجال التعليمي في تلك البلاد .

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ١٢.

(٢) المصدر السابق ، ٨٤.

(٣) نسبة إلى ونكر في منطقة وانغارا ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١٦.

(٤) المصدر السابق والصفحة .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٩.

٢ ـ الدور التعليمي لفقهاء المالكية :

كان لفقهاء المالكية أثر واضح في التعليم والتدريس ، فقد قاموا بتدريس عدد من العلوم المختلفة سواء كانت العلوم الشرعية (١) أو علوم اللغة العربية وقد ظهر عدد كبير من هؤلاء الفقهاء المعلمين الذين ذاعت شهرتهم في دولتي مالي و صنغى وخاصة في مدينة تنبكت أو خارجها . وكان لهؤلاء الفقهاء دور كبير في مراحل التعليم المختلفة ،وكانوا في ذلك يعتمدون أساسا على أمهات الكتب والشروح . كما كان على الواحد منهم أن يحيط بكل جزئيات الموضوع الذي يقوم بدراسته وفقا للأسلوب التعليمي المتبع في كل مرحلة من مراحل التعليم(٢) .

ففي مالي وبخاصة في عهد منسا موسى الذي يعد عهده فتحا مبينا في مجال العلم والتعليم في تنبكت إذ شهدت دولته نشاطا علميا ، وازدهرت الثقافة الإسلامية واللغة العربية في عهده وخاصة بعد رجوعه من أداء فريضة الحج عام(٧٢٤هـ / ١٣٢٤ م)(٣) فقد قام بشراء الكثير من أمهات الكتب الفقهية والعلمية المتنوعة في الحجاز والقاهرة والتي أصبحت تدرس في أنحاء دولته وذلك ليمكّن الحركة العلمية والثقافة العربية الإسلامية من تحقيق أهدافها .

كما كان منسا سليمان مهتماً كذلك بالحركة العلمية وعمل علي ازدهارها وشهد علي ذلك ابن بطوطة الذي زار بلاد السودان الغربي عام٧٥٢هـ / ١٣٥٢م والتقي بعدد من فقهاء المالكية ولكنه لم يذكر لنا من عمل منهم في مجال التعليم ولكنه ذكر مدي

---

(١) وتتمثل في التفسير والقراءات ، والحديث وعلومه ، والفقه ، والسيرة النبوية .

(٢) محمد الغربي : مرجع سابق ، ص ٥٤٩.

ELlAs N: op,c .p٧٧.

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٣٣، السعدي : مصدر سابق ٦، ٧ ،أبوبكر سماعيل ميقا: تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، ١٤ ١ هـ،الرياض ، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

اهتمام أهل السودان الغربي بالتعليم وبخاصة القرآن الكريم لأنه أساس التعليم الاسلامي .

وعلي أية حال ليس لدينا معلومات حول الدور التعليمي لفقهاء المالكية السودانيين في زمن دولة مالي ، والراجح إن التعليم في هذه الفترة اعتمد علي الفقهاء المغاربة المقيمين في مدن تلك البلاد .

أما في دولة صنغي فقد ذكرت لنا كتب المصادر عدد كبير من فقهاء المالكية الذين كان لهم دور كبير في مجال التعليم وخاصة في مجال العلوم الشرعية .من بين هؤلاء الفقهاء الذين قاموا بدور في تعليم طلاب السودان الغربي العلوم الشرعية وبخاصة الفقه المالكي الفقيه القاضي محمود بن عمر (٨٦٨ـ٩٥٥هـ / ١٤٦٣ـ١٥٤٨م) قاضي تنبكت الذي اشتهر بنشاطه العلمي وكثرة طلابه ومنهم أولاده الثلاثة الذين تولوا منصب القضاء منهم ابنه محمد والذي كان يدرس البيان والمنطق[1]. وكان القاضي محمود يقرئ المدونة والرسالة ومختصر خليل[2] ، وهو الذي أدخل ونشر كتاب (مختصر خليل) في الفقه المالكي على نطاق واسع في تنبكت وغيرها من مدن السودان الغربي[3] . وعلى أيدي هذا الفقيه تخرج العديد من العلماء المشاهير منهم الفقيه محمد بن محمود بغيغ ، والفقيه أحمد بن محمد والد أحمد بابا التنبكتي ، والفقيه أحمد بن سعيد[4] الذي تميز هذا الفقيه بتدريس العلوم الدينية ، كالتفسير بالإضافة إلي الفقه على المذهب المالكي[5] .

---

(١)المرجع السابق : ص ٤٠.

(٢) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص١٣١.

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٧، ٦٠٨.

(٤) المصدر سابق ، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٥) محمود كعت : مصدر سابق، ص ٥٢ ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص : ٦٠٧ ، ٦٠٨.

كما اشتهر الفقيه مؤدب محمد الكابري بكثرة الطلاب الوافدين إليه من المناطق المجاورة لتنبكت ، وبخاصة من كابرا (ميناء تنبكت الذي يقع على نهر النيجر) موطن هذا العالم "الكابري" ، هذا ويذكر بأن جماعات من بلاد المغرب درست على هذا الفقيه في مسجد سنكرى[١] .

كما كان الحاج أحمد بن عمر المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) يداوم على قراءة الشفا للقاضي عياض ويقوم بتدريس مدونة الإمام سحنون[٢]. كما اشتهر الفقيه أحمد بن سعيد سبط محمود بن عمر (٩٣١-٩٧٦هـ/ ١٥٢٤-١٥٦٨م) بأنه كان عالما بالفقه ، فكان يقرأ في دروسه كتاب الموطأ والمدونة وكذلك مختصر خليل وغيرها من الكتب الفقهية[٣] .

ومن الفقهاء المتخصصين في مجال العلوم الشرعية الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن محمود التنبكتي الذي اشتهر بكثرة من عنده من الطلبة ، كما عرف بقوة مستواه العلمي في العلوم الدينية ، و بخاصة الفقه الذي تضلع فيه ، مما أدّى إلى احتشاد الناس حوله للاستماع إليه والأخذ عنه[٤] .

أما الفقيه مسر بوب الزغرانى الذي كان من أصدقاء الفقيه محمود بن عمر أقيت فقد اشتهر بالعلم والفضل والخير والصلاح على الرغم من أنه ينحدر من قبيلة زغران التي يصفها السعدي " بأنها لا تعرف بالصلاح ولا بحسن الإسلام "[٥] ، وكان هذا الفقية من أهل الثقة العلمية عند أسرة أقيت ، والدليل على ذلك أن الفقيه

---

(١) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢٧ ، ٤٧ ، ٤٨.

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧.

(٣)المصدر السابق : ص ١٤٢، ١٤٣.

(٤) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص ١٣١ .

(٥) المصدر السابق : ص ٥١.

عبد الرحمن بن الفقيه محمود بن عمر أقيت تتلمذ عليه في أول الأمر حتى أنه أصبح يحترم كل زغرانى[(١)].

وكان الفقيه عبد الرحمن بن عمر بن أحمد من الفقهاء المتخصصين في تدريس كتاب التهذيب في الفقه المالكي للبرادعى[(٢)]، كما كان الحاج أحمد بن عمر المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) يداوم علي قراءة الشفا للقاضي عياض وكذلك على تدريس كتاب مدونة الإمام سحنون في الفقه المالكي[(٣)].

وكذلك كان الفقيه أبو العباس أحمد برى بن أحمد بن أندغ محمد والذي تخرج على يديه جماعة كثيرة من شيوخ العلم المتأخرين من أهل سنكرى[(٤)]، وكذلك كان أبو عبد الله محمد بن أندغ محمد بن الفقيه مختار النحوي الذي كان مثل والده مادحا لرسول الله ﷺ وكان من الفقهاء الذين تخصصوا في سرد كتاب الشفا في مسجد سنكرى حتى وفاته[(٥)].

وقد برع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م) في الأدب والفقه والحديث، وكانت عادته أن يجلس في المسجد لتدريس صحيح البخاري في رجب وشعبان ورمضان، واستمر على هذه العادة لمدة خمس وعشرين سنة. وعندما مات كان يدرس صحيح مسلم. وكان شيخا لكثير من فقهاء تنبكت البارزين، ومنهم أحمد ومحمد بغيغ وعبد الله وعبد الرحمن بن محمود أقيت وابنه أحمد بابا[(٦)].

---

(١) المصدر السابق : ص ٥٢، ELIAs N .sAAd:op,cit,p٨٥.

(٢) المصدر السابق : ص ٢٦، ٥٩.

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق ، ص ٢٩.

(٥) المصدر السابق والصفحة .

(٦) المصدر السابق : ص ١٤٢.

كما كان الفقيه القاضي عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م) من الفقهاء الذين برعوا في علم الحديث والسير والتاريخ وأيام الناس وبلغ الغاية القصوى في الفقه[١] حتى قال عنه بعض من عاصروه من الشيوخ : " إنه لو كان موجودا زمن ابن عبد السلام بتونس لا ستحق أن يكون مفتيا فيها "[٢] . وهذا دليل على علو كعب فقهاء المالكية في السودان الغربي حيث كانوا لا يقلون في مستواهم الفكري عن فقهاء المغرب .

واجتهد الفقيه أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٦٢ـ١٠٣٦هـ / ١٥٥٥ـ ١٦٢٧م) في بداية أمره في خدمة العلم حتى فاق جميع معاصريه، وكان لا يناظره في العلم إلا أشياخه الذين شهدوا له بالعلم[٣] وقد استفاد طلبة وعلماء المغرب من فترة وجوده بينهم عندما جاء أسيراً إلى مراكش في المحنة المشهورة ، فقد جلس بجامع الشرفاء بمراكش للتدريس ، وازدحم عليه الخلق وأعيان الطلبة بل تتلمذ عليه قضاة مراكش[٤] .

وقد ظهر في بلاد السودان الغربي أيضاً عدد من الفقهاء الذين تخصصوا في تدريس علوم اللغة العربية ، نذكر منهم الفقيه المختار النحوي المتوفى حوالي عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) والذي أشتهر بلقب النحوي لتضلعه في هذا الفن بجانب علمه بكل فن من فنون العلوم الإسلامية[٥] .

---

(١) – السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) Hunwlck,J: les relations politiques et culturelles entre le Marco et le Mali atravers les ages ,p٣٠.

(٤) محمد مخلوف : شجرة النور ، ص ٢٩٨.

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٨.

وكان للفقيه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت(٨٦٦ـ ٩٢٩هـ/ ١٤٦١ـ١٥٢٢م) دور تعليمي واضح خاصة أن كان ضليعا في النحو والفقه واللغة وكان يقوم بتدريسهم في مدينة تنبكت ومدينة ولاته[1] .

كما كان الفقيه أحمد بن عمر المتوفى (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) هو جد أحمد بابا وعرف بالحاج أحمد مشهوراً في علوم اللغة العربية وآدابها ، وقد أشتغل بالعلم والتدريس طوال حياته.وعن علمه يقول حفيده أحمد بابا "... أنه كان فقيها لغويا نحويا عروضيا محصلا بارعا حافظا معتنيا بتحصيل العلم ونسخ كتبه و كتب بخطه عدة دواوين كثيرة ..."[2] .

كما كان الفقيه محمد بابا التنبكتي(٩٨١ـ١٠١٤هـ/ ١٥٧٣ـ ١٦٠٥م) من الفقهاء المتضلعين في علوم اللغة العربية وله نصيب كبير فيها . يقول عنه عبد الرحمن السعدي : "كان مشاركا في الفنون ، وله فيها محاولة جيدة ... برع في الدين ودرس وألّف "[3] . ويقول عنه في موضع آخر أنه : "... كان مجتهدا صاحب تخصصات متعددة نحوي تصريفي لغوي.. وكان من علماء تنبكت البارزين..."[4].

كما ظهر عدد من فقهاء المالكية الذين تخصصوا في تدريس أكثر من علم من علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية فنجد الفقيه العالم الموسوعي أبا حفص عمر بن الحاج أحمد المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) الذي كان عالماً نحوياً بجانب اشتغاله بعلم الفقه وهو عالم نحوى من الفقهاء الذين كانوا يسردون كتاب الشفا في رمضان

(١) المصدر سابق ، ص ٣٧.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص١٣٧ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢١٧ ، البرتلي : مصدر سابق ، ص ٢٧.

(٤) البرتلي ، ص : ٥٥ ، ٥٦ .

، وهو من الفقهاء الذين عم نفعهم لأنه دخل كانو وغيرها من المراكز الثقافية وقام بمهمة التدريس في معاهدها[1].

كما قام بالتدريس أبو بكر بن عمر بن أحمد بن محمد أقيت التنبكتي (٩٣٢-٩٩١هـ/ ١٥٢٥-١٥٨٣م)الذي كان أحد أشهر من قام بالتدريس في مدينة تنبكت ، خاصة في مجال العلوم اللغوية (النحو والصرف والعروض) . وكان أبو بكر بن عمر بن أقيت تعلم في تنبكت وتخرج من مؤسساتها التعليمية ، مما يعكس لنا بجلاء واضح مدى ما وصل إليه مستوى التعليم الإسلامي في تنبكت ، وتخرج على يد هذا الفقيه العديد من الفقهاء الأفذاذ أشهرهم العلامة أحمد بابا التنبكتي[2]. كما كان ينفق على تلاميذه المحتاجين لاسيما الأيتام[3].

ومن الفقهاء الموسوعيين الفقيه محمد بغيغ (٩٢٠-١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣-١٥٩٣م) وهو من أشهر شيوخ أحمد بابا وتلميذ لوالده ، وكان الفقيه محمد بغيغ من العلماء المتعددي التخصص ، والعاملين الناصحين للناس بمحبة العلم وملازمة التعليم كل العمر ، ويبذل الكتب النفيسة لمن يرغب فيها دون السؤال عن إرجاعها له ودون التحقق من شخصية المستعير. وكان أيضا مثار عجب معاصريه في الصبر على إيصال الفائدة للبليد من التلاميذ بلا كلل أو ملل أو ضجر ، ويدل برنامجه الدراسي اليومي ، والكتب التي درسها أحمد بابا على يديه تدل على طاقة فائقة في حقل التعليم "[4] .
كما قام بتدريس أكثر من علم الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت(٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م)الذي برع في الأدب والفقه والحديث[5].

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٧.
(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٥١ .
(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٢، أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٣٨.
(٤) المصدر سابق ، ص ٦٠١.
(٥) نفس المصدر : ص ١٤٢.

ومن هؤلاء الفقهاء الموسوعيين النابغين الفقيه أحمد بن أندغ محمد بن محمود بن الفقيه أندغ محمد الكبير والذي كان من أذكياء العلماء ، وله معرفة بفنون شتى من المعارف الإسلامية العربية ، منها معرفته بالفقه والنحو والشعر وغيرها من الفنون[1].

كما قام فقهاء المالكية بالتدريس في مدينة جني منهم الفقيه مورمغ كنكى الذي جاء في منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وهو من العلماء الفقهاء ، وفور حلوله بهذه المدينة تقاطر عليه الطلبة للإفادة منه[2] وكان نشطا في أداء رسالة العلم ، يخرج من داره في منتصف الليل إلى مكان إلقاء دروسه في المسجد الجامع بجني ، ويجلس الطلبة حوله يتلقون الدروس حتى إقامة صلاة الصبح ، ثم يعودون إليه بعد الصلاة فيستمر معهم إلى وقت الزوال ، ثم يعود إلى داره لأخذ قسط من الراحة ليعود لحلقة الدروس بعد صلاة الظهر ، ويجلس إلى طلبته حتى صلاة العصر وكان مواظبا على هذه الحال في المسجد الجامع[3] .

وبالإضافة إلي مساجد العلم هذه كانت بيوتات هؤلاء الفقهاء العلماء تشكل مكانا مهما لتلقي العلم أيضاً ، حيث خصص بعض العلماء أوقاتاً خاصة لطلابهم الذين يجتمعون عندهم للدراسة . ولذلك عُدت دور العلماء من المؤسسات العلمية التي أسهمت في تنشيط الحركة العلمية ، وتثقيف أهل العلم وطلابه فحظيت تلك الدور بذلك باحترام وتقدير طلاب العلم خاصة أنها قامت بدور هام في نشر العلم وتيسير سبله لطلابه [4] .

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٣٠.

(٢) المصدر السابق : ص ١٦.

(٣) المصدر السابق : والصفحة .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٥.

وهكذا كان دور هؤلاء الفقهاء الذين كرسوا حياتهم في التعليم وتربية الأجيال دون كلل أو ملل ، كما كان لهؤلاء الفقهاء مكتبات علمية أسهمت في دعم دورهم التعليمي في بلاد السودان الغربي .

المكتبات العلمية لفقهاء المالكية بالسودان الغربي :

كان الكتاب في العالم الإسلامي شعلة وضاءة ونبراسا من نور ، اعتمد عليها العلماء والطلبة في كل مكان لتلبية رغباتهم العلمية . ومع انتشار الإسلام واللغة العربية في أرجاء السودان الغربي ، وأصبحت حاجة طلاب العلم إلى الكتاب أكثر إلحاحا من أية فترة أخرى . ولتلبية هذه الحاجة الماسة كان من الضروري توفير الكتب التي هي عماد الثقافة والمعرفة ، والتي كثر توافرها وترتب على كثرة الكتب ضرورة وجود مستودعات لها ، وهي المكتبات . ويشير بول مارتي إلى كثرة الكتب في تنبكت في قوله : " مع أن الطباعة لم تصل إلى تنبكت بعد إلا أن الكتب لم تنقص ، لأن تجار بلاد المغرب كانوا ينقلون المخطوطات إلى السودان ، و كانت تباع أكثر من أية بضاعة أخرى "[1] . فاعتنى علماء ومثقفو السودان الغربي وحكامها باستنساخ المخطوطات بأيديهم ، وإنشاء خزائن ومكتبات خاصة امتلأت بكل أنواع المخطوطات المجلوبة من بلاد المغرب والمشرق ، و قامت بدور كبير في تفعيل الحركة العلمية وتسهيل البحث والتحصيل العلمي للطلبة .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد ذلك الدور الكبير الذي قام به السلطان منسا موسى الذي انتهز فرصة وجوده في كل من القاهرة والأراضي المقدسة،لاقتناء الكتب القيمة ، وتوفيرها لأهل مملكته[2] وسار علي نهجه منسا سليمان .

---

(١) paul marty: et e sur L,islam au soudan op,cit,,p٨٧. ELIAs N. s : op,cit,,p١٢٦

(٢) المقريزي : مصدر سابق ، ص١٤٣ ، ابن بطوطة : مصدر سابق ،ص ٦٧٦. ELIAs N.: op,cit,, ٨٧.

ثم تبعه في ذلك مؤسس أسرة الأساكي في صُنغي أسكيا الحاج محمد الذي يذكر بأنه أهدى مكتبة علمية متكاملة للجامع الكبير في تنبكت[١]. وسار على نهجه أسكيا داوود الذي يعد أول منشئ للمكتبات العلمية العامة ، وإلى ذلك يشير محمود كعت قائلا : "... وهو أول من اتخذ خزائن الكتب ، وله نساخ ينسخون له كتبا ، وربما يهادي بها العلماء "[٢] . وهكذا اهتم مجتمع السودان الغربي بمختلف طبقاته باقتناء الكتب والمخطوطات والعمل على نسخها بدقة وبخاصة النادرة منها لدرجة أن أصبح للوراقين والنساخ مكانة مرموقة ومتميزة في وسط مجتمع السودان الغربي .

ومن أهم مكتبات السودان الغربي في عهد ازدهارها العلمي تلك المكتبات الخاصة التي اقتناها العلماء والحكام وبعض الأثرياء في بيوتهم ، وبخاصة لدى الأسر المعروفة بالعلم والثقافة ، إذ لا نكاد نجد عالما إلا وله مكتبته الخاصة قلّ محتواها أم كثر يفتخر بما تتضمنه من أمهات الكتب. فقد اقتنوا معظم هذه الكتب من التجار الذين كانوا يحرصون على الاتجار في هذه السلعة ، ففي مدينة تنبكت كانت تباع الكثير من الكتب المخطوطة التي تأتى من مصر والمغرب عن طريق القوافل التجارية ، فكانت تأتى الكتب والمؤلفات المغربية والمشرقية[٣] ، ومما كان يجلبه الحجاج من المشرق ، كما كانوا يحصلون على الكتب من الأساكى كهدايا ، فقد كان أسكيا داوود(٩١٣-٩٩١هـ/ ١٥٤٩-١٥٨٢م) هو أول من أتخذ خزائن الكتب ،وكان له ناسخون ينسخون له الكتب التي كان يهادى بها العلماء[٤] والراجح أن

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧ ، ٥٦ ، سيسيكو : تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الرابع ، ص : ١٦٣ ، عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ، ص : ٢٣

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٩٤.

(٣) حسن الوزان : مصدر سابق ، ص ٥٤١، سوزى أباظة ، مرجع سابق ، ص ١٥٥.

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٩٤.

قسما كبيرا من هذه الكتب قد وجهها الباشا محمود قائد حملة السعديين على صُنغي إلى المغرب"[١] .

وتعد مكتبة أحمد بن أحمد بن عمر أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م) من أبرز هذه المكتبات العلمية ، وقد أهتم صاحبها كثيرا بجمع الكتب الثمينة النفيسة وكذلك باستنساخها حتى تكونت لديه مكتبة ضخمة لجأ إليها طلبة العلم للنهل من معينها . وقد عرف مؤسسها بتقديم الخدمة العلمية المتواصلة لطلبة العلم في مجال البحث والدراسة ، ولذلك قيل عنه أنه : "كان وافر الخزانة العلمية سموحا بإعارتها "[٢] ، وكانت مكتبته كبيرة جدا ،فتحها لكل من يرغب في الاستعارة وترك بها حوالي سبعمائة مجلد ورثها ابنه من بعده وزاد عليها[٣] .

أما مكتبة الحاج أحمد بن عمر فهي مكتبة غنية بأمهات الكتب المتداولة والمشهورة في شتى فنون المعرفة ، أسسها الحاج أحمد هذا ولذا سميت مكتبته الخاصة بمكتبة الحاج أحمد . وقد عرف الحاج أحمد بالعلم والاعتناء بطلبته ويذكر بأنه ورث مجموعة كبيرة من مقتنيات مكتبته عن جده لامه الفقيه أندغ محمد و خاله الفقيه مختار النحوي[٤] ، كما قام بنسخ كتبه وكتب بخطه عدة دواوين وعددا من الكتب[٥] .

كما تعد مكتبة محمد بغيغ الونكري من أعظم المكتبات العلمية الخاصة في تنبكت[٦] ، وقد جمع فيها صاحبها هذامعظم أمهات الكتب النفيسة والنادرة التي

---

(١) محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، ص ٥٥٦.

(٢) الولاتى : مصدر سابق ، ٢٩.

(٣)أحمد بابا: مصدر سابق ، ص ١٣.

ELIAs N .: op,cit,p ٧٩.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨.

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٧.

(٦) محمد حجي : الحركة الثقافية في عهد السعديين ، جـ ١ ، ص ١٩٤ .

كانت مشهورة في عصره ، وكان يسمح بإعارة الكتب حبا في نشر العلم وإفادة طلابه[١] .

ومن أشهر مكتبات فقهاء المالكية مكتبة أحمد بابا التنبكتي وهي مكتبة علمية غنية بمئات المجلدات من أمهات الكتب النفيسة ، وقد أولي صاحبها أحمد بابا اهتماما خاصا بالعلوم الشرعية ، وإقبالا عظيما على جمع الكتب والمخطوطات ، فأنشأ بذلك مكتبة علمية عريقة احتوت على مجموعة كبيرة من أنفس المصنفات وأكثرها شيوعا[٢] وهي كتب تعد بالمئات كما أسلفنا وندرك ذلك أيضاً من خلال حديثه عن النكبة والمحنة الشديدتين اللتين أنزلهما القائد محمود زرقون بعلماء تنبكت ، حيث يقول : " أنا أقل عشيرتي كتبا ، وقد نهبت لي ستة عشر مائة مجلد "[٣] .

وهذه المكتبات الخاصة التي ذكرناها هي في الواقع مجرد نماذج لعشرات غيرها ، وقد آثرنا إيراد بعضها نظراً لأهميتها ، وذلك لأن محاولة حصرها تتطلب منا الوقوف على بيت كل عالم من أعلام السودان الغربي ، بل على كل مسجد من المساجد ، وكل مؤسسة من المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت تمتلئ بالكثير من المخطوطات في السودان الغربي .

وكانت تلك الكتب والمكتبات تتوارثها الأجيال جيل من بعد جيل ، مما وفر لديهم مجموعة كبيرة من الكتب التراثية والفقهية مما جعل لديهم رصيد متنوع من التراث الفكري والثقافي ساهم فى دفع الحركة الفكرية والثقافية داخل بلاد السودان

---

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ٦٠٠، ٦٠١ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٥.

(٣) الافرانى :نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي عشر ، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلى ، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٧١ . وانظر : أحمد بابا التنبكتي ، الندوة التي عقدتها الإسسكو بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته بمراكش ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم إيسسكو ، الرباط ،ص ٣٠.

الغربي . وقد أثمرت هذه الحركة في المشاركة في الحياة الفكرية مما أتاح لهم دورا كبيرا في الإنتاج العلمي والثقافي أثروا به المكتبة العربية والإفريقية بالعديد من التآليف المتنوعة .

٣ـ الإنتاج العلمي والثقافي لفقهاء المالكية :

لم يعثر الباحث عن أيه إنتاج علمي لفقهاء المالكية في زمن دولة مالي فكتب التراجم والطبقات لم تشر إلي فقهاء عاشوا زمن دولة مالي وكان لهم إسهام في مجال التأليف في الفقه المالكي . لذلك فأن المعلومات التي توافرت عن الإنتاج العلمي لفقهاء المالكية في السودان الغربي تخص دولة صنغي الإسلامية ، فقد قام الكثير من فقهاء المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي بإثراء الحياة الفكرية وذلك عن طريق مؤلفات وكتابات في شتى المجالات ومختلف المعارف سواء في الفقه أو اللغة أو التراجم أو التاريخ أو التصوف ، وكان لهم بعض الرسائل والتعاليق . وسنتناول بعض الفقهاء البارزين الذين تركوا لنا شيئا من التراث العلمي ، وهم في جملتهم كثيرين ولكن الذين سنعنى بدراستهم ما هم إلا نماذج توافرت بعض المعلومات عنهم ، وعن نشاطهم العلمي وتراثهم الثقافي .

ألف الفقيه أحمد بن عمر المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) قصائد شعرية في مدح الرسول ﷺ، وعنه يقول حفيده أحمد بابا : " ...وكان فقيها نحويا لغويا عروضيا محصلا بارعا حافظا معتنيا بتحصيل العلم ونسخ كتبه و كتب بخطه عدة دواوين وجمع كثير من الفوائد والتأليف ..." وأكبر دليل على ذلك أنه ترك مكتبة بها نحو سبعمائة مجلد[1] . كما كان الفقيه محمود أقيت (٨٦٨ـ٩٥٥هـ/ ١٤٦٣ـ١٥٤٨م) شرحا علي مختصر خليل ، قام بجمعه طلابه عنـ ما كان يدرس

---

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٣٧ .

مختصر خليل وقد كتبوا دروسه عن هذا الشرح في مجلدين وانتشر هذا الشرح في السودان الغربي[١].

أما القاضي محمد أقيت المتوفى عام (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) والذي لم يكن له نظير في عصره في الفهم والدهاء ورجاحة العقل[٢] كان له تعليق على رجز المغيلي في المنطق. والفقيه أحمد بن سعيد (٩٣١-٩٧٦هـ/ ١٥٢٤-١٥٦٨م) الذي كان من فقهاء المطلعين ومن حفاظ القرآن المتقنين كان له استدراكات في الفقه وحاشية على مختصر خليل[٣].

كما كان العلامة الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) إنتاج علمي رائع مكتوب بخط يده، إضافة إلى تلك المكتبة المشار إليها آنفا، ومن مؤلفاته حاشية على شرح التتائي على مختصر خليل بين فيها مواضع السهو منه. وله تعليقات على صغرى السنوسي في العقيدة، وشرح على منظومة القرطبي التي اشتهرت بالقرطبية، وشرح تخميسات الفزازية في مدح الرسولﷺ، كما كان له شرح جامع حسن على منظومة المغيلي في المنطق في كتاب سماه " مناخ الأحباب من منح الوهاب "وكانت له مباحث في هذا الكتاب[٤]، وشرح جمل الخونجي[٥]، وكما يقول ابنه أنه كتب الكثير من الحواشي علي كتب عديدة في

---

(١) الاروانى : مصدر سابق : ص ٩١، ٩٢.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق، ص ٥٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٢، ١٤٣، السعدي : مصدر سابق، ص ٤٣، الاروانى : مصدر سابق، ص ٨٦.

(٤) أحمد بن أحمد بن عمر أقيت :"مناخ الاحباب من منح الوهاب " ضمن مجموعة بالخزانة العامة بالرباط، رقم ٥/ ١٨٩٠.

(٥) محمد مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص٢٨٦، البرتلي : فتح الشكور، ص٣، ٤.

الفقه لكن للأسف لم يصل إلينا شئ منها[١] كما ألف الفقيه صالح بن محمد بن عمر وهو من أهل الفضل والعلم شرحا على مختصر خليل[٢] .

وكان للعلامة اللغوي أحمد أندغ محمد والذي كان موجوداً فى عام (١٠٠١هـ/ ١٥٩٢هـ)[٣]إنتاج علمي عظيم ، يتمثل في مؤلفات وشروح[٤] لم نقف على معظمها . وأهم إنتاجه العلمي شرحه على "الأجرومية" والذي سماه " الفتوح القيّومية في شرح الأجرومية "[٥] ، وهو مؤلف قيم يمتاز بأسلوب علمي موضوعي ممتاز ، كما أنه يتضمن في طياته معلومات مفيدة ، تدل فعلا على طول باعه في العلوم العربية ، وكثرة اطلاعه على دقائق الأمور .

كما كان الفقيه بابكر بير بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٣٢ـ٩٩١هـ/ ١٥٢٥ـ١٥٨٣م.) نموذجا حي للعلماء الذين يقومون بالتدريس وينفق على تلاميذه المحتاجين ، لاسيما الأيتام[٦] ، وكان له كتاب في التصوف أسماه معين الضعفاء في القناعة[٧] .

وأسهم الفقيه أحمد بابا التنبكتي في أغناء المكتبة العربية بمجموعة من الكتب والرسائل العلمية ،وهي تدل على سعة مداركه وتحصيله العلمي ، ومعرفته بكتب

---

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٤١، ١٤٢.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٦.

(٣) الاروانى : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت ، ص ٩٧.

(٤) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٥) مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم : ١٩٢٨ ، ووضع له العالم التنبكتي محمد بن عمر بن أقيت حاشية سماها : " حاشية القيومية على الأجرومية " وهو كذلك مخطوطة محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط ، تحت رقم : ٧٥٣٤ .

(٦) السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٦.

(٧) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٥١.

التراجم والتاريخ والفقه . وقد بلغ مجموع ما ألفه فيما أحصاه الدكتور عبد الحميد الهرامة في مقدمة كتاب نيل الابتهاج ثلاثين كتابا[(١)] ، في علوم مختلفة في التاريخ والتراجم والفقه والعقيدة والحديث والتصوف ، وتستوقفنا في هذا الصدد عناوين بعض هذه الأعمال العلمية التي نذكر منها على سبيل المثال :

المقصد في الشرح على مختصر خليل ، حاشية منن الجليل على مهمات تحرير الشيخ خليل ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، الذي ترجم فيه لعدد هائل من الأعلام المالكية ، فاعتبر بهذا العمل الشخصية العلمية الوحيدة في عصره التي استطاعت أن تسجل أحداثا وأعلاما وعناوين كتب ومناخا أدبيا وفكريا وحضاريا . فعد عمله العلمي هذا رصيدا في غاية الأهمية في مجال التراث العربي الإسلامي[(٢)] ، وقد أكمل أحمد بابا هذا الكتاب أثناء وجوده في مراكش[(٣)] وألف أيضا كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، والنكت الوفية بشرح الألفية ، والتحديث والتأسيس في الاحتجاج بابن إدريس ، واختصار شرح المقدمة الصغرى ، وجلبُ النعمةِ ودفع النقمةِ بمُجانبةِ الولاةِ الظَّلَمَةِ ، ومعراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود ، أو الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان وغير ذلك من الكتب[(٤)].

---

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ص١٧ ، ١٨.

(٢) عبد الجليل التميمي، معلمة ببليوغرافية للأعلام المغاربة ، المجلة التاريخية المغربية العدد ٣٣ ، تونس ، ١٩٨٤م ص٤٢.

(٣) cuoq ,j : op .cit,p٢٢.

(٤) منها (النكت المستجادة في مساواتها (الفاعل والمبتدأ) في شرط الإفادة ، ترتيب جامع المعيار للونشريسى ، نيل الأمل في تفضيل النية على العمل ، اللالي السندسية ، مختصر عن المواهب القدسية لمحمد الملالى ، غاية الأمل في تفضيل النية على العمل ، تعليق على مواضع من خليل ومواضع من أبن الحاجب ، مسائل متضمنة فنونا في صورة أسئلة ، فتح المحيى في مسألة حي ، المسك الانم إلى معرفة هلم منور الحالك في شرح بيتي أبن مالك ، المطلب والمآرب في أعظم أسماء الرب ، جزء في تكفير الكبائر بالإعمال الصالحة ،(نشر العبر ، خمائل الزهر ، الدر النضر وهؤلاء الثلاثة كتب في الصلاة على النبي ﷺ) رسائل نثرية مودعة في المكتبة الجزائرية ، فوائد النكاح على مختصر كتاب الوشاح للسيوطي ،

وكان إسهام العلامة محمد بغيغ(٩٣٠-١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣-١٥٩٣م) في التأليف كبيراً، وكان له تعليقات على شرح الخليل في الفقه، وتنبيه ما في شرح التتائي من سهو[1]،أيضا مصنف سماه قرعة الطيور[2] ، كما أن له مؤلفات أخرى في الفقه المالكي ، وفتاوى عديدة لم تصل أغلبها إلينا ، ربما لضياعها بالإعارة أو لتأثرها بعوامل الخراب والاضطرابات السياسية المتعاقبة . وهكذا كان الفقيه محمد بغيغ من الفقهاء الذين لهم دور ثقافي وحيوي عظيم في انتعاش الحركة العلمية ، ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في معظم ربوع السودان الغربي .

كما ألف فقهاء المالكية في مجال التاريخ والتراجم فنجد الفقيه القاضي محمود كعت المتوفى عام (٩٥٢ هـ/ ١٤٩٥م) في تنبكت[3] قد ترك آثارا علمية باقية في مجال الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي ، وقد تخصص القاضي كعت في تاريخ بلاد السودان الغربي حتى عدّ أكبر مؤرخ لها[4].ومن أهم مؤلفاته التي وصلت إلينا كتاب " تاريخ الفتاش في أخبار الملوك والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار" و قام حفيده ابن المختار العلمية بإكمال مؤلفه تاريخ الفتاش بعد وفاته . وقد تناول هذا الحفيد فيه كلا من مملكة غانة وأصول ملوكها، وكذلك مملكة مالي ، ثم دولة صنغى فتحدث عن بداية عهد أسكيا

معراج الصعود ، أشار إليه السلاوي في الاستقصا ، استطراد الظرفاء ، ذكره مؤلف بذل المناصحة وأشار إلى إنه أخفاه إلى أن سافر إلى بلاده ، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، مرآة التعريف بفضل العلم الشريف) ، أنظر أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ١٧، ١٨.

(١) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص : ٦٠٣.

(٢) هذا الكتاب موجود في قسم المخطوطات العربية بمعهد الأبحاث العلمية والإنسانية ، (I . R . S . H).

(٣) أبو بكر إسماعيل :مرجع سابق ، ص : ٢٠٩.

(٤) فاي منصور علي : ص : ٧ ، مرجع سابق .

الحاج محمد ، وأدائه لفريضة الحجّ وأثنى عليه كثيرا ، في حين أنحى باللائمة على سني علي ووصمه بالخارج عن الدين (١) .

وهكذا كان إن هؤلاء الفقهاء الإعلام الذين ذكرنا بعض مؤلفاتهم أغنوا الحياة الفكرية في بلاد السودان الغربي ببعض هذه المؤلفات التي تمثل معظمها في شروح وتعليقات أسهمت في دعم المذهب المالكي الذي كان سائد في تلك البلاد .

الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء مالكية السودان الغربي وفقهاء المالكية في المغرب ومصر والحجاز :

تعد الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي وفقهاء المالكية في كل من المغرب ومصر والحجاز صلات ضاربة الجذور في التاريخ ، وخاصة الصلات المغربية ، ولهذا وصفت الثقافة في السودان الغربي بأنها ثقافة مغربية علي أرض سودانية (٢) . كما ساهمت التأثيرات المصرية والحجازية في رفع شأن فقهاء بالسودان الغربي (٣) من خلال كتب الدراسة والإجازات العلمية

---

(١) كعت: مصدر سابق ، ص ١٥٠، ١٥١، ١٥٢.

(٢) في هذا الموضوع كتب القلقشندى (٧٥٤ـ٨٢١هـ/ ١٣٥٣ـ١٤١٨) " ...وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة ، وهذا دليل على عمق الاتصالات الثقافية بين الجانبيين، أنظر القلقشندى : مصدر سابق ، جـ٥، ص ٢٩٨.

(٣) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٢٤٤، كان أهل الأراضي الحجازية يمتازون بحسن الجوار للغرباء ، فمن مكارمهم ومآثرهم أنه متى صنع أحد أفراد مكة وليمة ، بدا بإطعام الفقراء والمنقطعين والمجاورين في الليالي المباركة ، أنظر حسين مراد : المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين ٥٦٧ـ٦٤٨هـ/ ١١٧١ـ١٢٥٠م، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١٩٩٥م، ص ١٢١، ١٢٣.

والمرسلات ويرجع ذلك إلي أن الأفكار في العالم الإسلامي لا تعترف بالحدود ، كما لا يتعرف هؤلاء العلماء باختلاف الأعراق والجنسيات والألوان[١] .

(أ)الصلات العلمية بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب :

كان الاتصال بين المغرب والسودان الغربي قديما ، حيث تأثرت الأخيرة بالنمط الثقافي المغربي . ومن أبرز هذه الاتصالات العلمية والثقافية رحيل عدد من أبناء السودان الغربي للدراسة في بلاد المغرب ومن أبرز هؤلاء الفقيه كاتب موسى وهو من العلماء الذين رحلوا إلى فاس لطلب العلم بأمر من السلطان منسا موسى[٢] . والفقيه عبد الرحمن التميمي المكي الذي جاء إلى السودان مع منسا موسى أثناء عودته من رحلة حجه ليقوم بالتدريس في تنبكت ، ولما وصل إلى مدينة تنبكت وسكنها وجدها حافلة بالفقهاء والعلماء الذين تفوقوا عليه العلم فأضطر للرحيل إلى فاس ليتفقه هناك [٣].

كما رحل فقهاء المغرب إلي تلك البلاد فقد شاهد ابن بطوطة عدد من فقهاء المالكية المغاربة في بلاد السودان الغربي فألتقي في مدينة ولاته بأحد فقهاء مدينة سلا[٤] ويدعى الفقيه ابن بداء[٥] ، كما التقي ابن بطوطة أيضا بقاضي مدينة ولاته وهو الفقيه المغربي محمد بن عبد الله بن ينومر ، كما التقى بأخيه يحيى وكان فقيها

---

(١) cuoq ,j : op .cit,p٢٧.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧.

(٣) نفس المصدر ، ص ٥١.

(٤) سلا مدينة تقع بالمغرب الأقصى على ساحل المحيط الاطلنطى ، منها إلى مدينة مراكش عشر مراحل و لها نهر كبير في غرب هذا النهر كما أختط عبد المؤمن بن على مدينه سماها المهدية ، ياقوت الحموي: مصدر سابق،ص ٢٣١.

(٥) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٦١.

ومدرسا هناك[١] . كما ألتقي ابن بطوطة بشيخ المغاربة في مدينة تكدة[٢] ويدعى الفقيه إبراهيم بن إسحاق بالإضافة إلى الخطيب محمد ، والمدرس الفقيه أبو حفص المسوفى[٣] والشيخ التلمساني الذي يعلم الناس القرآن الكريم والفقه[٤]، والشيخ المزورى المراكشي الذي قابله ابن بطوطة[٥] ، والمقرئ عبد الواحد بشمعة[٦] والشيخ الموصلي[٧] وسعيد بن على الجزولى[٨]. ولكثرة التواجد المغربي في دولة مالي على هذا النحو وجد ابن بطوطة حي من أحياء العاصمة خاصاً بهم ويدعى محلة البيضان ، ويطلق أهل تلك البلاد على المالكيين من البيض لقب " تورى"[٩] ، وكان كبير المغاربة في العاصمة هو محمد بن الفقيه الجزولى الذي التقى به ابن بطوطة ، كما التقي بصهره الفقيه عبد الواحد و الفقيه الدكالي ، والفقيه محمد بن عبد الله بن بنومر وغيرهم من الفقهاء المغاربة ([١٠]).

وتعمقت الصلات بين البلدين زمن دولة صُنغي مع مجيء الإمام محمد عبد الكريم المغيلي(٧٩٠-٩٠٩هـ/ ١٣٨٨-١٥٠٣م) الذي ارتحل إلى بلاد السودان ودخل

---

(١) نفس المصدر : ص ٦٦١.

(٢) تقع مدينة تكدة على بعد ١٨٠ كيلومتر من أغاديس الحالية إلى الشمال الغربي منها ، المصدر السابق ، ص ٦٧٩.

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٧٩.

(٤) حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٨٢.

(٥) ٠- ابن بطوطة :مصدر سابق ، ص٦٦٥.

(٦) ١- المصدر السابق ، ص٦٦٤.

(٧) ٢- وهو من علماء بجاية أنظر ، الغبريني " العباس أحمد ، ت ٧٠٤هـ/ ١٣٢٦م" عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الوطنية للنشر والتوزيع ، وطبعة المطبعة الثقافية الجزائر ، ١٣٢٨هـ، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٨) ٣- المصدر السابق ، ص ٦٧٧.

(٩) المصدر السابق ، ص ٦٦٤.

(١٠) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧.

بلدة تكدا ووصل إلى مدينة جاو في أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . وأجتمع بسلطانها أسكيا محمد الكبير وتذاكر معه جملة من المسائل الفقهية فألف له تأليفا إجابة فيه عن هذه المسائل ([١]) حيث وجه الاسكيا للعقيدة الصحيحة([٢]) كما عمل مستشارا سياسيا وفقهيا له كما قام الإمام المغيلى بتأليف عشرات الكتب والشروح ([٣]) .

وتأكيدا على الصلات العلمية بين السودان الغربي وبلاد المغرب ما حدث من إرسال رسائل وكتب تعبر عن الاهتمام بما يحدث من أمور مرتبطة بالدين والدنيا بين الفقيه أحمد بابا من جهة وبين فقهاء المغرب من جهة أخرى ، منها مراسلاته وفتواه الشهيرة في مسألة العبيد بعد أن أرسل أهل توات رسائل إلى أحمد بابا التنبكتى حول مجلوب السودان فرد عليهم أحمد بابا بالجواب حول حكم الإسلام في رسالة سماها الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان([٤]).

---

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٧٧.

(٢) أبو بكر إسماعيل : مرجع سابق ،ص ١٧٠.

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٧٧.

(٤) أحمد بابا : معراج الصعود "أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق" ، تحقيق وترجمة فاطمة الحراف، وجون هانويك ، المملكة المغربية ،جامعة محمد الخامس ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط ، ٢٠٠٠م، ص ٥١، ٦٩. وهناك المزيد من الامثلة التى تدل على الاتصال بين السودان الغربي وبلاد المغرب وكذلك علو شأن الفقيه أحمد بابا ومنها أثناء وجوده فى المغرب بعد الغزو السعدى ومنها من ذهب للحصول على الإجازة العلمية ، وتحضرنا هناك أربعة نماذج من هذه الإجازات أجازة أحمد بابا التنبكتيالذي قام بأجازة في عام١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م أبى الفضل محمد بن عبد الله بن سعيد بنعبد المنعم الحاحى (٤) ، وكذلك إجازته في عام (١٠١٠هـ/ ١٦٠١م) إلى أبى زيد بن الوقاد عبد الرحمن التلمسانى (٤).كما قام أحمد بابا التنبكتى بإجازة تلميذه أحمد بن محمد فهدى التواتى ثم المراكشي وكذلك قام بإيجازه الفقيه عبد الرحمن التمنرتى في عام (١٠٣٥هـ/ ١٦٢٦م) وكانت هذه الإجازة بالمراسلة والفقيه أحمد المقري التلمسانى المتوفى عام (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) الذي منحه (إجازتان).وتأكيدا على الصلات العلمية بين السودان الغربي وبلاد المغرب ما حدث من رسائل وكتب تعبر عن الاهتمام بما يحدث من أمور مرتبطة

كما أفتى أحمد بابا بفتوى حول أعراف جزولة و هي عبارة عن أمور تتعلق بالإحكام العرفية التي كانت سائدة في تلك الجبال المغربية ناحية السوس الأقصى(١) . وما ذكرناه لايدل إلا علي بعض الصلات العلمية والثقافية التي ربطت بين علماء السودان الغربي وعلماء بلاد المغرب ، وهي صلات عميقة الجذور ضاربة في التاريخ.

(ب) الصلات العلمية مع مصر :

كانت الاتصالات الثقافية بين السودان الغربي ومصر صلات قوية حيث أصبحت مصر موئل الفكر الإسلامي في الشرق حيث كان وقوعها على طريق الحج ، وكان الأزهر الشريف كعبة المسلمين ومركزا لدراسة شتى أنواع العلوم ومن ثم تبوأ نوعا من الزعامة الفكرية والثقافية في العالم الإسلامي كله .

وترجع هذه الصلات العلمية والثقافية مع مصر إلي زمن دولة مالي ، فقد توافد في عهدها طلاب العلم من السودان الغربي إلي مصر ليتزودوا بالعلم والمعرفة علي يد مجموعة كبيرة من علمائها الذين ذاع صيتهم في الفقه المالكي . ومع تكاثر

بالدين والدنيا بين الفقيه أحمد بابا من جهة وبين فقهاء المغرب من جهة أخرى ، منها مراسلاته وفتواه الشهيرة في مجال التدخين وعرفت بـ(قواعد أحمد بابا في حلية التدخين)وجاء رد أحمد بابا عليها مفصلا في كراسة أطلق عليها أسم :"اللمع في الإشارة لحكم التبغ والذي انتهى من تأليفة عام (١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م) ووعد بكتاب أخر يكون أكمل وأتم بعنوان : عين الإصابة في مسألة طابة ، وكانت فتوى أحمد بابا الذي كان من المدمنين على التدخين القائلين بحليته مادام غير منوم وغير مفسد للوضوء ، فهي ليست كالخمر، ولا تتصف بصفاته أنظر أحمد بابا التنبكتي : قواعد في حلية التدخين ، مخطوط ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية نيامي "النيجر" رقم ٢٥١، ورقة ١، مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية ، ص ١٢٦ .أنظر الملاحق ،وكان هذا رد فتواه حين استفتاه قاض فاس على بن عمران ، وقاضي درعه أحمد البوسعيدي وغيرهما حين استفتوه في ذلك.

(١) حسن الصادقي : جوانب عن التواصل الثقافي شمال جنوب ضفتي الصحراء الإفريقية ، مجلة المغرب الإفريقي، مجلة متخصصة في التراث والدراسات الإفريقية ، جامعة محمد الخامس ،معهد الدراسات الإفريقية ، الرباط ، العدد ١ ،عام ٢٠٠٠م، ص ٩٢.

هؤلاء الطلاب الذين يأتون من بلاد السودان الغربي ، فقد أسس لهم رواق في الأزهر عرف برواق التكرور (١) .

ومن هؤلاء الطلاب الوافدين علي مصر فاتح بن عثمان التكروري المتوفى عام (٦٩٥هـ/ ١٢٩٣م) والذي جاء من مراكش إلي مصر وتفقه علي أيدي علمائها ثم جلس ليعلم الفقه في مسجد فتح بمدينة دمياط (٢) .

وهاهو الفقيه صبيح التكروري المتوفى عام (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م) وكان قد جاء إلي مصر وتفقه علي الشيخ النجيب ، والشيخ شمس الدين بن العماد وغيرهما (٣) .

كما تعلم في مصر الشيخ محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن سليمان الحراز العز التكروري المتوفى عام (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) التكروري الأصل و القرافي المدفن ، حفظ القرآن الكريم كله بمصر وتفقه على بعض مشاهير الفقهاء المصريين قي عصره(٤).

هذا بالأضافه إلي زيارة منسا موسي إلي مصر أثناء رحلة حجه الشهيرة التي كان لها عظيم الأثر في الاتصال الثقافي والعلمي بين السودان الغربي ومصر بعد أن قام بشراء الكثير من كتب الفقه المالكي ليوفر لأهل دولته منهل من الثقافة المصرية .

---

(١) عبد القادر زبادية : مرجع سابق ، ص ١٤٦ ، الشيخ الامين محمد عوض الله : مرجع سابق ، ص ١٩٨.

(٢) علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ٤ ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط٢، ١٩٨٠م، ص ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤.

(٣)ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ٢، ص ٣٠٤.

(٤) السخاوي : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، مكتبة القدس بالقاهرة ، ١٣٥٣هـ،جـ٩ ص ٢، ٣.

وتبع هذا الاتصال الثقافي والعلمي رحيل الكثير من فقهاء السودان الغربي إلى مصر وإقامة مدرسة خاصة بهم بجوار الأزهر(١) .

كما ذكر ابن بطوطة أثناء زيارته للعاصمة مالي في عهد منسا سليمان أسم طبيب مصري طلب منه دواء ليعافيه وأخذه وشفي ، ولذلك من الراجح وجود بعض المصريين الفقهاء في العاصمة المالية (٢) .

وإذا كانت الصلات العلمية بين السودان الغربي ومصر ترجع إلي زمن دولة مالي فقد تعمقت هذه الصلات زمن دولة صُنغي ونجد في مقدمتها الاتصالات مع الإمام عبد الرحمن السيوطي(٨٤٩-٩١١هـ/ ١٤٤٥-١٥٠٥م) الذي ذاع صيته العلمي وتعددت مؤلفاته والتي وصلت حوالي ثلاثمائة كتاب (٣). كما كانت له صلات واسعة مع العديد من سلاطينها وعلمائها رغم عدم زيارة الإمام السيوطي لبلاد السودان الغربي حيث كان السفر والانتقال إنما لكتبه فقط (٤) .

كما كان للأمام السيوطي أيضاً مراسلات هامة مع علماء السودان الغربي منها الرسالة التي بعث بها الفقيه شمس الدين بن محمد اللمتونى في عام ٨٩٨هـ/ ١٤٩٣م ، والتي كانت تحتوى على مسائل وتساؤلات فقهية متعددة تعبر عن الواقع الديني والثقافي والاجتماعي لمجتمع السودان الغربي وقد سماها : (مطلب الجواب بفصل الخطاب) (٥) ، وجاء رد الإمام السيوطي بجواب أسماه :

---

(١) فيج : تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة وتحقيق السيد نصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٢، ط١،ص ٥٧.

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٧م، جـ١، ص ٢٨٩.

(٤) عبد الله نبهان : الامام السيوطى وفن السيرة الذاتية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة العد ٣٤، ١٩٩٠م، ص ١٣١، ١٣٢.

(٥) السيوطى : الحاوى للفتاوى ، جـ١،ص ٣٣٦، ٣٤٣.

(فتح المطلب المبرور وبرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور [١]) .وقد أورد الإمام السيوطي فيها بعضا من أرائه الفقهية في تلك المسائل[٢] مما يدل علي عمق الصلات العلمية بين الامام السيوطي وعلماء السودان الغربي .

كما التقى الإمام السيوطي بالأسكيا محمد الكبير أثناء وجوده بالقاهرة أثناء رحلة حجه ، فجلس الاسكيا محمد إليه مستفتيا ومتعلما فى مجلسه مما كان له أكبر الأثر في نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة من خلال تلك الفتاوى التي وجهها إليه الاسكيا محمد الكبير[٣] .

كما كانت هناك رسالة من الإمام السيوطي تدل على عمق هذه الصلات كما تدل أيضاً على مدى حرص السيوطي على إقامة العدل واتباع القواعد الإسلامية الصحيحة عند حكام وأمراء السودان الغربي سماها السيوطي :(رسالة إلى ملك التكرور) [٤] وتدل هذه الرسالة أيضا على أن هؤلاء الحكام كانوا أصدقاء للإمام السيوطي ويعملون بمشورته وإرشاداته ، وكان لصدى الاتصالات العلمية بين السودان الغربي والإمام السيوطي أن ترددت أراء الإمام السيوطي الفقهية في العديد من مؤلفات علماء السودان الغربي [٥].

ومن نماذج الاتصالات بين السودان الغربي ومصر تلك الرسالة التي أرسلها أحمد بابا إلى العالم المصري سالم السنهوري(٩٤٥ـ١٠١٥هـ/ ١٥٣٨ـ١٦٠٦م) [٦]

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٤، ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق والصفحات .

(٣) كعت : مصدر سابق ، ص ١٢، ١٣ ، السعدي : مصدر سابق ، ٨٣.

(٤) جلال الدين السيوطي : رسالة إلى ملك التكرور ، مخطوطة ، دار الكتب العامة ، القاهرة ، رقم ٤١٦ ، مجاميع ميكروفيلم رقم ٤٥٧٩، ورقة ١٣٩ .، وأنظر الملاحق.

(٥) مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٣.

(٦) كان إماما للمذهب المالكي بمصر ،وتفقه علي يد الشيخ محمد البنوفرى ، وأخذ الحديث عن نجم

وعرفت هذه الرسالة بعنوان : أسئلة في المشكلات [١] وأرسلت قبل عام (١٠١٠هـ/ ١٦٠١م) .وكان فحوى هذه الرسالة استفسار من الفقيه أحمد بابا لبعض ما استعصى لديه من موضوعات في مختصر خليل وابن الحاجب ، وتتضمن هذه الرسالة ستا وثلاثين مسألة ، وطلب الفقيه أحمد بابا من الفقيه السنهوري وغيره من علماء مصر أن يفتوا في تلك المسائل[٢] .

كما كان هناك رسالة أخرى من الفقيه أحمد بابا في عام ١٠١٤هـ/ ١٦٠٦م موجهة إلى علماء مصر وعنوانها : مسائل إلى علماء مصر [٣] يسألهم فيها عن أمور استوقفته بلغت واحدا وعشرين مسألة تدور حول مسائل فقهية وتصوف ونحو وأصول ، وطلب منهم أحمد بابا رأيهم مدعماً بأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، ثم بيان وجهة نظرهم في ما ذهب إليه في فهمة لهذه المسائل[٤].

ومن أكثر الأدلة على الاتصالات العلمية بين السودان الغربي ومصر ما ورد من ردود ومؤلفات على مسألة التدخين والتي تعرض لها الفقيه أحمد بابا والكثير من العلماء ومن ذلك نصيحة إبراهيم اللقانى المصري المتوفى عام (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

الدين الغيطى وبرع فى الفقه والحديث وغيرهما ، وهو مؤلف حاشية على مختصر خليل ، أنظر أحمد بابا : مصدر سابق ص ١٩١.

(١) أحمد بابا : مسائل فى المشكلات ، مخطوط ، الخزانة العامة ، الرباط مع مجموعة رقم ٤٧٠ من الورقة ١١٨ ظ إلى الورقة رقم ١٤٠و ، مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥. سوزى أباظة : دراسة حول مخطوطي " أسئلة في المشكلات " و"أسئلة إلى علماء مصر " لأحمد بابا التنبكتى ، ندوة البردي والمخطوطات العربية في أفريقيا ، معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، عام ٢٠٠١م ، ص ، سوزى أباظة : عائلة أقيت ، ص ١٦٥.

(٢) مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥ ، سوزى إباظة : مرجع سابق ، ص ١٦٥

(٣) أحمد بابا : مسائل إلى علماء مصر ، مخطوطة ، المكتبة الوطنية ، باريس ، مع مجموعة رقم . ARABe:٥٣٨٢ ،مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥ ،، سوزى أباظة : مرجع سابق ، ص ١٦٥.

(٤) مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥.

وعرفت باسم نصيحة الإخوان باجتناب الدخان(١) كما ألف على الاجهوري (غاية التبيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان) (٢) .

وتعددت الاتصالات بين علماء السودان الغربي وعلماء مصر يتضح ذلك عندما أحتدم الخلاف بين الفقيه العاقب بن عبد الله الانصمني الذي كان موجوداً قرب (٩٥٥هـ/ ١٥٤٣م) وبين بعض شيوخ بلده حول وجوب الجمعة بقرية أنصمن ، ولحل هذا الأمر بينهم أرسلوا إلى علماء مصر بفحوى هذا الخلاف بينهما ، وقد أفتى علماء مصر بصواب رأى الفقيه العاقب الانصمنى (٣) .

ومن مظاهر الاتصالات العلمية بين السودان الغربي ومصر هو استقرار بعض هؤلاء العلماء في مصر في محلة أو مدينة عُرفت بأسمهم وتعرف حتى ألان باسم بولاق الدكرور حيث كانوا يعيشون فيها بالإضافة إلي سكناهم في نواحي مختلفة من أنحاء القاهرة حيث كانوا يشهدون حلقات العلم في الجامع الأزهر، ويسمعون من شيوخه البارزين ومنهم الفقيه عبد العزيز التكرورى الذي رحل إلى مصر في أوسط المائة التاسعة ، وكان عالما كثيراًويقال إنه عَزَى لا هل مصر جميع مسائل مختصر خليل لأصولها عد ثلاثة منها(٤) .

كما وصل الي مصر الفقيه أحمد بن عمر أقيت المعروف بالحاج أحمد (٨٦٤-٩٤٣هـ/ ١٤٥٩-١٥٣٦م) وهو في طريقة إلى الحج عام(٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)

---

(١) محمد حجي : الحركة الفكرية ، ص ٢٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٦، ٢٥٧

(٣) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٣٥٣،أحمد بابا : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فى الديباج ، تحقيق على عمر ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٢٧٥.

حيث حضر دروسا علمية و فقهية على يد الإمام السيوطي وخالد الأزهري وغيرهما([1]).

كما التقى القاضي محمود كعت ورفاق رحلة الحج ([2])التي كانت مصاحبه للأسكيا محمد الكبير عام (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) بعلماء مصر وجلسوا متعلمين في حلقات الأزهر العلمية على يد علمائها وخاصة على الإمام السيوطي ([3]).

وعندما جاء الإمام التازختى(٨٧٤ـ٩٣٦/ ١٤٧٠ـ١٥٢٩م) إلى مصر وهو في طريق حجه التقى بأشهر علماء مصر ، مثل شيخ الإسلام زكريا وحضر دروس البرهانين وابن أبى شريف وعبد الحق السنباطي والقلقشندى وغيرهم ([4]).

كما جاء الفقيه محمود بن عمر أقيت(٨٦٨ـ٩٥٥هـ/ ١٤٦٣ـ١٥٤٧م)إلى القاهرة عام(٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) والتقى بالفقيه إبراهيم المقدسي والشيخ زكريا والقلقشندى واللقانيين وغيرهم وقام بإجازته الشيخ اللقانى ([5]) كذلك فعل ابنه العاقب بن محمود أقيت(٩١٣ـ٩٩١هـ/ ١٥٤٩ـ١٥٨٢م) ([6]).

---

(١) المصدر سابق ، ص ١٤١.

(٢) من رفاق رحلة الحج محمد تل ، وألفا صالح جور ، ومحمد تتنك ، والقاضى محمود يدبغ ، والشيخ مور محمد ، والقاضي محمود كعت ، أنظر محمود كعت : ص ١٦.

(٣) محمود كعت : ص ١٢، ١٣، السعدي : مصدر سابق ، ص ٨٣.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٨٧،

(٥) المصدر السابق ، ص ٦٠٧.

(٦) هما شمس الدين اللقانى ٨٥٧ـ٩٣٥هـ/ ١٤٤٢ـ١٥٢٨م و ناصر الدين اللقانى(٨٧٣ـ٩٥٨هـ/ ١٤٦٨ـ١٥٥١م) وهما من علماء المشهورين فى الفتوى والتأليف وأنتهت اليهما رئاسة العلم فى مصر ، أنظر أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٩٠، ٥٩١.

و في إثناء زيارة الفقيه أحمد بن أحمد أقيت (٩٢٩ـ٩٩١هـ/ ١٥٢٢ـ١٥٨٣م) الي مصر التقي بالاجهورى([١]) والتاجورى ([٢]) و اللقانى وغيرهم من فقهاء المالكية بمصر .

وفي القاهرة التقي الفقيهان أحمد و محمد بغيغ بعدد من فقهاء المالكية في أثناء الذهاب والعودة من رحلة حجهما ومن هؤلاء العلماء ناصر اللقاني والتاجوري والزين البحيري والشريف يوسف والبرهمتوش الحنفي وحصلا منهم علي علم كثير([٣]) .

ومن الادله علي الاتصالات العلمية والثقافية بين فقهاء السودان الغربي ومصر ماحدث أثناء عودة المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوي بن أندغ محمد الذي كان مادحا للنبي محمد ﷺ من رحلة حجه ([٤]) فسلمه الإمام محمد البكري المصري المتوفى عام (٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م)) رسالة ليسلمها إلي الاسكيا نوح بن أسكيا داوود المتوفى عام (١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م) ([٥]) .

وهكذا تعددت الاتصالات بين بلاد السودان الغربي ومصر واستمرت لعدة قرون وأسهمت في أثراء الحياة العلمية في هذه البلاد .

---

(١) الاجهورى :"عبد الرحمن بن على الاجهورى " المتوفى عام ٩٥٧هـ/ ١٥٤٩م، نسبة الى أجهور من قرى الريف المصري ، وكان من المداومين على تدريس مختصر خليل، أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٢٦٢.

(٢)التاجورى : " هو عبد الرحمن بن الحاج أحمد المغربي الطرابلسي" الشهير بالتاجورى ، وكان له اعتناء بكتاب التهذيب وأخذ الفقه عن الفقيهين الأخوين شمس الدين اللقانى وناصر اللقانى وغيرهما ،، أنظر أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٢٦٣.

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠١.

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٩.

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٦٧، ١٦٨.

(ج) الصلات العلمية مع بلاد الحجاز :

كانت رحلات الحج التي قام الكثير من أهل السودان الغربي إلي بلاد الحجاز لها دور هام في دعم الاتصالات العلمية والثقافية بين بلاد السودان الغربي وبين بلاد الحجاز ، حيث لم يكتف هؤلاء الحجيج بتأدية الشعائر الدينية فقط بل كانوا يقومون بزيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله ﷺ ويجاورون هناك ، وكان الترحيب بهم في بلا د الحجاز كبيراً([1]) ، وخير دليل علي ذلك الفقيه محمد بن عبد الله التكروري الذي كان خطيبا في بلاده حج وجاور فى المدينة المنورة وظل بها حتى توفي ودفن عام(٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) ، وكذلك الفقيه العالم الزاهد القاسم التكروري الذي حج وظل بالمدينة المنورة حتى توفي بها أيضا عام (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) ([2]) .

وقد حرص بعض أبناء السودان الغربي علي الجلوس في حلقات العلم والحصول على الإجازات العلمية من علماء بلاد الحجاز ([3]) ومن هذه الإجازات الإجازة التي حصل عليها إبراهيم بن عبد الرحمن التكرورى وكانت في عام(٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م) وكانت هذه الإجازة من الإمام النهروالى ([4]).

---

(١) ومما شجع على ذلك في الأراضي الحجازية حسن الجوار للغرباء ، فمن مكارمهم ومآثرهم أنه متى صنع أحد أفراد مكة وليمة ، بدا بإطعام الفقراء والمنقطعين والمجاورين في الليالي المباركة ، أنظر حسن مراد : المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين ٥٦٧ـ٦٤٨هـ/ ١١٧١ـ١٢٥٠م، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١٩٩٥م، ص ١٢١، ١٢٣.

(٢) ابن حجر : مصدر سابق : جـ٣ ، ص ٢٤١، ٢٨٧، محمد أمين : علاقات ملي وسنغاي في عصر سلاطين المماليك ، مجلة الدراسات الافريقية ، جمعة القاهرة ، العدد الرابع ، ١٩٧٥م، ٢٩٩.

(٣)وقد أشار المستشرق بوركهات إلي أن الحلقات الدراسية التي كانت تعقد يوميا في الحرم المكي كانت تضم جميع الجنسيات المسلمة ، أنظر

Burckhardt J .L.: Travels In Arabia ,London,١٨٢٩,vol,١,p٣٩٠،٣٩١،٣٩٢.

(٤) النهروالى : هو " محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين بن أبى محمد محمد شمس الدين بن حميد الدين النهر والى ، مفتى مكة المكرمة ، أنظر النهراولى ، محمد قطب الدين بن محمد ، إجازة صادرة منه

كما أخذ الفقيه أحمد بن أحمد أقيت الإجازة أيضاً من الفقيه النهروالى أثناء تأدية فريضة الحج ([1]) كما أخذ الفقيه أحمد بن أحمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م) أثناء تأدية فريضة الحج الإجازة من أستاذه الإمام بركات بن محمد الحطاب([2]) .

كما حصل الفقيه أحمد بابا التنبكتى على الإجازة من إمام المالكية الإمام يحيى بن محمد بن محمد الحطاب(٩٠٢-٩٩٥هـ/ ١٤٩٦-١٥٧٨م)وكانت هذه الإجازة عن طريق المراسلة ([3]) ،إما الفقيه محمد بن أحمد بن أبى محمد التازختى الشهير بأيد أحمد المتوفى عام (٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م) ([4]) فقد منح الإجازة أثناء تأدية فريضة الحج على أيدي أبي البركات النويرى وابن عمه عبد القادر وعلى ناصر الحجازي وأبو الطيب السبتى وغيرهم من علماء الحجاز([5]) . بما يدل على عمق الصلات العلمية بين السودان الغربي وبلاد الحجاز وقد ساعد علي ذلك معرفة بعضهم البعض جيدا من هذا عندما سافر الفقيه صديق محمد تعلى إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ، واجتمع بالكثير من الفقهاء والصالحينوجد لديهم وخاصة ومنهم محمد البكري الذي كان على معرفة جيده بعلماء تنبكت محبا لهم ، وكان دائم السؤال عنهم([6]).

أسانيد أحاديث الرسول ﷺ ، إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوى التكرورى ، وثيقة ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، رقم ٢٠٦٥، ورقة ١٣ب ، أنظر الملاحق.

(١) التمنرتى ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجزولى : الفوائد الجمة فى إسناد علوم الأمة ، مخطوطة ، الخزانة العامة الرباط ، رقم د ٣٦٩٣. ، مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٧.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص

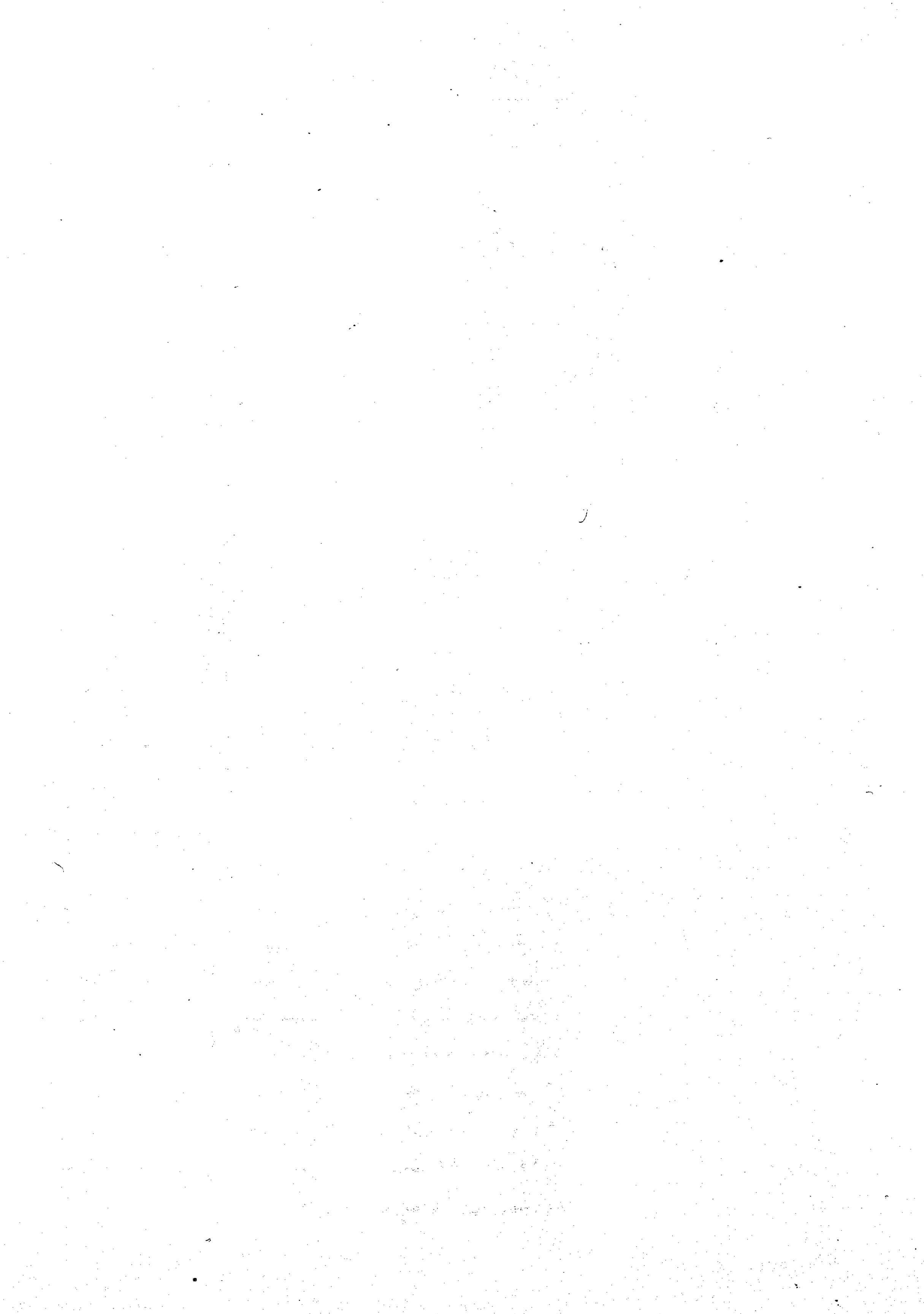
(٣) المقري : أحمد بن محمد : روضة الاس العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط٢، ١٩٨٨م ، ص ١١.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٨٧.

(٥) المصدر السابق والصفحة .

(٦) السعدي : مصدر سابق ، ص٦١.

وهكذا تنوعت تلك الاتصالات العلمية والثقافية بين بلاد السودان الغربي والحجاز ومصر والمغرب سواء كانت عن طريق الرحلة في طلب العلم أو عن طريق المراسلات للحصول على الفتاوى الفقهية المختلفة ، أو عن طريق أداء فريضة الحج ، وأدت هذه الاتصالات إلي تنمية الحياة العلمية في بلاد السودان الغربي بالإضافة إلي ترسيخ المفاهيم الصحيحة للعقيدة الإسلامية في هذه البلاد وسيادة روح الإخوة والمودة والترابط بين بلاد السودان الغربي والمغرب ومصر وبلاد الحجاز وكان لفقهاء المالكية في هذه البلدان الفضل الكبير في تحقيق هذه النتائج الهامة .



الخاتمة

يعد المذهب المالكي وفقهاء المالكية في مجتمعي مالي وُصنغي من المحاور الرئيسية التي قام عليها المجتمع في تلك الدولتين ،ولذلك أظهرت هذه الدراسة أهمية الدور الحيوي الذي قام به فقهاء المالكية في كافة مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية . وقد لقي المذهب المالكي عناية واهتمام حكام تلك البلاد وأهلها ، وساعد حكامُه وفقهاؤه علي نشره ودعمه بفضلّ ما بذلوه من جهود ساعدت أيضا علي انتشاره وسيادته .

وقد أوضحت الدراسة الدور المغربي في دخول الإسلام وانتشاره في بلاد السودان الغربي ودور كل الفرق والمذاهب الإسلامية في هذا الأمر حتى أصبح الاسلام الدين الرسمي في كافة للوحدات السياسية القائمة في تلك البلاد ، وذلك منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .وأمتد دور المغاربة إلي نشر المذهب المالكي في السودان الغربي حتى أصبح مذهب تلك البلاد بعد أن تغلب علي بقية المذاهب والنحل الإسلامية الاخري كالاباضية والخوارج الصفرية بالإضافة للمذهب الشيعي . وأصبح المذهب المالكي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي هو المذهب السائد في كافة الوحدات السياسية خلال هذا القرن مما أدي إلي علو شأنه في تلك البلاد.

كما تمخضت هذه الدراسة عن تحديد الأسباب التي أدت إلى انتشار المذهب المالكي وذيوعه في بلاد السودان الغربي وخاصة زمن دولة مالي الإسلامية التي كان لحكامها دور كبير في انتشار المذهب المالكي وذيوعه . وأتضح ذلك من خلال سلطان مالي منسا موسي الذي أكد على انتمائه للمذهب المالكي ومدى فخره بذلك

،كما قام بتوثيق علاقته مع كبار فقهاء المالكية بمصر ، وقام بشراء الكثير من كتب الفقه المالكي ، كما قام بجلب عدد من فقهاء المذهب المالكي إلى بلاده ، كما قام بإرسال طلاب العلم إلى بلاد المغرب الإسلامي للتفقه في مذهب الإمام مالك.

هذا وقد أوضحت الدراسة استمرار ذيوع المذهب المالكي في دولة مالي بعد ذلك بسبب جهود منسا سليمان الذي جلب عدداً كبيراً من فقهاء المذهب المغاربة إلى بلاده ، وقام ببناء عدد من المساجد التي انتشرت بها حلقات تدريس الفقه المالكي وأكد لنا هذا ابن بطوطة الذي زار تلك البلاد وأكد لنا أيضاً على تواجد عدد ليس بقليل من فقهاء المذهب المالكي وخاصة من بلاد المغرب .

كما أبرزت الدراسة أن انتشار اللغة العربية في تلك البلاد كان له أثر واضح في ذيوع المذهب المالكي زمن دولة مالي حيث أعان هذا الأمر في قراءة كتب المذهب المالكي والتفقه فيه ، مما كان سببا في ظهور عدد من فقهاء بلاد السودان الغربي في المذهب المالكي الذين تفقهوا علي أيدي فقهاء مغاربة .

وبينت هذه الدراسة أيضاً أن السيادة للمذهب المالكي قد تحققت بشكل كامل وتام في زمن دولة صُنغي وخاصة زمن حكم الاساكي بسبب جهود بعض حكام دولة صنغى وخاصة أسكيا محمد الكبير(٨٩٨ ـ٩٢٤هـ / ١٤٩٢ـ١٥٨٢م) ، وابنه أسكيا داوود(٩٥٦ـ٩٩١هـ / ١٥٤٩ـ١٥٨٣م) اللذين عملوا على تشجيع فقهاء المالكية في دولتهم ومنحاهم حرية مطلقة ،مما مهد الطريق لفقهاء المالكية للتمكين لهذا المذهب في دولتها .

وأكدت الدراسة أن من أسباب سيادة المذهب المالكي في دولة صُنغى تولى عدد من فقهاء المالكية الخطط الدينية ، ويأتي في مقدمتها خطة القضاء والفتيا . وكان الملك يعين هؤلاء الفقهاء من (المفتون و القضاة) الذين كانوا يقضون بالإحكام الشرعية المستمدة من روح الإسلام وحده ووفق مذهب الإمام مالك .

ومن العوامل الخارجية التي أدت إلي توطين المذهب المالكي في تلك البلاد وأوضحته الدراسة فقه الإمام مالك بالإضافة إلي العامل الجغرافي فقد كان لهذا العامل دوره في توجيه المغاربة إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام والمذهب المالكي ، فقد تيسر الاتصال بينهم وبين أهالي تلك البلاد عبر الصحراء بالرغم من بعد الشقة وأخطار الرحلة لانعدام الحواجز الطبيعية . وإذ كان للعامل الجغرافي أثره في نشر الإسلام في تلك البلاد ، فقد كان لهذا العامل أثره أيضا في نشر المذهب المالكي في تلك البلاد ، فمن المعروف تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي والعمل على نشره وهو أمر من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى بيان. كما كان لهذا العامل أثره في خروج أهالي السودان الغربي إلي المشرق من أجل أداء فريضة الحج والرحلة في طلب العلم

وقد تمخضت الدراسة أيضاً عن أبرز المكانة التي أحتلها فقهاء المالكية في دولتي مالي وُصنغى بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي والنفوذ والتأثير الذي حظوا به بين العامة والخاصة، فقد ارتبطوا بعلاقات مع السلطة الحاكمة كانت في الأغلب علاقات طيبة وفى أحيان أخرى ساءت العلاقة بين الطرفين خاصة في عهد سني علي فقد أعتبر بعض فقهاء المالكية أنفسهم أوصياء على الشريعة والعرش في عهد سني علي ، مما جعلهم يهاجمون سياسته ، فاضطهدوا لذلك وفروا من مدينة تنبكت ، والبعض الأخر من الفقهاء حمتهم السلطة بسبب وضعهم الديني والاجتماعي، الذي أهلهم فيما بعد أن يلعبوا دور المفكرين في المجتمع كمعبرين عن النموذج الذي يجب أن يكون عليه النظام الاجتماعي والثقافي خاصة في عهد الأساكى. و لذلك كان لهم نفوذ كبير بسبب علاقاتهم القوية بالسلطة وخاصة في عهد هؤلاء الاساكي الأقوياء . فكانت لهم مواقف تبرهن على توجيههم للسلطة ، وتبرهن كذلك على تحديهم لسلطة الحكام وإرادتهم إذا ماحادوا عن الطريق القويم ، فنجد أن الحكام خضعوا لهم واستجابوا لهم لدعم مشروعهم السياسي والديني الذي لا يقوم إلا على

أساس هؤلاء الفقهاء . وقد وضع أسكيا الحاج محمد قواعد هذا المشروع وتعامل مع هؤلاء الفقهاء في بلاده بذكاء شديد ، فسعى للتقرب إلى الفقهاء وصاحبهم وقلدهم جميع الأمور لدعم حكمه .

كما أوضحت الدراسة ظهور عدد من العوائل السودانية التي توارث أفرادها وظائف الخطط الدينية والقضائية مثل عائلة أقيت وعائلة بغيغ وعائلة أندغ محمد وعائله الحاج.

وقد بينت الدراسة الدور الاجتماعي الذي لعبه فقهاء المالكية في السودان الغربي زمن دولتي مالي وصُنغي فقد وقع عليهم بشكل واضح عبء الإصلاحات الاجتماعية ومحاولة الحفاظ على قيم المجتمع المسلم ومبادئه . وكانت هذه الإصلاحات ملقاة في المقام الأول على كواهل هؤلاء الفقهاء ، فقد كانت أعين الناس حكاما ومحكومين معقودة عليهم ولذلك لم يأل العلماء جهدا في سبيل إصلاح المجتمع وتقويمه والقضاء علي بعض هذه العادات و المفاسد التي تخالف الشريعة الإسلامية .

كما أكدت هذه الدراسة علي أن الحركة العلمية في السودان الغربي استفادت من تشجيع حكام تلك البلاد للعلم والعلماء ، فقد دأب بعض سلاطين دولتي مالي و صُنغي علي بناء المساجد أو المساهمة في إنشائها ، والتي لم يقتصر دورها علي المجال الديني فقط ، بل كانت أماكن لتلقي العلم والمعرفة . كما تعددت مظاهر اهتمام هؤلاء الحكام بالعلم والعلماء وقد ترتب علي هذا الاهتمام والتشجيع ظهور العديد من فقهاء المالكية في تلك البلاد .وقد أهتم هؤلاء الفقهاء بالعلم وحرصوا علي التعليم والتعلم .وكان الفقيه المعلم يعد أحد العناصر الأساسية للعملية التعليمية بفضل التكوين الثقافي لهؤلاء الفقهاء ذلك التكوين الذي مكنهم من القيام بدور تعليمي في مجتمعهم فقد ظهر منهم فقهاء ومحدثون ولغويون بارزون في مجال

التدريس والتأليف ساعد علي ذلك تعدد منابع التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي.

كما أكدت هذه الدراسة ما كان لفقهاء المالكية من أثر واضح في التعليم والتدريس ، فقد قاموا بتدريس عدد من العلوم المختلفة سواء كانت العلوم الشرعية أو علوم اللغة العربية ، والدارس للتاريخ الفكري للإسلام في السودان الغربي لا يمكنه تجاهل الدور المحوري للمؤلفات ذات الأصول المغربية والمشرقية في مناهج الدراسة في المساجد والكتاتيب. خاصة وأن مجتمع السودان الغربي أهتم بمختلف طبقاته باقتناء الكتب والمخطوطات ، والعمل على نسخها بدقة وبخاصة النادرة منها لدرجة أن أصبح للوراقين والنساخ مكانة مرموقة ومتميزة في وسط مجتمع السودان الغربي.

وأبرزت الدراسة مظاهر ازدهار الحياة الثقافية في بلاد السودان الغربي والذي تمثل في قيام الكثير من هؤلاء الفقهاء بإثراء الحياة الفكرية وذلك عن طريق مؤلفات وكتابات في شتى المجالات ومختلف المعارف سواء في الفقه أو اللغة أو التراجم أو التاريخ أو التصوف ، كما كان لهم بعض الرسائل والتعاليق التي أغنوا بها الحياة الفكرية في بلاد السودان الغربي و تمثلت في شروح وتعليقات أسهمت في دعم المذهب المالكي الذي كان سائداً في تلك البلاد.

كما أظهرت هذه الدراسة أهمية المكتبات الخاصة في مجتمع السوذان الغربي والتي هي في الواقع مجرد نماذج لعشرات غيرها ، لأن محاولة حصرها ، يتطلب منا الوقوف على بيت كل عالم من أعلام السودان الغربي ، بل على كل مسجد من المساجد ، وكل مؤسسة من المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت تمتلئ بالكثير من الكتب والمخطوطات في السودان الغربي.

وأخيراً أبرزت الدراسة دور الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي وفقهاء المالكية في كل من المغرب ومصر والحجاز جيث كانت صلات ضاربة الجذور، بحيث أثرت هذه الصلات تأثيرا مباشرا في بلاد السودان الغربي ، وخاصة الصلات المغربية حتى وصفت الثقافة في السودان الغربي بأنها ثقافة مغربية علي أرض سودانية .كما كان للصلات المصرية والحجازية مع تلك البلاد أكبر الأثر في رفع شأن فقهاء السودان الغربي.وقد استمرت هذه الصلات بين السودان الغربي وبين كل من المغرب ومصر والحجاز من خلال رحلات الحج ، والرحلات العلمية ، وكذلك كتب الدراسة والإجازات العلمية والمراسلات . ويرجع ذلك إلي أن الأفكار والمفكرين والعلماء والعلوم في العالم الإسلامي كانت لا تعترف بالحدود .

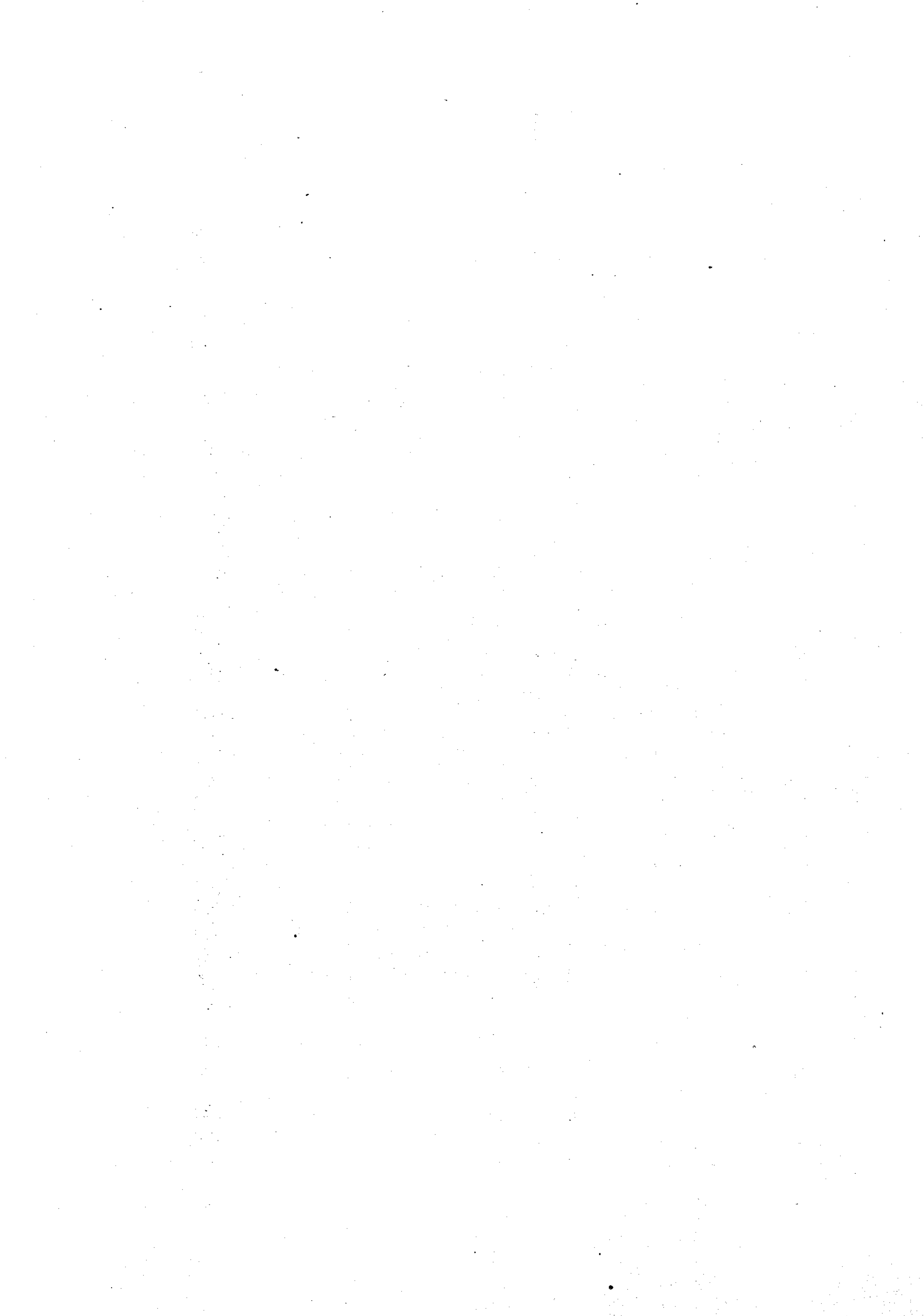
وهكذا برزت الدراسة الدور الكبير الذي لعبه فقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي في كافة مناحي الحياة خاصة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية .

الملاحـــــــق

١_الوثائق والمخطوطات.

٢_الخرائط التوضحية

٣_الأشكال.



وثيقة رقم (١)

وثيقة أسكيا الحاج محمد لحماية أبناء العالم الصالح موري محمد هوكار عام (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) ، ومنحهم امتيازات وإعفاءات من الضرائب ([1]).

كان أسكيا الحاج محمد في احدي غزواته عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م ، فتقدم له حفدة الشيخ الصالح موري هوكار وشكوا إليه سوء المعاملة التي يلقونها ، وطلبوا منه أن يكتب لهم كتاباً بحمايتهم من أي اعتداء يقع عليهم أو ظلم يحيق بهم ، وبالفعل كتب لهم هذا الكتاب الذي أملاه علي كاتبه علي بن عبد الله بن عبد الجبار اليمني.

(بعد البسملة ....)

" هذا كتاب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ، السلطان العادل القائم بأمر الله ، أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر أدام الله عزه ونصره ، وخلد البركة في عقبه ، ومن وقف عليه بأيدي جملة حفدة الفقيه الزاهد الصالح كوري محمد هوكار ، وهم مور الصادق حبيب وإسحاق وإنيازك ومحمد ورسماك وعلي بلقاسم ، بني الفقيه مور معمع بن مور معمك بن الفقيه مورهكار ، رحمه الله ونفعنا بعلمه ودينه ، أمين .

ومن وقف عليه ممن يؤمن بالله واليوم الأخر وبرسالة رسوله الصادق ، صلي الله عليه وسلم ، فليحترمهم ويوقرهم ويعرف مناقبهم وفضلهم وحرمة جدهم ، ويمسك كل جائر وفاجر ، جوره وفجوره من جندنا وأهل جيشنا وخدمنا الجائرين وعبيدنا ورسلنا ، فلا يقربهم بضيم ولا بتحقير وتصغير ، ومن تعرض لهم بسوء وظلم ، ينتقم الله منه علي كذا ، ونوصي كل من تنسل منا من أولادنا وحفا ئدنا ، أن

---

(١)وثيقة أسكيا الحاج محمد الكبير لحماية أبناء العالم الصالح موري محمد هوكار عام ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م ، ومنحهم امتيازات وإعفاءات من الضرائب ، محمود كعت:الفتاش ، ص ٧٢، ٧٥.

يبروا بهم ويحترمهم ويحسنوا إليهم، وقد أسقطنا لجميع وظائف السلطنة ، وغرامته بحيث لا يطالبهم أحد بشي ، حتي الضيافة ، وإن تعرض بينهم ظنه أو أدعي عليهم حقاً، فلا يحكم عليهم إلا أنا وحدي ، أو من سيخلفني في هذا المقام من أولادي ، ومن ظلمهم أو أخذ منهم أدني شنئ ظلماً باطلاً من ذريتي ، لآبارك الله له في ملكه وفسد عليه ملكه ، وختم له بخاتمة السوء بحرمة الذي وقفت به علي قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقمت في داخل شبكة روضته صلي الله عليه وسلم ، وكذلك أبحث لهم ولذريتهم، أن يزوجوا في مملكتي كلها من كانتا إلي شبردك ، وهو الذي هو الحاجز بيننا وبين سلطان مل ، من نساء أحبوها ، ويكون ولدهم منها أحرراً، وأماتهم تابعات لهم في الحرية ..."

أمر أسكيا محمد باستدعاء من حضر من أبنائه ، وقرئ عليهم الكتاب فقالوا كلهم "سمعنا وأطعنا " ثم أخذ أسكيا الكتاب بيده وطواه وجعله في يد كبيرهم وهو مور الصادق .

(٢) وثيقة رقم ٢.

مجهول : رسالة إلي نوح بن أبي بكر بن موسي تتحدث عن الأسكيا محمد الكبير وصلاته بعلماء زمانه ([1])

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي سيدنا محمد نبيه وأله وصحبه وسلم تسليماً والله يدعو إلي دار السلام فسارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض يا إخوان الفقير نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسي تلميذ سيدي المختار بن أحمد الكنتي لعل الله يهديكم ويهدي بكم من دونكم من الأمم هذا تنبيه لكم وإعلام تبصره وتذكرة ونصيحة لسلطان الغرب فاس ومراكش ومن معه من الرعية من تنبكت وأروان وبوبجبية وقودر وأهل سوس و الاقصي وتوات وغدا مس إلي تونس والجزائر والبرابر إلي مصر وقيروان وتلمسان والأندلس ومن يليهم إلي منتهي الإسلام بعد أتم السلام وأكمله وأعم الإكرام وأشمله أن الشيخ أمير المؤمنين أحمد بن محمد بن أبي بكر الذي قام لإحياء دين الله والجهاد في سبيله في أرض ماسنا وما والاها شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً هو الثاني عشر من الخلفاء المجددين لدين الله بعده المهدي فإن قيل ابن المصداق قلت أنظر الفتاش في أخبار البلدان للشيخ الفقيه العالم محمود كعت الكرمتى داراً التنبكتي مسكناً الوعكري أصلاً رحمة الله ونفعه ب وبأمثاله وبكل من له جاه عنده أمين وهو فلما كان ذكر قصص الأنبياء والسلاطين والملوك رأكابر البلدان من عادة الحكماء والعلماء الأعيان اتخاذا بسنة القرآن وتذكيرا لما غير من الزمان ورداً للغي عن الحيف والهوى وعونا التقي علي مساعدة الإخوان ومن الله علينا بأن أظهر لنا في زمننا هذا الخليفة العادل والسلطان الغالب والمنصور

---

(١) مجهول : رسالة إلي نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن موسي تتحدث عن الاسكيا محمد الكبير وصلاته مع علماء زمانه ، مخطوطة ، مكتبة مما حيدرة ، تنبكت (مالي) غير مصنفة .

القائم أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر التورودي أصلاً الكوكوي دارا ومسكنا فأنار لنا الهدي بعد ظلم الدجى وأماط عنا الصدى بعد الجبن والردى فا نفسح له عهد الله البلدان شرقاً وغرباً وتداعت له الوفود فرداً وجمعاً.

فأذعنت له الملوك كرهاً وطوعاً فصرنا من بركاته بخير ونعمي بعد ما كنا في ضيق وبؤس فبدل الله تعالي ذلك بفضله كما قال لأكرم خلقه : (أن مع العسر يُسراً) أو مع العسر يسرا أردت أن نجمع من أحواله الحلوان مع ذكر شي عال الملعون ما سهل علي اليد واللسان وإلي الله سبحانه التكلان وسميته (تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار) اعلم رحمنا الله وإياكم أن الإمام العادل السلطان الفاضل أسكيا محمد لما تولي السلطنة أقام طرقة سنغي وجعل فيها قواعد السلطنة واستقامت المملكة خرج من ذلك كله وجعل يسأل العلماء العاملين سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم ويمشي علي أقوالهم رحمه الله حتى أتفق جميع علماء عصره علي أنه خليفة وممن صرح له بذلك الشيخ عبد الرحمن السيوطي والشيخ عبد الكريم المغيلي ، والشيخ شمهورش الجني والشريف الحسني مولاي العباسي أمير مكة رحمه الله وأقام للمسلمين حقوقاً وحرمه علي نفسه وأمر لأهل موركير أن يتزوجوا ما يشاءون فيتبعهم أولادهم وهو موجود إلي الآن لم يتغير ببركته رحمه الله وأعطي الشريف أحمد الصقلي أبن أخي مولاي العباس زنجية كثيرة من الفرو والجزائر ثم بعد أن حج وبشره مولاي العباس أمير مكة بأنه الحادي عشر من الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم وجعل علي رأسه قلنسوة خضراء وعمامة بيضاء وأعطاه سيفا وأشهد الحاضرين بأنه خليفة بلاد التكرور وأن كل من خالفه فيها فقد خالف الله تعالي ورسوله صلي الله عليه وسلم فهيا للرجوع فلما وصل مصر وجد هناك الشيخ عبد الرحمن السيوطي فسأله عن الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم أنهم سيأتون من بعده فقال له الشيخ هم أثنا عشر خمسة منهم بالمدينة واثنان بمصر

وواحد بالشام واثنان بالعراق وقد مضي هؤلاء كلهم وبقي اثنان ببلاد التكرور أنت أحدهم ويأتي بعدك الثاني قبيلتك منسوبة بتوردو من أهل اليمن ومسكنك بكوكو أنت مؤيد منصور عادل كثير الفرح والعطاء والصدقة لا يعجزك موضع من مملكتك إلا موضع واحد يقال له برك بباء مضمومة ممالة فرا ساكنة بعد كاف مضمومة مما له ثم يفتح الله ذلك الموضع بيد الخليفة الثاني بعدك محيك تنام أول الليل ثم تصلي أخره ويصيبك عمي في أخر عمرك ويعزلك واحد من أبنائك ويرميك في بعض الجزر ثم يخرجك ابن أخر ومصداق جميع ما قلت علامة في فخذك اليسري كان من برص فأبره الله بغير علم أحد فقال أسكيا صدقت يا سيدي وقرة عيني وقال له الشيخ ولك أبناء كثيرة نحو مائة رجل كلهم يتبعون أمرك في دولتك ثم يعكسون الأمر بعدك والعياذ بالله حتى يصير الأمر ملكاً عضوضاً وحزن لذلك وسكت ملياً ثم تنفس الصعداء وزفر زفرة التكلاء ثم سأل الشيخ أيضاً هل يخرج من صلبه من يقيم الدين ويصلح أمره فقال له الشيخ ولكن يأتي رجل صالح عالم عامل تابع للسنة أسمه أحمد يظهر أمره في بعض جزائر سير ماسنة ولكن قبيلته وعلماء سنقره وهو يرثك في الخلافة والعدالة والصلاح والجود والتقي والزهد والنصرة ويكون كثير التبسم والسنة دائم المرك في جلوسه وسبقك بكونه متبحراً في العلوم وأنت لا تعلم الأحكام والصلاة والزكاة والاستفسارات وهو أخر الخلفاء المذكرين ثم سأل الشيخ هل هذا الخليفة يجد الدين قائماً فيجدده أو يجده خامداً فيوقده فقال له الشيخ بل يجد الدين خامداً فيكون كشرارة جمر وقعت في يابس الحشيش فينصره الله على جميع الكفار والمخالفين حتى تغم بركته البلاد والآفاق والأقطار فمن رآه وتبعه كمن تبع النبي صلي الله عليه وسلم ومن خالفه فكأنما خالف النبي صلي الله عليه وسلم فتوسط الأولاد في زمنه لكنهم لا يزالون علي الجهاد وإلي فنائهم قال الراوي عن شيخ القاضي حبيب فبسبب هذا الرجل المذكور والخليفة المنصور تغلط شي عال الملعون في قتل قبيلة سنقر فقتلهم حتى لم يبق منهم إلا طائفة قليلة .ثم سأل الشيخ أيضاً عن أمر أرض التكرور ومايؤول إليه أخره

فقال له الشيخ فهي أول أرض تخرب لأجل أيانيهم الملوك وسأله عن أمر كاغ وما سبب خرابها فأخبره بها أخبر وسأله عن تنبكت وجني فأخبره عن أمرهما مما يسمح له إن شاء الله ثم سأله أيضاً عن أمر أربع وعشرين قبيلة الذين وجدهم بيد شي بار مملوكة له ورثهم عن آبائه فقال له الشيخ صفهم فوصفهم فقال له الشيخ أما نصفهم فملكه لك سائغ وأما النصف الأخر فتركهم أفضل لأن فيهم شبهة فقال للشيخ فما الذين ملكهم لي سائغ فقال له الشيخ الأولي جندكت قبيلة بجيم ودال مكسورتين بينهم نون ساكنة وكاف وتاء مفتوحتين والثانية قبيلة جم ول بجيم مفتوحة ممالة وميم ساكنة فواو مفتوحة ولام ممالة مكسورة والثالثة جم تير والرابع كم والخامس سرمجني والسادس من كفار فمبر تنسب بحر كدبكر والسابع بنتكرتب والثامنة تنسب بكمبر والتاسعة تنسب بمسميك والعاشرة تسمي بسرك والحادية عشرة تسمي بكر لكي والثانية تسمي بارب ثم قال للشيخ المذكور فما حال من أدعي من هذه القبائل أنه حر ابن حر وحرة فقال الشيخ أما من ثبت أن أباه حر وأمه من هذه القبائل فملكه لك سايغ وأما من ثبت أن أمه حره وأباه من هذه القبائل فإن كان أقام في دار أبيه وعمل بعمله فلك أيضا ملكه وإن كان خرج من دار الأب إلي دار الإم فليس لك ملكه لأن هذه القبائل لم يزل الملوك والسلاطين منذ زمن ملكي إلي شي بار يحذرون الناس عن مناكحتهم فوافق قول الشيخ أقوال العلماء الذين سألهم أسكيا قبل ذهابه إلي الحج رحم الله الجميع ثم بعد رجوع السلطان العادل أسكيا الحاج محمد رحمه الله حذر هو أيضا علي تحذيره عن مناكحة هذه القبائل فكل من نكح فيهم امرأة ممن ليس من أهل موركير فولده ملك فكل امرأة نكحها رجل منهم فإن أحبت لولدها الحرية فلتخرجه من دار زوجها إلي دار أبيها وإلا فإن أقام الولد بدار الزوج وعمل بعمل الزوج فهو ابن المولد ملك وهذه بعد ما سأل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عن أمر هؤلاء القبائل فأخبره كما أخبره الشيخ عبد الرحمن السيوطي واتفق أقوالهما كما يقع الحافر علي الحافر ثم أمر الشيخ محمد بن عبد الكريم أسكيا الحاج محمد أن يكتب براءة إلي الخليفة الذي يجيء بعده ويطلب منه الدعاء

وقال له أسكيا الحاج محمد وهل تبلغ تلك البراءة فقال له الشيخ أرجو أن تبلغ إن شاء الله فأمر الكاتب علي بن عبد الله أن يكتب براءة ونصها : هذا كتاب أمير المؤمنين وقامع الفجار والكافرين أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر إلي وراثة المسدد والقائم بأمره المويد أمير المؤمنين أحمد بن محمد المنصور فالسلام أشهي من كل مشهي وإكرام أنوار من الدر وأبهى يخصك ويعم علي كافة من منك وإليك بروح وريحان فموجبه إليك أيها الأخ البر الصالح أعلامك وتبشير بأنك آخر الخلفاء وقاهر الأعداء وهادي السعداء باتفاق العلماء ونحن نطلب منك الدعاء وأن أكون يوم القيامة في كريم زمرتك كما نسأل الله تعالي العصمة من فتن الزمان ونرجو من الله سبحانه وتعالي أن يجعلنا وإياك في زمرة خير الورى آمين فدعا له الشيخ أن يبلغ الله هذه البراءة قايماً وجهه فأمن الحاضرون علي دعائه فقال الفقيه محمود ويعضد قول الإمام ويرافقه ما روي عن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي من أنه سيكون آخر الزمان في أرض التكرور خليفتان أحدهما يظهر في آخر القرن التاسعة والأخير يظهر في أول القرن الثالثة عشرة ينكرهما أهل أشد التنكير وينسبون أفعالهما إلي الظلم والاباطيل فيقمع الله لهما كل جاهل جحود وكل عالم حسود ويستويان في جميع الأوصاف الحميدة إلا في العلم يفيض الله في يديهما الأموال العريضة المخزونة يصرفانها فيما يرضي الله قال الشيخ محمود كعت وليعلم كل من وقف علي هذه القصة التي ذكرناها التي لم نقصد بذكرها مباهاه ولا افتخار بل لما رأيناه من وشاهدناه من مناكرة أهل الزمان أحوال السلطان مع اتفاق العلماء الأعيان علي انه من الخلفاء النبلاء والعلماء النجباء فلم يضره ذلك في دينه ولا في دنياه بحمد الله تعالي وكما لم يضره ولا يضير من يأتي بعده إن شاء الله أقوال الحساد و إباية الجهال وسعاية الغدار الفساق انتهي محل الحاجة منه وأؤكد وأشدد نوح بن طاهر علي بلغه مكترين أن يأخذ منه نسخة ويرسها إلي من يظن عدم وصول ما فيه إليه نصيحة لله ولرسوله القائلين وهم أصدق القائلين إنما المؤمنين أخوة إنما الدين النصيحة وأؤكد وأشدد أيضاً علي حامله أن يجمع أهل كل بلده أو قرية أو حلة من أهل الإسلام يمر

عليهم ويظن عدم سماعهم ويقرأه عليهم أو يخبرهم بما فيه علي حسب الإمكان والسلام والقادر علي إيصال مكتوب أسكيا محمد أمير المؤمنين أحمد بن محمد بن أبي بكر قادر علي إيصال مكتوبة إلي من كتب إليه ببركة الشيخ. أنتهي بحمد الله وحسن عونه علي يد كاتبه وصلي الله علي سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً.

[illegible]

ماروي عن الشيخ عبد الرحمن الثعالبي من انه سيكون آخر الزمان
خليفتان احدهما يظهر في آخر القرن التاسعة و
والاخر يظهر في اول القرن الثالثة عشر يذكرهما اهل عصر
هما اشد التكبير وينسبون افعالهما الى الظلم والاباطيل
ويفتح الله لهما كل جاهل جحود وكل عالم حسود يستويان
في جميع الاوصاف الحميدة الا في العلم ويفتح الله في يديهما
الاموال الشريفة المخزونة بحروبهما فيما يرضي الله قال الشيخ
ويعلم كل من وقف على هذه القصة التي ذكرناها انا لم نقصد
بذكرها مباهاة ولا افتخارا بل الحال بيانه وما شاهدناه من مناكرة
اهل الزمان احوال السلطان مع اتفاق العلماء الاحبار على انه من الخلفاء
والعلماء النجباء فلم يضره ذلك في دينه ولا في دنياه بحمد الله تعالى
ولا يضره الا ما صدر منه بعد الا ان شاء الله قول الحساد و
واباية الجهال وسعاية الغدار الفساق انتهى
منه واوكد واشد [illegible] على من بلغه مكتوبي هذا ان يأخذ
منه نسخة ويرسلها الى من يحضر عنده وحولها فيه النصيحة
لله ولرسوله وللمؤمنين [illegible] انما المؤمنون اخوة

[illegible]
منا [illegible] الشيخ [illegible] الذي سأله اسكيا
[illegible]
اسكيا الحاج [illegible]
مناقضة هذه القبائل [illegible] يفهم ان امرأة ممن ليس من اهل
[illegible] ولده ملك مثل امرأة [illegible] منهم قد امكنت
لولدها الحرية فلتخرجه من دار زوجها الى دار ابيها والا فان
الولد بدار الزوج وعمل بعمل الزوج فهو في الولد ملك و
بعد ما سأل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عن امر هولاء
القبائل وما [illegible] اخبره الشيخ عبد الرحمن السيوطي واتفق
[illegible] كما وقع [illegible] عن الشيخ [illegible]
الامير اسكيا الحاج محمد ان يكتب براءة الى الخليفة [illegible]
ويطلب منه الدعاء وقال له اسكيا الحاج محمد وهل تبلغ تلك
البراءة فقال له الشيخ ارجو ان تبلغ ان شاء الله فامر الكاتب علي
بن عبد الله ان يكتب براءة ونصها هذا كتاب امير المؤمنين القائم
[illegible] والكافر من اسكيا الحاج محمد بن ابي بكر الى وارثه الهمام
والخليفة بامره المؤيد امير المؤمنين احمد بن محمد المنصور والسلام
اشهى من كل مشتهى واحلى نورا من الدر وابهى [illegible] على
[illegible] منك واليك [illegible] وموجبه اليك ايها الامير
[illegible] وتبشرك بانك اخر الخلفاء وظاهر الاعداء و
[illegible] وغير تطلب منك الدعاء وانا نكون يوم

مرغيبة

[illegible]
[illegible] المنصور الكناني أسكيا الحاج محمد بن أبي
بكر التوري [illegible] آثار [illegible] وبعد
[illegible] الصدى [illegible] البحر والبر وانفسح له بحمد
الله البلاد شرقا وغربا وتداعت له الوفود براً وبحراً وجاءت [illegible]
وأذعنت له الملوك كرها وطوعا وحصل لنا من بركاته خير ونعما
بعد ما كنا في خوف وبؤس فأبدل الله تعالى ذلك بفضله كما قال الحق
خلقه إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا وقد أن نجمع من أحواله
الجليلة مع ذكر شيء على العقول ما سهل على اليد واللسان وإلى
الله سبحانه التكلان وسميته تاريخ الفتاش في أخبار البلدان
[illegible] وأكابر الناس وذكر [illegible] وعظائم الأمور
[illegible] العبيد من الأحرار اعلم رحمنا الله وإياك أن الإمام
[illegible] السلطان العادل أسكيا الحاج محمد لما تولى السلطنة
أقام طريقة شرعية وجعل فيها قواعد السلطنة في أول أمره
لتأليف قلوب قومه فلما ثبتت له السلطنة واستقامت
المملكة طرح من ذلك كله وجعل يسأل العلماء ليعمل على
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمشي على أقوالهم رحمه الله
حتى اتفق جميع علماء عصره على أنه خليفة وممن صرح له بذلك
الشيخ عبد الرحمن السيوطي والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي
والشيخ شمهروش الجني والشريف الحسني مولاي العباس أمير
مكة رحمه الله وكان للمسلمين حقوقا وحرمة على نفسه وأمر

لاهل

لأهل قور كثيرا أن يتزوجوا ما يشاؤوا ويتبعهم ولا أهم وهو
موجود إلى الآن لم يتغير ببركته رحمه الله وأعطى الشريف أحمد الصقلي
ابن أخي مولاي العباس ناحية كثيرة من الفرو والجزائر بعد أن حج
وبشره مولاي العباس أمير مكة بأنه الحادي عشر من الخلفاء الذين
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل على رأسه قلنسوة خضراء وعمامة
من يده وأعطاه سيفا وأشهد الحاضرين أنه خليفة بأرض التكرور وأن كل
من خالفه فيها فقد خالف الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم [illegible]
للرجوع جاء ومر بمصر ووجد هناك الشيخ عبد الرحمن السيوطي فسأله عن
عدد الخلفاء الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيأتون بعده
فقال له الشيخ هم اثنا عشر خمسة منهم بالمدينة واثنان بمصر وواحد
[illegible]
يعني هو [illegible]
اثنان أحدهما [illegible] بعد الثلاثة قبيلة منسوبة بتورو من أهل
اليمن [illegible] اثنان [illegible] منصور على أكثر [illegible] والقطار
والعدوة لا يعجزه موضع من مملكته [illegible]
بلاد مخصوصة [illegible] مخصوصة [illegible]
ثم يفتح الله ذلك الموضع بيد الخليفة الثاني بعدك فيا أنت أول
الاثنين [illegible] وحبك تمضي في آخر عمرك ويعزلك واحد من أبنائك
[illegible]

والقاء ر على ايصال مكتوبا سكيا الى امير المومنين

احمد بن محمد بن ابي بكر فاه ر على ايصال مكتوب الى من

كتبا اليه ببركة الشيخ اسقي رحمة الله

وتيسر عونه على يد كاتبه وصلى الله على

سيدنا محمد نبيه وءاله وصحبه

وسلم تسليما

وثيقة رقم ٣

الصفحة الأخيرة من إجازة الإمام محمد قطب الدين أحمد النهر والي - مفتي مكة المكرمة - في أسانيد أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم للحاج إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري الجنوي[1]

" الحمد لله أجزت لصاحب هذه الاستجازة الفقيه الفاضل الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن التكروري الجنوي تقبل الله تعالي منه حجه وزيارته وغيادته أن يروي عنى هذه الأحاديث وهذه الكتب بأسانيدها المذكورة وجميع ما يجوز لي روايته بشرط وأوصيه بتقوى الله تعالي وطاعته وعبادته وبأن يشركني في دعاءه الصالح لنفسه بأن يختم الله بالخير في عافيه بلا وأن يجعل كلامنا آخر كلامنا لا اله إلا الله محمد رسول الله قال ذلك أفقر عباد الله تعالي قطب الدين بن علاء الدين الملكي الحنفي القادري الحز قاني مفتي مكة المشرفة غفر الله له ولأسلافه ومشايخه وكافة المسلمين أمين ".

(١)النهروالي (محمد قطب الدين بن محمد المتوفي عام ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) :) إجازة صادرة منه أسانيد أحاديث الرسول ﷺ، إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوى التكرورى، وثيقة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، رقم ٢٠٦٥، ورقة ١٣ـ ب .

الحمد لله أجزت لصاحب هذه الإجازة المعتبر
الفاضل الحاج ابرهيم بن عبد الرحمن التكروري
الجنوي تقبل الله تعالى منه حجه وزيارته وعبادته
أن يروي عني هذه الأحاديث وهذه الكتب
بأسانيدها المذكورة وجميع ما يجوز لي روايته
بشرط وأوصيه بتقوى الله تعالى وطاعته وعبادته
وأن يشركني في دعائه الصالح لنفسه بأن يختم الله لنا
بالخير في عافية بلا بلا وأن يجعل آخر كلامنا لا إله إلا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنا أحقر عباد الله تعالى
قطب الدين عيسى الحسن المكي الحنفي القادري الخرقاني
مفتي مكة المشرفة [illegible]
[illegible]

ملحق رقم ٤

فترات حكم سلاطين دولة مالي ([1]):

١_ سندياتا أو ماري جاطة (٦٢٨-٦٥٣هـ/ ١٢٣٠-١٢٥٥م)

(يبدأ عصر دولة مالي من عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م أي بعد ثمانية أعوام من حكم سندياتا أو ماري جاطة).

٢_ منسا ولي (علي بن ماري جاطة) (٦٥٣-٦٦٩هـ/ ١٢٥٥-١٢٧٠م)

٣_ منسا علي بن ماري جاطة (٦٦٩-٦٧٣هـ/ ١٢٧٠-١٢٧٤م)

٤_ خليفة بن ماري جاطة (٦٧٣-٦٧٤هـ/ ١٢٧٤-١٢٧٥م)

٥_أبو بكر بن بنت ماري جاطة (٦٧٤-٦٨٤هـ/ ١٢٧٥-١٢٨٥)

٦_ساكوره (مغتصب العرش) (٦٨٤-٧٠٠هـ/ ١٢٨٥-١٣٠٠م)

٧_قو بن ماري جاطة (٧٠٠-٧٠٥هـ/ ١٣٠٠-١٣٠٥م)

٨_ محمد بن ماري جاطة (٧٠٥-٧١٠هـ/ ١٣٠٥-١٣١٠م)

٩_ أبو بكر بن أخت ماري جاطة (٧١٠-٧١٢هـ/ ١٣١٠-١٣١٢م)

١٠_ منسا موسي بن أبي بكر (٧١٢-٧٣٨هـ/ ١٣١٢-١٣٣٧م)

١١_ مغان الاول بن موسي (٧٣٨-٧٤١هـ/ ١٢٣٧-١٣٤٠م)

---

(١) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص ١٢٢، ١٢٣.

١٢_ منسا سليمان أخو موسي (٧٤١-٧٦٢هـ/ ١٣٤١-١٣٦٠م)

١٣_ قنبتا بن سليمان (٧٦٣هـ/ ١٣٦٠م)

١٤_ ماري جاطة الثاني حفيد منسا موسي (٧٦٢-٧٧٦هـ/ ١٣٦٠-١٣٧٤م)

١٥_ موسي الثاني بن ماري جاطة الثاني (٧٦٢-٧٧٦هـ/ ١٣٦٠-١٣٧٤م)

١٦_ مغان الثاني أخو موسي الثاني (٧٨٩-٧٩١هـ/ ١٣٨٧-١٣٨٨م)

١٧_ صندكي (مغتصب العرش) (٧٩٠-٧٩٣هـ/ ١٣٨٨-١٣٩٠م)

١٨_ مغان الثالث (من أسرة كيتا) (٧٩٣هـ/ ١٣٩٠)

(٣) ملحق رقم ٥ :

فترات حكم سلاطين دولة صُنغي :

١_ سني علي (٨٦٩-٨٩٩هـ/ ١٤٦٤-١٤٩٣م)

٢_ أسكيا الحاج محمد الأول (٨٩٩-٩٣٤هـ/ ١٤٩٣-١٥٢٨م)

٣_ أسكيا موسي بن أسكيا محمد (٩٣٤-٩٣٧هـ/ ١٥٢٨-١٥٣١م)

٤_ أسكيا محمد الثاني (محمد بنكن) (٩٣٧-٩٤٣هـ/ ١٥٣١-١٥٣٧م)

٥_ أسكيا إسماعيل بن أسكيا محمد الأول (٩٤٣-٩٤٦هـ/ ١٥٣٧-١٥٣٩م)

٦_ أسكيا إسحاق الأول (٩٤٦-٩٥٦هـ/ ١٥٣٩-١٥٤٩)

٧_ أسكيا داوود بن أسكيا محمد الأول (٩٥٦-٩٩١هـ/ ١٥٤٩-١٥٨٢م)

٨_ أسكيا محمد الثالث بن أسكيا داوود (٩٩٠_٩٩٥هـ/ ١٥٨٢_١٥٨٥م)

٩_ أسكيا محمد الرابع بن داوود (٩٩٥_٩٩٦هـ/ ١٥٨٦_١٥٨٨م)

١٠_أسكيا إسحاق الثاني بن داوود (٩٩٦_١٠٠٠هـ/ ١٥٨٨_١٥٩١م)

٢ـ الخرائط التوضحية :

١ـ طريق القوافل الرئيسية بين السودان الغربي وبلاد المغرب .المصدر: مهدي رزق الله ، حركة التجارة والإسلام، ص٨٠٧.

٢ـ السودان الغربي وتوزيع أنهاره ومدنه فى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. المصدر:

Fage, J.D., An Introduction to west African History, London ١٩٦٩, p٢١.

٣ـ أهم المراكز الحضرية فى بلاد السودان الغربي. المصدر: أمطير غيث، مرجع سابق، ص٤١٣.

٤ـ إمبراطورية غانة المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع فى غرب أفريقيا، ص٢٩٠.

٥ـ أهم دول السودان الغربي في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

المصدر: مهدي رزق الله ، حركة التجارة والإسلام، ص٨٠٨.

٦ـ مالي وأهم مدن السودان الغربي عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م المصدر: الشبكة العالمية للانترنت.

٧ـ مالي فى عهد منسا موسى .المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع فى غرب أفريقيا، ص٢٩٤.

٨. طريق حج السلطان منسا موسى الى مكة فى ذهابه وإيابه عامي

٧٢٤- ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤- ١٣٢٥م . المصدر: إبراهيم الشامي الحج وأثره فى دولتي مالي وصنغي، ص٢٨٤.

٩.. إمبراطورية صنغي. المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع فى غرب أفريقيا، ص٢٩٦.

١٠ــ طريق مقترح لطريق الحج الذي اتخذه أسكيا الحاج محمد عام (٩٠٣هـ/ ١٤٩٦م) الى الحج. المصدر: إبراهيم الشامي الحج وأثره فى دولتي مالي وصنغي، ص٢٨٥.

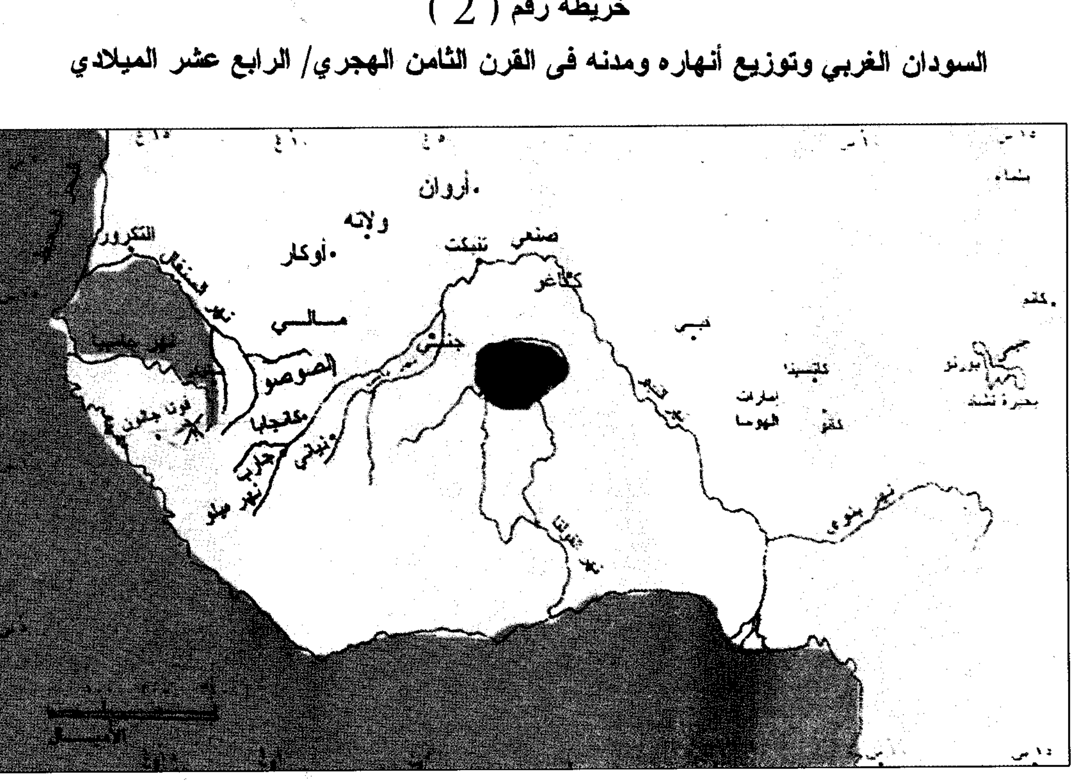
خريطة رقم (1)

طريق القوافل الرئيسية بين السودان الغربي وبلاد المغرب

المصدر: مهدي رزق الله ، حركة التجارة والإسلام، ص٨٠٧.

خريطة رقم (2)

السودان الغربي وتوزيع أنهاره ومدنه فى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي

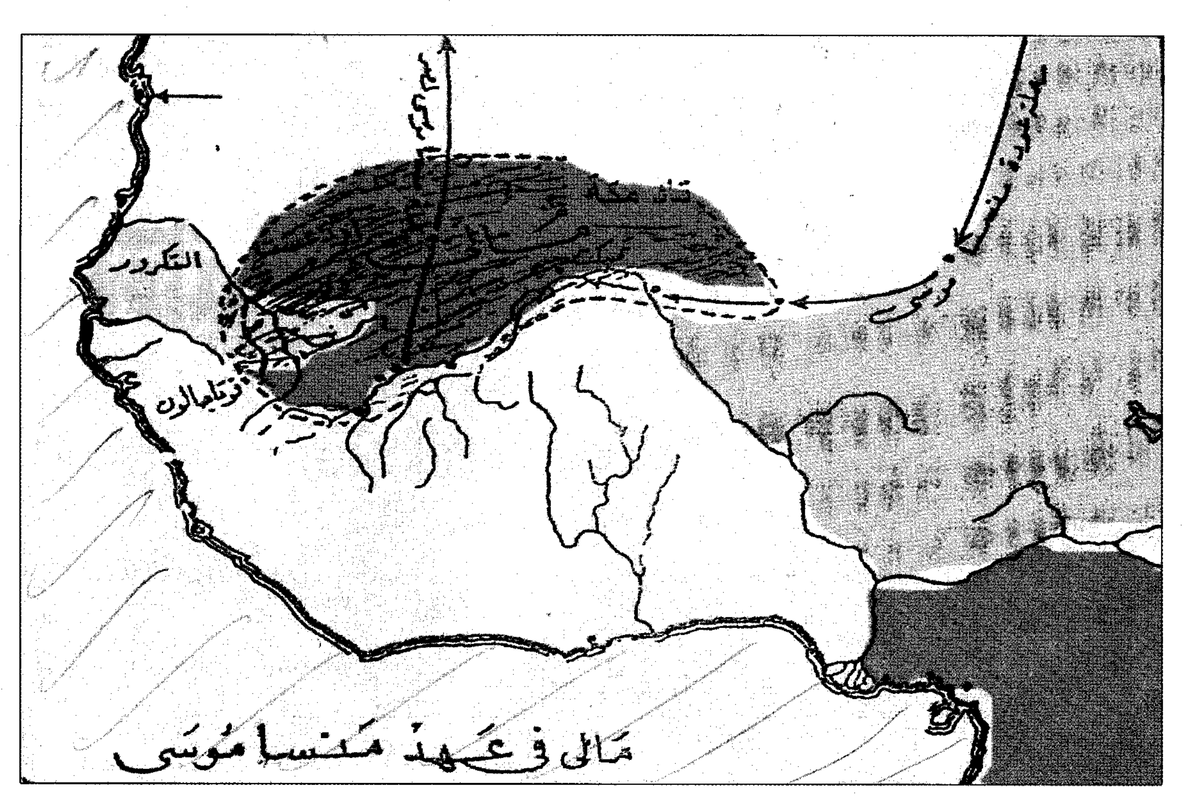


المصدر:

Fage, J.D., An Introduction to west African History, London 1969, p21.

خريطة رقم (3)

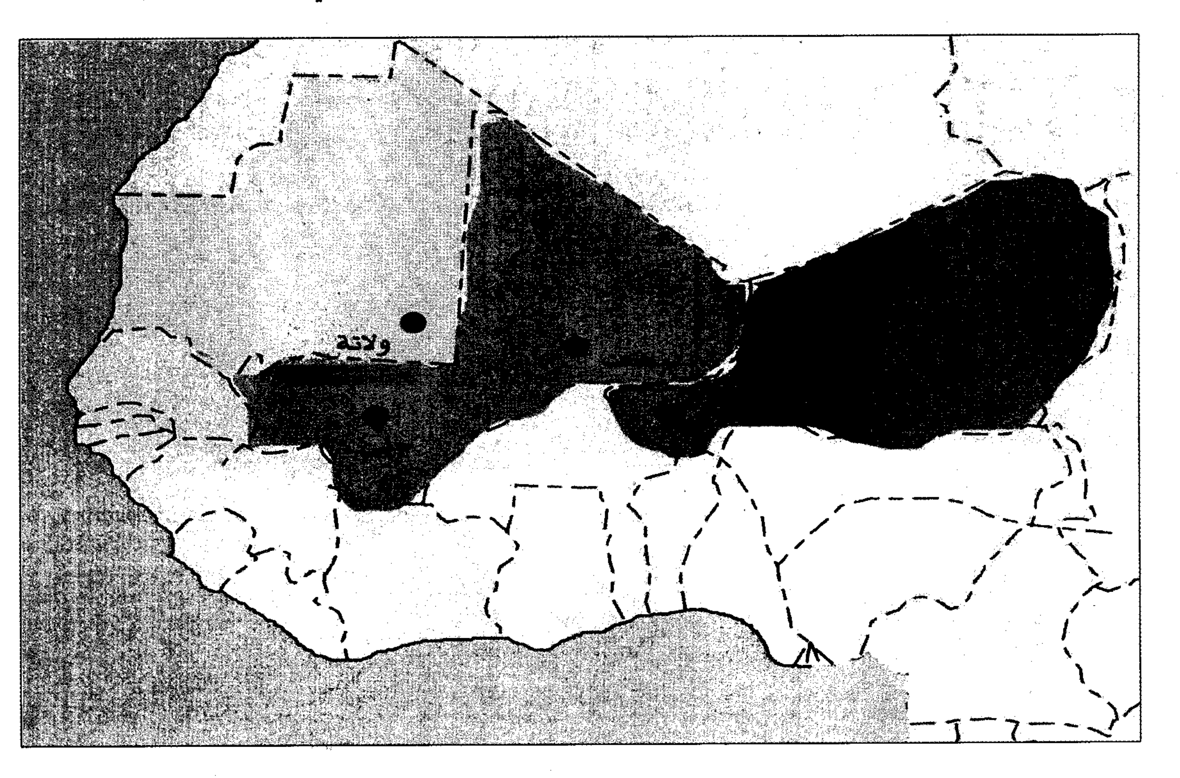
مالي فى عهد منسا موسى



المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع فى غرب أفريقيا، ص٢٩٤.

خريطة رقم (4)

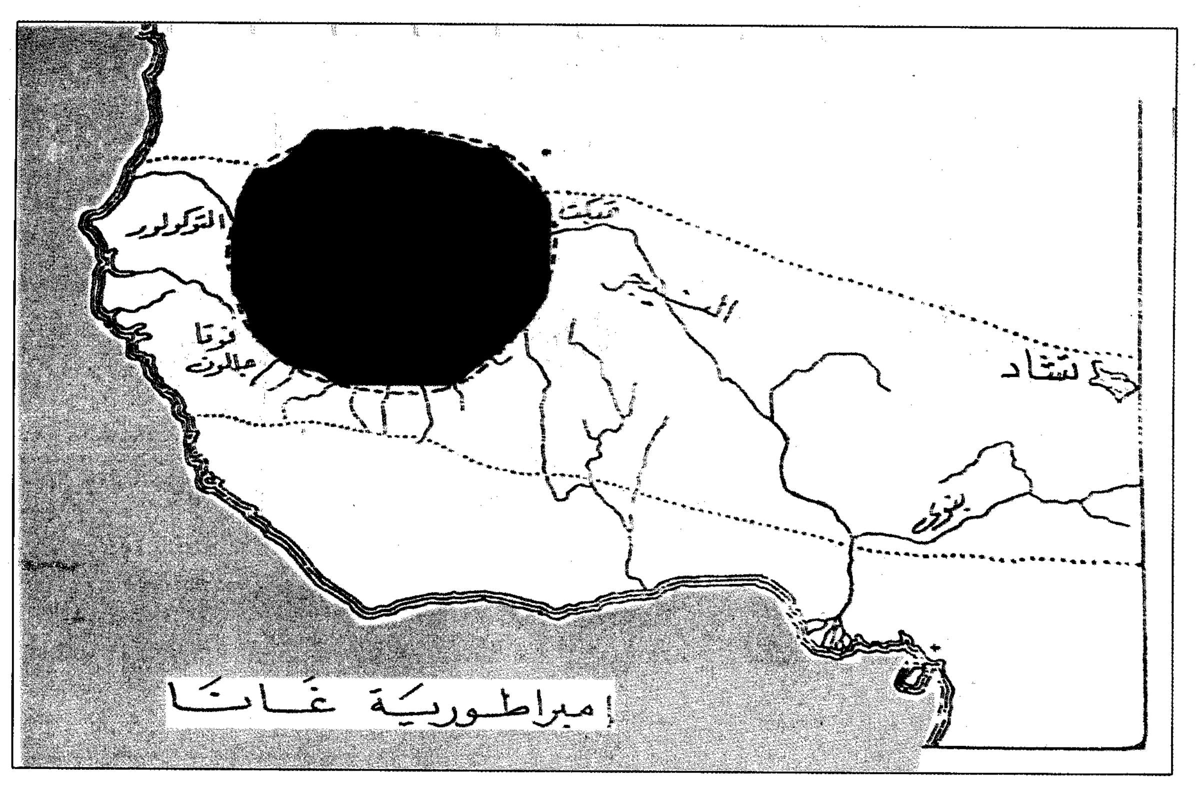
أهم المراكز الحضرية فى بلاد السودان الغربي



المصدر: أمطير غيث، مرجع سابق، ص٤١٣.

خريطة رقم (5)

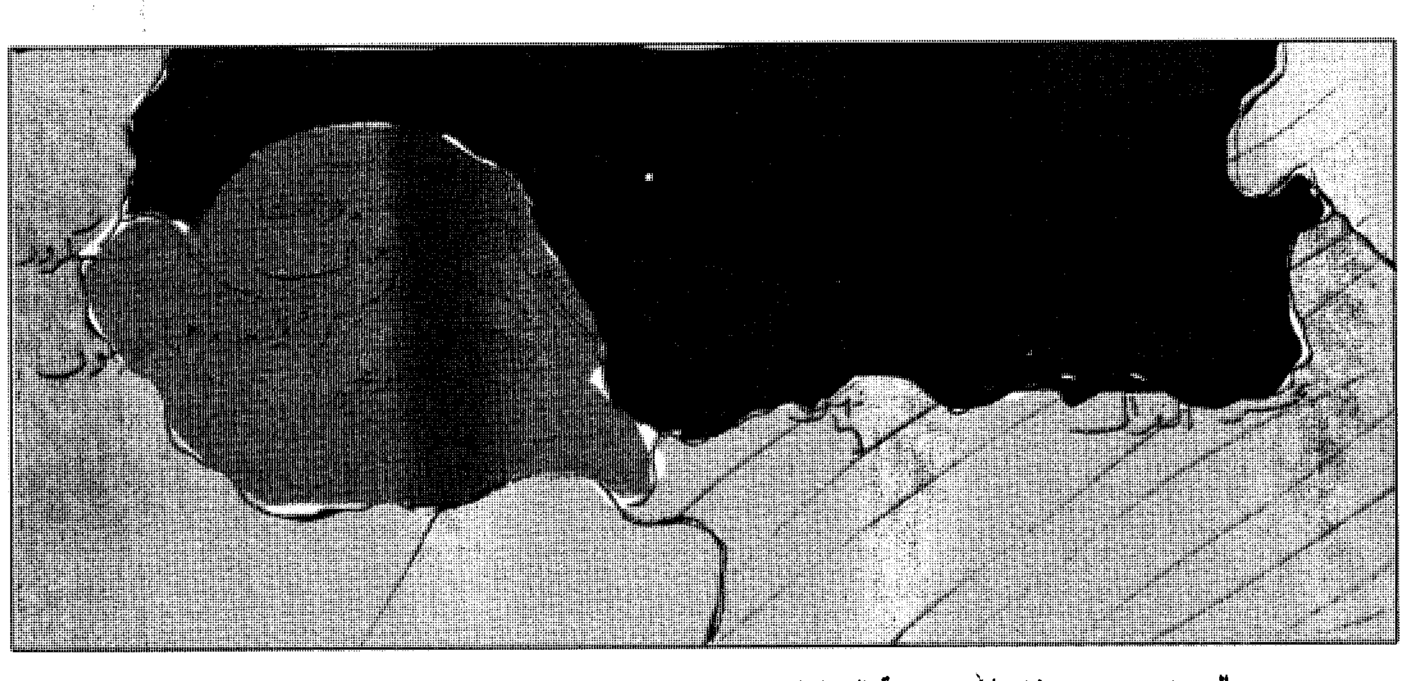
إمبراطورية غانة



المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع فى غرب أفريقيا، ص٢٩٠.

خريطة رقم (6)

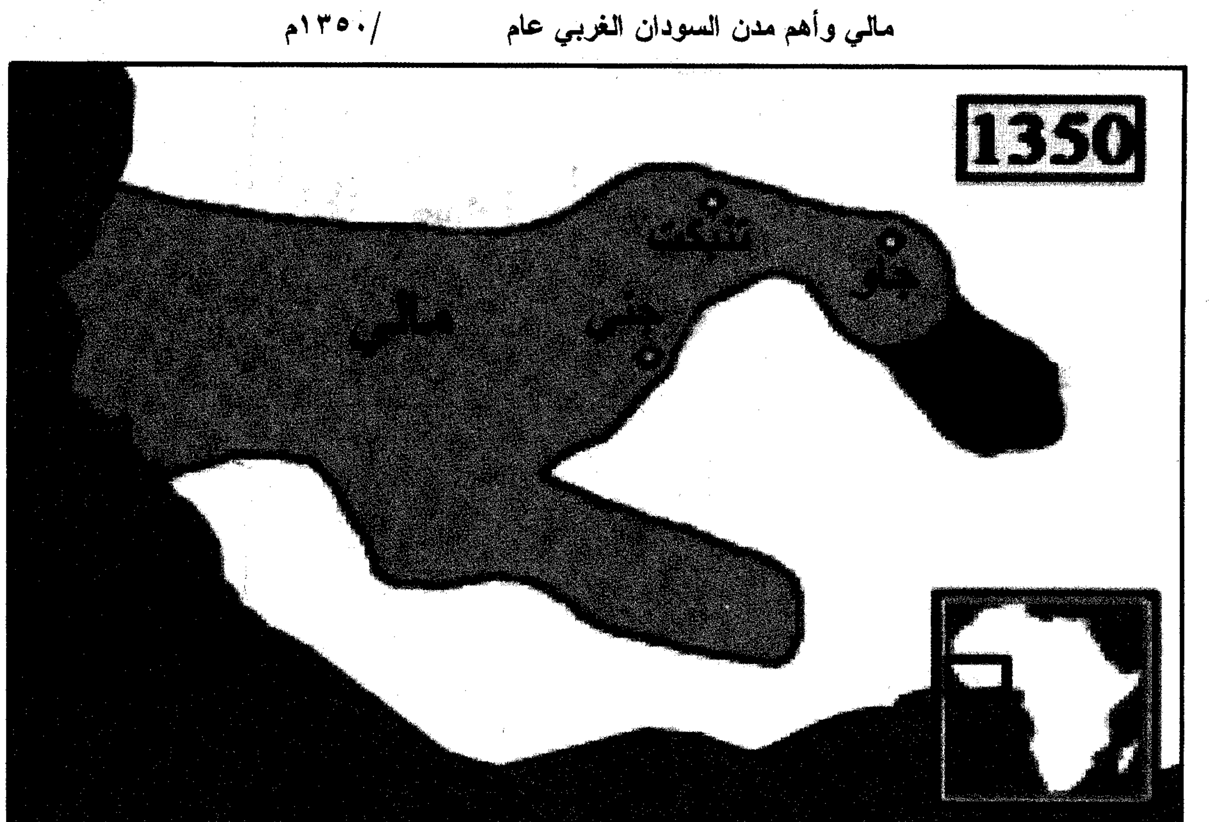
أهم دول السودان الغربي فى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي



المصدر: مهدي رزق الله ، حركة التجارة والإسلام، ص808.

خريطة رقم (7)

مالي وأهم مدن السودان الغربي عام ١٣٥٠م/



المصدر: الشبكة العالمية للانترنت.

خريطة رقم (8)

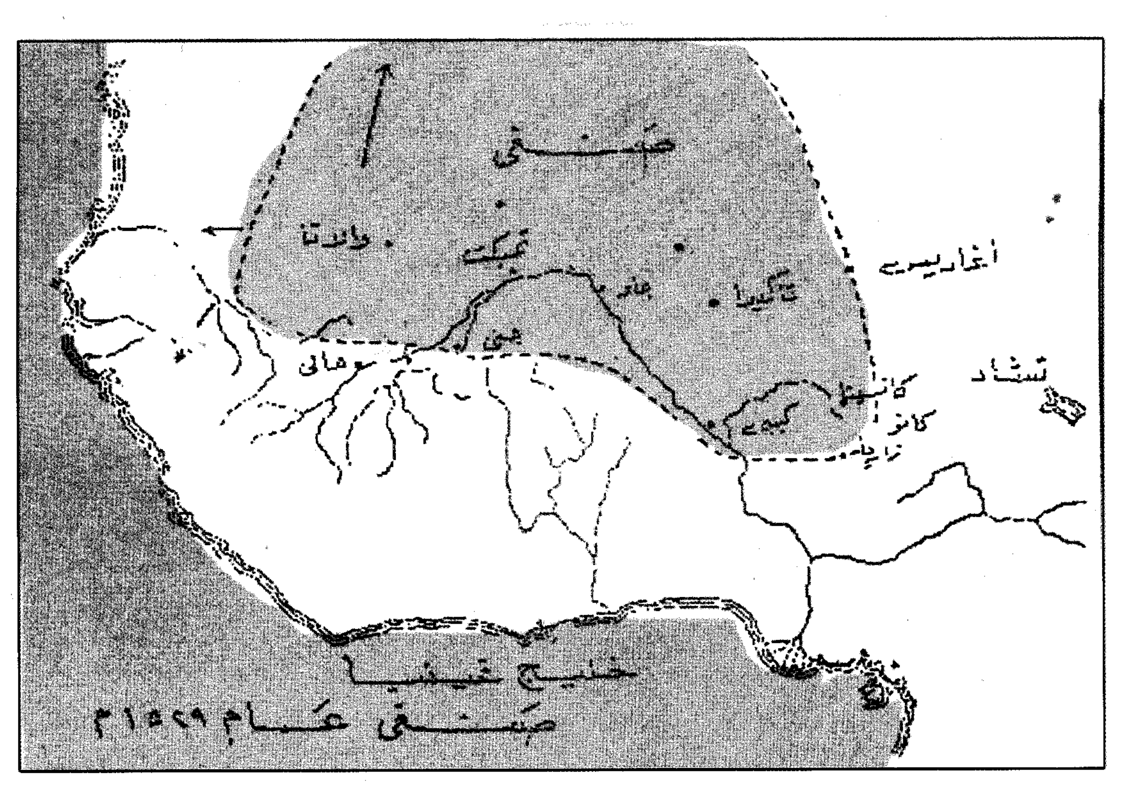
طريق حج السلطان منسا موسى الى مكة فى ذهابه وإيابه عامي ٧٢٤- ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤- ١٣٢٥م



المصدر: إبراهيم الشامي الحج وأثره فى دولتي مالي وصنغي، ص٢٨٤.

خريطة رقم (9)

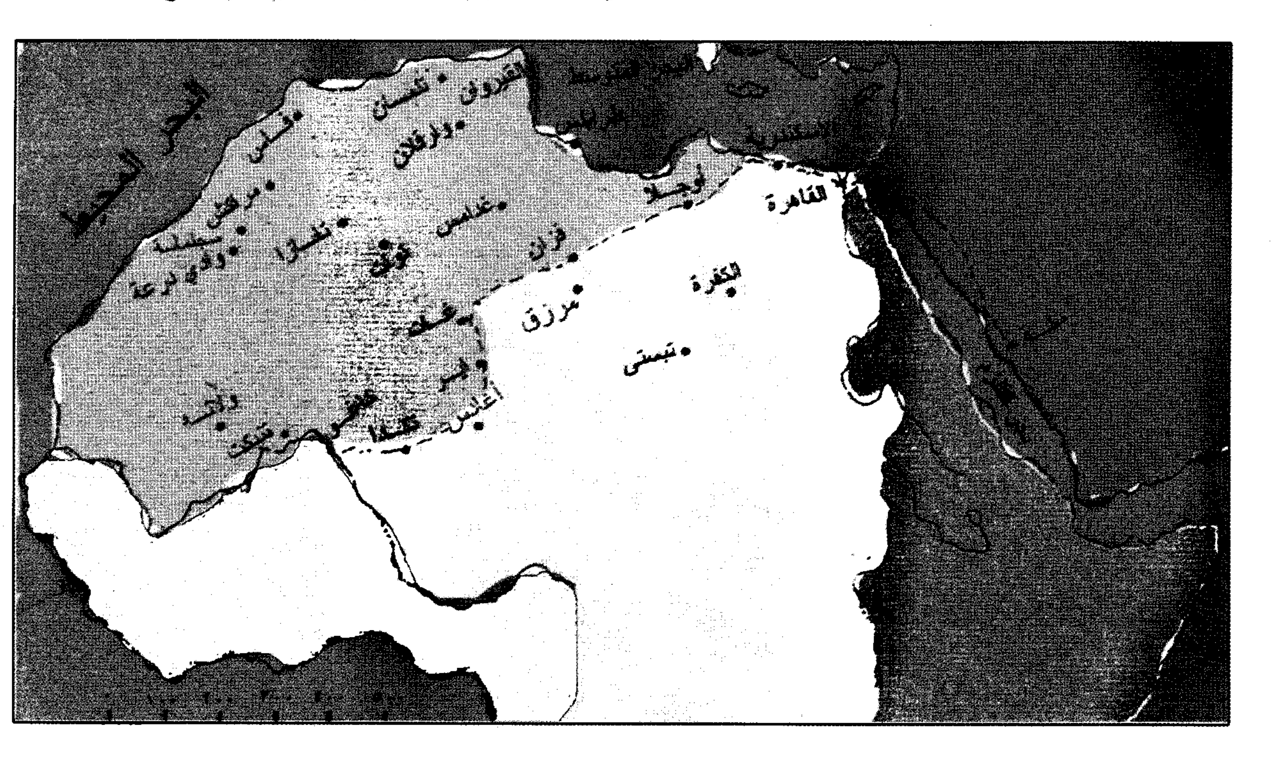
إمبراطورية صنغي



المصدر: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الصوفية والمجتمع فى غرب أفريقيا، ص٢٩٦.

خريطة رقم (10)

طريق مقترح لطريق الحج الذي اتخذه أسكيا الحاج محمد عام (٩٠٣هـ/١٤٩٦م) الى الحج



المصدر: إبراهيم الشامي الحج وأثره فى دولتي مالي وصنغي، ص٢٨٥.

الاشكال



لوحة رقم (1)

مسجد جنكري بير

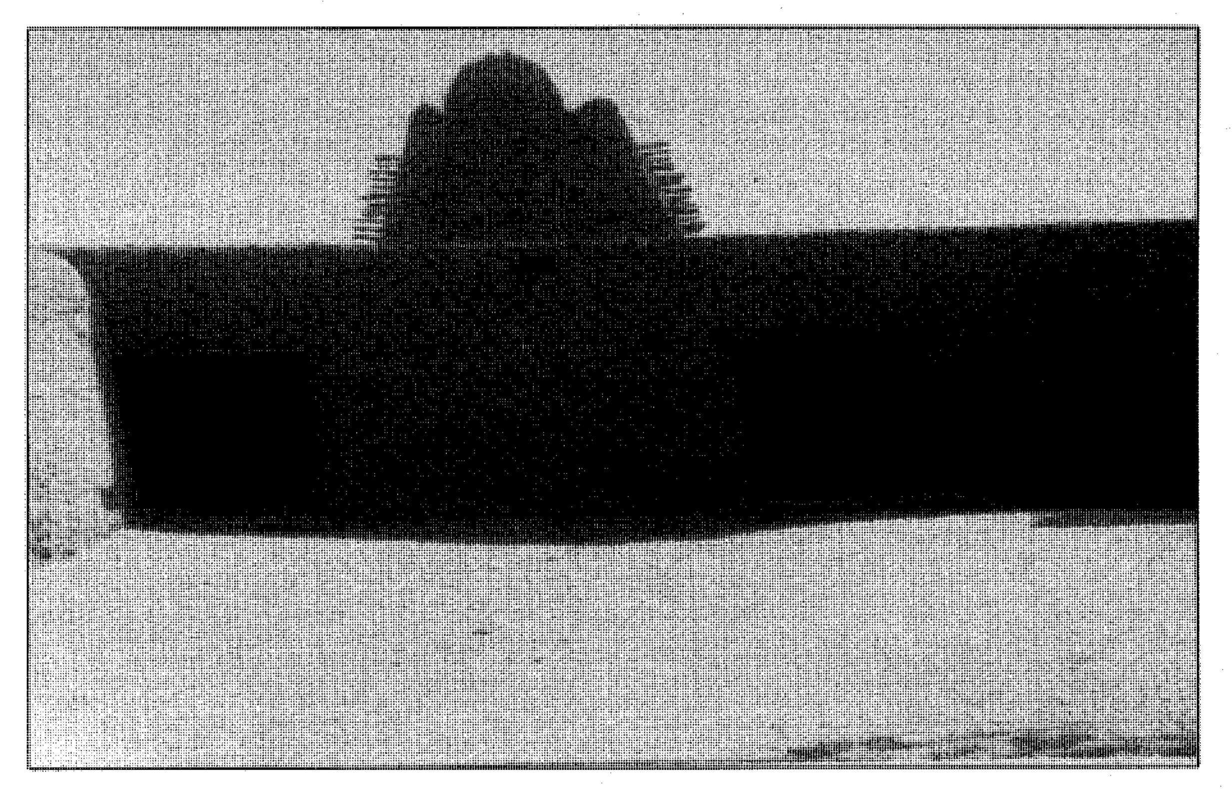
المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

لوحة رقم (2)

منارة مسجد جنكري بير ــ تنبكت

المصدر: أ.د/ حسين مراد ــ رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

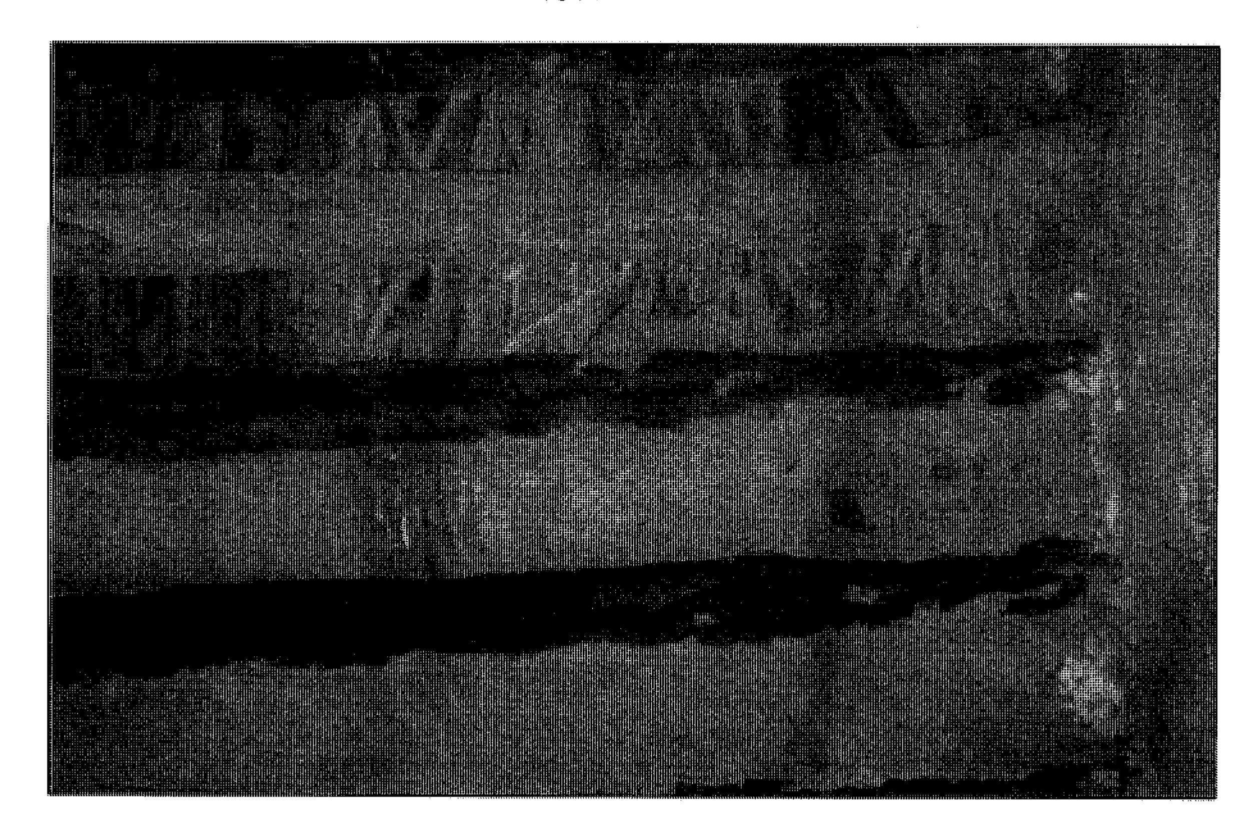
لوحة رقم (3)



منارة مسجد جنكري بير

المصدر: أ.د/ حسين مراد ــ رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

لوحة رقم (6)



سقف مسجد جنكري بير ــ تنبكت

المصدر: أ.د/ حسين مراد ــ رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

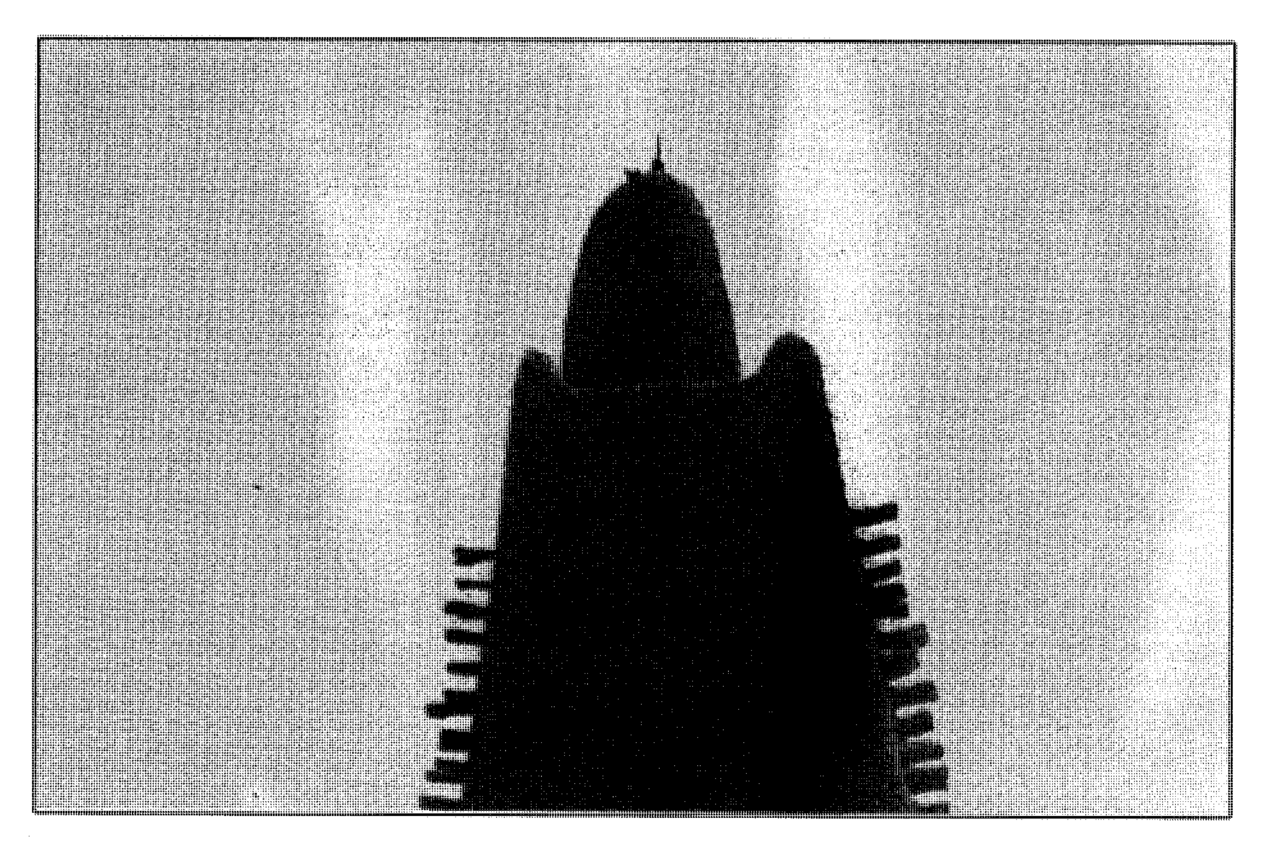
لوحة رقم (7)



منارة مسجد سنكري ــ تنبكت

المصدر: أ.د/ حسين مراد ــ رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

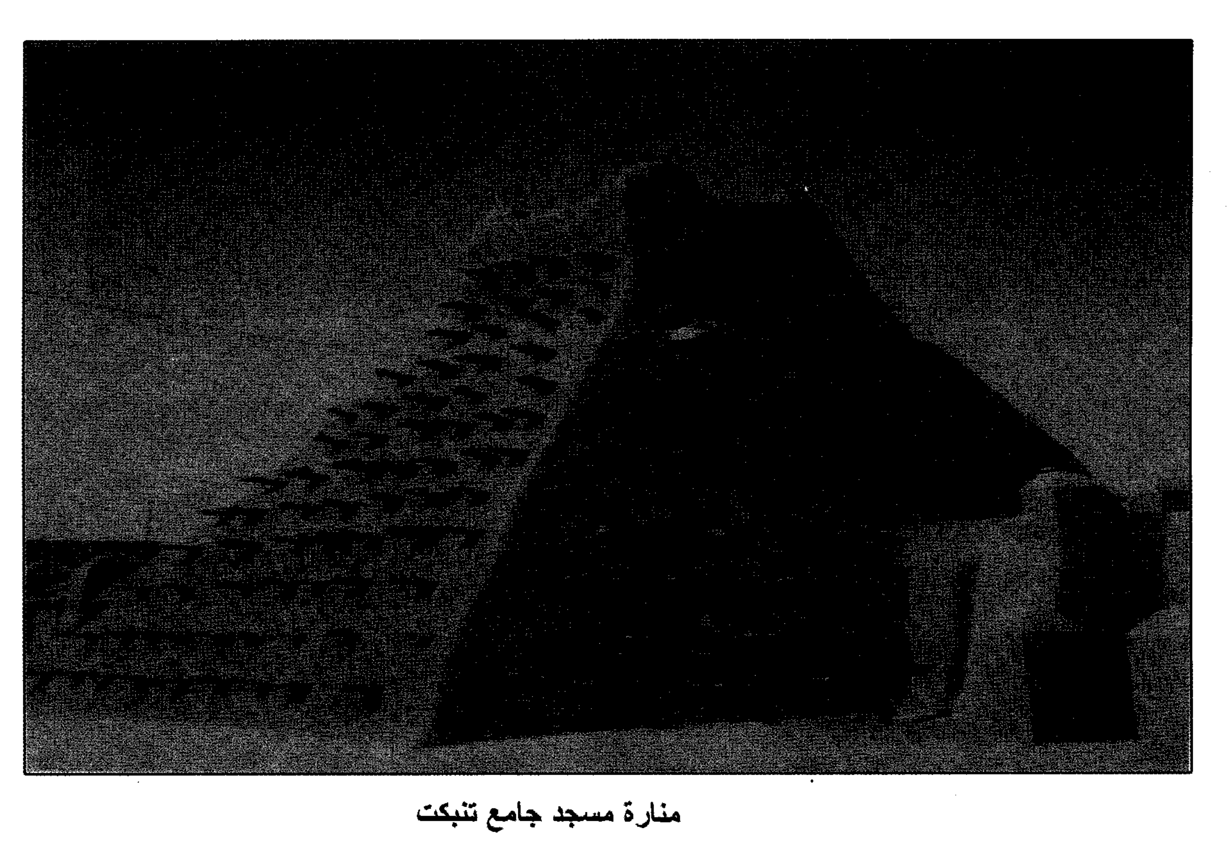
لوحة رقم (8)



منارة مسجد سنكري بير تنبكت

المصدر: أ.د/ حسين مراد ــ رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

لوحة رقم (9)



منارة مسجد جامع تنبكت

المصدر: أ.د/ حسين مراد ــ رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

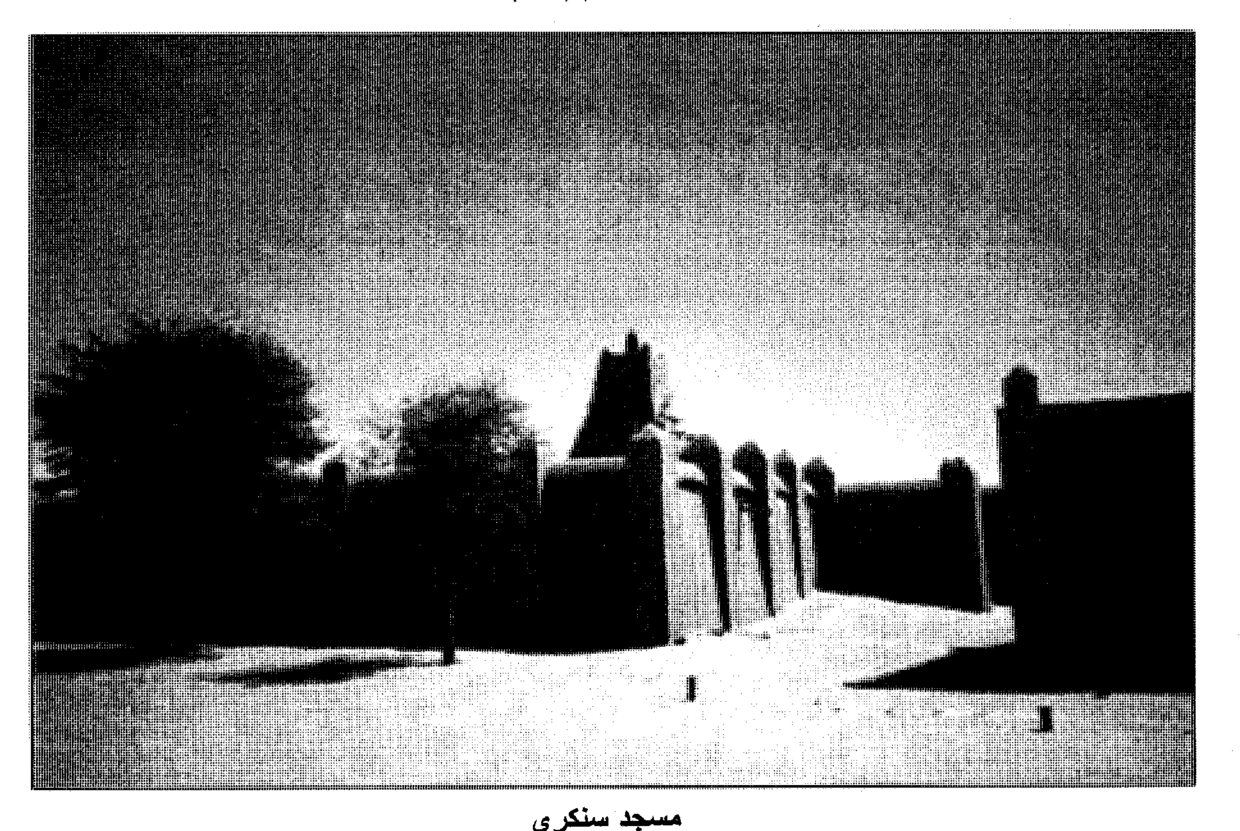
لوحة رقم (10)



جامع سنكري ـــ تنبكت

المصدر: أ.د/ حسين مراد ـــ رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

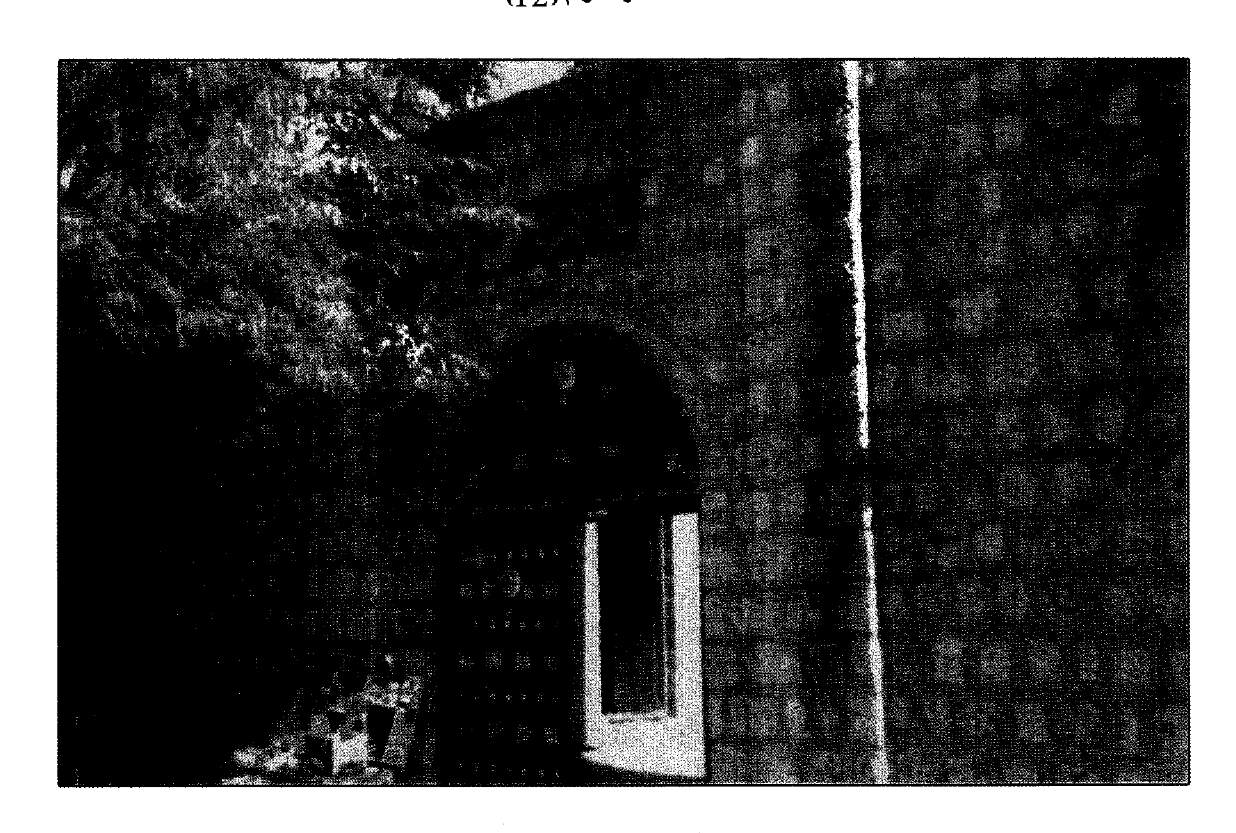
لوحة رقم (11)



مسجد سنكري

المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

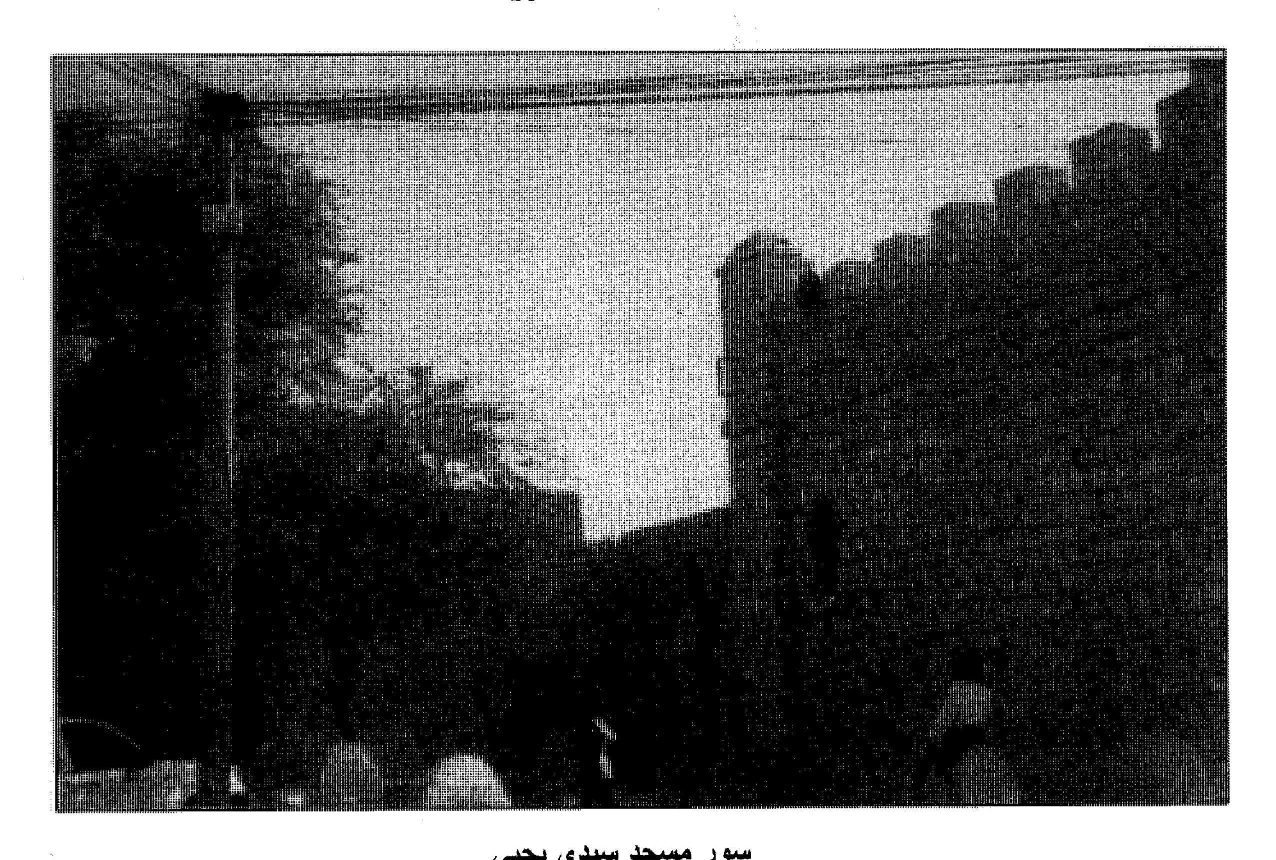
لوحة رقم (12)



مدرسة بجواز مسجد سيدي يحيى ـــ تبتكت

المصدر: أ.د/ حسين مراد ـــ رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

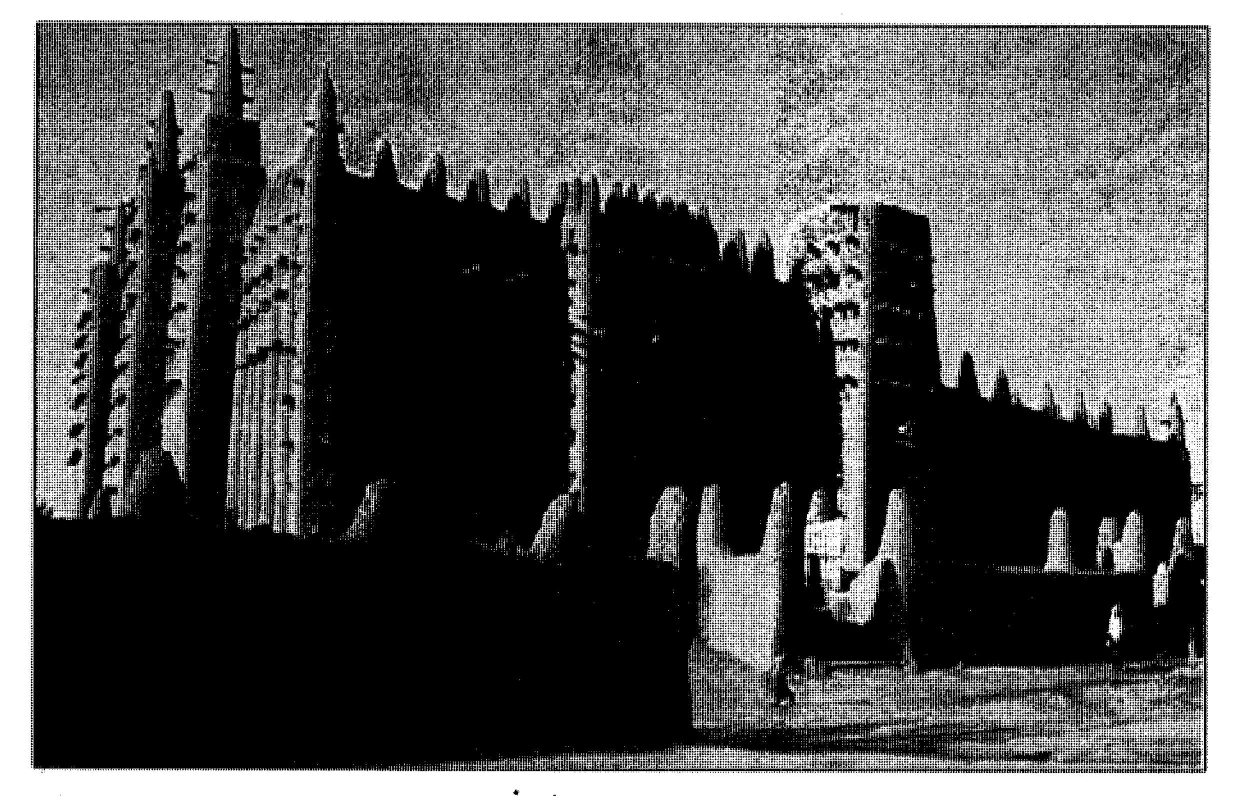
لوحة رقم (13)



سور مسجد سيدي يحيى

المصدر: أ.د/ حسين مراد ــ رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة

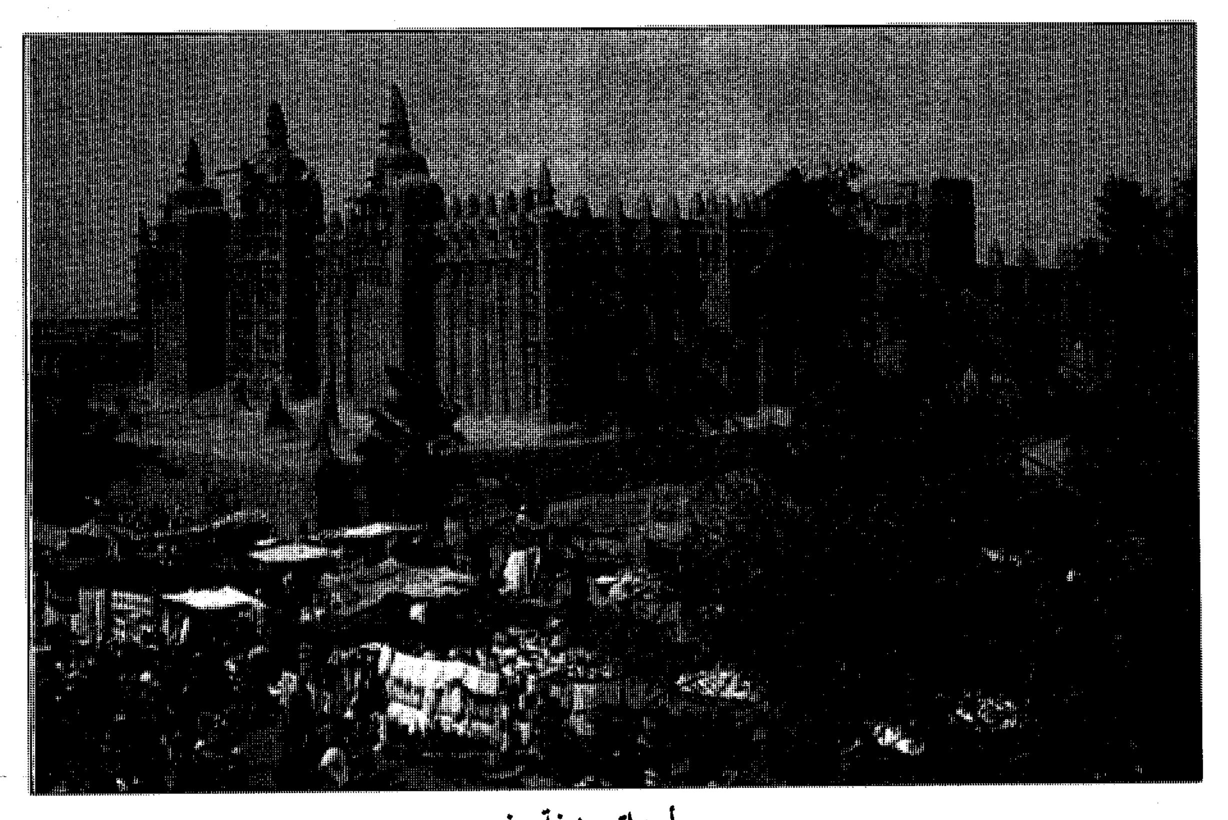
لوحة رقم (14)



مسجد جني

المصدر : الشبكة العالمية "الإنترنت"

لوحة رقم (15)



أسواق مدينة جني

المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

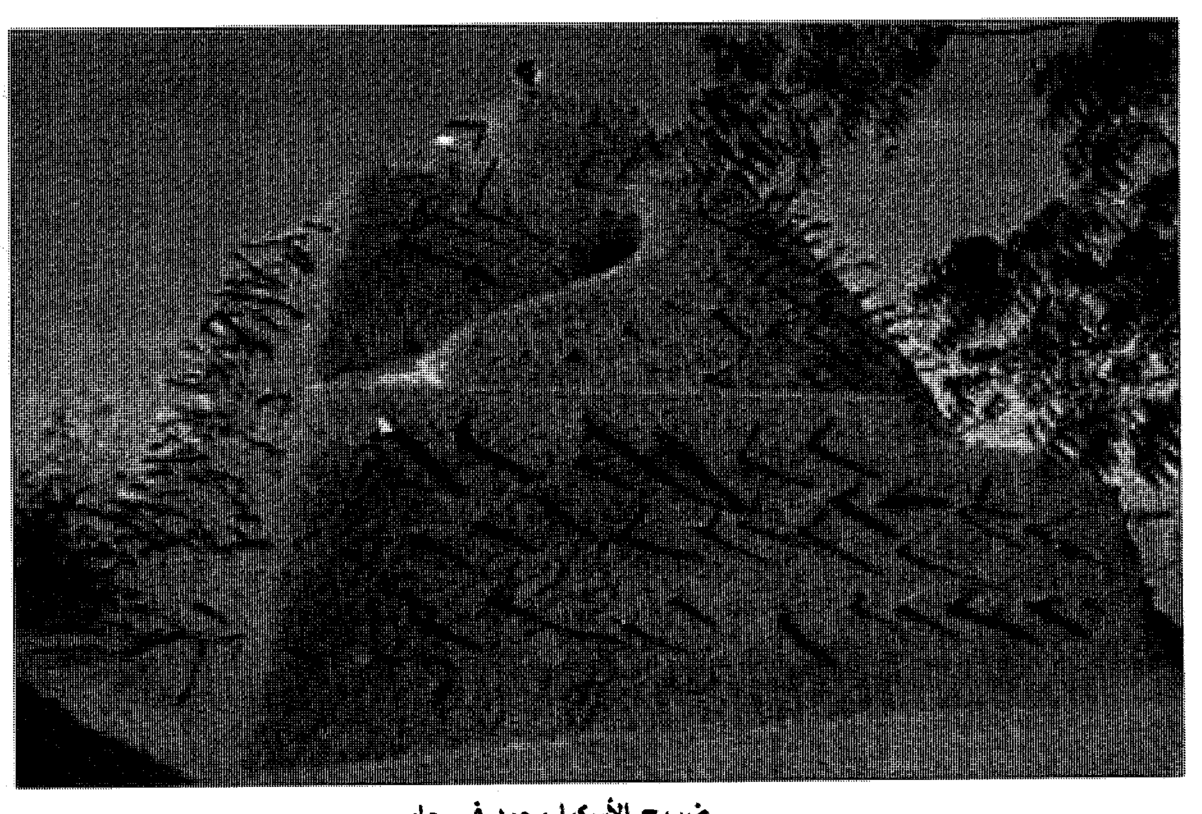
لوحة رقم (16)



منسا موسي يبدو ممسكاً بسبيكة ذهب (من خريطة أفريقيا وأوروبا) في عام (1395م)

المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

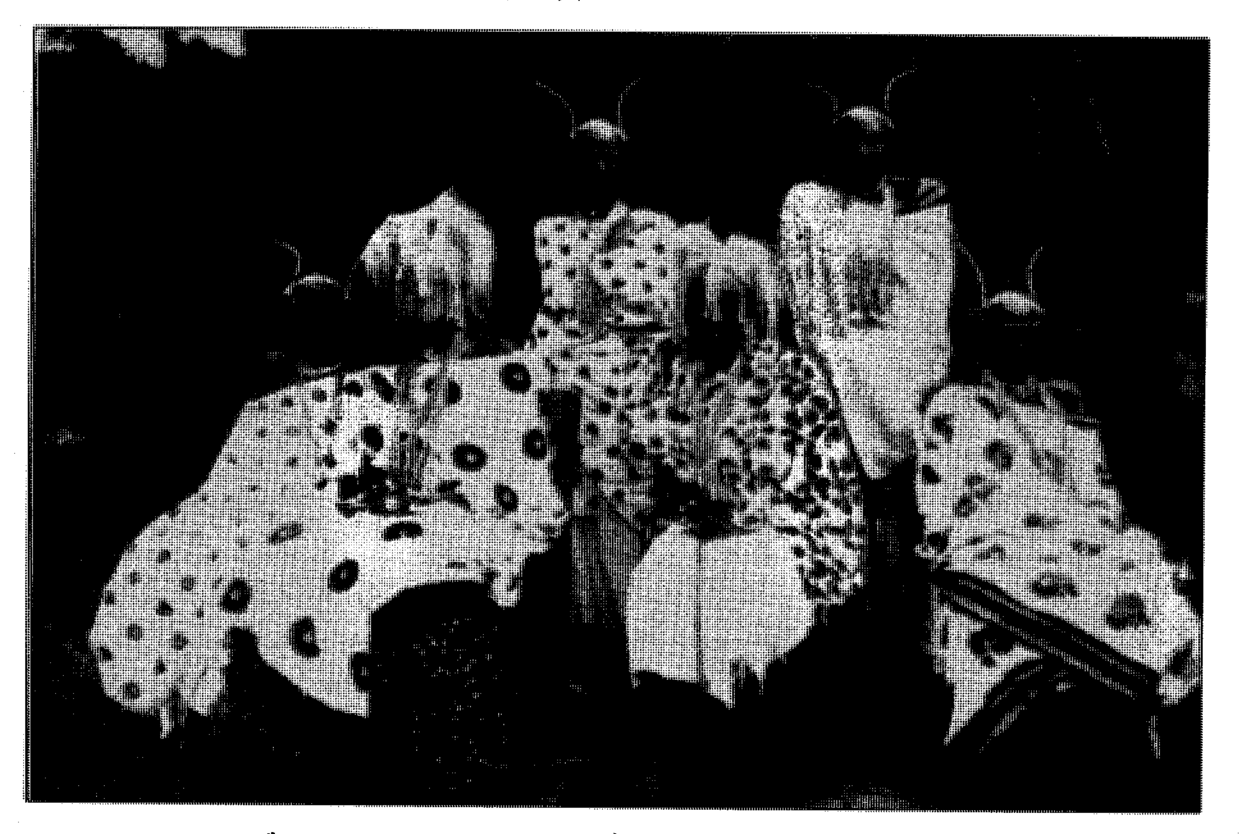
لوحة رقم (17)



ضريح الأسكيا محمد في جاو

المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

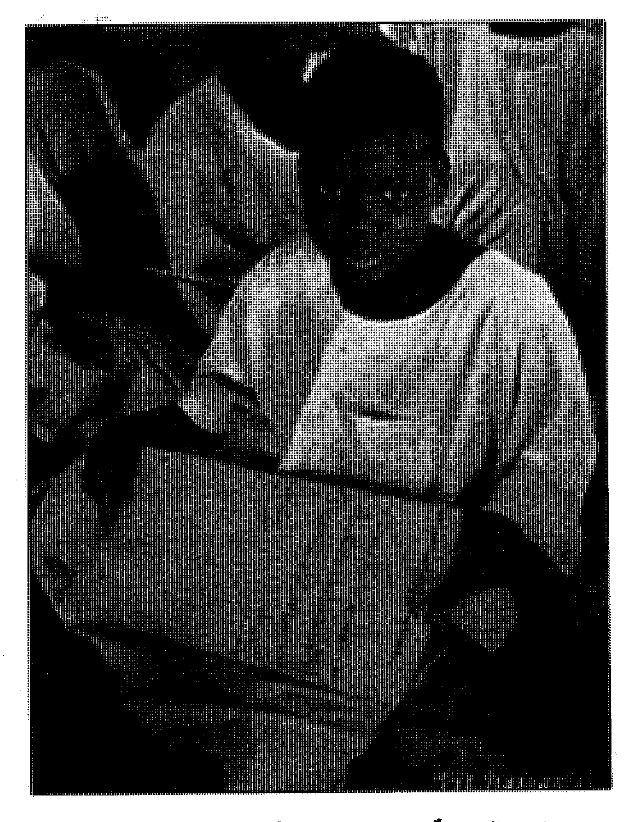
لوحة رقم (18)



ملوك دولة الموشي الذين حاربهم أسكيا محمد بعد عودته من رحلة حجه

المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

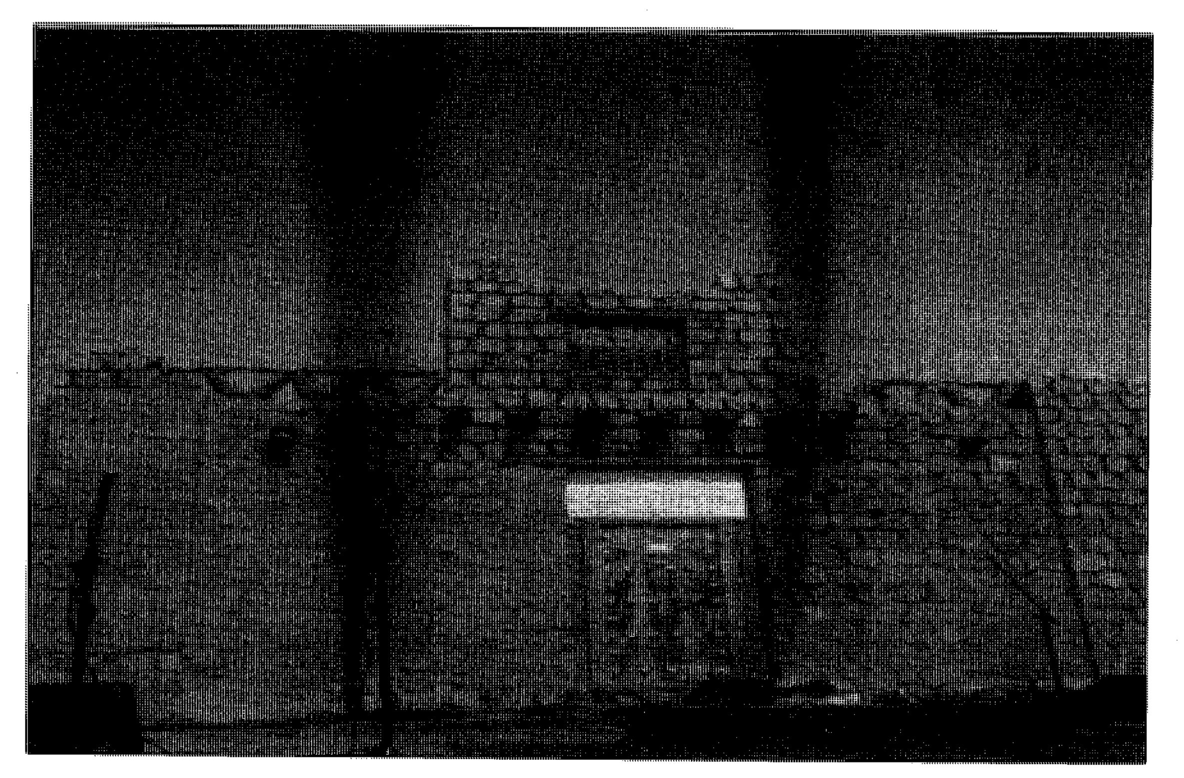
لوحة رقم (19)



احد الصبية يتعلم القران في إحدى الكتاتيب

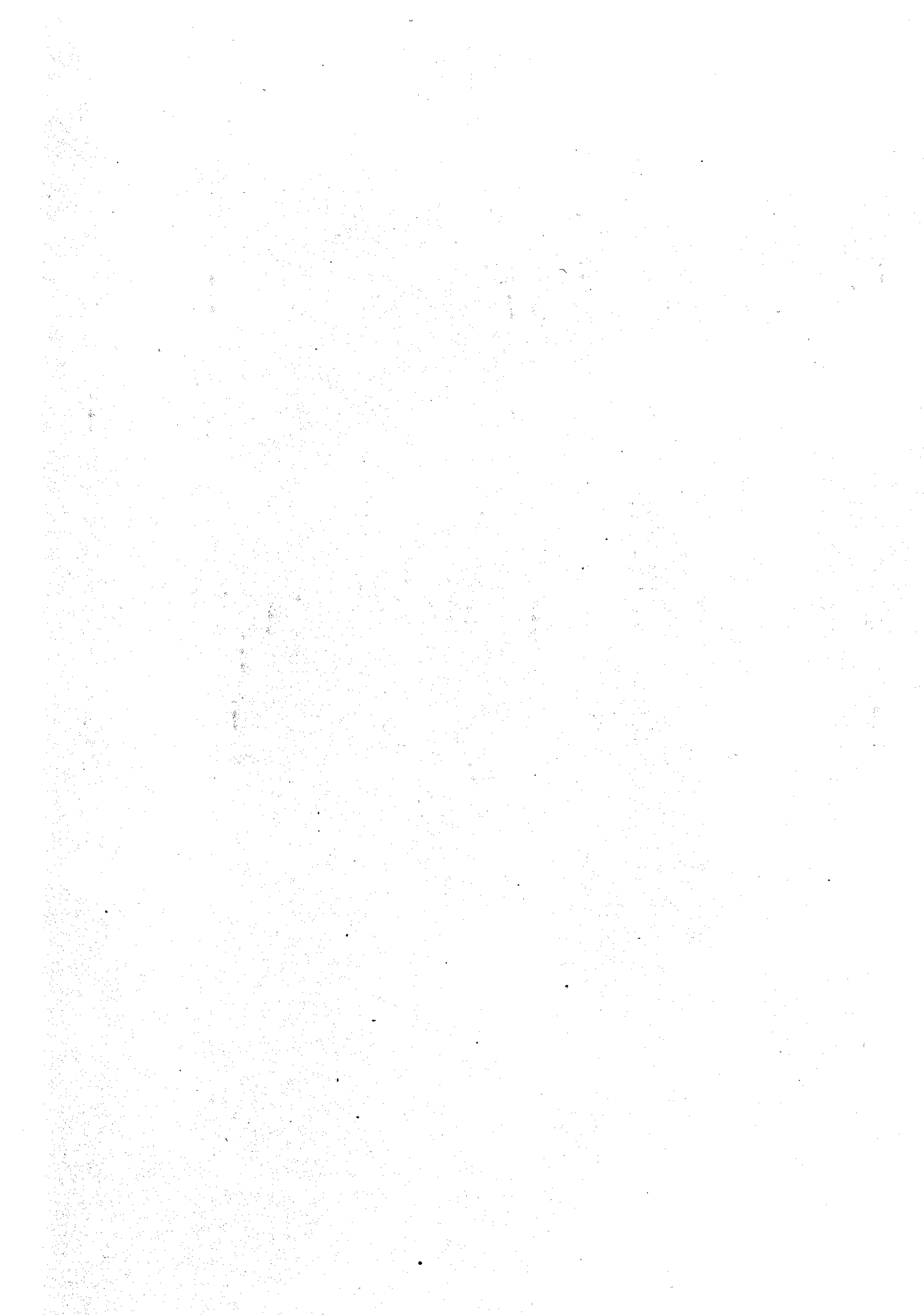
المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

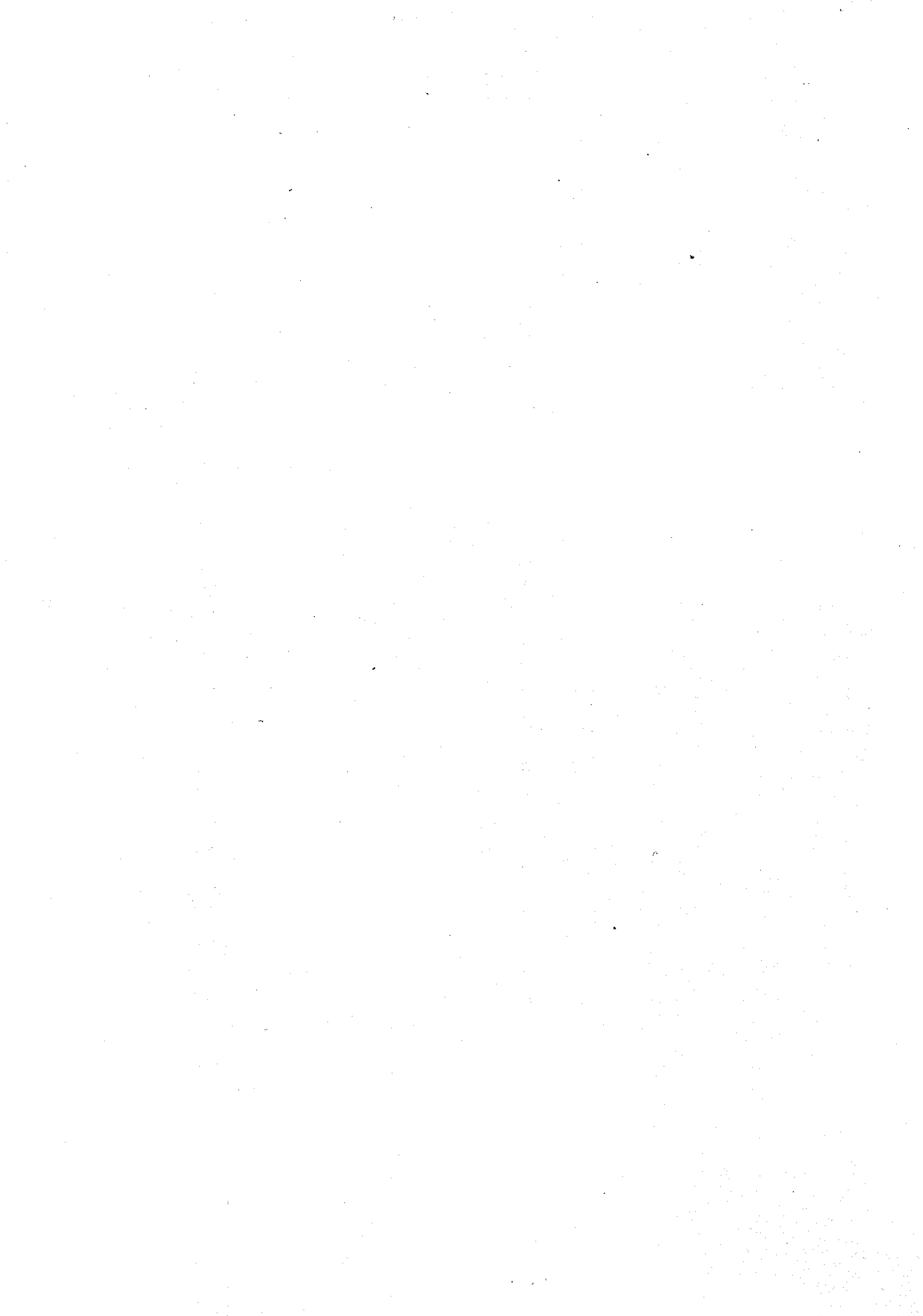
لوحة رقم (20)



منزل أحمد بابا التنبكتي

المصدر: أ.د/ حسين مراد ــ رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة





٣ـ الأشكال :

١ـ مسجد جنكري بير، المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت".

٢ـ منارة مسجد جنكري بير ، المصدر:أ.د/ حسين مراد : رئيس قسم التاريخ، أثناء زيارته للمنطقة.

٣ـ منارة مسجد جنكري بير ـ تنبكت ، المصدر: أ.د/ حسين مراد

٤ـ منبر مسجد جنكري بير ، المصدر: أ.د/ حسين مراد

٥ـ محراب مسجد جنكري بير ـ تنبكت ، المصدر: أ.د/ حسين مراد

٦ـ سقف مسجد جنكري بير ـ تنبكت ، المصدر: أ.د/ حسين مراد

٧ـ منارة مسجد جامع تنبكت ،المصدر: أ.د/ حسين مراد

٨ـ منارة مسجد سنكري ـ تنبكت ،المصدر: أ.د/ حسين مراد

٩ـ منارة مسجد سنكري ،المصدر: أ.د/ حسين مراد

١٠ـ جامع سنكري ـ تنبكت ،المصدر: أ.د/ حسين مراد

١١ـ مسجد سنكري ،المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

١٢ـ مدرسة بجوار مسجد سيدي يحيى ـ تنبكت ،المصدر: أ.د/ حسين مراد

١٣ـ سور مسجد سيدي يحيى ، المصدر: أ.د/ حسين مراد

١٤ـ مسجد جني ، المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

١٥ـ أسواق مدينة جني ،المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

١٦ـ منسا موسي يبدو ممسكاً بسبيكة ذهب (من خريطة أفريقيا وأوروبا) في عام (١٣٩٥م)

المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

١٧ـ ضريح الأسكيا محمد في جاو،المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

١٨ـ ملوك دولة الموشي الذين حاربهم أسكيا محمد بعد عودته من رحلة حجه ، المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

١٩ـ احد الصبية يتعلم القران في إحدى الكتاتيب ،المصدر: الشبكة العالمية "الإنترنت"

٢٠ـ منزل أحمد بابا التنبكتي ،المصدر: أ.د/ حسين مراد

مكتبة البحث

(قائمة المصادر والمراجع)

أولاً الوثائق والمخطوطات:

أحمد بن أحمد بن عمر أقيت المتوفي عام ٩٩١هـ/ ١٥٨٤م :

١_ مناخ الأحباب من منح الوهاب ضمن مجموعة بالخزانة العامة بالرباط ، رقم ٥/ ١٨٩٠ .

أحمد بابا التنبكتي: (أحمد بن أحمد بن عمر أقيت) المتوفى عام (١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م): أحمد بابا التنبكتي: (أحمد بن أحمد بن عمر أقيت التنبكتي المتوفى عام ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م):

٢_ إجازة منه للأمام أبى الفضل بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحى ، وثيقة بالخزانة العامة ، الرباط ، مجموع رقم ٣٦٩٣

٣_ إجازة للخطيب أبى زيد الوقاد التلمساني ، وثيقة بالخزانة العامة ، الرباط ، مجموع ٣٦٩٣.

٤_ أسئلة إلى علماء مصر ، مخطوط ، المكتبة الوطنية ، باريس ، مع مجموعة رقم . ARABe:٥٣٨٢

٥_ أسئلة في المشكلات ، مخطوطة الخزانة العامة الرباط مع مجموعة رقم ٤٧٠ من الورقة ١١٨ظ إلى الورقة رقم ١٤٠و .

أحمد بابير الارواني :

٦_ جواهر الحسان في أخبار ملوك السودان ، مخطوطة معهد البحوث والعلوم الإنسانية نيامى النيجر ، رقم ١٠٦ ، ص ١٣ ب .

محمد محمد المفتى (مرحبا):

٧_ فتح الحنان المنان بأخبار السودان ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، نيامي (النيجر) ، رقم ١٠٨ .

النهروالي : (محمد قطب الدين بن محمد)

٨_ إجازة صادرة منه أسانيد أحاديث الرسول ﷺ ، إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوى التكرورى ، وثيقة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، رقم ٢٠٦٥، ورقة ١٣- ب .

الوسياني : (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام المتوفى عام ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)

٩_ سير أبى الربيع الوسياني ، مخطوطة بالهيئة المصرية العامة دار الكتب المصرية رقم ٩١١٣ح ميكروفيلم رقم ٨٤٥٢.

ثانياً المصادر العربية المطبوعة :

ابن ابى زرع (ابو الحسن على بن عبد الله المتوفى عام ٧٢٦ه / ١٣٢٥م):

١-الانيس المطرب:روض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،اويسالة، ١٨٤٣م.

ابن الأثير (على بن محمد المتوفى عام ٦٣٠هـ/ ١٦٣٣م) :

٢ـ اللباب في تهذيب الأنساب ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، الجزء الأول، ٢٠٠٠م.

أحمد بابا:(أحمد بن أحمد بن عمر أقيت التنبكتي المتوفى عام١٠٣٦ هـ/ ١٦٢٧م)

٣_ تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، تحقيق سعيد سامي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط ، جامعة محمد الخامس ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٤_ نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، طرابلس ليبيا ، الطبعة الأولي ، ١٩٨٩م

٥_ كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، تحقيق على عمر ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة الطبعة الأولي ٢٠٠٤م.

الادريسى (محمد بن محمد بن عبد الله إدريس المتوفى عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) :

٦_ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، طبع مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، ١٨٦٣م .

الاروانى (أحمد بيير) :

٧_ السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية ، دراسة وتحقيق الهادي مبروك الدالي ، جمعية الدعوة الإسلامية ، العالمية ، ليبيا ، الطبعة الاولي ، ٢٠٠١م

الاصبهانى (أبو نعيم أحمد بن عبد الله):

٨_ حليه الأولياء ، طبقات الأصفياء ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان، الجزء السادس ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

الافرانى (أبو عبد الله محمد الصغير اليفرني المراكشي) :

٩_ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي عشر ، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ، الطبعة الأولي ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

الأنصاري أبى عبد الله محمد الرصاع المتوفى عام (٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م) :

١٠_ شرح حدود أبن عرفة المرسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام أبن عرفة الوافية ، تحقيق محمد أبو الاجفان ،الطاهر المعموري ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٣م.

الانصارى أحمد النائب :

١١_ (المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، منشورات مكتبة الفرجانى ، طرابلس ، ليبيا ، الجزء الأول ، بدون تاريخ

ابن بطوطة (هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي" المتوفى عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) :

١٢_ تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار ، دار التراث ، بيروت ، بدون تاريخ .

البكري (أبى عبيد عبد الله بن محمد البكري المتوفى عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) :

١٣_ المسالك والممالك ، حققه جمال طلبه ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ،الطبعة الأولي ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

البرتلى (ابو عبد الله الطالب محمد بن ابى بكر الصديق المتوفى ١٢١٩ه/ ١٢١٩م):

١٤-فتح الشكور فى معرفة اعيان علماء التكرور ،تحقيق محمد ابراهيم الكتانى ،محمد حجى، دار الغرب الاسلامى ،بيروت ،١٤٠١ه/ ١٩٨١م .

ابن الجوزى (جمال الدين أبو الفرج الجوزي المتوفى عام ٥٩٧ه):

١٥_ صفوة الصفوة ، تحقيق محمود فخوري ، محمد رواسي ، دار المعرفة ،بيروت الطبعة الرابعة ، بدون تاريخ .

الجزيرى (عبد القادر بن محمد، أنتهي من تأليفه عام ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م):

١٦_ درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

ابن حجر(شهاب الدين أحمد بن على العسقلاني المتوفى عام٨٥٢ هـ/ ١٤٤٩م):

١٧_ تهذيب التهذيب ،حيدر أباد، الدكن الجزء السابع ،١٦٢٥هـ.

١٨_ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ،الجزء الثاني بدون تاريخ.

الحطاب الرعيني (ابى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي المتوفى عام ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) :

١٩_ مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٥م.

الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري المتوفى في عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م):

٢٠_الروض المعطار في خبر الأقطار ،تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، الطبعة الأولي ، ١٩٧٥.

ابن حوقل (أبى القاسم بن حوقل النصيبى المتوفى عام ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م):

٢١_ صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون أبو زيد المتوفى عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م):

٢٢_ المقدمة ، تحقيق حامد أحمد الطاهر ، دار الفجر للتراث ، الطبعة الاولي ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٣_ العبر وديوان المبتدأ والخبر وأيام العرب والعجم ،اعتنى به وراجعه درويش الجويدي المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، الطبعة الأولي ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد المتوفى عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

٢٤_ وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، دار الطباعة ، المديرية المصرية ،الجزء الثاني ، القاهرة ١٢٧٥هـ.

الدرجينى: (الشيخ أبى العباس أحمد بن سعيد الدرجينى المتوفى عام ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) :

٢٥_ طبقات المشايخ بالمغرب تحقيق إبراهيم طلاى ، الجزائر ،الجزء الثاني ، ١٩٤٧م .

الذهبي (شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الدمشقي المتوفى عام ٧٤٨ه\١٣٤٨م) :

٢٦_ تذكرة الحفاظ ، مطبعة التوفيق ، دمشق ، ١٣٤٧هـ .

٢٧_ سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، الجزء الثامن ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الرازي: (أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم بن إدريس)

٢٨_ الجرح والتعديل ، مطبعه دار المعارف العثمانية بحيدر أباد ، الدكن ، الهند ، الطبعة الاولي، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م..

الرقيق (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق) :

٢٩_ قطعه من تاريخ إفريقيه والمغرب ، تحقيق عبد الله العلى الزيدان ، عز الدين عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٠م.

الزبيدى : (مرتضى الزبيدي بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق المتوفي عام١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)

٣٠_ تاج العروس ، الجزء العاشر ،المطبعة الخيرية بمصر، بدون تاريخ .

الزهري (محمد بن أبى بكر الاندلسى كان حيا في سنه ٥٤١_٥٥٦هـ/ ١١٤٦_١١٦٠م) :

٣١_ كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد صادق الحاج ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ.

السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين المتوفى عام ٧٧١هـ):

٣٢_ قاعدة في الجرح والتعديل ، تحقيق عبد الفتاح أبو غرة ، دار الوعي ، حلب ،الطبعة الثانية ، ١٩٣٧م.

السخاوى (محمد بن عبد الرحمن المتوفى عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

٣٣_ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولي، ٢٠٠٣م. ٣٢_ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولي ، ٢٠٠٣م.

السعدي: (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي كان يعيش بعد عام ١٠٦٥هـ/ ١٤٩٦م) :

٣٤_ تاريخ السودان ،طبعة هوداس وبنوه ، مطبعة بردين ،مدينة أنجى ١٨٩٨م.

السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي المتوفي عام٩١١هـ/ ١٥٠٣م)

٣٥_ طبقات الحفاظ ، تحقيق على محمد عمر ،الطبعة الأولي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

٣٦_ تزيين الممالك بمناقب سيدنا الإمام مالك ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ.

٣٧_ الحاوي للفتاوى ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٤م.

٣٨_ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،الجزء الاول ١٩٧٧م.

الشماخى : (أبو العباس أحمد بن أبى عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخى المتوفى عام (٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م)

٣٩_ كتاب السير ، تحقيق محمد حسن ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، الجزء الثالث ، بدون تاريخ .

أبن الصغير المالكي (المتوفى اواخر القرن الثالث الهجرى\التاسع الميلادى) :

٤٠_ إخبار ألائمه الرستميين ، تحقيق محمد ناصر ، وإبراهيم بخاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٦.

ابن عذارى: (أحمد بن محمد بن عذارى المراكشي)

٤١_ البيان المغرب في أخبار الأندلس المغرب ، مكتبه صادر ، بيروت ،الجزء الأول ، ١٩٥٠م.

ابو العرب تميم: (محمد بن أحمد بن تميم القيرواني المتوفى عام ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)

٤٢_ طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق على الشابى ، ونعيم حسن ، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م.

ابن العربي : (أبو بكر بن عبد الله)

٤٣_ أحكام القرآن ، تحقيق على محمد البجاوى ، صادر الجبل ، بيروت ،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

العمري :(ابن فضل الله العمري شهاب الدين أبى العباس أحمد بن يحيى المتوفى عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)

٤٤_ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق محمد عبد القادر خريسات ، عصام مصطفى هزايمة ، يوسف أحمد بني ياسين ، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة ،الجزء الرابع ، ٢٠٠١م.

عياض: (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى المالكي المتوفى عام ٥٤٤ هـ / ١٢٥٠م

٤٥_ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،الجزء الأول ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

الغبريني :(العباس أحمد المتوفي عام ٧٠٤هـ / ١٣٢٦م)

٤٦_ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الوطنية للنشر والتوزيع ، وطبعة المطبعة الثقافية الجزائر ، ١٣٢٨هـ .

الفاسي : (محمد بن أحمد الحسيني الفاسى المتوفى عام ٧٧٥-٨٣٢هـ) :

٤٧_ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمود محمد الطناحى ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

القشتالى : (أبى فارس عبد العزيز القشتالى المتوفى عام ١٠٣١هـ / ١٦٢١م):

٤٨_ مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم ،مطبوعات وزارة الأوقاف و الشئون الإسلامية ، الرباط ١٩٧٧م.
القلقشندى : أبو العباس أحمد بن علي المتوفى عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
٤٩_ صبح الأعشى في صناعة الانشا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الجزء الخامس ، بدون تاريخ.
ابن قنفذ(ابي العباس احمد الخطيب المتوفي عام ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م) :
٥٠. أنس الفقير وعز الحقير ، تحقيق محمد الفاسى وأدولف فور ، الرباط ، المركز الجامعي للبحث العلمي ١٩٦٥.
ابن القيم الجوزيه :(شمس الدين أبو عبد الله بن أبى بكر المتوفى عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م).
٥١_ أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل ، بيروت ،الجزء الاول ، ١٩٧٣م.
ابن كثير : (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي عام ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)
٥٢_البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ، جـ٩.
مالك بن انس:
٥٣_ الموطأ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، من مقدمة المحقق ، ص .ذ.س.
المالكي:(ابى بكر عبد الله بن محمد المالكي المتوفى عام (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م):
٥٤_ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، الجزء الاول ،١٩٩٤م.
مجهول : (كان حيا في أواخر القرن السادس الهجر / الثاني عشر الميلادي)
٥٥_ الاستبصار في عجائب الامصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر للشئون الثقافية العامة ، بغداد ، بدون تاريخ.
محمد بلو : "أبو عثمان بن فودي المتوفي (١٢٥٣هـ/ ١٨٣٢) :
٥٦_أنفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ، تحقيق بهيجة الشاذلي ، منشورات معهد الدراسات الأفريقية ، الرباط ، ١٩٩٦.
محمود كعت :(محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمني التنبكتي الوعكري):

٥٧_ تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، نشر هوداس و دولافوس ، باريس ، ١٩١٣.
ابن مرزوق "محمد بن مرزوق التلمساني المتوفى عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م" :
٥٨_المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق مارياخيسوس يعبرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ١٩٨١م.
المغيلي :(محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفي عام ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م) :
٥٩_ أسئلة الاسكيا وأجوبه المغيلي، تقديم عبد القادر زبادية، الجزائر،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤م.
٦٠_مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تقديم وتحقيق رابح بونار ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٦٨م.
المقري : (أحمد بن محمد التلمساني ١٠٤١/ ١٦٣١)
٦١_ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨.
٦٢_ روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس ، المطبعة الملكية ، الرباط ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م.
المقريزي :(تقي الدين أحمد بن على المتوفي عام ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) :
٦٣_ الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك تحقيق د . جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م.
٦٤_ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،الجزء الثاني ، ١٩٨٧م.
٦٥_ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،الجزء الثاني ، مابين عام ١٩٣٦ـ١٩٥٨م .
ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين ابن منظور ٦٣٠-٧١١هـ\١٢٣٢-١٣١١م):
٦٦_ لسان العرب ، الجزء الثالث ، مادة (قضى) ، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدى ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت، بدون تاريخ .
النفوسى :(سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني ١٣٥٩ هـ/ ١٩٤٠م)
٦٧_ الإزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية ، مطبعة الإزهار البارونية،دار الحكمة ،لندن، الجزء العشرون ، بدون تاريخ

الوزان:(الحسن بن محمد الوزان الزياتى ٨٨٨-٩٥٧ هـ/ ١٤٨٣-١٥٥٠م)
٦٨_ وصف أفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥م.
الوفراني: (محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله)
٦٩_ نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي عشر، الطبعة الثانية ، الرباط ، مكتبه الطالب ، بدون تاريخ .
الونشريسى:(أبو العباس أحمد بن يحيى المتوفى عام٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م)
٧٠_ المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، حقق تحت أشرف ، محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،الجزء التاسع ، بدون تاريخ.
اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح المتوفي عام ٢٨٤هـ/ ٩٨٢م):
٧١_ كتاب البلدان ، تحقيق دى خووى ، ليدن ١٨٩٢م .

المراجع العربية والمعربة :

إبراهيم على طرخان (دكتور) :
١_ إمبراطورية غانة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠م.
٢_دولة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ١٩٧٣م.
إبراهيم القادري بوتشيش (دكتور) :
٣_ مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٨م.
أبو بكر إسماعيل (دكتور) :
٤_ الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الاولي ١٩٧٧م.
أحمد الشكرى (دكتور) :
٥_ الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية ١٩٩٠م.
أحمد مختار العبادى (دكتور) :
٦_ تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩ .
إسماعيل العربي (دكتور) :
٧_ الصحراء الكبرى وشواطئها ،الشركة الوطنية ، الجزائر ١٩٨٣م.
أمطير سعد غيث أحمد (دكتور) :

٨_ الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، دار المدار الإسلامي ، ،لبنان الطبعة الأولي ٢٠٠٤م.
إيفان هربك :
٩_ بروز الدولة الفاطمية ، تاريخ أفريقيا العام ، المجلد الثالث ،اليونسكو، باريس١٩٩٤ .
بوفل :
١٠_ الممالك الإسلامية في غربي إفريقية وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء، ترجمة زاهر رياض ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م.
توماس أرنولد :
١١_ الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسْن ، عبد المجيد عابدين وآخرين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،١٩٧٠ .
جميلة أمحمد التكتيك (دكتور):
١٢_ مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير ١٤٩٣/ ١٥٢٨م، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات التاريخية رقم ٢٦، ليبيا ، ١٩٩٨م.
جوزيف كي - زيربو :
١٣_ تاريخ أفريقيا السوداء ، ترجمة عقيل الشيخ حسين ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ،٢٠٠١م .
الحبيب الجنحانى (دكتور) :
١٤_ المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية (ق٣_٤هـ/ ق٩_١٠م) الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٨.
حسن إبراهيم حسن (دكتور) :
١٥_ انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى وشرقي القارة الإفريقية وغربيها ، مطبوعات معهد الدراسات العربية ، مصر ١٩٥٧م .
حسن أحمد محمود (دكتور) :
١٦_ الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، دار الفكر العربي ،القاهرة ، ١٩٩٩م .
١٧_ قيام دولة المرابطين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٧م.
حسن الصادقى (دكتور) :

١٨_ جوانب عن التواصل الثقافي شمال -جنوب ضفتي الصحراء الإفريقية ، مجلة المغرب الإفريقي، مجلة متخصصة في التراث والدراسات الإفريقية ، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، العدد ١ ،عام ٢٠٠٠م .

حسين مراد (دكتور) :

١٩_الأوقاف مصدرا لدراسة مجتمع فاس في العصر المرينى ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جمعة القاهرة ٢٠٠٢م.

٢٠_ الصلات بين المغرب والسودان الغربي (خلال القرن ٢-٦ هـ / ٨-١٢م) ندوة الإسلام في أفريقيا الكتاب الحادي عشر ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا ، ٢٠٠٦.

سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) :

٢١_ تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف بالإسكندرية ، ١٩٧٩م.

سوزى أباظة (دكتور) :

٢٢_ دراسة حول مخطوطي " أسئلة في المشكلات " و"أسئلة إلى علماء مصر "لأحمد بابا التنبكتى ، ندوة البردي والمخطوطات العربية في أفريقيا ، معهد البحوث و الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، عام ٢٠٠١م.

سينيكى مودى سيسوكو :

٢٣ _الصنغى من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر،موسوعة تاريخ أفريقيا العام، الجزء الرابع ، اليونسكو، باريس ١٩٨٨م.

الشيخ الأمين عوض الله (دكتور) :

٢٤_ العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الإسلاميتين مالي وسنغى ، جدة ، دار المجمع العلمي ، ١٩٧٩م .

صباح إبراهيم الشيخلى وعادل محيى الدين الالوسى (دكتور):

٢٥- تاريخ الإسلام في أفريقيا وجنوب شرق أسيا ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ١٩٨٩ .

عارف أحمد عبد الغني:

٢٩_ تاريخ أمراء المدينة المنورة ، مكتبة كنان ، لبنان ، بدون تاريخ.

عبد الرحمن زكى :

٣٠_ الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا ، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية ، مطبعة يوسف القاهرة ، بدون تاريخ .

٣١_ تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦١م .

عبد العزيز الشناوي :

٣٢_ الأئمة الأربعة حياتهم ومواقفهم واراؤهم ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، الطبعة الأولي ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م .

عبد القادر زبادية :

٣٣_ الحضارة العربية والتأثير الاوروبي فى أفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، دراسات ونصوص ، الجزائر ، ١٩٨٩م.

٣٤_ مملكة سنغاى فى عهد الاسقيين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، بدون تاريخ .

عثمان برا يما بارى :

٣٥_ جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ،دار الأمين للنشر و التوزيع ،القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

عز الدين عمر موسى :

٣٦_ دراسات إسلامية فى غرب افريقية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ،١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م.

عمر الجيدى :

٣٧_ محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، مطبعه النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧م.

عمر رضا كحالة :

٣٨_ معجم المؤلفين ، مطبعة الترقي ، دمشق ، الجزء الثامن ،١٩٥٧-١٩٦١م.

علي مبارك :

٣٩_ الخطط التوفيقية ، الهيئة المصرية للكتاب ،الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ،القاهرة، ١٩٨٠ م.

عمر رضا كحالة :

٤٠_ معجم المؤلفين ، مطبعة الترقي ، دمشق ، الجزء الثامن ١٩٥٧-١٩٦١م.

فاى منصور على :

٤١_ أسكيا الحاج محمد وإحياء دوله السنغهاى الإسلامية (٨٨٩_٩٣٥هـ/ ١٤٩٣_١٥٢٩م)منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية العظمى ، طرابلس.

٤٢_ من تاريخ الإسلام في مالي وسنغهاي ، ندوة الثقافة الإسلامية واللغة العربية ،حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر ، ١٩٩٧م.

فيج . جي .دي :

٤٦_ تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة وتحقيق السيد نصر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢.

كارل بروكلمان :

٤٧_ تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف المصرية ، الجزء الثالث ، الطبعة الخامسة ، بدون تاريخ.

لحسن اليوبي :

٤٨_ الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية ، المملكة المغربية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

مادهو بانيكار :

٤٩_ الوثنية والإسلام ، ترجمه وتعليق أحمد فؤاد بلبع ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨م.

محمد أبو زهرة:

٥٠_ تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة ،بدون تاريخ .

محمد الفاسي وإيفان هربك :

٥١_مراحل تطور الإسلام و أنتشارة في إفريقيا ، لبنان ، المجلد الثالث ، موسوعة تاريخ أفريقيا العام اليونسكو ١٩٩٤ .

محمد بن الحسن الحجوى :

٥٢_ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة المكتبة العلمية ، المدينة المنورة الجزء الرابع ، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.

محمد بن تشريفه :
٥٣_ من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، مطبعة النجاح، الدار البيضاء ، الطبعة الاولي ، ١٩٩٩م .
محمد حجي :
٥٤_ الحركة الثقافية في عهد السعديين ، الجزء الاول ، ١٩٧٦م .
محمد زينهم محمد :
٥٥_ الإمام سحنون ، دار الفرجانى ، القاهرة ١٩٩٢.
محمود الغربي:
٥٦_ بداية الحكم المغربي في السودان الغربي،بغداد ،دار الرشيد للنشر ١٩٨٢.
محمود إسماعيل(دكتور) :
٥٧_ سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، دار الثقافة الجديدة ، تونس،الجزء الأول ، ١٩٧٨.
٥٨_ فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٨م.
٥٩_الخوارج في المغرب الإسلامي ،دار البيضاء، المغرب ١٩٧٣م.
مسعود عبد الله الوزاني :
٦٠_ التواصل الإنساني وأثره في وحدة العقيدة بين شمال الصحراء وبلدان السودان الغربي حتي عصر المرابطين ، ندوة الثقافة الإسلامية واللغة العربية ،حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر ،١٩٩٧م.
مسعود عمر محمد:
٦١_ تأثير الشمال إلا فريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس،ليبيا، ٢٠٠٣م.
مصطفى أبو ضيف عمر :
٦٢_ أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية خلال عصري المرابطين والموحدين وبني مرين ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢م.
مهدي رزق الله أحمد :
٦٣_ حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وأثارها الحضارية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولي ، ١٩٩٨م.
مهدي ساتي صالح :

٦٤_ بعض مكونات الفكر الإسلامي وقضاياه في أفريقيا وجنوب الصحراء ، ، ندوة الثقافة الإسلامية واللغة العربية ،حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر ،١٩٩٧م.

ميشيل إيزارد :

٦٥_ شعوب وممالك منعطف نهر النيجر وحوض الفولتا ، تاريخ أفريقيا العام ، المجلد الرابع اليونسكو ١٩٨٨م،.

نجم الدين الهنتاتي :

٦٦_ المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن ال٥/ ال١١م ، تبر الزمان ، تونس ، ٢٠٠٤.

نعيم قداح :

٦٧_ حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م.

نقولا زيادة :

٦٨_ المغرب والسودان في أيام المنصور الذهبي ، بيروت ،١٩٦٧م.

٦٩_ معاهد العلم الإسلامية في السودان الغربي في العصور الوسطي ، المؤسسة الجامعية، المغرب،١٩٨٧.

ويستنفيلد :

٦٧٠_ جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها ، ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ١٩٨٠م .

الدوريات :

إبراهيم طرخان (دكتور) :

١_ إمبراطورية صنغى الإسلامية ، مجلة كليه الآداب ، جامعة الرياض ، المجلد الثامن ، الرياض ،١٩٨١م .

٢_ الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الثاني ، دار النصر للطباعة ، ١٩٦٩م.

ابو بكر إسماعيل ميقا (دكتور) :

٣_ تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ،الرياض ، ١٤١٤هـ.

حسين مراد (دكتور) :
٤_ دولة كانو الإسلامية ، تطورها السياسى والحضاري حتى نهاية القرن ٩هـ/ ١٥م، بحث في مجلة الدراسات الإفريقية ،معهد البحوث والدراسات الافريقية ،جامعة القاهرة، رقم ٤٧، عام ١٩٩٧ .
٥_ المذهب المالكي في السودان الغربي، مجلة الوقائع التاريخية، مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعه القاهرة، يناير ٢٠٠٦ .
٦ـ دولة أودغست الإسلامية من القرن الثاني إلى الخامس للهجرة ، القرن الثامن إلى الحادي عشر للميلاد) ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،القاهرة ، العدد ٤٦ ، ٢٠٠٨ .
٧_ المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين ٥٦٧ـ٦٤٨هـ/ ١١٧١ـ١٢٥٠م، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة،عدد ١٩٩٥م.
رشيد الزواوي (دكتور) :
٨_ التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي ، مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد الاول ، ١٩٩٣.
سوزي أباظة محمد (دكتور) :
٩ _ عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت ، مجلة الدراسات الإفريقية،معهد البحوث والدراسات الافريقية،القاهرة العدد ٢٦ ،لسنة ٢٠٠٤.
١٢_ القضاء في صنغاي في عهد الاساكي(٨٩٨ـ٩٩٩هـ/ ١٤٩٣ـ١٥٩١م) مجلة المؤرخ المصري ، قسم التاريخ كلية الآداب جامعة القاهرة ، العدد ٢٨، يناير ٢٠٠٥م.
شوقي عطا الله الجمل (دكتور) :
١٣_ الحضارة الإسلامية العربية في غرب أفريقيا سماتها ودور المغرب فيها ، مجلة المناهل المغربية ،العدد السابع ، السنة الثالثة ، ،١٩٧٦ .
صباح إبراهيم الشيخلى (دكتور) :
١٤_ النشاطات العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي ، مجله معهد الدراسات والبحوث العربية،القاهرة ، بغداد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
صلاح الدين المنجد (دكتور) :
١٥_ مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط١، ١٩٦٣م.
عبد الله نبهان (دكتور) :

١٦_ الإمام السيوطي وفن السيرة الذاتية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة العدد ٣٤، ١٩٩٠م .
قمر الدين محمد فضل الله (دكتور) :
١٧_ لمحة تاريخية عن مملكة سنغي الإسلامية ، مجلة الدعوة الإسلامية ، العدد الخامس ، طرابلس ، ١٩٨٤.
كرم الصاوي باز (دكتور) :
١٨_ الصراع بين العرش والعلماء في سنغاى ، في الفترة من(٨٦٩_٨٩٩هـ / ١٤٦٤_١٤٩٣م)، مجلة الدراسات الإفريقية ،معهد البحوث والدراسات الافريقية ،جامعة القاهرة، العدد ٢٢ ، ٢٠٠٠م.
ماهر عطية شعبان (دكتور) :
١٩_ جامعة سنكري فى تنبكتو ودورها الحضاري والثقافي فى القرن السادس عشر ١٩٤٢/ ١٥٩٠م، مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد الرابع والعشرين ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢.
محمود مكي (دكتور) :
٢٠_ وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلدان ٧ ، ٨ القاهرة،عام ١٩٥٩_١٩٦٠ .
ميشيل برت :
٢١_ فتويان من أواخر القرن الرابع الهجري ، تتعلقان بالتجارة عبر الصحراء ، بحث في مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين ، المجلد الأول ، السنة الثالثة ، يناير ١٩٨١م .
رسائل علمية .
إبراهيم على يوسف الشامي :
١_ الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وصنغى (٦٣٦_١٠٠٠هـ/ ١٢٣٨/ ١٥٩١م) ، رسالة ماجستير، غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
أحمد إلياس حسين :
٢_ العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي فيما بين القرنين الثاني والخامس الهجريين / الثامن والحادي عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة ، ، قسم التاريخ ، ١٩٨٢م.

أحمد سيد حسين درويش :
٣ـ دور المرأة السياسي والحضاري فى دولتى مالي وصنغي (٦٣٦ـ١٠٠٠هـ/ ١٢٣٨ـ١٥٩١م) رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة ، ٢٠٠٧م.
السيد أحمد السيد الباز :
٤ـ الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي (٦٣٨ـ٩٩٩هـ/ ١٤٠ـ١٥٩١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .
حسن جلال الدين :
٥ـ مملكة مالي الإسلامية وأهم مظاهر الحضارة بها رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة ، ١٩٧٨م.
حسين حسان محمد حسين :
٦ـ الحركة العلمية والتعليمية في الأزهر ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، ١٩٩١م .
حسين سيد عبد الله مراد :
٧ـ دولة بني مدرار في سجلماسة بالمغرب الاقصي (١٤٠ـ٢٩٧هـ/ ٧٥٧ـ٩٠٩م) ،رسالة ماجستير غير منشورة\ معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦م.
عبد الباقى محمد أحمد كبير :
٨ـ المرابطون ودورهم فى نشر الاسلام فى غرب أفريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، ١٩٨م .
٩ـ الدول الإسلامية فى غرب أفريقيا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، ١٩٨٨م .
عبد العزيز العلوي :
١٠ـ التأثيرات الدينية والفكرية المغربية على السودان الغربي الوسيط، رسالة دكتوراه غير منشورة ، المملكة المغربية فاس ١٩٩٩م .
عبد العظيم السعيد حسن :
١١ـ السيوطي وجهوده في إثراء الحركة الثقافية الخارجية ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بجامعةالأزهر ، ١٩٩٢م.
عبلة سلطان :

١٢_العناصر المغربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٩٩م .

عصمت هانم عبد اللطيف دندش :

١٤_ دور المرابطين في نشر الاسلام ، رسالة ماجستير منشورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م .

علي أحمد قياد الغامدى :

١٥_ فقهاء المالكية بمصر فى القرن السابع الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ١٩٨٩م .

علي البدري أحمد :

١٦_ الإمام مالك وأثره في الفقه ، رسالة دكتوراة ،غير منشورة ، بكلية الشريعة ، بجامعه الأزهر ١٩٩٠م.

محمد أنور توفيق :

١٧_ دولة سنغاى الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م .

محمد عثمان أبو بكر :

١٧_ الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي وأثره السياسي والثقافي ، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بجامعةالازهر، ١٩٩٢م .

فاى منصور على :

١٨_ دولة مالي الاسلامية فى عصرها الذهبي على عهد منسا موسي (٧١٢_٧٣٨هـ/ ١٣١٢_١٣٣٧م) رسالة ماجستير غير منشورة ، بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، ١٩٨٤م .

وداد نصر محمد السيد الطوخي :

١٩_ مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين ، رسالة ماجستير فى التاريخ الإسلامي ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ .-

الكتب الاجنبية :

Bovill (E.W.) :
١_ The golden Trade of the Moors , London , ١٩٦١.
Burckhart. J .L:
٢_ Travels in Arabia , vol.١, London, ١٨٢٩.
Cuoq ,B :
٢_ La FamiL` Aqit de Tombouctou,Revue des Belles Lettres Arabes,١٩٧٨N.٤١,premier Smestre,.
Cuoq , j :
٣_ Histoire de L` Islamisation de L` Afrique de L`Ouest Des Rigines a la fin du xvle Siecle,Paris,١٩٨٤.
Clarke.B :
٤_ West Africa and Islam, London ١٩٨٢.
David Conrad and Humphrey Fisher :
٥_The Conquest That Never Was: Ghana and the Almoravids ١٠٧٦. The External Arabic Sources History in Africa, African Studies Association, Vol. ٩ (١٩٨٢) .
Davidson, B :
٦_ Old Africa Rediscovered ,London ,١٩٥٩.
Elias . Saad. N :
٧_ Social History of Timbuktu ,the Role of Muslim Scholars and Notables ١٤٠٠-١٩٠٠, Illinois, ١٩٧٩.
Fernando , Paolo :
٩_ Histoire Contre Memoire Epigraphie_Chroiques Tradition Orale et Lieux d'Oubli Dans Le Sahel Malien , Publications De L'institute Des Etudes Africaines Rabat ١٩٩٣.
Hunwick j ,o :
١٠_ Les Rapports Intellectuals Entre Le Maroc Et L` Afrique Sub–Saharienne A Travers Les Ages, Publications De L'institute Des Etudes Africaines Rabat ١٩٩٠.
Hiskett ,M :
١١_ The Development Of Islam in West Africa, Longman, London١٩٨٤.
Joseph ki _Zerbo :
١٣ _ Histoire de l' Afrique d` Hier A Demain, Hatier ,Paris, ١٩٧٢.
Levtzion , N :
١٤_ Western Maghrib and Sudan ,in the Cambridge History of Africa, vol.٣, Cambridge , London , ١٩٧٧.
١٥_ Islam in West African Religion Society and Politics to١٨٠٠,Varioum,London,١٩٩٩.
Lewis ,L,M.:
١٦_ Islam in Tropical Africa , (Oxford , ١٩٦٠).
Lewicki ,T :
١٧ Arabic External Sources For The History Of The Africa To The South Of Sahara ,٢ed, London,١٩٦٩.

Mauny Raymond :

٢٠_Tableau Geographique De l'ouest Afrique Au Moyen –Age ,Dapres Les Sources Ecrites, La Tradition Et l'Archeology, Memoire De l'Ifan ,N.٦١, Dakar, ١٩٦١.
Michaal A .Gomez :
٢١_ Timbuktu Under Imperial Songhay :A Reconsideration Of Autonomy ,The Journal Of African History ,Vol.٣١,No.١, (١٩٩٠).
Moreou , R :
٢٢_ Africaines Muslumans ,Inades Edition Prence Africaine', ١٩٨٢.
Oliver(R) &Fage (J.B.) :
٢٣_ A Short History Of Africa , Benguin Book ,١٩٧٣.
Sauvaget .j :
٢٤_ Les Epitaphes Royales De Gao, Al – Andalus, Vol. XIV .Fasc I, Madrid , ١٩٤٩.
Smith (A.):
٢٥_The Early States Of Central Sudan, New York, ١٩٧١.
Trimingham , J .S :

٢٦_ History Of Islam In West Africa. Oxford, ١٩٧٠.

الدوريات الأجنبية :

A. El Alaoui,:
١_ Le Maghreb Et Le Commerce Trans-saharien (Milieu Du Milieu Du XIV[e] s.), Thése De ٣[ème] Cycle, Bordeaux, ١٩٨٣.
Abd-Al-Aziz Abd-Allah Batran:
٢_A Contribution To The Biography Of Sheikh Muhammad Ibn,Abd-Al-kariam Ibn Muhammad, Autonomy ,The Journal Of African History, Vol. ١٤, No.٢/١٩٧٣.
Adam Ba konare :
٣_ Les Relations Politiques Et Culturelles Entre Le Maroco Et Le Mali A Traverse Les Ages , Ryaume Du Maroco ,University Mohammed V, Publications De L'Institut Des Etudes Africaines ,Rabat .

Ali Ould Sidi :
٤_Monuments And Traditional Know-how: The Example of Mosques In Timbuktu, ISSN ١٣٥٠–٠٧٧٥, No. ٢٢٩–٢٣٠ (Vol. ٥٨, No. ١–٢, ٢٠٠٦) UNESCO ٢٠٠٦ , Published By Blackwell Publishing, Oxford, (USA).
Alpha,S:|
٥_Les Familles latuna de Sonkore Cherif, revue Sonkore N ٤ , ١٩٩٣ , Etude sur L'islam au Soudan.
Brent Singieton:
٦_ A Select Bibliography Of The Songhay Empire , Africa , vol .٣١/٢٠٠٤.
Brenner:
٧_ Histories Of Religion In Africa , Journal Of Religion In Africa,vol.٣٠,Fasc.٢,May,٢٠٠٠.
Clssoko ,S .M .L :
٨_ Intelligentsia De Tombuctou,Blfan,١٩٦٩.

Garrard ,T,F:

٩_ Myth And Metrology: The Early Trans-Sahran Gold Trade, The Journal of African History,vol.٢٣,No.٤(١٩٨٣).
Hunwick,J :
١٠_Songhay Borno And Hausaland In Sixteenth Century, Book History Of West Africa, Vol.٢, Second Edition ,London ١٩٧١.
١١_Secular Power And Religious Authority In Muslim Society: The Case Of Songhay , The Journal Of African History ,Vol.٣٧,No.٢.١٩٩٦.

١٢_ Gao And The Almoravids Revisited : Ethnicity ,political Change And The Limits Of Interpreting ,The Journal of African History ,Vol.٣٥,No.٢\١٩٩٤.

١٣_The Mid-Fourteenth Century Capital of Mali The Journal of African History,Vol.١٤,No.٢(١٩٧٣).
Kaba.L.
١٤_ Islam And Revolution In Songhay Reconsidered ١٤٦٤-١٤٩٣, The Journal Of African History, Vol.٢٥, No.٣, ١٩٨٤.
Lamin Sanneh:
١٥_ The Origins Of Clericalism In West African Islam, The Journal of African History, Vol. ١٧, No. ١ (١٩٧٦).

Michaal A .Gomez :
١٦_Timbuktu Under Imperial Songhay: A Reconsideration Of Autonomy ,The Journal of African History ,Vol.٣١,No.١ (١٩٩٠).
R. W. Niezen:
١٧_ The Community Of Helpers Of The Sunna': Islamic Reform Among The Songhay Of Gao (Mali) Africa, Journal Of The International African Institute, Vol. ٦٠, No. ٣ (١٩٩٠).

١٨_ Scribe, Griot, and Novelist: Narrative Interpreters of The Songhay Empire by Thomas A. Hale, Journal of Religion in Africa, Vol. ٢٢, Fasc. ٢ (May, ١٩٩٢), BRILL.
Samba Gadjigo:
١٩_ Scribe, Griot, and Novelist: Narrative Interpreters of the Songhay Empire by Thomas A. Hale , Research in African Literatures, Vol. ٢٢, No. ٤ (Winter, ١٩٩١) Indiana University Press.
Sulayman S. Nyang:
٢٠_ Islam And Politics In West Africa, A Journal of Opinion African studies Association ,vol.١٣\١٩٨٤.

الرسائل الاجنبية :

Alice Louise Willard:

١_ The Songhay in The West African World-System, A Dissertation Submitted to The Johns Hopkins University in Conformity With The Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy, Baltimore, Maryland, ١٩٩٩.

Mariam Konate Deme :

٢_ The Role And Function Of The Supernatural In The African Epic, A Dissertation Submitted to The Temple University, Graduate Board,٢٠٠٤.

Nobiakai AL-Nuraslaam,:

٣_An Investigation of Malinke Historiography from Sundiata to Almamy Samori Toure, Howard University,Washington D.C,٢٠٠٥.

Stephen Charles Cory:

٤_ The Caliphate and Political Legitimacy In Early Modern Morocco, A Dissertation submitted in partial Satisfaction of the Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy In History, University Of California, Santa Barbara,٢٠٠٢.

Usman Muhammad bugajE :

٥_ The TradItIon Of TajdId In Western BIlaD AL –Sudan : Astudy Of The GenesIs ,Development And Patterns Of IsLamIc RevlaLIsm In The RegIon .٩٠٠–١٩٠٠AD ,Thesis submitted To The Graduate College Of The University Of Khartoum, in Partial Fulfillment Of The Requirements For The Degree Of Doctor Of Philosophy, Department Of Afro-Asian Studies Institute Of African And Asian Studies University of Khartoum ,١٩٩١.

فهرس